

نام كتاب: تاريخ الغيبة الصغرى

پديدآور: صدر، محمد

تاريخ وفات پديدآور: ١٤١٩ هـ. ق

موضوع: غيبه امام مهدي - علائم ظهور - حكومت امام مهدي

زبان: عربي

تعداد جلد: ٤

ناشر: دار التعارف للمطبوعات

مكان چاپ: بيروت (لبنان)

سال چاپ: ١٤١٢ هـ. ق

نوبت چاپ: ١

ص: ١٣

[هذا الكتاب]

الجزء الأول قرن من الزمن، على وجه التقريب .. هو الذي يحاول هذا الكتاب أن يعرض له تاريخاً و تحليلاً و تبويها ... على ضوء سائر المصادر الإسلامية التي تعرضت لذلك، سواء في ذلك التاريخ العام، أو التاريخ الخاص الذي اثبتت عن أقلام علمائنا الأبرار.

قرن من الزمن .. حافل بروائع الأحداث و جلائل الأخطار ..

أنموذج فذ من القرون ... سواء على الصعيد السياسي العام من حيث ما آلت إليه الخلافة العباسية يومذاك، من الضعف و التصدع ... أو من ناحية الأئمة، و كيف كانوا يخوضون غمار البؤس و الأخطار بكل حذق و صبر.

انموذج خاص .. لا مثيل له في الدهر، بالأسلوب الخاص الذي اتخذه الامام المهدي (ع) في قيادة شعبه، حال اختفائه عن مسرح الناس، عن طريق السفراء الأئمة الذين كانوا ينقلون عنه التوجيهات، و يقومون بالتنفيذ.

قرن من الدهر ... تكفله هذا الكتاب ... و لم يكن كله متضمنا للغبية الصغرى ... و ان احتلت معظمه .. و لكن الكلام فى مثل هذه الفترة الحرجة الدقيقة، التى يكتنفها الغموض من العديد من جوانبها، و لم تسلم من الأحكام العشوائية من عدد من الكتاب المسلمين و غيرهم ..

ص:١٤

هذه الفترة تحتاج فى عرضها الأمين الدقيق .. الى تقديم كبير، للظروف السابقة عليها، حتى نعرف بوضوح و تفصيل العوامل الاساسية التى أدت إليها و بلورة الاحداث فيها.

و من ثم سار منهج هذا الكتاب، على بيان مقدمة، بادئ ذى بدء فى بيان نقاط الضعف الأساسية فى تاريخنا الإسلامى ... و التى تعيق الباحث عن التوصل الى جملة مما يهمه و يؤثر فى بحثه، من قضايا الاسلام و المسلمين.

ثم أعطى فكرة كافية عن تاريخ الامامين العسكريين (ع) و هما على بن محمد الهادى (ع) جد الامام المهدي (ع) و الحسن بن على (ع) أبوه .. و ما كان يتخذ هذان الامامان من تدابير و ما يقومان به من أعمال تجاه الدولة و تجاه قواعدهم الشعبية.

حتى ما اذا ما حملنا من ذلك فكرة كافية ... وصلنا الى تاريخ الغيبة الصغرى .. لتتعرف على الاتجاهات العامة و الاعمال التفصيلية التى كان يقوم بها الامام المهدي (ع) و سفرؤه و ما كانت تقوم به الدولة تجاههم من أعمال، و ما كانت تتبناه من أفكار.

و من هنا قسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين - أولهما: يبدأ بإشخاص الامام الهادى (ع) إلى سامراء عام ٢٣٤ الى وفاة الامام العسكرى (ع) عام ٢٦٠ .. و ثانيهما: يبدأ بما انتهى به القسم الأول:

و ينتهى بوفاة السفير الرابع من سفراء الامام المهدي عام ٣٢٩.

و قد قرنا، كلا من القسمين بفصل تحليلى لاهم الحوادث و الاتجاهات

ص:١٥

التى كانت سائدة فى كل من هذين العصرين .. بحسب ما يدلنا عليه التاريخ الاسلامى العام .. بما له من مصادر متوفرة.

و هذا الكتاب .. بماله من اتجاه تاريخى، لا يتكفل الدخول فى مجال الجدل العقائدى الذى قد يشيره الكلام عن الامام المهدي (ع). كاثبات وجوده و طول عمره و غير ذلك ... ان لم يكن هذا التاريخ بنفسه كافيا لإثبات القطع بتواتر أخبار الامام المهدي (ع) فى الاسلام ...

و سيكون لهذا الجدل، و غيره من البحوث حول الامام المهدي (ع) مجالات اخرى عسى الله عز و جل ان يوفقنا إلى خوض غمارها فى سلسلة من البحوث المقبلة فى هذه الموسوعة ان شاء الله تعالى.

المؤلف

ص: ١٧

مقدمة نقاط الضعف فى التاريخ الاسلامى

ص: ١٩

تمهيد:

انا حين نريد أن نستوحى تاريخنا الاسلامى الخاص، نجده بشكل عام، غامضا مليئا بالفجوات و العثرات. يحتاج فى تصفيته و ترتيبه، وأخذ زبدته المصفاة و العبرة المتوخاة إلى جهد كبير و فكر مضاعف جليل.

و هذا يعود إلى عدة أسباب، لعلنا نستطيع أن نلم ببعض جوانبها المهمة فيما يلى:

الجانب الأول:

ما يرجع إلى واقع التاريخ المعاش آنذاك .. أى أن نفس حوادث التاريخ و تحركات أعلامه، كان مقتضبا غامضا مقيدا.

ص: ٢٠

و ذلك: أن أئمتنا عليهم السلام، كانوا يمثلون على طول الخط، دور المعارضة الاسلامية الصامدة، ضد خط الجهاز الحاكم الذى يمثل الانحراف عن تعاليم دينها القويم، بقليل أو بكثير. فان الحكم و إن كان قائما على اسم الاسلام، و لم يكن الخليفة ليتسنم مركزه الكبير، إلا باعتباره خليفة الرسول (ص) و الخلفاء الراشدين من بعده. إلا ان شخص الخليفة، اذ لم يكن قد تفهم الاسلام على حقيقته أو تشرب روحه و ميزان عدله؛ فكان يمارس الحكم على مقدار فهمه، و أفق تفكيره، مضافا إلى سيطرة الآخرين على كثير من مراكز الدولة الحساسة، ممن لا يفضلون على الخليفة نفسه، بالوعى و الروح، و ليسوا فى حال يحسدون عليه من هذه الناحية.

فكان موقف أئمتنا عليهم السلام، ضد الجهات الحاكمة رأيا و تطبيقا، موقفا حازما صارما، مستمدا من حكمة الله تعالى و قوته و توفيقه. فكان لهم موقفان أساسيان، لا ترتاح إليهما الجهات الحاكمة:

الموقف الأول:

مطالبتهم الدائمة، نظريا- على الأقل- بمنصب رئاسة الدولة الاسلامية و تولى الامامة فى الأمة المرحومة، و قيام كيان الائمة عليهم السلام فى تابعيهم و قواعدهم الشعبية الموسعة، على ذلك.

فكان هذا مما يهدد الخلافة الأموية و العباسية فى الصميم، و يقضى مضاجع الخلفاء، و يجعلهم حذرين كل الحذر مما يقوم به الأئمة من

ص: ٢١

أفعال و ما يصدر عنهم من أقوال، و يجعلونهم، دائما، تحت المراقبة و الاحتياطات المشددة، بما يملك الحكم من سيطرة و نفوذ.

### الموقف الثانى:

مما يرجع إلى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الاصلاح فى أمة جددهم رسول الله (ص)، نتيجة للظلم و الانحراف و الحروب المنحرفة و المصالح الشخصية، التى كانت نافذة المفعول فى المجتمع، و الذى خلف - فى أغلب فترات التاريخ - بؤسا اقتصاديا و تخلفا اجتماعيا مؤسفا.

فكان الأئمة (ع) يحسون بواجبهم، و يشعرون بمسئوليتهم، بصفتهن الممثلين الحقيقيين لنبي الاسلام (ص)، على ما يعتقدون - على الاقل - تجاه اصلاح الفاسد و تقويم المعوج فى الامة الاسلامية، بمقدار امكانهم و الفرص التى كانت تسنح لهم فى خلال الايام.

و هم فى كل ذلك، كانوا يتوخون ما تقتضيه المصلحة الاسلامية العليا فى ذلك الحين، بما يواجه المجتمع من مشاكل و الدولة من أزمات.

فكان موقفهم، تجاه صراع الدولة الاسلامية، بما فيها الجهاز الحاكم، مع الكفر، و مع الاخطار المحدقة بالمسلمين، من قبل الاعداء، ماديا و عقائديا، موقف المؤيد للجهات الحاكمة، تأييدا محترسا مقتضبا، خشية أن تقع هذه الجهات فى الانحراف، حتى فى هذا الحقل نفسه.

ص: ٢٢

و كان موقفهم، تجاه المشاكل الداخلية، للدولة الاسلامية، تلك المشاكل التى كان يثيرها حكام أو جماعات منحرفة فى الداخل، موقف المراقب و المصلح و الناصح. و لم يكن مثل هذا الموقف بسائغ فى نظر سائر الحكام من خلفاء و وزراء و قضاة. و كانوا يتقون من ذلك و يحذرونه بعمق، و يجعلون الاحتياطات المشددة أيضا ضده.

فكان هذان الموقفان الاسلاميان من ائمتنا (ع)، مشيرا لحقد الجهاز الحاكم عليهم و تحذره منهم، قولا و فعلا، و بالطبع فان الأئمة (ع) كانوا يعملون بمقدار الامكان؛ و عند وجود الفرص السانحة؛ آخذين بنظر الاعتبار هذا الضغط المتزايد الوارد إليهم و الموجه عليهم.

فكان هذا الضغط موجبا لكفكفة نشاط الأئمة (ع) و قلة اصلاحاتهم و ضآلة تأثيرهم، بالنسبة إلى الحاجات الكبرى للمجتمع.

و من ثم كان أئمتنا (ع) يقتصرون فى غالب نشاطاتهم، على الدوائر الخاصة من أصحابهم، و فى حدود ارتفاع الضغط، أو قلته أو المخاتلة معه، و كانت تتسع هذه الدائرة، أو تضمر أو بحسب الظروف التى يمر بها الامام (ع) و تتناسب كثرتها تناسباً عكسياً مع ضعف الجهاز الحاكم.

فكان إذا ضعفت الخلافة، و وهى جانبها يفتح أمام الامام (ع) فى ذلك العصر، فرصة العمل و الجهاد و الدعوة كما حدث فى زمن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) الذى عاش فى عصر تحول الدولة الاسلامية من الخلافة الاموية إلى العباسية. فاشتغل ببيت العلوم

ص: ٢٣

الاسلامية و التعاليم الإلهية على أوسع نطاق. و كان إذا قويت الخلافة أو قوى صنائعها و المنتفعون منها، فانه ينغلق أمام الامام (ع) فى ذلك العصر، فرص العمل و الجهاد و الدعوة، الا فى أضيق الحدود.

كما حدث فى العصر الذى نورخه، حيث سيطرت الموالى و جماعة الأتراك على الحكم؛ و جعلوا الأئمة (ع) تحت أشد الرقابة و أعمق الحذر.

و الموقف نفسه، كان هو موقف أصحاب الأئمة (ع) و المجاهدين بين يديهم. فانهم ان توسع امامهم (ع) فى العمل توسعوا و ان ضيق ضيقوا؛ و كان الامام (ع) ينهى أصحابه، فى أوقات الشدة و الضيق، عن التصريح بما يخالف القانون السائد و الوضع القائم.

و الامام (ع) بشخصه، بصفته الرئيس الفعلى، لقواعد الشعب كبيرة، يكون - على كل حال - فى حصانة جزئية عن التنكيل الفعلى المكشوف من قبل الحاكمين، لئلا يثيروا عليهم الرأى العام و الشعب باكملة آخذين بنظر الاعتبار، نظر التقديس و الاجلال الذى كان ينظره الناس إلى أئمة الهدى (ع)، ذلك النظر الذى اجمع المسلمون على صحته و صوابه و اخلاصه، و ان كان جملة منهم، لا يؤمنون بإمامتهم. و من ثم كان الامام فى حصانة جزئية من التنكيل الفعلى الصريح و هذا هو الذى كان شأن الأئمة (ع) من الامام الرضا الى الامام العسكرى عليهم السلام. مضافاً الى أن سياسة الخلفاء قامت بالنسبة الى الامام الجواد (ع) و من بعده، الى تقريبهم للبلاط، و اسكانهم فى

ص: ٢٤

بروج عاجية، توخيا إلى فصلهم التام عن قواعدهم الشعبية، و نشاطهم الجهادى، على ما سيأتى تفصيله.

و لئن كان موقف الأئمة، محصنا من الناحية الشكلية، إلا أن موقف أصحابهم و تابعيهم، و من عرفه الحكام بالولاء لهم، كانوا يذوقون سوط العذاب، إلا أن يتقوا منهم تقاة. فكان أقل ما يلاقه الفرد منهم العزل الاقتصادى و الاجتماعى و السياسى.

فينتج من ذلك - بكل وضوح - أمران:

## الأمر الأول:

ضآلة النشاط السياسى و الاجتماعى، من قبل الأئمة (ع) و أصحابهم؛ ذلك النشاط الذى لو كان موجودا لفتح آفاقا تاريخية واسعة، بقيت مطوية و غامضة أمام من يأخذ التاريخ من زاوية موضوعية محضة.

## الأمر الثانى:

إن جملة من أعمال الأئمة (ع) و أصحابهم و أقوالهم، كانت سرية بطبيعتها و أصل ظروف وجودها، بحيث لم يكن ليتجاوز خبرها الاثنى أو الجماعة القبيلة، و كانوا يتبانون على ستره و كتمان به بأمر من الامام عليه السلام، و لم يكن مما يكتب على صفحات التاريخ. شأن كل حزب سرى معارض ينزل إلى حلبات الجهاد.

## الجانب الثانى

ما يرجع إلى معرفتنا بذلك التاريخ و مقدار اطلاعنا عليه و هو

ص: ٢٥

الذى يمثل الصورة التى أعطاها المؤرخون فى كتبهم عن تلك الفترات و هل هى مطابقة للواقع أم لا، و بأى مقدار كانت سعة الصورة و دقتها و عمقها؟! و الى أى مدى كان فهم المصور المؤرخ و استيعابه للاحداث، و لما وراءها من فلسفة و علل و نتائج. لعل من مستأنف القول ... الخوض فى البحث الذى يذكر عادة للطعن فى أصل التاريخ و كيفية جمعه و ترتيبه، و يذكر لذلك عدة وجوه.

## الوجه الاول:

إن المؤرخ ليس الا بشرا مثلنا، له ما لنا من جوانب القوة، و عليه ما علينا من نقاط الضعف، و المشاهد بيننا بالوجدان، بان قضية ما قد تقع فى البلدة مثلا يشاهدها المئات أو الآلاف، إلا أننا نسمع من كل فرد شاهد عيان نقلا لحوادثها يختلف عن نقل الآخر بقليل أو بكثير، حتى انه قد يصل الفرق إلى حد التناقض.

هذا فى المشاهدين، فكيف الحال فى النقل و الرواية، فإن الحال تزداد سوءا، و لا يكاد يبقى للحادثة المروية جسم. و لا روح. هذا فى البلد الواحد، و المشاهدين الكثيرين، فكيف فى بعد الزمان و تفرق المكان و قلة المشاهدين و طول سند الرواية، كما هو متوفر فى كتب التاريخ المتوفرة.

## الوجه الثانى:

ان المؤرخ، كأى إنسان، ليس إلا مزيجا غريبا من مجموعة من

ص:٢٤

عواطف و غرائز و عقائد و مسبقات ذهنية و عادات حياتية. و لا يمثل العقل و الفكر منه الا بعضها من هذا المزيج، و المؤرخ و ان كان يتخيل و يفترض أنه يكتب تاريخه بعقله و فكره، الا أن هذا واضح البطلان، و انما هو يكتب تاريخه بمجموع عواطفه و سائر مرتكزاته، و بخاصة في الحوادث التاريخية التي تقترب بخلاف بين جماعتين، أو بعواطف معينة.

الوجه الثالث:

ان هناك نحوين من الملاحظة، بحسب الاصطلاح العلمى - أولهما:

طريقة الملاحظة المنظمة التي يعتمد الباحث فيها النظر و يتقصى الحقائق حول حادثه معينة أو عدة حوادث حين وقوعها. ثانيهما:

الملاحظة المشوشة غير القائمة على التنظيم و التعمد، كالتاجر يذهب إلى بلد معين ليستورد منها البضاعة، أو السائح يذهب إليه ليشاهده، و حين يعود، يسأل عن ذلك البلد، و عن حقايقه و وقائعه، في حين انه قد شاهدها صدفة و أحس بها احساسا عشوائيا، و لم يعتمد فهمها، و لا التفكير فيها على وجه الخصوص.

و التاريخ مدون عادة بالنحو الثانى من الملاحظة. لأن الأشخاص الذين كانوا يعيشون تلك الأزمنة، إنما عاشوها بصفتها حياة عادية، لا يعيدون فيها النظر و لا يتعمقون في أسبابها و نتائجها. ثم يأتي الراوى منهم الى المؤرخ ليعطى له ما علق في ذهنه من هذا الخضم الزاخر الذى عاشه في حياته، مما قد مر أمامه مرورا عابرا.

ص:٢٧

لا اريد أن أدخل في البحث عن هذه المشكلات، فاننا ينبغي أن نكون فارغين عن أجوبتها قبل الدخول في البحث التاريخى، و إلا فالأولى لمن يؤمن بحرفية هذه المشكلات و صدقها، ألا يحاول قراءة أى حرف من التاريخ.

ص:٢٨

طرق تذليل المشاكل التاريخية:

يقتضى التحقيق التاريخى تذليل هذه المشكلات بأحد الأساليب الآتية:

الاسلوب الاول:

الحصول على التواتر في النقل التاريخى، فإذا اتفق كلام عدد كبير من الناقلين على وصف حادثه معينة، كان ذلك كافيا لاثباته تاريخيا، بل القطع به في كثير من الأحيان.

و لو اتفقوا على بعض خصائص الحادثة، كان ذلك ثابتا بالتواتر، دون ما زاد عليه. و لو اختلفوا فى كل الخصائص مع اتفاقهم على أصل الحادثة، كان أصل حدوثها متواترا فقط.

### الاسلوب الثانى:

اننا اذا لم نستطع أن نحصل على التواتر المنتج للعلم، فبالامكان الحصول على الاطمئنان و الظن الراجح بحصول الحادثة ناشئا من جماعة يطمأن بعدم اتفاقهم على الكذب، و هو معنى الاستفاضة فى النقل؛ فيما

ص: ٢٩

اذا اتفق أكثر المؤرخين أو جملة منهم على شىء معين، مع سكوت الباقيين عن التعرض إليه أو نفيه.

و هذان الأسلوبان، يدفعان، فيما يتحققان فيه، جميع الشبهات الثلاثة التى أوردناها. إذ بعد حصول العلم أو الاطمئنان بوقوع الحادثة، لا يضر بذلك، أن يكون الناقل لها متحيزا لمذهب أو لمصلحة أو أن ملاحظته لم تكن منظمة، إذ المفروض، اتفاق الناقلين على النقل و على وقوع الحادثة.

### الاسلوب الثالث:

اننا بعد اليأس عن حصول العلم أو الاطمئنان، من النقل التاريخى فى نفسه، نستطيع الحصول على الوثوق بقول الناقل، و ان كان منفردا، بحيث لا يبقى للشبهات السابقة أثر ملتفت إليه.

و هذا يتم بأحد نحوين:

### اولهما:

الاطمئنان، بعد البحث فى ترجمة هذا المؤرخ و الاطلاع على خصوصياته الشخصية، بأنه ثقة مأمون عن الكذب و الدس و الخداع، فيطمأن بأنه لم يتعمد الكذب فى نقله التاريخى.

### ثانيهما:

الاطمئنان بوجود الروح العلمية الموضوعية فى نفس هذا المؤرخ، باعتبار أن الانسان بعد أن يتمرس فى البحوث العلمية، و يتعود على الاسلوب العلمى، فانه يغلب على الظن حصول الموضوعية العلمية

ص: ٣٠

و التجرد فى نفسه، جهد الامكان. أو على الأقل، لا يضع خبرا مكذوبا نتيجة لمذهبه أو مصلحته، أو بأى دافع شخصى آخر.



## الاسلوب الرابع:

الحصول على الاطمئنان بوقوع الحادثة نفسها، بقرائن خارجية أو اعتبارات عقلية، توجب الظن بأنه من المناسب وقوع هذه الحادثة أو عدم وقوعها. كما لو كان القول المنسوب إلى الشخصية التاريخية، أو الفعل المسند إليه، مناسباً مع سلوكه العام المعروف عنه، أو مع وجهة نظره تجاه الدين و الحياة.

ولكن هذا لا يضر بوثاقّة المؤرخ الناقل، في سائر ما نقله من أخبار التاريخ، إذ قد يكون الكذب غير مستند إلى تعمد الشخصى بل هو إما مستند إلى السهو منه أو من الرواة السابقين عليه أو اللاحقين له، أو إلى عمدهم أحياناً، و لا يتحمل المؤرخ نفسه، من المسئولية العامة، الا إذا وجدنا في كلامه الكثير من هذه الهفوات، بحيث ينشلم الظن بوثاقته أساساً.

كما أن هذا الاسلوب الرابع، قد يوجب قوة النقل التاريخى الضعيف أو الشاذ، بحصول الاطمئنان به بما تقوم عليه من قرائن و ما تحفه من اعتبارات.

و بهذه الأساليب الأربعة، نستطيع أن ندفع الشبهات الثلاثة العامة على النقل التاريخى، أو نقل من تأثيرها جهد الامكان. فاحتمال التحيز يرتفع بقليل أو كثير، مع تعدد النقل و قيام القرائن الخارجية

ص: ٣١

على صدقه، كما أن احتمال الكذب بدافع شخصى آخر، يكون مرتفعاً لنفس السبب.

كما أننا بعد تأكدنا يقيناً أو اطمئناناً، من صدق الكلام، لا يهمنا أن تكون. الملاحظة منظمة أو غير منظمة، على أن المطلوب فى الملاحظة. هو ترسيخ الحادثة فى الذهن و تأكيدها فى الذاكرة، و هو ما يتوفر فى الملاحظات غير المنظمة أيضاً، كما فى الحوادث التى يعتاد الانسان عليها أو يهتم بها اهتماماً كبيراً أو يتعجب منها تعجباً شديداً أو يفرح بها فرحاً عظيماً أو يخافها خوفاً كبيراً.

فإن الراوى الذى يعيش الحادثة على إحدى هذه المستويات، يندمج بها إلى حد كبير، مما يوجب رسوخها فى ذهنه و تعمقها فى ذاكرته، مما يفتح للمؤرخ فرصة كبيرة للاستفادة فى هذا السبيل. و يندرج كاملة لذلك: حوادث الحروب و المناصب السياسية أو الدينية، و الأمور المالية المهمة، سواء منها الخاصة أو العامة، و المعجزات، و الوساطات بين الدول أو بين أهل النفوذ، و غير ذلك.

على أننا لا نعدم الملاحظة المنظمة بالنسبة إلى جملة من المؤرخين، فإن المؤرخ، و أن كان يعرض للحوادث السابقة على عصره، بطريق الرواية، إلا أن بالنسبة إلى سنى حياته، و خاصة بعد عزمه على تأليف كتابه التاريخى، لا شك أنه سيلتفت حوادث عصره بالملاحظة المنظمة الناشئة من تعمد التسجيل و عمق التفكير. و هذا يتوفر عادة

ص: ٣٢

فى أواخر جوامع التاريخ، كالطبرى و المسعودى و ابن الأثير و غيرهم.

و على أى حال، فقد كان التعرض لهذه المشكلات و حلها استطرادا على ما نحن بصدده، من عرض مشكلات تاريخنا الخاص، و ما هو مورد كلامنا فى هذا الكتاب. فلئن كان هناك أساليب تخفف من شبهات التاريخ بشكل عام، و تؤثر بدورها فى تاريخنا الخاص، إلا أن تأريخنا يستقل بمشاكل و عقبات، يكون تذليلها أصعب و أعمق إلى حد كبير.

ص: ٣٣

### مشكلات تاريخنا الخاص:

و تتلخص المشكلة التى نواجهها فى حقلنا، و هو تاريخ الأئمة عليهم السلام و أصحابهم، ان المؤرخين الذين تعرضوا لهذا التاريخ، على ثلاثة أقسام:

### القسم الأول:

المستشرقون: و من حذا حذوهم و حاول تقليدهم من الشرقيين المسلمين.

و ديدنهم العام على أن ينظروا إلى التاريخ الاسلامى من زوايا خاصة، تتلخص فيما يلى:

الأولى: الزاوية المادية التى يؤمنون بها ايمانهم بالحضارة الغربية و وجهة نظرها إلى الكون و الحياة، تلك الوجة التى نتجت بعد عصر النهضة، و انتجت فصل الدين عن الدولة و الكفر بسائر القيم الروحية و الاخلاقية.

الثانية: الزاوية المسيحية: التى تفترض سلفا، و من دون اعطاء أى فرصة للمناقشة، ان الدين الاسلامى باطل، و أن محمد بن عبد الله

ص: ٣٤

صلى الله عليه و آله ليس بنبى، و أن القرآن ليس كتابا سماويا؛ فضلا عن أصحابه و خلفائه و ائمتنا عليهم السلام. فضلا عن أفكار غيبية قد نؤمن بها، كالمعجزات و وجود المهدي، و غيرها.

الثالثة: الزاوية الاستعمارية- فإن جملة منهم عملاء من حيث يعلمون أو لا يعلمون؛ للدول التى ينتمون إليها أو للحضارة التى يعيشون فيها. فالمستشرق إما مأجور حقيقة أو «عضو شرف» فى قائمة الدس و التلفيق، حيث يشعر بضرورة الانتصار لدولته أو مصالح دينه أو قومه أو لأى شعار من الشعارات المعادية للإسلام.

على أن الأجر المبدول للتبشير الاستعمارى المسيحى، ليس بالقليل و لا الضئيل، بل هو مما يعد بملايين يسيل لها لعاب كثير من المفكرين، و تشتري بها عقول عدد من الباحثين.

و من ثم لم تصلح كتب المستشرقين لاعطاء الباحث صورة واضحة سليمة عن التاريخ الإسلامى. و انما غاية الباحث فى الاطلاع على ما كتبه، هو التعرف على ما فيها من النقد و الدس و التلفيق، و محاولة الجواب عليه، و تدليل ما عرضت فيه من مشكلات.

### القسم الثانى:

المؤرخون العامة: من مؤرخى الاسلام غير الشيعة الامامية اولئك الذين يذكرون تاريخ ائمتنا عليهم السلام، و هم لا يؤمنون بامامتهم و لا طاعتهم و لا قيادتهم.

و هذا القسم من المؤرخين، هو الذى تؤلف مؤلفاتهم الجزء الأكبر

ص: ٣٥

و الأهم من التاريخ الاسلامى العام أو التراجم أو الحديث التاريخى، و أقصد به الروايات التى تتضمن حوادث تاريخية معينة. كالطبرى و ابن الأثير و أبو الفداء و ابن خلكان و ابن الجوزى و ابن الوردى؛ و بعض ما تتضمنه الصحاح الستة من الحديث التاريخى.

و أعدل ما يقال بالنسبة إلى تعرض هؤلاء المؤرخين و امثالهم إلى حياة الأئمة عليهم السلام: انه تعرض موجز عابر، يكتفى بالحادثة الواحدة و الفكرة الشاردة، و يتجنب بحذر متعمد الخوض فى تفاصيل تواريخهم عليهم السلام.

و السبب فى ذلك، فيما أرى، يعود إلى عدة أمور:

### السبب الأول:

التعصب المذهبى الذى يتجلى على أشكال متعددة فى ذهن مؤرخ و آخر:

### الشكل الأول:

عدم الايمان بقدسية الأئمة عليهم السلام و كمالهم. بل الميل إلى ضد ذلك من الطعن فيهم و التنزيل من شأنهم.

### الشكل الثانى:

ان المؤرخ و ان كان يؤمن بقدسيتههم و كمالهم؛ الا ان ضيق نظره و ضحالة تفكيره، تقوده إلى الاعتقاد بأن شيعتهم أعداء تقليديين له و لأهل مذهبه، اذن فمن عطل القول أن يهتم بتمجيد قادة اعدائه و أئمتهم.

### الشكل الثالث:

انه و إن كان التعصب على ذهن المؤرخ قليلا، باعتبار وعيه

ص: ٣٦

الاسلامى الصحيح؛ إلا انه على أى حال مناصر لمذهبه، يود زيادة مؤيديه و رسوخ عقيدتهم فيه. و هو يحتمل - على الاقل - انه ان اسهب فى بيان تاريخ أئمتنا (ع) و أطال فى ذكر أقوالهم و أفعالهم، فانه قد يميل بعض ابناء جلدته إليهم و يجد ما يدعوه إلى الايمان بامامتهم و هذا ما لا يريده المؤرخ بأى حال من الأحوال. فهو يترك الاطالة فى تاريخهم تمسكا بمذهبه و محافظة عليه.

السبب الثانى:

ان تاريخ الأئمة عليهم السلام، لا يعيش فى أذهان هؤلاء المؤرخين الا قليلا، و فى زاوية مهملة من زواياه فان الذى يستجلب انظارهم و يستقطب اهتمامهم نحوان من الأشخاص:

النحو الأول:

الاشخاص السياسيون الذين تسنموا منصبا فى الدولة أو داروا فى فلك الخلافة أو كانوا أعداء لها و تولوا الحروب ضدها. و بالجملة كل من سلك مسلك الحكم و السلطان.

النحو الثانى:

الاشخاص الدينيون و العلماء المسلمون الذين يقتضى مذهب هؤلاء المؤرخين الايمان بهم و الدعوة إليهم. و لم يكن أئمتنا - فى غالب أمرهم - من يندرج فى أحد هذين النحويين. اذن فلا يجد المؤرخ حاجة فى نفسه إلى ذكرهم بأكثر مما تعرض إليه.

السبب الثالث:

ما يعود إلى الجهاز الحاكم المعاصر للمؤرخ.

ص: ٣٧

فانه من المعلوم ان الصدر الأول من المؤرخين العامة، كالذين سبق ان سميناهم، كانوا يعيشون فى عهود الدولة العباسية، التى كانت بمسلكها العام معلنة العداة مع مسلك أهل البيت عليهم السلام و عزل أصحابهم عن المسرح الاجتماعى و السياسى بالكلية.

و من ثم يتخذ المؤرخ، أحد موقفين.

الموقف الأول:

الحذر من السلطات و اتقاء شرها. و ذلك بالتجنب عن الخوض فيما لا يحبون و ترك التعرض إلى ما يكرهون. و ذلك: إما بترك ذكر تاريخ أئمتنا و أصحابهم أساسا، كأنهم ليسوا اناسا كانوا فى الوجود و قدموا إلى البشرية و الاسلام اجل الخدمات. و إما أن يذكرهم لكن بأقل القليل، من الجانب الذى يكون خاليا من الخطر، بنحو لا يثير على المؤرخ حقا أو يحرك نحوه عاطفة.

### الموقف الثانى:

ان يسير المؤرخ فى ركاب الحكام، يواكبهم فى أفكارهم، و يحاذيهم فى اساليبهم؛ فينخرط إما اجيرا أو ك «عضو شرف» فى الجهاز الحاكم علما و فكرا، أن لم يكن عملا و نشاطا. و لا ينبغى السؤال - بعد ذلك - عن شأن ذكر الأئمة عليهم السلام، فى تاريخه، و هو بهذه الصفة!

و بالرغم من هذه الدواعى الضخمة، إلى الحذر و الاختصار، فى تاريخ أئمتنا عليهم السلام؛ فقد فرض هؤلاء القادة انفسهم على

ص: ٣٨

المؤرخين، و تمثلت جملة من مواقفهم و اتجاهاتهم فى كلام المؤرخين. إلى حد نستطيع ان نستخلص منه أحد أمرين:

الأول: معرفة مدى رسوخ الذكر الصالح لأئمتنا (ع) فى القواعد الشعبية الاسلامية بشكل عام، و تأكد أعمالهم و علومهم فى أذهان الناس إلى حد كانت المسئولية الأدبية التى يواجهها المؤرخ فى ترك التعرض لتاريخ الأئمة عليهم السلام، أقوى من ضغط الحكام و من التعصب المذهبى، و من كل سبب رخيص.

الثانى: الاستفادة مما ورد فى ما ذكره هؤلاء المؤرخون، عن أئمتنا (ع) فى التعرف على بعض حوادث حياتهم و شىء من علو مقامهم و تأثيرهم السياسى و الاجتماعى مما يكون مورد نفع كبير - بالرغم من اختصاره و وجود الفجوات الكبرى فيه - فيما نعتقده فيهم عليهم السلام، و ما نريد ان نؤرخه من حياتهم.

### التقسيم الثالث:

المؤرخون الإماميون: و هم مؤرخو الأئمة (ع)، الذين يؤمنون بامامتهم و يعتقدون بقيادتهم و يستضيئون بأفعالهم و أقوالهم. الا ان الحديث فى تواريخهم لا يقل فى شجونه عن الحديث فى القسمين الأولين، و ان كانت شجوننا بشكل آخر.

فانه لا يرد عليهم جملة من الاعتراضات التى كانت ترد على اولئك المؤرخين، و السر فى ذلك واضح: و هو ان الأئمة عليهم السلام و تابعيهم، كانوا و زالوا يمثلون الجبهة الواعية المعارضة للجهاز الحاكم

ص: ٣٩

على طول التاريخ، و قد بذلوا فى هذا السبيل كثيرا من التضحيات فمن غير المحتمل فى المؤرخ الامامى اذا كان مخلصا غير منحرف، أن يكون تابعا للجهاز الحاكم الذى يعاديه و يثور عليه، أو أن يكون أجيرا له أو «عضو شرف» يعيش على موائده. كما

أنه من غير المحتمل ان يهمل ذكر الأئمة (ع) تحت أى ظرف من الظروف، أو أن يجعل لهم فى ذهنه زاوية مهملة أو فى تاريخه قسطا قليلا، بعد أن كان يؤمن بهم أئمة و سادة و قادة و مثلا اسلاميين مبدئين.

الا ان الشجون تتمثل عندهم فى عدة جوانب:

الجانب الأول: أخذهم بالتقية التى يؤمنون بها و يطبقونها فى جوانب حياتهم. فان الضغط الذى عاشوه، كان يقلل من نشاطهم و يكفكف من أعمالهم، و يثير لديهم الحذر و الكتمان. فيحملهم على التلميح بدل التصريح و الاختصار عوض التطويل.

الجانب الثانى: ما تعرض له المسلمون بشكل عام، و الاماميون بشكل خاص، من القتل و التشريد على أيدى أشرار خلق الله و أعداء دين الله. و كانت الحروب تنصب فيما تنصب عليه، على المكتبات الفارحة الزاخرة، فيضاف إلى إتلاف النفوس اتلاف الكتب، بالاغراق و الاحراق، لأجل قطع الأجيال المقبلة عن دينها المقدس و عن حديث نبيها و أئمتها و تاريخ أبطالها، و فقهم و عقائدهم.

و كانت أرقام الكتب التالفة، فى كل حرب من حروب التتار و المغول و الصليبيين، يرتفع إلى مئات الآلاف، فكيف بالمجموع؟!

ص: ٤٠

و من المعلوم أن تلف هذه الكميات الهائلة من الكتب، هو فى الواقع، تلف لكميات هائلة من الثروة الفكرية الضخمة التى كان المجتمع المسلم زاخرا بها، من أول ايامه، و لم يبق منها اليوم إلا القليل.

و من هنا نحتمل، بل نستطيع أن نتأكد، انه كان لمؤرخى الامامية و علمائها، كلام أكثر، و نقل أزيد عن أئمتهم، سواء فى الترجمة أو العلم أو العمل أو غير ذلك من جوانب الحياة. و قد تلف أكثر ذلك و لم يرد إلينا شىء منه. و قد أصبنا نتيجة لذلك بمحل فكرى، و حصل فى تاريخنا الاسلامى فجوات مؤسفة، من الصعب علينا التأكد مما يملؤها على وجه التحديد.

و لكن النعمة الالهية و الحكمة الازلية، الثابتة بمقتضى وعد الله تعالى فى كتابه الكريم بان يتم نوره و لو كره المشركون، اقتضت بان يبقى من الكتب لسد ما هو الضرورى من حاجات العقائد و التاريخ و الفقه و غيرها من الميادين الاسلامية.

الجانب الثالث: و هو ما يعود إلى الاسلوب العام الذى مشى عليه مؤرخونا، فى حدود ما وصل إلينا من الكتب السالمة من التلف.

و نحن بهذا الصدد نستطيع أن نقسم مؤرخينا إلى قسمين:

**القسم الأول:**

من سار فى أسلوبه التاريخى، على غرار التاريخ العام الذى مشى عليه الأولون قبلهم. كالمسعودى و اليعقوبى فقد ساروا- على خلاف

ص: ٤١

اعتقادهم - على ترتيب تسلسل الخلفاء الراشدين و الامويين و العباسيين، و اسهبوا فى بيان التاريخ السياسى للسلطات الحاكمة، و لم يعطوا لتاريخ الأئمة إلا القليل، و ان كان أكثر بقليل من كثير من المؤرخين.

و بذلك حرمانا هؤلاء المؤرخون، من التاريخ الامامى العام الذى يشمل سائر جوانب الحياة، الذى يعطى جانب الأئمة عليهم السلام و أصحابهم من الاهتمام و الشرح بقدر ما يعطى الجهاز الحاكم، و يذكر للجميع أعمالهم و أقوالهم بتجرد و اخلاص، و يدع الحكم و التحليل للاجيال المقبلة. و لله فى خلقه شئون.

### القسم الثانى:

من سار فى تاريخه، على طريقة سرد الاحاديث و الروايات الواردة عن الأئمة انفسهم، بالشكل الذى وصلت إليهم على طريقة الرواية المسندة عنهم عليهم السلام.

و هذا الذى ذكره هؤلاء المؤرخون، أمثال الشيخ الطوسى و الشيخ المفيد و الطبرسى و ابن شهر اشوب، هو المورد الوحيد الذى اغنانا بثروة مهمة من أخبار الأئمة (ع) و تراجمهم و أفعالهم و أقوالهم. و هو المصدر الاساسى الذى اذا ركن إليه الباحث، فانما يركن إلى تاريخ الأئمة مأخوذاً من تابعيهم و ذويهم، لا من الآخريين الذين لا يعتقدون بهم، و لا يمتون إليهم فى العقيدة بصلة.

ص: ٤٢

### نقاط الضعف فى التاريخ الامامى الخاص:

و كان هذا الاسلوب الذى اتخذه علماؤنا و مشايخنا، لا يخلو من عدة نقاط ضعف نستطيع ان نعرضها فيما يلى، منطلقين من مورد بحثنا و محل كلامنا.

النقطة الأولى: أن التأكيد كل التأكيد فى كتب هؤلاء الاعلام، و الغرض الاساسى لهم، هو الناحية العقائدية بالخصوص. اذ يبذل المؤلف منهم جهدا كبيرا و يكرس كتابه على اثبات امامة الأئمة، و ذكر فضائلهم و معجزهم، و يغفلون عن تخصيص فصل يذكرون فيه جهاد الأئمة عليهم السلام و نشاطهم الاسلامى، و ما يكتنف ذلك من علاقات و آراء و ثورات و حوادث. يستثنى من ذلك ما يمكن استخلاصه عرضا مما ورد فى خلال ما نقلوه من المعجزات و الفضائل من حوادث التاريخ. و هو الذى استطعنا ان نعتمد عليه فى خلال بحوثنا الآتية.

غير أنه من المعلوم، أن هذه الحوادث تكون أقل عمقا حين يكون النظر متوجها إلى غيرها و التأكيد منصرف إلى سواها، و هو أمر

ص: ٤٣

يشير في النفس أشد الأسف.

النقطة الثانية: مجيء هذه التواريخ، في كلامهم، مبشرة مشوشة إذ تحتوى كل رواية على قسم صغير من الحوادث، و قسم كبير من التأكيد العقائدى. مما يحتاج ترتيبه و تبويبه و ارجاعه إلى أصوله، إلى جهد مضاعف و عمل كبير.

النقطة الثالثة: مجيء هذه التواريخ مهملة- فى غالبها- من المكان و الزمان. لا يعلم- فى حدود ما نقلوه- عام حدوثها و لا مكانها و لا مقارنتها من حوادث التاريخ.

و من ثم اكتنف الغموض أسبابها و نتائجها، و احتاج فى ردها إلى موضعها الطبيعى من عمل جديد و جهد جهيد. مع مقارنتها ببعضها البعض، و بالتاريخ العام، كما سنصنعه فيما يلى من الحديث.

النقطة الرابعة: التطويل فيما ينبغى فيه الاختصار و الاقتصار فيما ينبغى فيه التطويل. فليس العرض على شكل واحد متساوى الجوانب فقد تحتوى الرواية على وصف مسهب للحياة الشخصية لراو معين مقدمة لفهم كلامه مع الامام (ع)، و لكنها لا تكاد تدخل فى المجال التاريخى. على حين انك تجد اقتضابا مخلا إذا أردت التعرف على تفاصيل موقف الأئمة عليهم السلام أو أصحابهم أو سفرائهم، من الحوادث السياسية السائدة فى عصورهم، كثورة صاحب الزنج أو القرامطة، مثلا. أو رأيهم فى تأسيس دولة الأندلس الاسلامية فى قلب اوروبا، و دولة ابن طولون فى مصر، و غيرها من حوادث العصر

ص: ٤٤

الذى نؤرخ له. و لن تجد فى هذه المصادر إلا اشارات ضئيلة و عبارات قليلة، لا تكفى الا لتكوين فكرة شاحبة ذات فجوات واسعة، عن نشاط الأئمة (ع) و وكلائهم و أصحابهم و قواعدهم الشعبية، و رأيهم فى ذلك.

النقطة الخامسة: هى نقطة اسناد الروايات، و حال روايات السابقين على هؤلاء المؤلفين الاعلام، من الوثيقة و الضعف فإن هؤلاء الاعلام بذوقهم الموضوعى العلمى، و اتجاههم الموسوعى الذى يرمى إلى حفظ كل حديث وارد و التقاط كل وارد و شارد .. قد جمعوا فى كتبهم كل ما وصلهم من الروايات عن الأئمة (ع) أو عن أصحابهم، بغض النظر عن صحتها أو ضعفها، و أوكلوا مسئولية التدقيق و التمحيص إلى مراجعى الكتاب من الباحثين فى الأجيال المقبلة، و هذا- إلى هذا الحد- عمل أمين و جليل، حفظوا فيه التاريخ الاسلامى، و استحقوا عليه الشكر و الثناء.

و لو كان بأيدنا فكرة واضحة مفصلة. عن أحوال الرواة لهذه الأحاديث الكثيرة، لهان الأمر الى حد كبير، و لأخذنا بالرواية الموثوقة و أهملنا الرواية الضعيفة، و لم نعتبرها إثباتا تاريخيا كافيا، إلا مع وجود قرائن خاصة تدل على صدقها و مطابقتها للواقع.

إلا أنه من المؤسف القول، ان أعلامنا الأوائل، اذ الفوا فى علم الرجال و صنفوا فى تراجم الرواة؛ اقتصروا فى ذلك- فى كل كتبهم- على الرجال الرواة للاحاديث الفقهية التشريعية التى تتعرض للأحكام الشرعية، و أولوها العناية الخاصة بصفتها محل الحاجة بالنسبة الى اطاعة



ص:٤٥

الأوامر الاسلامية. و لكنهم أهملوا اهمالا يكاد يكون تاما ذكر حال الرجال الذين وجدت لهم روايات فى حقول اخرى من المعارف الاسلامية، كالعقائد و التاريخ و الملاحم و غيرها. ممن قد يربو عددهم على رواة الروايات الفقهية.

فان صادف، من حسن حظ الراوى، ان روى فى التاريخ و الفقه معا، وجدنا له ذكرا فى كتبهم، أما إذا لم يرو شيئا فى الفقه، فانه يكون مجهولا، و ان كان من خير خلق الله علما و عملا، كما تدل عليه الروايات بالنسبة إلى عدد منهم.

ص:٤٦

### منهجنا فى التمهيص:

نستطيع الخروج، من مأزق جهالة حال الرواة، بعدة أمور:

أولا: الأخذ بالروايات الموثوقة سندا، ان فرض كون روايتها المذكورين و منصوص عليهم بالوثاقة.

ثانيا: الاخذ بالروايات المشهورة فى طبقة أعلامنا المؤلفين، أو فى الطبقات المتقدمة عليهم، إذ لعل كثرة روايتها منهم، دال على اطمئنانهم بوثاقة راويها أو الظن بمطابقتها للواقع. و لعل الشهرة تصل إلى حد تكون بنفسها موجبة للاطمئنان الشخصى بصحة السند و صدق المضمون فتكون بذلك إثباتا تاريخيا كافيا.

ثالثا: الأخذ بالروايات التى قام شاهد على صدقها من داخل مضمونها أو بضم قرائن خارجية إليها. كتلك الروايات التى وردت فى تاريخنا الخاص، و تضمنت ذكر بعض الحوادث و الحقائق التاريخية العامة، كالقرامطة أو ابن طولون، أو بعض الخلفاء العباسيين أو بعض وزراءهم، أو تاريخا لحادثة معينة، مما نجده صادقا عند مراجعة

ص:٤٧

التاريخ العام فيكون ذلك دليلا على صدقها و صحتها لا محالة.

كما قد نستطيع أن نحصل على قرائن من بعضها على البعض، أو من مناسبتها لمقتضى الحال، أو نحو ذلك، على ما سوف يأتى فى البحوث الآتية:

رابعا: الأخذ بالروايات المجردة عن كل ذلك، إذا كانت خالية عن المعارض، و لم تقم قرينة على كذبها و عدم مطابقتها للواقع. و كانت إلى جانب ذلك مما يساعدنا فى تدليل بعض المشكلات أو الاجابة على بعض الاسئلة المطروحة على بساط التاريخ، فاننا نضطر إلى الأخذ بها بصفتها المصدر الوحيد للجواب.

و لا يبقى بين أيدينا إلا الروايات التى هناك شاهد على كذبها، و الا الروايات المتعارضة التى نشير إليها فى النقطة الآتية.

و لا يخفى ان كل ذلك، انما هو بالنسبة إلى الحوادث الجزئية التي يحتاج إثباتها التاريخي إلى شاهد. و أما الأمور التي هي من ضروريات مذهبنا، أو قام عليها التواتر في النقل، فاننا نعتبر ذلك اثباتا تاريخيا كافيا. بالرغم من أن ضرورة المذهب لا تكون ملزمة لمن لا يلتزم بالمذهب. الا ان المراد حيث كان هو التعرض لتاريخ الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى من تاريخنا الخاص كما نؤمن به و صرح به مؤرخو الامامية، صح لنا الاعتماد على مثل هذه القرينة.

النقطة السادسة: ان اعلامنا المؤلفين، بذوقهم الموسوعي و اتجاههم

ص: ٤٨

إلى حفظ سائر الحديث، اوردوا بعض الروايات المتعارضة، كالروايات الواردة في جواب: ان المهدي (ع) ما ذا نطق في اول ولادته.

او الواردة في جواب: أن السلمغاني هل كان وكيلا للسفير الثالث للإمام المهدي (ع) او لم يكن؟، و غيرها.

و الانصاف إن من العجيب و الطريف الموجب للاعجاب و الاكبار لهؤلاء المؤلفين الاعلام، اننا نجد ان تعارض الروايات على هذا الصعيد اقل منه بكثير مما هو في الفقه مثلا. إذ يعاني الفقيه عناء كبيرا للتوفيق بين المتعارضات و حمل بعضها على بعض، و التوصل في النتيجة إلى الحكم الشرعي المنشود. أما على هذا الحقل التاريخي، فبالرغم من وفرة الروايات و جهالة جملة من روايتها، فالروايات متفقة و متعاضدة و يندر فيها ما يكون من قبيل المتعارضات إلا اقل القليل.

و على أي حال فاننا إذ نكون بحاجة إلى تدليل الصعوبة الناتجة عن التعارض، لننتفع من نتائج الحل في بحوثنا التاريخية، لا بدلنا ان نسير على إحدى الخطوات التالية:

أولا: إذا كانت احدي الروايتين أصح سندا أو أشهر نقلا، أخذنا بها و طرحنا مدلول الرواية الاخرى، بمقدار التعارض.

ثانيا: إذا كانت الشواهد و القرائن متوفرة على صدق احدي الروايتين دون الاخرى، أخذنا، بما قام الشاهد على صحته و طرحنا الآخر.

ص: ٤٩

ثالثا: إذا فقدنا المرجحات بين المتعارضين، اسقطناهما معا عن قابلية الاثبات التاريخي، و لم يمكن الأخذ بأى منهما. و لكن الاسقاط يختص بحدود التعارض في المدلول لا محالة، و لا يعنى - بمقتضى القواعد - اسقاط سائر ما دلت عليه الرواية، فيؤخذ به، مع توفر سائر الشرائط فيه.

فهذه هي أهم نقاط الضعف، في أساليب اعلامنا المورخين مع بيان النهج الذي سنحاول السير عليه في بحوثنا الآتية.

ثم أننا سنواكب التاريخ مقتبسا من هذا القسم الأخير من اعلامنا المورخين، لنحظى بعدة فوائد دفعة واحدة:

## الفائدة الأولى:

أن نعرف تاريخ الأئمة عليهم السلام و أصحابهم، من المؤرخين المؤمنين بهم الموالين لهم و صاحب البيت أدرى بالذى فيه. و من المحتمل بل المعلوم تسرب بعض الحقائق إلى كتبهم مما حجب عن كتب الآخرين أو تعمدوا إلى تركه. فإن نشاط الأئمة (ع) و علمهم و أقوالهم، كانت - بلا شك - بالنسبة إلى أصحابهم أكثر مما هي بين الآخرين. و قد وصلت إلى أجيالهم المتأخرة دون الآخرين.

## الفائدة الثانية:

ان نحظى بزيادات كثيرة غير موجودة في كلام غيرهم، فإن كلام أعلامنا هو المصدر الوحيد لكثير من الحقائق التي تحل لنا المشكلات و تذلل

ص: ٥٠

لنا العقبات و تملأ فجوات التاريخ إلى حد كبير؛ و هي حقائق اهملها الآخرون عند ما اقتضبوا الكلام في هذا الحقل، من التاريخ الاسلامي، للدواعي السابقة التي أسلفناها. فلم يكن من الممكن لهذا الحقل أن يكون تاما و أن تملأ ما به من فجوات، بتخصيص الاعتماد على كتب إخواننا أهل السنة، في التاريخ العام و غيره.

على اننا سوف نعتمد على كتب هؤلاء المفكرين ممن تعرض لهذا التاريخ، كابن خلكان و ابن الجوزى و الخوارزمي و غيرهم. لنستفيد من اقوالهم في تحديد العصر الذى نُؤرخه، و خاصة في ما سقط من كلام اعلام مؤرخينا غفلة أو عمدا.

## الفائدة الثالثة:

اننا نقتبس هذا التاريخ من اهله، واضحا صافيا خاليا من الدس و نقاط الضعف و الخرافات، بنحو نستطيع به - بكل سهولة - ان نناقش ما انفتحت به الألسنة من مناقشات و إشكالات، و نواجه به سائر الباحثين من مسلمين و غير مسلمين، فان سائر ما قيل ناشئ إما من الجهل بالتاريخ و عدم الرجوع إلى مصادره الحقيقية، و اما من الاعتماد على الروايات الشاذة و الظنون الواهية التي لا تستند على اساس.

فاذا عرضنا التاريخ صريحا واضحا محصا، لم يبق أمامنا إشكال، و لم يرد عليه أى سؤال.

ص: ٥١

و بعد هذه المقدمة، لا بدلنا من الدخول في تفاصيل التاريخ؛ و حيث كنا بصدد عرض تاريخ الامام المهدي عليه السلام، في ولادته و غيبته الصغرى. لا بد أن نلتفت إلى الوراء بقليل لتعرف على تاريخ أبيه و جدته عليهما السلام، لنستطيع أن نلم بوضوح بكل الأسباب التي أدت إلى الحوادث في العصر الذى نُؤرخ له.

و من ثم قسمنا هذا التاريخ إلى قسمين:

ص: ٥٣

القسم الأول تاريخ الإمامين العسكريين من عام ٢٣٤ إلى عام ٢٦٠

ص: ٥٥

### الفصل الأول فى عصرهما عليهما السلام

لا بد، لنا و نحن فى صدد الكلام عن تاريخ الامامين العسكريين، ابتداء من أول سكنى الامام الهادى عليه السلام، فى سامراء عام ٢٣٤ هـ حين اشخصه المتوكل إليها، و انتهاء بوفاة الامام العسكرى عليه السلام ٢٦٠ هـ لا بد لنا أن نلم المامة كافية، بالحوادث الجارية فى عصرهما و الأفكار السائدة فيه، حتى نكون على بصيرة من أمرنا حين نواجه تاريخ هذين الامامين عليهما السلام، و نسمع ما يصدر منهما من أقوال و ما يقومان به من أفعال.

و سيكون هذا العرض - فى واقعه - عرضا لعصر خلافة سامراء ابتداء من العام المشار إليه إلى قبيل آخره. و سيكون هذا العرض، تحليليا، لا تاريخيا صرفا، اذ لا معنى لسرد الحوادث بشكل تفصيلي، مع وجود المصادر الكثيرة للتاريخ العام. و انما الذى نحن بصدده، هو اعطاء صورة كافية عن اتجاهات الحوادث و اسبابها و نتائجها، بشكل تحليلي منظم.

ص: ٥٦

و على ذلك، فالذى يظهر أو يستنتج من التاريخ الاسلامى العام:

ان المعتصم بالله العباسى، حين رأى ازدحام الموالى فى جيشه و قواده من الاتراك و المغاربة و الفراغنة، فى العاصمة بغداد، و تعرضهم إلى الأهالى بالأذى و عدم عنايتهم بالسلوك الحميد تجاه الناس<sup>١</sup>، قرر بناء سامراء و نقل مركز الخلافة إليها، لنقل هذا الجيش إليها.

و انتقل إليها فعلا عام ٢٢٠ للهجرة<sup>٢</sup>. و استقل هؤلاء القواد بالعاصمة الجديدة و سيطروا شيئا فشيئا على دفة الحوادث و مجريات الأمور، حتى وصلوا إلى السيطرة على مركز الخلافة نفسها، فاصبحوا يزعمون الخليفة، و يشغبون عليه تارة، و يقتلونه اخرى، و يتحكمون فى تنصيب خليفة، ثالثة. و قد ذاق منهم الخلفاء الثمانية الذين تابعوا على عرش سامراء الامرين، حتى خرج منها

١ (١) المروج ص ٤٦٥ ج ٣ و الكامل ص ٢٣٦ ج ٥ ر تاريخ سامراء، ص ١٠١.

٢ (٢) الكامل: نفس الصفحة، و تاريخ سامراء عن الطبرى ص ١٠١ و عن معجم الحموى ص ١٩

المعتمد في عام ٢٧٩<sup>٣</sup> إلى حيث مات، و استهل خلفه المعتضد خلافته ببغداد في نفس العام<sup>٤</sup> و من هنا نرى ان سامراء، كانت عاصمة الخلافة العباسية، أكثر من نصف قرن أصبحت خلالها زهرة البلدان و درة التيجان، لا أجمل

ص:٥٧

و لا أعظم و لا آنس و لا أوسع ملكا منها<sup>٥</sup>، و أصبح طول البناء فيها أكثر من ثمانية فراسخ<sup>٦</sup>. و لكنها أصبحت خرابا بمجرد انتقال الخلافة عنها، و غار نبعها دفعة واحدة، حتى لم يبق منها الا موضع غيبة الامام المنتظر المهدي (ع)، و محلة اخرى بعيدة عنها يقال لها:

كرخ سامراء. و سائر ذلك خراب، يستوحش الناظر إليه<sup>٧</sup>.

و قد تعاقب على سامراء من خلفاء بني العباس، ثمانية، هم:

المعتصم، منذ انتقاله إليها إلى عام ٢٢٧ هـ حيث بويغ بعده للوائح حتى عام ٢٣٢ هـ حيث بويغ بعده للمتوكل حتى عام ٢٤٧ هـ يوم قتله الأتراك بعد ليلة حمراء زاخرة باللهو و الشرب<sup>٨</sup> فبويغ بعده للمنتصر حيث بقي في الخلافة ستة أشهر و يومين<sup>٩</sup>. و بايع الأتراك بعده المستعين عام ٢٤٨ هـ حتى خلع نفسه عام ٢٥٢ و بايع للمعتز بالله<sup>١٠</sup> حتى خلعه الأتراك عام ٢٥٥، و بويغ للمهتدي بالله حتى قتله الأتراك أيضا عام ٢٥٦ هـ. و بويغ للمعتمد على الله حتى عام ٢٧٩ هـ. و بويغ بعده للمعتضد بالله في بغداد و به كانت نهاية العاصمة (سامراء).

ص:٥٨

و قد اتصف هذا العصر بعدة خصائص، يشترك بعضها مع بعض ما سبقه من عصور الخلافة، و يستقل بالبعض الآخر. فكان جملة ما يلاحظ على هذا العصر من خصائص، هي:

<sup>٣</sup> (٣) الكامل ص ٧٣ ج ٦ و العبر ج ٢ ص ٢٤ و تاريخ سامراء ص ٢٢١.

<sup>٤</sup> (٤) الكامل ج ٦ ص ٧٣ و المروج ض ١٤٣ ج ٤ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٤٢.

<sup>٥</sup> (١) تاريخ سامراء ص ٥٦، عن الحموي.

<sup>٦</sup> (٢) نفس المصدر و الصفحة.

<sup>٧</sup> (٣) تاريخ سامراء ص ٩٦ عن الحموي.

<sup>٨</sup> (٤) الكامل ص ٣٠٢ ج ٥. و ما بعدها

<sup>٩</sup> (٥) المصدر ص ٣١٠ و انظر المروج ص ٤٦ ج ٤.

<sup>١٠</sup> (٦) انظر المروج ص ٦٠ ج ٤.

أولاً: ضعف الخلافة، و سقوط هيبتها من أعين الناس إلى حد كبير. نتيجة لعدة عوامل؛ منها: استيلاء الأتراك على العاصمة، و استيلاء العمال و الأمراء على الأطراف، و انعزال الخليفة انزالاً يكاد يكون تاماً عن ممارسة الحكم، حتى قال المعتمد، بعد التجربة التي قاساها:

أ ليس من العجائب أن مثلى  
و تؤخذ باسمه الدنيا جميعاً  
يرى ما قل ممتنعاً عليه  
و ما من ذاك شيء في يديه  
إليه تحمل الأموال طراً  
و يمنع بعض ما يجبي إليه<sup>١١</sup>

و منها: الليالي الحمراء و اللهو و المجون، الذي كان ينغمس فيه الخليفة بعد استلامه كرسي الحكم، و ينصرف به جزئياً أو كلياً عن النظر في شئون الناس. يستثنى من ذلك المهتدي بالله الذي كان أحسنهم مذهباً و أجملهم طريقة، حاول أن يكون في بني العباس ما كان عمر بن عبد العزيز في بني أمية<sup>١٢</sup>. إلا ان ذلك كان بنفسه نقطة ضعف في نظر أصحابه الأتراك و المغاربة و الفراغنة، فقاتلوه

ص: ٥٩

حتى قتلوه<sup>١٣</sup>.

أما حوادث اللهو و الخمر و المنادمة، فهذا أوضح من أن يستشهد له، و كتب التاريخ زاخرة به. و لعل خير ما يذكر في المقام، موقف المتوكل من الامام الهادي عليه السلام، حيث أرسل جماعة من الأتراك لكبس بيته و القبض عليه في جوف الليل. فألقوا عليه القبض و هو يقرأ القرآن، و حمل إلى المتوكل، فمثل بين يديه، و المتوكل يشرب و في يده كأس فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جانبه، و ناوله الكأس الذي في يده. فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي و دمي قط، فاعفني، فأعفاه<sup>١٤</sup>، إلى آخر الحادثة التي سوف تأتي في مقبل البحث.

ثانياً: استيلاء الموالي على دفة السياسة العليا، في العاصمة و الأطراف، و أكثرهم من الأتراك و عزل الخليفة جزئياً أو كلياً عن النظر في شئون الدولة.

فمن هؤلاء: بغا الكبير و ابنه موسى بن بغاء و أخوه محمد بن بغاء و كيغغ و بابكيال و اسارتكين و سيما الطويل و ياركوج و طاينغو و اذكوتكين و بغا الصغير الشرابي و وصيف بن باغر التركي، و قد

<sup>١١</sup> (١) الكامل ص ٧٣ ج ٦.

<sup>١٢</sup> (٢) الكامل ج ٥ ص ٣٥٨ و المروج ج ٤ ص ١٠٤ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٤.

<sup>١٣</sup> (١) الكامل ص ٣٥٥ من نفس الجزء.

<sup>١٤</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ١١ و ابن خلكان ج ٢ ص ٤٣٤ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ و غيرها من التواريخ.

تفرد هذان الاخيران بالأمور<sup>١٥</sup> و فيهما قيل:

بين وصيف و بغا

خليفة فى قفص

كما تقول الببغا<sup>١٤</sup>

يقول ما قال له

و كان هؤلاء القواد الموالى تارة ضد الخليفة و اخرى ضد أعدائه، بحسب ما يرون من المصلحة، فهم فى الوقت الذى لا يجد الخليفة سواهم من يرسله إلى الأطراف لقتال العصاة و الخارجين عن الطاعة؛ فانهم يكونون خارجين عليه فى كثير من الأحيان، و يقومون بقتل الخلفاء، واحدا بعد الآخر، أما لتهديد الخليفة بعض قوادهم<sup>١٧</sup> أو لتأخر أرزاقهم و روايتهم<sup>١٨</sup>.

و قد ذكرنا قتلهم للمتوكل و المهتدى، و نجد لهم حوادث جمة، كخلعهم المعتز و المؤيد ابنى المتوكل من ولاية العهد<sup>١٩</sup> و استخلافهم للمستعين<sup>٢٠</sup> و استيلائهم على الأموال فى عهده<sup>٢١</sup> و مقاتلتهم اياه عند ما غضب عليهم و اعتصم ببغداد، و مبايعتهم للمعتز و ما رافق ذلك من القتال و الجهد و البلاء على أهل بغداد حتى أكلوا الجيف<sup>٢٢</sup>، و قد تقع

الفتنة بينهم حتى يؤدى الحال إلى القتال، حين احتج المغاربة على الأتراك و قالوا لهم: كل يوم تقتلون خليفة و تخلعون آخر و تعملون وزيراً<sup>٢٣</sup>.

و بقى الأتراك و سائر الموالى هم المتنفيذين، حتى ظهر صاحب الزنج، بثورته العارمة، على ما سنذكره، فتحول ثقل التفكير و القتال و الأموال إلى مواجهته و مدافعته، و نسيت النعرات الشخصية إلى حد كبير.

<sup>١٥</sup> (١) العبر ص ٥ ج ٢.

<sup>١٤</sup> (٢) الزوج ج ٤ ص ٤١.

<sup>١٧</sup> (٣) الزوج ج ٤ ص ٩٢.

<sup>١٨</sup> (٤) الكامل ج ٥ ص ٣٤١.

<sup>١٩</sup> (٥) المصدر ص ٣٠٩.

<sup>٢٠</sup> (٦) المصدر ص ٣١١.

<sup>٢١</sup> (٧) المصدر ص ٣١٣.

<sup>٢٢</sup> (٨) الكامل ص ٣٢٠ و العبر ج ٢ ص ٢.

<sup>٢٣</sup> (١) الكامل ص ٣٣٣ ج ٥.

ثالثا: الشعب و الفتن فى بغداد. فانها لم تكن- و هى يومئذ خالية من الخلافة- خالية من المتاعب بالنسبة إلى سامراء. فكان فيها عدة فتن متتالية:

احداها: ما كان عام ٢٤٩ فقد شغب الجنود الشاكرية ببغداد، و نادوا بالنفير و فتحوا السجون و أخرجوا من فيها، و احرقوا أحد الجسرين و قطعوا الآخر. و كان أحد الأسباب لذلك احتجاجهم على الأتراك و استعظامهم قتلهم للمتوكل و استيلائهم على أمور المسلمين، يقتلون من يريدون من الخلفاء و يستخلفون من أحبوا من غير ديانة و لا نظر للمسلمين<sup>٢٤</sup>.

ثانيها: ما كان فى أيام المستعين، حين سار الى بغداد غاضبا من شغب الاتراك و الموالى، و استيلائهم على دفعة الأمور، فوجهوا وفدا

ص:٦٢

يعتذر إليه و يسأله الرجوع فلم يصغ إلى ذلك. فبايعوا المعتز فى سامراء فعقد لأخيه أبى أحمد الموفق بن المتوكل القيادة لحرب المستعين، و جعل إليه الأمور كلها. و جعل التدبير إلى كلباتكين التركى، فسار فى خمسين ألفا من الأتراك و الفراغنة و الفين من المغاربة<sup>٢٥</sup>. و حاصر بغداد، و دام الحصار أشهرا، و اشتد البلاء و كثر القتل، و جهد أهل بغداد حتى أكلوا الجيف، و جرت عدة وقعات بين الفريقين، قتل فى وقعة منها؛ نحو الفين من البغاددة، إلى أن أكلوا و ضعف أمرهم و قوى أمر المعتز<sup>٢٦</sup>. و انتهى الأمر إلى تنازل المستعين عن الخلافة و خلعه لنفسه<sup>٢٧</sup>.

فترى من هذا المشهد، كيف وقع العداء الفعلى و القتال الشديد بين خليفتين رسميين، معترف بهما من قبل الجمهور، بسبب هؤلاء الأتراك.

ثالثها: ما كان عام ٢٥٢ إذ شغب الجند فى بغداد مطالبين بالأرزاق، و إلا دوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز. و كان لمحمد بن عبد الله بن طاهر، موقف فى محاربتهم و تفريقهم. حتى ما إذا رأى الجند قد غلبوا على أصحابه، أمر بالحوانيت التى على باب الجسر ان تحرق، فاحترق للتجار متاع كثيرة، فحالت النار بين الفريقين<sup>٢٨</sup>.

ص:٦٣

٢٤ (٢) الكامل ج ٥ ص ٣١٣.

٢٥ (١) الكامل ج ٥ ص ٣٢١.

٢٦ (٢) العبر ج ٢ ص ٢٥٢.

٢٧ (٣) الكامل ج ٥ ص ٣٣١.

٢٨ (٤) الكامل ج ٥ ص ٣٣٢.



رابعها: ما كان للجند ببغداد من الشعب عام ٢٩٢٥٢<sup>٢٩</sup> بسبب مطالبتهم بمبايعة الموفق أبى أحمد بن المتوكل، بعد المعتز. و لكنهم أرغموا، بعد لأى، على مبايعة المهتدى، بعد ان كانت سامراء قد بايعته.

الرابع: من خصائص هذا العصر، وربما كان من أبرز سماته.

و قد نشأ من ضعف الخلافة، و عدم امتلاكها زمام الأمور، و صرف سائر الطاقات و النشاطات فى الحروب و المناوشات و العداوات الداخلية، مع الانصراف عن الاطراف و ما يقوم به العمال من الأعمال. فصار أى واحد من أمراء الأطراف فى الدولة الاسلامية الواسعة، غير مقيد بالارتباط الوثيق بالعاصمة، ان شاء كان مواليا و ان شاء أصبح مستقلا، و ناجزوا الآخريين القتال، بحسب أطماعه فى ترسيخ ملكه و توسيع بلاده.

فكانت الحروب تدور فى الأطراف، بين الأمراء و الولاة. و تستقبل المدن الاسلامية، فى كل فترة، وجها جديدا يحكمها و يدير شؤونها و يجبى خراجها و لم يكن لأى حاكم، بما فيه الخليفة نفسه، من شفيح الأسيفه، و ما يملك من قوة و عتاد.

فمن أوضح تلك الموارد: الأندلس التى كانت فى تلك الفترة مستقلة بالخلافة تحت حكم عبد الرحمن الناصر الأموى<sup>٢٠</sup>.

ص: ٤٤

و كان الشمال الافريقى مستقلا- إلى حد كبير- تحت أمرة آل الأغلب، ابتداء بزيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب، و بعده أخوه الأغلب<sup>٣١</sup>، و انتهاء بزيادة الله بن أبى العباس بن عبد الله<sup>٣٢</sup> الذى زال ملكه بسيف أبى عبد الله الشيعى الذى مهد لسلطان المهدي الافريقى جد الفاطميين، على ما يأتى فى تاريخ القسم الثانى من هذا الكتاب. و فى كل ذلك لا تكاد تجد للخلافة فى سامراء أو فى بغداد أى رأى أو تصرف.

و أما بلاد فارس و ما وراء النهر، فقد كانت فى عهد المعتصم مسرحا للقتال، ففى منطقة زنجان و أردبيل و اذربيجان، حصل صدام مسلح بين بابك الخرمى من ناحية و بين حيدر بن كاوس و بغا الكبير من ناحية أخرى عن السلطان. و ذلك من عام ٢٢١ حتى عام ٢٢٣ حيث قدم الافشين إلى سامراء و معه بابك و أخوه عبد الله، فقتله المعتصم، و أرسل رأسه إلى خراسان و صلب بدنه بسامراء<sup>٣٣</sup>.

<sup>٢٩</sup> (١) المصدر ص ٣٤٣.

<sup>٣٠</sup> (٢) الكامل ص ٢٣٢ ج ٥.

<sup>٣١</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٥٢.

<sup>٣٢</sup> (٢) المصدر ص ١٢٣ ج ٤.

<sup>٣٣</sup> (٣) المصدر ج ٥ ص ٢٤٤.

و فى سنة ٢٢٤ أظهر مازيار بن قادن الخلف على المعتصم بطبرستان<sup>٣٤</sup>، و كان قد اصطنعه المأمون<sup>٣٥</sup>.

ص:٦٥

و فى سنة ٢٢٣، كان باذريجان قلاقل و حروب، استمرت ثمانية أشهر، قادها محمد بن البعيث بن الجليس و جماعته. حتى اخضعهم بغا الشرايى من قبل السلطان، و فتح المدينة<sup>٣٦</sup>. ثم استقدم ابن البعيث إلى سامراء و حبس فيها و جعل فى عنقه مائة رطل، فلم يزل على وجهه حتى مات<sup>٣٧</sup>.

و فى عام ٢٣٨، كان قتال فى تفليس بين بغا و قواده الأتراك من ناحية و بين اسحاق بن اسماعيل من ناحية اخرى. و أحرقت بغا المدينة، فاحترق فيها نحو خمسين الف انسان، و اسروا من سلم من النار و سلبوا الموتى<sup>٣٨</sup>.

و فى عام ٢٥٣ فى عهد المعتز، حدث قتال فى همدان، بين عبد العزيز بن ابي دلف، فى أكثر من عشرين الف من الصعاليك و غيرهم، و بين جيش الخليفة، بقيادة موسى بن بغا<sup>٣٩</sup>.

و كانت بلاد فارس، و العراق احيانا<sup>٤٠</sup>، مسرحا خصبا لجيوش يعقوب بن الليث الصفار و حروبه، من سنة ٢٥٣ إلى ان توفى عام ٢٦٥ و خلفه اخوه عمرو بن الليث، إلا انه أصبح مواليا للخلافة<sup>٤١</sup>.

ص:٦٦

على أن يعقوب كان يجد من مصلحته اظهار الولاء للدولة، و ان كان بمنزلة لا تقوى الدولة على قمعه؛ فكان الخليفة يستميله و يترضاه<sup>٤٢</sup> اتقاء لشره و لم يبرز مكنونه إلا فى فراش الموت حيث قال لرسول الخليفة إليه: قل للخليفة انى عليل، فان مت، فقد استرحت منك و استرحت منى، و ان عوفيت فليس بينى و بينك إلا هذا السيف<sup>٤٣</sup>.

و منذ عام ٢٦١ استقل - إلى حد كبير - نصر بن احمد الساماني.

<sup>٣٤</sup> (٤) الكامل ج ٥ ص ٢٥٣.

<sup>٣٥</sup> (٥) المروج ج ٣ ص ٤٧٣.

<sup>٣٦</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٨١.

<sup>٣٧</sup> (٢) المصدر ص ٢٨٤.

<sup>٣٨</sup> (٣) المصدر ص ٢٩٢.

<sup>٣٩</sup> (٤) المصدر ص ٣٣٥.

<sup>٤٠</sup> (٥) المروج ج ٤ ص ١١٢ و ما بعدها.

<sup>٤١</sup> (٦) الكامل ج ٦ ص ٢٤.

<sup>٤٢</sup> (١) المصدر ص ٢١.

<sup>٤٣</sup> (٢) نفس المصدر و الصفحة.

ببلاد ما وراء النهر، و هي تتمثل بمناطق بخارى و سمرقند إلى خراسان<sup>٤٤</sup>. حتى توفي عام ٢٧٩، و ولى بعده اخوه اسماعيل بن أحمد<sup>٤٥</sup>.

و أما مصر فقد استقل بها أحمد بن طولون- و هو من الاتراك- استخلفه عليها بابكياىل التركى عام ٢٥٤ فى عهد المعتز<sup>٤٦</sup>، و حين ولى المهتمدى و قتل بابكياىل صارت مصر لياركوج التركى، و كان بينه و بين أحمد بن طولون مودة متأكدة، فوسع ولايته على الديار المصرية كلها، فقوى أمره و دامت ايامه<sup>٤٧</sup>. حتى توفي مبطونا عام ٢٧٠<sup>٤٨</sup> و كان قد استغنى من ملكه عن الارتباط بالخلافة<sup>٤٩</sup> و ان لم ينجزها

ص:٤٧

العداء فعلا.

و لم تكن الأطراف القريبة من العاصمة، باحسن حالا من الأطراف البعيدة. فقد كانت أيضا مسرحا لمصالح العمال و القواد من ناحية، و مسرحا لنشاط الخوارج و الزنج ثم القرامطة على ما نشير إليه، من ناحية ثانية.

فمكة و المدينة، كانت تتعرض أحيانا للمصطادين بالماء العكر.

فقد أصبحت المدينة عام ٢٣٠ و ما بعده، مسرحا لغارات الأعراب المجاورين، حتى ناجزهم بغا الكبير القتال<sup>٥٠</sup>. و قتل عام ٢٥١ ثلاثمائة رجل من مكة و غلت الأسعار فيها بسبب شغب مشابه<sup>٥١</sup>.

و أما لو راقبنا سوريا فى تلك الفترة، بما فيها حمص و حلب و دمشق، لوجدناها مسرحا للاطماع و ساحة للقتال. ففي عام ٢٢٧ فى أول خلافة الواثق، كانت دمشق مسرحا لعصيان مسلح، انتج قتل ما يقارب الألفى شخص، من جيش الخليفة و النائرين<sup>٥٢</sup>. و

٤٤ (٣) المصدر ص ٢١.

٤٥ (٤) المصدر ص ٧٤.

٤٦ (٥) الكامل ج ٥ ص ٣٣٩.

٤٧ (٦) المصدر و الصفحة.

٤٨ (٧) الكامل ج ٦ ص ٥٥.

٤٩ (٨) انظر مثلا المصدر ص ١٣.

٥٠ (١) الكامل ج ٥ ص ٢٧٠.

٥١ (٢) المصدر ص ٣٣٠.

٥٢ (٣) الكامل ج ٦ ص ٥٤.

فى عام ٢٤٠ و ما بعده، كانت حمص مجالا لسوء تصرف العمال و الولاة، مما أوجب ثورة الأهالى و اضطرابهم<sup>٥٣</sup>. و تكررت عين المشكلة عام ٢٥٠،

ص:٤٨

إلا ان هذا العصيان كان أكبر من سابقه، فوجه المستعين إليها موسى بن بغا فحاربها، و قتل من أهلها مقتلة عظيمة، و أحرقها و اسر جماعة من أعيان أهلها<sup>٥٤</sup>.

و لم تسلم سوريا حتى بعد ان احتلها احمد بن طولون، عام ٥٥٢٤٤ من الحروب. اذ بمجرد ان توفى ابن طولون عام ٥٦٢٧٠<sup>٥٤</sup> تحركت نحوها الاطماع، استضعافا و استصغارا لخلفه ابنه خمارويه. فسير إليها ابو طلحة الموفق بن المتوكل، قائدين من قواده الموالى، و هما: اسحاق بن كنداجيق و ابن ابى الساج، لاحتلالها، فدخلوها و فتحوا دمشق بعد قتال عظيم<sup>٥٧</sup>. فسار إليها خمارويه بنفسه من مصر و احتلها مرة اخرى بقتال جديد<sup>٥٨</sup>. و تكرر القتال عام ٢٧٤ و ٥٩٢٧٥.

و إذا نظرنا إلى الموصل و ما حوالها من البلدان، و من فى تلك المنطقة من الأكراد، لم نجدهم أقل بلاء من سائر بلاد الاسلام. فقد تعرضت عام ٢٥٣ لقتال و نهب<sup>٦٠</sup> و فى عام ٢٦٠ تعرضت لتعسف العامل عليها من قبل الخليفة، و هو اذكوتكين التركى، فانه اظهر الفسوق و أخذ الأموال، فقاتلوه قتالا شديدا حتى اخرجوه عن

ص:٤٩

الموصل و نهبوا داره<sup>٦١</sup> و تعرضت فى العام الذى يليه لحروب أيضا بسبب رفضهم لعاملين عينهما اساتكين التركى عن الخليفة، و اختاروا لهم عاملا آخر<sup>٦٢</sup>.

<sup>٥٣</sup> (٤) الكامل ج ٥ ص ٢٩٣ و ٢٩٤.

<sup>٥٤</sup> (١) المصدر ص ٣١٨.

<sup>٥٥</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ١٢٣.

<sup>٥٦</sup> (٣) الكامل ج ٤ ص ٥٤.

<sup>٥٧</sup> (٤) المصدر و الصفحة.

<sup>٥٨</sup> (٥) المصدر ص ٥٨.

<sup>٥٩</sup> (٦) المصدر ص ٦٢.

<sup>٦٠</sup> (٧) الكامل ج ٥ ص ٣٣٤.

<sup>٦١</sup> (١) المصدر ص ٣٧١.

<sup>٦٢</sup> (٢) المصدر ص ٢٧٤.

و تعرضت الأكراد لهجوم و صيف التركي عام ٢٣١، و حبس منهم نحو خمسمائة، و حصل و صيف على هذا العمل، جائزة مقدارها خمس و سبعون الف دينار. و تعرضوا أيضا لقتال موسى بن اتمامش التركي عام ٢٦٦<sup>٦٣</sup>. و في عام ٢٨١ حاربهم الخليفة المعتضد بنفسه<sup>٦٤</sup>.

و لعلنا نستطيع أن نعتبر هذه القلاقل جميعا، هدؤا نسبيا، و بردا و سلاما، إذا قسناه إلى الجحيم الذي اوجده صاحب الزنج على العراق في عهد سامراء، و القرامطة في العهد الذي يليه، على ما سنذكره.<sup>٦٥</sup> الخامس: من خصائص هذا العصر، و ليست من مختصاته على كل حال، هو وجود الخوارج، و ما يسببونه باستمرار من شغب و حوادث. فكان وجودهم شجى في حلق الدولة و حجر عثره أمام اطمئنان الأمة.

ص: ٧٠

و يبدأ نشاطهم الملحوظ في هذه الفترة، عام ٢٥٢ حين قيام مساور بن عبد الحميد بن مساور الشاري البجلي الموصلى، قائد الشراة، و هم الخوارج الذين يدعون انهم شروا الآخرة بالدنيا.

و استولى مساور على أكثر اعمال الموصل و قوى امره. فقاتله والى الخليفة على الموصل قتالا شديدا، فاندحر، فاشتد أمر مساور و عظم شأنه و خافه الناس<sup>٦٦</sup>. و ذلك عام ٢٥٤. و كان ان صلى بالمسجد الجامع بالموصل صلاة الجمعة بالناس و خطبهم<sup>٦٧</sup>. و في عام ٢٥٥ قاتله عسكر الخليفة فانتصر مساور أيضا و انهزم عسكر الخليفة<sup>٦٨</sup>.

و في عام ٢٥٦، ثار بوجه مساور الشاري أحد الخوارج، بسبب اختلاف بينهما في بعض المسائل الكلامية، فاقتتلوا اقتتالا شديدا أدى إلى فوز مساور و انهزام الخارجى الآخر، و قتل أكثر جيشه<sup>٦٩</sup>.

و بلغ مساور من السيطرة و القوة ان استولى على كثير من العراق و منع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند ارزاقهم<sup>٧٠</sup>. و بقى على مثل هذه الحال إلى ان مات عام ٢٦٣<sup>٧١</sup>. و اختلف الخوارج إلى من

<sup>٦٣</sup> (٣) الكامل ج ٥ ص ٣٧٢.

<sup>٦٤</sup> (٤) الكامل ج ٦ ص ٢٤.

<sup>٦٥</sup> (٥) الكامل ج ٦ ص ٧٧.

<sup>٦٦</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٣٩.

<sup>٦٧</sup> (٢) المصدر ص ٢٤٤.

<sup>٦٨</sup> (٣) المصدر ص ٣٥٠.

<sup>٦٩</sup> (٤) المصدر ص ٣٥٤ و ما بعدها.

<sup>٧٠</sup> (٥) المصدر ٣٥٥.

<sup>٧١</sup> (٦) المصدر ج ٦ ص ١٥.

يرجعوا بعده، و حدث لذلك بينهم قتال، حتى تم أمرهم على هارون بن عبد الله البجلي الشاري<sup>٧٢</sup>.

السادس: من خصائص هذا العصر و لعله أبعدها خطرا و أعمقها أثرا، و يختص بالقسم الثاني من خلافة سامراء، عند ازدياد ضعفها و تفسيحها، و ذلك فى عهد المهتدى و المعتمد. و هو ظهور صاحب الزنج الذى قتل الالوف من النفوس و هتك الآلاف من الأعراس، احرق عشرات المدن و سبب بشكل غير مباشر إلى أمرين مهمين:

احدهما: ضعف الخلافة فى عهد المعتمد، و بقاء الخليفة صورة بلا واقع لا حل له و لا عقد.

ثانيهما: ترسخ قوة الخليفة فى عهد المعتضد، و ذلك بعد انهيار الزنج و زوال سامراء كعاصمة للخلافة.

و صاحب الزنج هو الرجل الذى ثار فى البصرة عام ٢٥٥<sup>٧٣</sup> اسمه على بن محمد، و زعم أنه علوى، يتصل نسبه بزيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام. و لم يكن كذلك، على ما يذكر التاريخ، فان نسبه فى عبد قيس، و أمه من بنى اسد بن خزيمه<sup>٧٤</sup>.

و استمر يعيث فى المجتمع فسادا خمسة عشر عاما، إلى أن قتل عام ٢٧٠<sup>٧٥</sup>.

و عمدة ما ارتكز عليه فى ثورته - مضافا إلى دعواه الانتساب بالنسب العلوى - انه وجه دعوته بشكل رئيسى إلى العمال و الطبقة الكادحة من الشعب، و خاصة العبيد المماليك منهم؛ تلك الطبقة التى تلاقى من ارهاق مستخدميتها و مالكيها و من ضغط الدولة أنواع الذل و الشقاء. و من ثم سمي صاحب الزنج أى قائد العبيد. فبدأ بعبيد أهل البصرة و دعاهم للاقبال إليه للخلاص من الرق و التعب، فاجتمع عنده منهم خلق كثير، فخطبهم و وعدهم أن يقودهم و يملكهم الأموال و حلف لهم بالايمان ان لا يغدر بهم و لا يخذلهم. فأتاه مواليهم و بذلوا له على كل عبد خمسة دنائير ليسلم إليه عبده، فأمر من عنده من العبيد فضربوا مواليهم أو وكلاءهم، كل سيد خمسمائة سوط<sup>٧٦</sup>. و كان هذا أول الشر. و اكتسب العبيد بذلك قوة و اندفاعا و خماسا مضاعفا، استطاعوا أن يكتسحوا بها منطقة ضخمة من البلاد.

<sup>٧٢</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ١٥.

<sup>٧٣</sup> (٢) المصدر ص ٣٤٦ ج ٥ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٣.

<sup>٧٤</sup> (٣) نفس المصدر و الصفحة.

<sup>٧٥</sup> (٤) المصدر ج ٦ ص ٥١.

<sup>٧٦</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٤٧.

و اتسع شرهم من البصرة إلى عبادان و إلى الأهواز<sup>٧٧</sup> و دستميسان<sup>٧٨</sup> و واسط<sup>٧٩</sup> و رامهرمز<sup>٨٠</sup>. و ما بينهما من البلدان و المناطق. و حين احتلوا البصرة، حاربوا أهلها بجيش من الزنج و الاعراب ثلاث أيام.

ثم أنه امنهم استجابة لإبراهيم بن يحيى المهلبى، و نادى مناديه من أراد

ص: ٧٣

الأمان فليحضر إلى دار ابراهيم. فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملثوا الرحاب. فلما رأى صاحب الزنج اجتماعهم، انتهز الفرصة لثلا يتفرقوا، فغدر بهم و أمر اصحابه بقتلهم، فكان السيف يعمل فيهم و أصواتهم مرتفعة بالشهادة، فقتل ذلك الجمع كله و لم يسلم إلا النادر منهم. و احرق الجامع، و احترقت البصرة فى عدة مواضع منها، و عظم الخطر، و عمها القتل و النهب و الاحراق، فمن كان غنيا اخذوا ماله و قتلوه، و من كان فقيرا قتلوه لوقته<sup>٨١</sup>. و مثل ذلك عمل الزنج بعبادان الاهواز و الابله<sup>٨٢</sup> و ابى الخصيب<sup>٨٣</sup>.

و حين رأت الدولة ذلك منه، ناجزته القتال ببعض قوادها كسعيد الحاجب<sup>٨٤</sup> و محمد المولد<sup>٨٥</sup> و موسى بن بغا<sup>٨٦</sup> الا انهم لم يؤثروا شيئا، و كان يستظهر عليهم صاحب الزنج، و كانت اليد الطولى فى محاربتة و مصابرتة و القضاء عليه فى النتيجة، لابي احمد الموفق طلحة بن المتوكل<sup>٨٧</sup>، بمعونة ولده ابى العباس المعتضد الذى أصبح أول خلفاء بغداد بعد افول نجم سامراء. و التحق لمعونته اخيرا عام ٢٦٩

ص: ٧٤

<sup>٧٧</sup> (٢) المصدر ص ٣٥٩.

<sup>٧٨</sup> (٣) المصدر ج ٦ ص ٨.

<sup>٧٩</sup> (٤) المصدر ص ١٦.

<sup>٨٠</sup> (٥) المصدر ص ٢٣.

<sup>٨١</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٦٢.

<sup>٨٢</sup> (٢) المصدر ص ٣٥٩.

<sup>٨٣</sup> (٣) المصدر ص ٣٥٨.

<sup>٨٤</sup> (٤) المصدر ص ٣٦١.

<sup>٨٥</sup> (٥) المصدر ص ٣٦٣.

<sup>٨٦</sup> (٦) المصدر ص ٣٦٧.

<sup>٨٧</sup> (٧) الكامل ج ٥ ص ٣٩٥، و انظر العبر ج ٢ ص ١٥.

لؤلؤ غلام أحمد بن طولون الذى انشق على مولاه، و سار إلى الموفق و هو يقاتل الزنج<sup>٨٨</sup> و كان له يد طولى فى القضاء على حركة الزنج فى آخر ايامها<sup>٨٩</sup> حتى قيل فى عسكر الموفق<sup>٩٠</sup>:

انما الفتح للولو

كيفما شئتم فقولوا

و لم يكن لجيش الموفق تجاه الزنج رحمة، و انما كانت الحرب معهم حرب ابادة، و قد اعمل معهم سائر انحاء القتل من الاحراق و الاغراق و المطاردة و غير ذلك<sup>٩١</sup>. و استنقذوا ما لا يحصى من النساء و الصبيان و المساجين<sup>٩٢</sup>.

و استأمن إلى الموفق عددا من قواد الزنج قبل قتله و بعده<sup>٩٣</sup>. و قد كان لقتله و القضاء على حركته أثر كبير على سائر الناس بالشعور بالسرور و الامن، و قيلت فى ذلك اشعار كثيرة<sup>٩٤</sup>.

و قد اثرت مواقف الموفق هذه على سيطرته التامة على الأمور كلها فى الدولة، على الجيش و التعامل مع ولاة الاطراف و جباية الأموال و عزل و تنصيب الوزراء<sup>٩٥</sup>، حتى لم يبق لآخيه المعتمد من

ص: ٧٥

الخلافة إلا اسمها، و لا ينفذ له توقيع لا فى قليل و لا فى كثير<sup>٩٦</sup> حتى قال:

يرى ما قل ممتنعا عليه

أ ليس من العجائب ان مثلى

فى ثلاث ابيات، سبقت.

<sup>٨٨</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٤٩.

<sup>٨٩</sup> (٢) المصدر ص ٥١.

<sup>٩٠</sup> (٣) المروج ج ٤ ص ١٢٤.

<sup>٩١</sup> (٤) انظر مثلا ص ٤٦ ج ٦ من الكامل و غيرها.

<sup>٩٢</sup> (٥) انظر المصدر ص ٤٧.

<sup>٩٣</sup> (٦) المصدر ص ٥٣.

<sup>٩٤</sup> (٧) المصدر ص ٥٣-٥٤.

<sup>٩٥</sup> (٨) المصدر ص ١٧.

<sup>٩٦</sup> (٩) المصدر ص ٤٩.



و بقى الموفق على ذلك حتى مات عام ٢٧٨<sup>٩٧</sup>. فاجتمع القواد و بايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد، و لقب المعتضد بالله<sup>٩٨</sup> و لا يخفى ما فى اكتسابه القوة و السيطرة اثناء حربه للزنج، و تمرسه على انحاء القتال و القيادة، فى تولى الخلافة فى العام الذى يلى، أى عام ٢٧٩، بعد المعتمد، فكان أول خلفاء بغداد، بعد افول نجم سامراء.

السابع: من خصائص هذا العصر. و ليست من مختصاته، حصول ثورات متعددة فى الأطراف داعين إلى الرضا من آل محمد (ص)، أو متمردين على الظلم و العسف الذى كان ينال المجتمع بشكل عام، و ينالهم بشكل خاص.

و الفكرة الاساسية التى كانت تقوم عليها الدولة، وفتنذ بجميع اجهزتها و طبقاتها، هو النفرة من العلويين، و مطاردتهم و الضغط عليهم.

ص: ٧٦

لا يختلف فى ذلك الخليفة عن القواد عن الوزراء عن العامة انفسهم.

و لما كانت الدولة تعاني التفكك و الضعف، كان مجرد وجود أى شبح للحركة العلوية أو تهمة فى ذلك، يشير الرعب لدى الخليفة و اتباعه و يتصدى القواد الاتراك و من إليهم بانزال اقصى العقوبات بالنائرين.

و نستطيع ان نستشهد من تاريخنا العام لهذا الحقد، بعدة أمور:

منها: ما كان المتوكل يستشعره من الكراهية تجاه على (ع) و العلويين، و كان آل ابى طالب - على ما ينص التاريخ - فى أيامه فى محنة عظيمة، قد منعوا من زيارة قبر الحسين عليه السلام و الغرى من أرض الكوفة. و كذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، و أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام و محو أرضه و ازالة اثره و ان يعاقب من وجد به<sup>٩٩</sup> و حدث به و زرع فيه، و كان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليا و أهله، باخذ المال و الدم<sup>١٠٠</sup> و لم تنزل الأمور كذلك إلى ان استخلف المنتصر، فامن الناس و أمر بالكف عن آل ابى طالب و ترك البحث عن اخبارهم. و اطلق حرية زيارة قبر الحسين عليه السلام، و غيره من آل ابى طالب<sup>١٠١</sup>.

و سنذكر ما فعله المتوكل من ازعاج الامام على بن محمد الهادى (ع) و اشخاصه إلى سامراء من المدينة. لكى يكون تحت رقابته و فى

<sup>٩٧</sup> (٢) المصدر ص ٦٧ و ما بعدها.

<sup>٩٨</sup> (٣) المصدر ص ٦٩.

<sup>٩٩</sup> (١) المروج ج ٤ ص ٥١.

<sup>١٠٠</sup> (٢) الكامل ج ٥ ص ٢٨٧ و انظر المقاتل للاصبهانى ص ٢٢٤.

<sup>١٠١</sup> (٣) المروج ج ٤ ص ٥١ و انظر المقاتل ص ٤٥٠.

ص: ٧٧

قبضته. و كان يستدعيه الى قصره بين الفينة و الفينة، معدا له مؤامرة القتل فتفشل، و تضطره هيبة الامام عليه السلام إلى احترامه و اكرامه<sup>١٠٢</sup>.

و منها: قتل المعتمد للامام الهادي عليه السلام، على ما ذكره ابن بابويه الصدوق<sup>١٠٣</sup>.

و منها: مراقبة الخلفاء للأئمة (ع) على ما سنذكر، و قضائهم على كل ثورة علوية.

و لم يكن القواد الاتراك باحسن من الخلفاء حالا من هذه الناحية.

بل هم أقل منهم ضبطا و أكثر تهورا كموسى بن بغا الذى قضى على ثورة الحسن بن اسماعيل العلوى<sup>١٠٤</sup> و على بن اوتامش<sup>١٠٥</sup> و صالح بن و صيف<sup>١٠٦</sup> و احمد بن عبيد الله بن خاقان<sup>١٠٧</sup> و سعيد الحاجب<sup>١٠٨</sup>، و نحوهم ممن يمت إلى الدولة بخوف أو طمع أو حاجة.

فى هذا الجو المكهرب العاصف، كان يرى بعض العلويين الذين يتوسمون فى أنفسهم القوة و الاصحاب، و جوب الثورة على الظلم و الفساد، و اظهار كلمة الحق أمام المجتمع السادر فى غفلته البعيد عن

ص: ٧٨

روح الاسلام و تعاليم القرآن. لعل ذلك يكون سببا من أسباب توعية الأمة و ايقاظ ضميرها، و التفاتها إلى واقع حياتها و واجبات دينها.

و كان الغالب منهم يدعو إلى (الرضا من آل محمد)، و يعنون بذلك: الشخص الذى هو أفضل آل محمد (ص) فى ذلك العصر. و ليس ذلك إلا أحد أئمتنا عليهم السلام الذين كان يعتقد هؤلاء الثوار باماتهم.

<sup>١٠٢</sup> (١) انظر المروج ج ٤ ص ١٠.

<sup>١٠٣</sup> (٢) مناقب آل أبى طالب ج ٣ ص ٥٠٦.

<sup>١٠٤</sup> (٣) المروج ج ٤ ص ٦٩.

<sup>١٠٥</sup> (٤) اعلام الورى ٣٥٩.

<sup>١٠٦</sup> (٥) المصدر ص ٣٦٠.

<sup>١٠٧</sup> (٦) المصدر ص ٣٥٧.

<sup>١٠٨</sup> (٧) المصدر ص ٣٤٥ و انظر المروج.

و انها لالتفاته بارعة: ان يدعو الثائر إلى الرضا من آل محمد (ص) بهذا العنوان العام، و لا يدعو إلى امام زمانه بالخصوص. و ذلك:

ثلا يوقف الثائر إمامه الذى يدعو إليه، موقف الحرج تجاه السلطات الحاكمة، و هو يعلم ان الامام عليه السلام، أمام سمع الدولة و بصرها، و ليس أسهل عليها من ان تتهمه باثارة الحركة و العصيان، مما يؤدي إلى قتله و خسارة المجتمع المسلم لوجوده. و معه، فيفكر هذا الثائر انه ان نجحت ثورته نجاحا كبيرا يجعلها أهلا لمناصرة امامه عليه السلام، فهو المطلوب، و الا كان و صحبه فداء لإمامه و لدينه.

و أئمتنا عليهم السلام- فى عصورهم المتأخرة- كانوا لا يعيشون فى الحياة إلا قليلا، و يصعدون إلى بارئهم فى ريعان الشباب. فالامام الجواد محمد بن على عليه السلام عاش خمسا و عشرين سنة<sup>١٠٩</sup> و الامام الهادى على بن محمد عليه السلام عاش احدى و اربعين<sup>١١٠</sup> و الامام العسكرى الحسن بن على عليه السلام عاش ثمانيا و عشرين عاما<sup>١١١</sup>. مما

ص: ٧٩

يدل على سعى الخلفاء فى القضاء عليهم و كتم انفسهم، و لو بالطريق غير المباشر، مع انهم لم يستطيعوا ان يحصلوا منهم على أى مستند أو دلالة على مشاركتهم فى أى حركة و قيامهم بأى نشاط. فكيف إذا عرفوا منهم ذلك، و حصلوا منهم على شك فى ثورة أو تمرد.

لكن، لعلنا نستطيع القول، بان الائمة عليهم السلام، شاركوا من قريب أو بعيد، بقيام بعض هذه الثورات أو قسم مهم منها، أما مباشرة أو بحسب عموم تعاليمهم و روح ارشاداتهم التى كانت تؤثر فى نفوس مواليهم أثر النار فى الحطب و النور فى الديجور، مما يؤدي بهم إلى اعلان العصيان المسلح على الدولة، و لكن الائمة (ع) استطاعوا بلباقة تامة و حذر عظيم، اخفاء أى نوع من المستندات و الدلالات على مثل هذا التأثير على الدولة القائمة. و كانوا يستعملون الرموز و المعانى البعيدة و الأعمال غير الملفتة للنظر، فى قضاء بعض الحاجات الخطرة فى منطقتهم. كما هو غير خفى على من راجع رواياتهم، و سنعرف بعض ذلك فيما يلى من البحث.

و لعل هناك سببا آخر، فى عدم دعوة ثوار العلويين إلى شخص الامام عليه السلام، و هو ان الثائر منهم، ان لم يكن على اتصال مسبق بالامام عليه السلام، فانه يحتمل ان لا يكون الامام موافقا على ثورته، لأنه لا يجد فيها المصلحة الكافية و الاهلية الكاملة للتأييد. إما لسوء توقيت الزمان، أو لسوء اختيار المكان، أو لضعف نيات هذا الثائر و أصحابه و قلة اخلاصهم، أو لضعف الثورة فى نفسها، بحيث لا أمل

<sup>١٠٩</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣٠٧.

<sup>١١٠</sup> (٢) المصدر ص ٣١٤.

<sup>١١١</sup> (٣) المصدر ص ٣٢٥.

فيها للبقاء. و غير ذلك من المحتملات التي يأخذها التأثر بعين الاعتبار من رأى إمامه عليه السلام، فلا يدعو إلى شخصه، و انما يدعو إلى عنوان عام ينطبق عليه: الرضا من آل محمد (ص) و نحن- لاجل الدقة و الموضوعية فى البحث- لا نستطيع ان ان نقول: ان كل الثوار العلويين، كان ثائرا بالمعنى الذى يقوم على أساس الوعى الاسلامى، و هو: الدعوة إلى تطبيق احكام الاسلام برئاسة الامام المعصوم عليه السلام. فإنه و ان كان المعتقد ان غرض أكثر الثوار هو ذلك، إلا ان افرادا منهم ربما كان منحرفا عن ذلك أو غير واع له. فكانت ثورته اما للدعوة إلى إمامة نفسه، أو إمامة شخص آخر غير الامام المعصوم عليه السلام، أو لمجرد التمرد على الظلم، أو لحب الظهور و السيطرة و نحو ذلك من الاهداف.

و لعلنا نستطيع ان نضع الحد الفاصل فى فهم اخلاص الثائر و عليه، فى كونه داعيا إلى الرضا من آل محمد (ص). فان عرفنا انه دعى إلى ذلك، فتورته مخلصه واعية، و ان لم يدع إلى ذلك، يفتح امامنا فيه احتمال الانحراف و عدم الاخلاص.

و قد احصينا من الثوار العلويين فى العصر الذى نؤرخه، من خلافة المعتصم إلى نهاية خلافة المعتمد، و هو ما يزيد على نصف قرن، ثمانية عشر نائرا.

اولهم: محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، و يكنى أبا جعفر، و كانت العامة تلقبه بالصوفى،

لأنه كان يدمن لباس الثياب من الصوف الأبيض، و كان من أهل العلم و الفقه و الدين و الزهد و حسن المذهب. و كان يذهب إلى القول بالعدل و التوحيد، و يرى رأى الزيدية الجارودية.

خرج فى أيام المعتصم بالطالقان، فاخذه عبد الله بن طاهر و وجه به إلى المعتصم، بعد وقائع كانت بينه و بينه<sup>١١٢</sup>. و ذلك عام ٢١٩، و دعا إلى الرضا من آل محمد، و لكن اغراه شخص من خراسان إلى الدعوة إلى نفسه<sup>١١٣</sup>. و هناك قوم اعتقدوا بانه لم يمت و انه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، و انه مهدي هذه الامة<sup>١١٤</sup>. أقول:

و سيأتى فى بعض بحوثنا ان شاء الله تعالى مناقشة هذه الدعوى و أمثالها.

<sup>١١٢</sup> (١) المقاتل للاصبهاني ص ٤١١.

<sup>١١٣</sup> (٢) الكامل ج ٥ ص ٢٣٢.

<sup>١١٤</sup> (٣) المروج ج ٣ ص ٤٦٥.

ثانيهم: يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن ابي طالب، المكنى بابي الحسين<sup>١١٥</sup>، وكانت ثورته لذل نزل به و جفوة لحفته و محنة نالته من المتوكل و غيره من الاتراك. و كان ذا زهد و ورع و نسك و علم<sup>١١٦</sup>.

ثار عام ٢٥٠ في الكوفة، و جمع جمعا كثيرا، و مضى إلى بيت

ص: ٨٢

المال فيها ليأخذ ما فيه، و فتح السجون و اخرج من فيها و اخرج عنها عمال السلطان. اجتمعت إليه الزيدية، و دعا إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع الناس إليه و احبوه. و تولاه العامة من أهل بغداد، و لا يعلم انهم تولوا أحدا من بيته سواه. و بايعه من أهل الكوفة من له تدبير و بصيرة في تشيعهم.

حاربه الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن مصعب، و قتل هذا العلوي في المعركة<sup>١١٧</sup>. و حمل رأسه إلى بغداد و صلب، فضج الناس من ذلك، لما في نفوسهم من المحبة له، لامر استفتح به اموره، بالكف عن الدماء و التورع عن أخذ شيء من أموال الناس، و اظهر العدل و الانصاف<sup>١١٨</sup>. و انشدوا في رثائه شعرا كثيرا حتى قال أبو الفرج:

و ما بلغني ان أحدا ممن قتل في الدولة العباسية من آل ابي طالب، رثى بأكثر مما رثى به يحيى، و لا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه.

اشهرها قصيدة علي بن العباس بن الرومي التي أولها:

طريقان شتى مستقيم و أعوج

امامك فانظر أي نهجيك تنهج

و قد ذكرها أبو الفرج بطولها في المقاتل<sup>١١٩</sup>.

ثالثهم: الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب. بدأت ثورته عام ٢٥٠ أيضا بطبرستان، فغلب

ص: ٨٣

<sup>١١٥</sup> (٤) الكامل ج ٥ ص ٣١٤.

<sup>١١٦</sup> (٥) المروج ج ٤ ص ٦٣.

<sup>١١٧</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣١٥.

<sup>١١٨</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ٦٣.

<sup>١١٩</sup> (٣) المقاتل ص ٤٥٧.

عليها، و على جرجان بعد حروب كثيرة و قتال شديد. و ما زالت فى يده إلى ان مات سنة ٢٧٠<sup>١٢٠</sup> و خلفه اخوه محمد بن زيد فيها. و كان هذان الاخوان يدعوان إلى الرضا من آل محمد.

و استولى الحسن بن زيد على آمل و على الرى<sup>١٢١</sup> و قاتله مفلح و موسى بن بغا عن الدولة<sup>١٢٢</sup> و محمد بن طاهر<sup>١٢٣</sup> حاكمها على خراسان.

و قاتله يعقوب بن الليث الصفار الذى سبق ان سمعنا عنه.

و كان الحسن هذا عالما بالفقه و العربية، و فيه يقول الشاعر:

لا تقل بشرى و لكن بشريان  
غرة الداعى و عيد المهرجان

رابعهم: الحسن بن على الحسنى المعروف بالاطروش، حكم طبرستان بعد محمد بن زيد الحسنى، و خلفه ولده. ثم الداعى الحسن بن القاسم الذى قتله أسفار بطبرستان<sup>١٢٤</sup>.

خامسهم: محمد بن جعفر بن احمد بن عيسى بن الحسين الصغير بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب. ثار فى خراسان، عام ٢٥١.

فحاربه حاكمها محمد بن طاهر و اسره<sup>١٢٥</sup> و كان يدعو للحسن بن زيد

ص: ٨٤

صاحب طبرستان<sup>١٢٦</sup>.

---

<sup>١٢٠</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٥٥.

<sup>١٢١</sup> (٢) الكامل ج ٥ ص ٣١٧.

<sup>١٢٢</sup> (٣) المصدر ص ٣٤٥.

<sup>١٢٣</sup> (٤) المصدر ص ٣٢٩.

<sup>١٢٤</sup> (٥) المروج ج ٤ ص ٦٨.

<sup>١٢٥</sup> (٦) الكامل ج ٥ ص ٣٢٩.

<sup>١٢٦</sup> (١) المروج ج ٤ ص ٦٩.

سادسهم: ادريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. ثار بالرى مع محمد بن جعفر السابق الذكر، عام ٢٥١.١٢٧ سابعهم: احمد بن عيسى بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. دعا للرضا من آل محمد، ثار بعد محمد بن جعفر و حارب محمد بن طاهر، و استولى على الرى<sup>١٢٨</sup>.

ثامنهم: الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب. الملقب بالكركى. و قيل هو الحسن بن احمد بن محمد بن اسماعيل .. الخ<sup>١٢٩</sup>. كانت ثورته بقزوين، فحاربه موسى بن بغا، و صار الكركى إلى الديلم<sup>١٣٠</sup>.

تاسعهم: الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب<sup>١٣١</sup> أو الحسين بن احمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب<sup>١٣٢</sup>.

ص: ٨٥

ثار بالكوفة عام ٢٥١، و اجلى عنها عامل الخليفة؛ فسير إليه المستعين مزاحم بن خاقان فقاتله، و اطبق على أصحابه فلم يفلت منهم أحد، و دخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة فاحرقها بالنار، فاحترق منها سبعة أسواق<sup>١٣٣</sup>. و قال المسعودى: انه اختفى لترك اصحابه له و تخلفهم عنه<sup>١٣٤</sup>.

عاشرهم: محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب كان خليفة الحسين بن محمد الحرون السابق الذكر. ثار بعده بالكوفة، فكتب إليه ابن طاهر بتولية الكوفة، و خدعه بذلك، فلما تمكن بها اخذه خليفة ابي الساج، فحمله إلى سر من رأى، فحبس بها حتى مات<sup>١٣٥</sup>.

الحادى عشر: اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. ثار فى المدينة عام ٢٥٢، و أصاب أهلها فى أيامه الجهد و الضيق. و خلفه بعد وفاته اخوه محمد بن يوسف، حاربه ابو الساج و لما انكشف من بين يديه، سار إلى اليمامة و البحرين و استولى عليها<sup>١٣٦</sup>.

<sup>١٢٧</sup> (٢) الكامل ج ٥ ص ٣٢٩.

<sup>١٢٨</sup> (٣) المروج ج ٤ ص ٦٩.

<sup>١٢٩</sup> (٤) المروج ج ٤ ص ٦٩. و نسبه ابو الفرج بالنحو الاول و قال: المكنى بالحرون. انظر المقاتل ص ٤٦٩.

<sup>١٣٠</sup> (٥) المروج، الجزء و الصفحة السابقين.

<sup>١٣١</sup> (٦) كما فى المروج ج ٤ ص ٦٩.

<sup>١٣٢</sup> (٧) كما فى الكامل ج ٥ ص ٣٣٠.

<sup>١٣٣</sup> (١) المصدر و الصفحة.

<sup>١٣٤</sup> (٢) ج ٤ ص ٦٩.

<sup>١٣٥</sup> (٣) المقاتل لابي الفرج ص ٤٧٠.

<sup>١٣٦</sup> (٤) المروج ص ٩٤ ج ٤. و انظر الكامل ج ٥ ص ٣٣٥.

الثانى عشر: على بن عبد الله الطالبى المسمى بالمرعى. ثار فى

ص: ٨٦

مدينة آمل عام ٢٥١، و حاربه اسد بن جندان<sup>١٣٧</sup>.

الثالث عشر: انسان علوى، حصلت ثورته بنينوى عام ٢٥١ من أرض العراق. فحاربه هشام بن ابى دلف، فى شهر رمضان، فقتل من أصحابه جماعة، و هرب فدخل الكوفة<sup>١٣٨</sup>.

الرابع عشر: الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على المعروف بالكوكبى. ثار بناحية قزوين و زنجان، فطرد عمال السلطات، عنها. عام ٢٥١<sup>١٣٩</sup>.

و بقى حاكما على هذه المنطقة حتى عام ٢٥٢، حيث شارك فى الهجوم الرى مع جستان، صاحب الديلم و عيسى بن احمد العلوى. فقتلوا و سبوا و طردوا و إليها الممثل للسلطة. فصالحهم أهل الرى على ان يدفعوا لهم مليونى درهم، و يرتحلوا عنها، ففعلوا<sup>١٤٠</sup>.

و فى سنة ٢٥٣ حاربه موسى بن بغا و قضى على حركته باشعال النار فى عسكره بحيلة حربية، و دخل موسى بن بغا قزوين فاتحا<sup>١٤١</sup>.

الخامس عشر: ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن ابى طالب. و يعرف بابن الصوفى. ثار عام ٢٥٦ فى مصر، و استولى

ص: ٨٧

على مدينة استا و نهىها، و عم شره البلاد، فسير إليه احمد بن طولون جيشا، فهزمه العلوى، و اسر المقدم على الجيش، فقطع يديه و رجله و صلبه. فسير إليه ابن طولون جيشا آخر، و اقتتلوا قتالا شديدا فانهمزم العلوى و قتل كثير من رجاله، و سار حتى دخل الواحات<sup>١٤٢</sup>. و بقى مختفيا فيها إلى عام ٢٥٩، حيث ظهر ثانيا و دعا إلى نفسه فتبعه خلق كثير، و سار بهم إلى الاشمونين.

<sup>١٣٧</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٢٩.

<sup>١٣٨</sup> (٢) المصدر ص ٣٣٠.

<sup>١٣٩</sup> (٣) المصدر و الصفحة.

<sup>١٤٠</sup> (٤) المصدر ٣٣٥.

<sup>١٤١</sup> (٥) الكامل ج ٥ ص ٣٣٧.

<sup>١٤٢</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٥٩ و ص ٣٦٠.



فحاربه احمد بن طولون فى وقعتين حتى هرب العلوى الصوفى إلى مكة، فقبض عليه و إليها، و ارجعه إلى ابن طولون، فطيف به فى البلد ثم سجنه و اطلقه ثم رجع إلى المدينة، فأقام بها حتى مات<sup>١٤٣</sup>.

السادس عشر: على بن زيد العلوى. كانت ثورته بالكوفة عام ٢٥٦. فاستولى عليها، و ازال عنها نائب الخليفة و استقر فيها، فناجزته السلطة القتال عدة مرات، مرتين بقيادة الشاه بن ميكال، و ثالثة بقيادة كيجور التركى، حتى قتل بعكبرا سنة ٢٥٧<sup>١٤٤</sup>.

السابع عشر: عيسى بن جعفر العلوى، ثار مع على بن زيد فى الكوفة. قال المسعودى انه عام ٢٥٥، فسرح إليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب فى جيش عظيم. فانهم الطالبين، لتفرق أصحابهما عنهما<sup>١٤٥</sup>.

ص: ٨٨

الثامن عشر: ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب. ظهر بالمدينة بعد اسماعيل بن يوسف السابق الذكر<sup>١٤٦</sup>.

فهؤلاء هم من يعرف بحمل السيف فى هذه الفترة، فى وجه السلطات الحاكمة. و اما الذين قتلوا أو طردوا أو سجنوا فهم أضعاف هذا العدد، يشير إلى جملة منهم المسعودى فى موجه<sup>١٤٧</sup> و الاصبهانى فى مقاتله<sup>١٤٨</sup>.

و نستطيع ان نستنتج من ذلك امورا:

الأمر الأول: هو مدى الظلم و العسف الذى كانت تنزله السلطات الحاكمة على العلويين نسبا و عقيدة. و الا لم يجد هذا العدد الكبير خلال نصف قرن، حاجة إلى هذه التضحيات الكبيرة؛ فانه من المعلوم ان ازدياد الثورة تتناسب تناسبا طرديا مع ازدياد الظلم و الضغط، و كلما خف الظلم و هان الضغط، قلت الثورة و خف اوارها.

و من هنا نجد - مثلا - انه فى عهد الخليفة المنتصر، الذى كان يميل إلى أهل البيت، خلافا لابييه و سلفه المتوكل؛ لم تحصل ثورة

ص: ٨٩

<sup>١٤٣</sup> (٢) المصدر ص ٣٦٩.

<sup>١٤٤</sup> (٣) المصدر ص ٣٦٠.

<sup>١٤٥</sup> (٤) المروج ج ٤ ص ٩٤.

<sup>١٤٦</sup> (١) المصدر و الصفحة.

<sup>١٤٧</sup> (٢) المصدر ص ٩٥.

<sup>١٤٨</sup> (٣) انظر ص ٥٠٦ و ما بعدها و ما قبلها أيضا.

و لم يجر منه على أحد من العلويين قتل أو حبس أو مكروه<sup>١٤٩</sup>. ولكنه بقى فى الخلافة ستة أشهر فقط!! الأمر الثانى: ان الخلافة على ضعفها و عجزها فى هذا العهد، و تفاقم هذا العجز كلما طال الزمان عليها فى سامراء. إلا ان هذا لم يكن بمانع لها عن قمع الثورات العلوية مهما بعدت عن المركز، و مهما قويت، و ذلك:

لأن الخليفة بنفسه، و ان كان عاجزا عن تدبير الأمور العامة، منصرفا إلى لهوه و قصفه، الا ان مناوأة الفكرة العلوية، ليست خاصة به، و انما هى عامة على كثير من القواد- و بخاصة الأتراك و الموالى و العباسيين- و من الوزراء و حكام الاطراف، حتى المستقلين منهم، كاحمد بن طولون فى مصر و السامانية فيما وراء النهر و آل الأغب فى شمال افريقيا، و التاريخ العام و الخاص ملئ بالشواهد على ذلك.

الأمر الثالث: ان بعض هؤلاء الثوار كانوا ضحية تخلف الوعى و سيطرة المصلحة على اتباعهم و افراد جيشهم. فان درجة الوعى عند الامة كان منخفضا جدا، بمعنى ان ما كان يعيش فى اذهانهم دائما هو الشعور بالظلم تردى الحال اجتماعيا و سياسيا و ثقافيا و اقتصاديا، و هو ما يدركه كل شخص من زاوية مصلحته و حياته الخاصة. دون شعور واضح و احساس عميق، بالمسؤولية الكبرى الملقاة عليه كفرد من الامة، فى الدعوة إلى تطبيق ما هو البديل العادل لهذا الظلم و الطغيان.

ص: ٩٠

و من هنا كان هؤلاء الثوار يجمعون من الاتباع العدد الكبير نتيجة طبيعية لشعور الناس بالظلم و أملمهم فى التائر الجديد. الا ان هذا العدد الكبير كان ينقسم دائما إلى قسمين:

احدهما: و هم الخاصة الاقلون، الواعون لأهدافهم الاسلامية، الهادفون إلى خدمة امتهم و اداء رسالتهم و الباذلون مهجهم فى سبيل عقيدتهم و ربهم.

ثانيهما: و هم الأكثر عددا، الذين مثلوا المجتمع الذى عاشوه بدرجة و عيه و احساسه فهم يحسون بالظلم من زاوية شخصية مصلحية، و حين ظنوا بالتائر خيرا لمصالحهم اتبعوه ذبوا عنه، و لكنهم حين احسوا بالموت أو النوم فى سجون السلطات، و ايسوا من صاحبهم التائر، و لوا منهزمين و تفرقوا عنه و خذلوه كما سمعنا فى عدد من الثوار العلويين.

الثامن: من خصائص هذا العصر، و ان لم يكن من مختصاته، قيام الميزان الاساسى و المعيار الغالب، فى تقييم الخلفاء و الوزراء و القواد و القضاة و غيرهم، ممن بيده السياسة العليا الدولة، و تحديد علاقات الصداقة و الحرب، كلها بميزان مالى خالص. لا يختلف فى ذلك من يعيش فى العاصمة و ما حوالها ممن هو بعيد فى الاطراف، إلا من شد و ندر.

و يتضح بجلاء، من استعراض التاريخ، قيام المجتمع، بعد انحرافه عن الإسلام و تناسيه لمسؤوليته الكبرى؛ قيامه على اساس الطبقة

الملموسة، فالأموال تتركز بيد الاقوياء و المتنفذين فى السلطة، و يحضى الأتراك و القواد الموالى بقسط كبير منها، على حين يعيش سائر الناس بالمستوى المتوسط فما دونه، إلى حال الفقر المدقع، من دون ضمان عيش أو أمل حياة.

و إذا أردنا ان نستعرض تفاصيل ذلك لطلال بنا المقام، و خرجنا عن الغرض، لكن يكفى ان تعرف طرفا من ذلك:

فالوائق عام ٢٢٩ حبس كتاب دولته، و الزمهم أموالا عظيمة.

أخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار، و من سليمان بن وهب- كاتب ايتاخ- اربعمائة الف دينار، و من الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار. و من ابراهيم بن رباح و كتابه مائة الف دينار. و من احمد بن الخصيب مليوناً من الدنانير، و من نجاح ستين الف دينار، و من ابى الوزير مائة و اربعين الف دينار<sup>١٥٠</sup>.

فمن الطبيعى للانسان ان يتصور ان هؤلاء الكتاب، كم كان مجموع ثرواتهم بحيث امكنهم دفع تلك الضرائب. و إذا كان الكاتب العادى لدى الوزير حاصل على مثل هذه الثروات فكيف بالوزير نفسه و من فى منزلته من القواد و القضاة و الولاة. و لعل من نافلة القول و واضحه؛ ان هذه الأموال انما تحصل فى أيدي هؤلاء، على حساب الامة الاسلامية، و فقر الفقراء، و المصالح الكبرى التى تفوت بذلك.

و أخذ المتوكل من أبى الوليد حين قبض على ابيه احمد بن دؤاد، قاضى القضاة يومئذ، أخذ منه مائة و عشرون الف دينار و جواهر قيمتها عشرون الف دينار. حملها الى المتوكل اختيارا. ثم صولح بعد ذلك على دفع ستة عشر مليون درهم. و أما أبوه الذى كان قاضيا للقضاة، فصادر جميع أملاكه و ضياعه<sup>١٥١</sup>.

ثم عين المتوكل لقضاء القضاة يحيى بن أكنم، و ذلك سنة ٢٣٧،<sup>١٥٢</sup> الا انه عزله عام ٢٤٠ و غرمة خمسة و سبعون الف دينار، و أربعة آلاف جريب فى البصرة.<sup>١٥٣</sup> فكم كان هذا الرجل قد حصل عليه من الاموال، خلال هذه السنوات الثلاث؟!.

<sup>١٥٠</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٤٩.

<sup>١٥١</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٨٩.

<sup>١٥٢</sup> (٢) المصدر ص ٢٣٧.

<sup>١٥٣</sup> (٣) المصدر ص ٢٩٤.

و من المستطاع القول ان مقتل المتوكل<sup>١٥٤</sup> و خلع المستعين<sup>١٥٥</sup> و المعتز<sup>١٥٦</sup> و المهتدي و قتلهم، كان بسبب اقتصادي، يعود الى اطماع الاتراك، و عجز الخليفة عن ايفاء مطالب الدولة من الناحية المالية. و لا يبقى من خلفاء سامراء من مات- في هذه الفترة- حتف أنفه، الا المنتصر<sup>١٥٧</sup> و المعتمد<sup>١٥٨</sup>.

ص: ٩٣

و من المستطاع القول، بان الحرب المستعرة التي وقعت في بغداد بين المستعين و المعتز عام ٢٥١، تعود إلى سبب اقتصادي، مرجعه إلى سوء تصرف الاتراك بالأموال بعد تسليطهم الكامل عليها. فان المستعين كان قد أطلق يد والدته و يد اتمش و شاهك الخادم في بيوت الاموال، و أباح لهم ان يفعلوا ما أرادوا؟! فكانت الاموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة. فأخذ أتمش أكثر ما في بيوت الاموال. و كان وصيف و بغا- و هما من الاتراك المتنفذين- بمعزل عن ذلك، فشغبوا عليه و قتلوه و قتلوا كاتبه و نهبوا دوره<sup>١٦٠</sup>.

ثم كان لهذين مؤامرة في قتل المستعين، فشلت و انكشفت له، فقال المستعين لهما: أنتما جعلتmani خليفة تريدون قتلي<sup>١٦١</sup>. و كان باغر التركي مشتركا معهما في المؤامرة، فتآمرا ضده و قتلاه<sup>١٦٢</sup>. و قد كان قتل باغر الشرارة الأولى التي أشعلت الحرب في بغداد، تلك الحرب التي أدت إلى قتل المستعين عام ٢٥٢<sup>١٦٣</sup>.

و قد كان لام المعتز تسببها إلى قتله. فإن الاتراك طلبوا منه المال، فلم يكن لديه ما يعطيهم، فنزلوا معه إلى خمسين الف دينار، فلم يكن يمكنه الدفع. فأرسل إلى أمه يسألها مالا ليعطيهم، فزعمت ان ليس عندها شيء، فقتله الاتراك شر قتلة<sup>١٦٤</sup>.

ص: ٩٤

و قد وجدوا عندها، بعد مقتل ابنها من الاموال ما لا يقدر بثمن.

<sup>١٥٤</sup> (٤) المصدر ص ٣٠١.

<sup>١٥٥</sup> (٥) المصدر ص ٣٣١.

<sup>١٥٦</sup> (٦) المصدر ص ٣٤١.

<sup>١٥٧</sup> (٧) المصدر ص ٣٥٥.

<sup>١٥٨</sup> (٨) المصدر ص ٣١٠.

<sup>١٥٩</sup> (٩) الكامل ص ٧٣ ج ٦.

<sup>١٦٠</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣١٣.

<sup>١٦١</sup> (٢) المصدر ص ٣١٩.

<sup>١٦٢</sup> (٣) المصدر ص ٣١٨.

<sup>١٦٣</sup> (٤) المصدر ص ٣٣٣.

<sup>١٦٤</sup> (٥) المصدر ص ٢٤١ و ما بعدها. المصدر ص ٣٤٤.

فمن النقد مليون و ثلاثمائة الف دينار. و وجدوا فى سفظ قدر مكوك زمرد لم ير الناس مثله، و فى سفظ آخر مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار. و فى سفظ آخر قدر كيلجة من الياقوت الأحمر الذى لم يوجد مثله. فحمل ذلك كله الى صالح بن وصيف، فسبها و قال:

عرضت ابنتها للقتل فى خمسين ألف دينار، و عندها هذه الاموال كلها.

التاسع: من خصائص هذا العصر، و ليست من مختصاته أيضا:

استمرار الفتح الاسلامى الذى أوجد بذرته الاولى و ركيزته العظمى و روحه الدافقة، نبى الاسلام (ص).

إلا ان النبى (ص) أعطى الفكرة الصحيحة الداعية للفتح الاسلامى، فالفتح ليس للقتل و لا الانتقام، و انما هو رحمة و شفقة على البلاد المفتوحة، و تخليصها من نير العبودية و الظلم، و تطبيق النظام الاسلامى الامثل عليها.

و إذا كان هذا هو المعنى الواعى للفتح، فانه يترتب عليه أمور:

أولاً: ان تقع المنطقة المفتوحة تحت سيطرة الدولة الاسلامية، و إشرافها من حيث الناحيتين العقائدية و السياسية، انما للدولة الجديدة عن الانحراف و اطمئنانا من حدوث شغب أو اضطراب أو انحراف عن تعاليم الاسلام.

ص: ٩٥

ثانياً: ان الفتح لا يكون الا باشراف رئيس الدولة الاسلامية، و هو النبى (ص) فى حياته، أو خليفته الشرعى العادل بعد وفاته.

فان هذا الرئيس هو المطمع على المصالح بشكل أعمق و أدق و الممسك بيده زمام السياسة العليا، و المستشعر بشكل اوضح و أوعى، المعنى العظيم للفتح الاسلامى البعيد عن المصالح الشخصية و المنافع الذاتية.

و من ثم لم تكن الفتوح الاسلامية، فى زمن النبى (ص) و الخلافة الراشدة منطلقاً إلا باذن الحاكم الاسلامى الاعلى.

ثالثاً: إن الغنائم ليس لها أهمية تذكر. فان المقصود إذا كان هو رفع الظلم عن البلد المفتوح، فهو حاصل، سواء غنم الجيش الاسلامى أو لم يغنم. و إنما تكون الغنيمة من قبيل جوائز التشجيع توزع على الجيش الاسلامى المنتصر، رفعا لمعنوياته و ترغيبا له على التكرار.

رابعاً: ان الوعى إذا كان على هذا المستوى الرفيع، كان الجيش الاسلامى هو المندفع و المنتصر دائماً و الكاسح لعروش الظلم و الفساد، عروش كسرى و قيصر.

بل أن الشعب المظلوم المتخلف، و هو يحس بظلامته، بمجرد ان يفهم ان الغزاة المسلمين ليسوا طامعين و لا ناقلين، و إنما قدموا ليطبّقوا النظام العادل و يكفلوا لمجتمعهم السعادة و الرفاه، فانهم سوف يكونون قلبيا بل عمليا مع الجيش الفاتح ضد سلطاتهم و حكامهم، و عوناً للجيش الاسلامى ضدهم. و من هنا وجب على الجيش الاسلامى

ص: ٩٦

ان يدعو إلى الاسلام و يعرض محاسنه على أهل البلاد قبل ان ينجزهم القتال.

فهذه أمور أربعة يقتضيها الجهاد الواعى الذى أسس أساسه النبى (ص). و كلها كانت ضئيلة أو منعدمة فى الفتح الجارى أثناء العصر الذى نؤرخ له.

فنحن نسمع مثلاً: ان العباس بن الفضل بن يعقوب، خرج عام ٢٣٧ إلى قلعة ابن ثور فغنم و أسر و عاد، فقتل الاسرى. و توجه إلى مدينة قصر يان، فنهب و أحرق و خرب<sup>١٦٥</sup>.

و فى سنة ٢٣٨ خرج حتى بلغ قصر يان، و معه جمع عظيم، فغنم و خرب. و أتى قطنية و سرقوسة و نوطس و رخوس، فغنم من جميع هذه البلاد و أحرق. و فى سنة ٤٢، سار العباس فى جيش كثيف، ففتح حصونا جمّة.

و فى سنة ٢٤٣ سار إلى قصر يان فخرج أهلها فلقوه و قاتلوه فهزمهم، و قتل فيهم فأكثر. و قصد سرقوسة و غيرها فنهب و خرب و أحرق.

و نزل على القصر الحديد و حصره و ضيق على من به من الروم، فبدلوا له خمسة عشر الف دينار، فلم يقبل و أطال الحصر، فسلموا إليه الحصن على شرط أن يطلق مأتى نفس، فأجابهم إلى ذلك و ملكه و باع كل من فيه سوى مأتى نفس، و هدم الحصن<sup>١٦٦</sup>.

ص: ٩٧

و نسمع انه فى عام ٢٤٦ غزا عمرو بن الله الاقطع الصائفة، فاخرج سبعة عشر الف رأس. و غزا قريباس و اخرج خمسة آلاف رأس.

و غزا الفضل بن قارن فى نحو من عشرين مركبا فافتتح حصن انطاكية.

<sup>١٦٥</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٨٩.

<sup>١٦٦</sup> (٢) كل ذلك فى الكامل ج ٥ ص ٢٨٩.

و غزا بلكاجور فغنم و سبي، و غزا على بن يحيى الارمنى، فغنم خمسة آلاف رأس و من الدواب و الرمك و الحمير نحو من عشر آلاف رأس<sup>١٦٧</sup>.

و لعل من أعظم الغنائم فى ذلك العصر ما غنمه بازمار عام ٢٧٠، بعد ان قتل من الروم- فيما يقال- سبعين الفا و عددا من قوادهم.

و غنم منهم: سبع صلبان من ذهب و فضة، و صليبهما الاعظم من ذهب مكلل بالجواهر، و أخذ خمسة عشر الف دابة و بغل، و من السروج و غير ذلك، و أربع كراسى من ذهب و مائتى كرسى من فضة و آنية كثيرة، و نحو من عشرة آلاف علم ديباج، و ديباجا كثيرا و بزبون و غير ذلك<sup>١٦٨</sup>.

و نسمع انه فى سنة ٢٤٨ أغزا المنتصر و صيفا التركى إلى بلاد الروم. و كان سبب ذلك: انه كان بينه و بين احمد بن الخصيب شحناء و تباغض، فحرّض ابن الخصيب المنتصر و اشار عليه باخراجه من عسكره للغزو<sup>١٦٩</sup>، فنفذ المنتصر ذلك و امره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو فى أوقات الغزو، إلى أن يأتيه رأيه.

ص: ٩٨

و لم يكن محور حركة الفتح الاسلامى واحدا، بل كانت محاوره متعددة، فالخلافة العباسية بقوادها الاتراك و غيرهم كانت تشارك فيه، و الدولة الاموية فى الاندلس، كانت دائمة المناوشة مع الافرنج. و كان احمد بن طولون ممن يتولى الغزو أيضا<sup>١٧٠</sup>. و دولة افريقية برئاسة محمد بن الاغلب و أسرته كانت تتولاه أيضا<sup>١٧١</sup>.

و بهذا نرى ان حوادث الفتح، مختلفة اختلافا أساسيا عن مفاهيم الفتح الاسلامى الواعى الاصيل، فالغزو اصبح للتجارة و الحصول على الغنائم، حتى ان القائد الغانم كان يساوم عليه بخمسة عشر الف دينار فلا يقبل.

و لم تكن الدعوة إلى الاسلام قبل البدء بالقتال موجودة و لا متبعه، مع ان وجوبها من واضحات الشريعة. كما ان الاسرى كانت تقتل، خلافا لتعاليم الاسلام. كما ان البلاد المفتوحة لم تكن تدخل على اثر الفتح فى مجموعة البلاد الاسلامية، بل كان القواد بمجرد ان يحصلوا على أرباحهم يتركون البلاد تنادى بالويل و الثبور، و يرجعون، من دون ان يجعلوا عليها واليا اسلاميا، أو يطلبوا من أهلها الدخول فى دين الاسلام أو دفع الجزية.

<sup>١٦٧</sup> (١) المصدر ص ٣٠٠.

<sup>١٦٨</sup> (٢) الكامل ج ٦ ص ٥٥.

<sup>١٦٩</sup> (٣) الكامل ج ٥ ص ٣٠٧.

<sup>١٧٠</sup> (١) المصدر ج ٦ ص ١٤ و ما بعدها

<sup>١٧١</sup> (٢) المصدر ج ٥ ص ٢٨٩.

كما ان الروم، و هم عبارة عن الافرنج عامة و البزنطيين خاصة؛ حين كانوا يرون ان الفكرة الاساسية للجهاد فى ذلك الحين هو النفعية، كانوا هم أيضا يقومون بنفس العمل، فيغزون البلاد الاسلامية و يقتلون

ص: ٩٩

جملة من أهلها، و يكسبون الريح التجارى و يرجعون. فهم كالمسلمين، من حيث العدة و العدد، فلما ذا يمتنعون عن ذلك؟! و ما ذا يميز المسلمين عنهم من الوعى المقدس الذى كان قد تبخر و انتفى. و من ثم نجد ان الجيش الاسلامى ليس هو الغالب دائما فى هذا العصر الذى نورخه، بل هناك انتصارت يحرزها الروم، كما سبق ان سمعنا.

كما ان الفتح كان، فى الأغلب مستقلا عن خلافة بغداد، و عن رأيها و اذنها، و انما كان القواد و حكام الاطراف يقومون به كل حسب رأيه و مصلحته. و لم نسمع أرسال الخليفة أحدا للغزو إلا فيما سمعناه من المنتصر حين أغزى و صيفا التركى، على ان هذه الحادثة الوحيدة، لم تكن فى سبيل الله، و انما كانت ايفاء للاحقاد و التباغض الذى كان بين و سيف و احمد بن الخصيب، كما سمعناه.

ص: ١٠١

### الفصل الثانى تاريخ الامام على بن محمد الهادى (ع)

كانت سامراء عاصمة الدولة العباسية فى اوج عزها و عمرانها، و كان المتوكل هو الذى تسنم كرسى الخلافة جاء به جماعة من الموالى و الاتراك عام ٢٣٢. و كان قد تسلم الخلافة حاقدا على أئمتنا (ع) و على اصحابهم، حذرا منهم كل الحذر. و هذا واضح لمن يراجع التاريخ كل الوضوح<sup>١٢</sup> بلغ فى آل ابى طالب ما لم يبلغه أحد من خلفاء بنى العباس قبله، و كان من ذلك ان كرب قبر الحسين عليه السلام و عفى آثاره.

و فكر المتوكل ان يستقدم الامام على بن محمد الهادى عليه السلام إلى سامراء من المدينة، آخذا بالاسلوب الذى اخترعه المأمون العباسى و سار عليه من بعده تجاه الامام الجواد محمد بن على عليه السلام، و من بعده من الأئمة (ع). فان المأمون حين زوج ابنته أم الفضل للامام الجواد عليه السلام، كان قد وضع الحجر الأساسى للمراقبة الشديدة و الحذر التام من الامام عليه السلام من الداخل، مضافا إلى مراقبته من الخارج. و كان هذا الزواج و تقريبه إلى البلاط، اسلوب ناجح

ص: ١٠٢

للوصل إلى هذه النتيجة التى يراد بها جعل الامام عليه السلام بين سمع الخليفة و بصره، و عزله عن قواعده الشعبية الموالية له، و كفكفة نشاطه.

<sup>١٢</sup> (١) انظر الكامل ج ٥ ص ٣٠٤ و المروج ج ٤ ص ٥١ و مقاتل الطالبين ج ٣ ص ٤٢٤.



و إذ توفى الامام الجواد عليه السلام، و تولى الامام الهادى عليه السلام الامامة بعده، لم يكن ليفوت المتوكل ضرورة تطبيق نفس هذا الاسلوب عليه، فهو يرى ان الامام حال وجوده فى المدينة، بعيدا عنه، يشكل خطرا على الدولة لا محالة، اذن فلا بد من استقدامه إلى سامرا حتى يأمن خطره و يهدأ باله، و يضعه تحت الرقابة المباشرة منفصلا عن قواعده الشعبية.

و من ثم كانت الوشاية به- و هى ناقوس الخطر- كافيها لحفز المتوكل على ضعفة حياة الامام الهادى عليه السلام، و نقله من موطنه و داره فى المدينة، إلى العاصمة سامراء، لكى يبدأ تاريخا جديدا حافلا فى موطنه الجديد.

الاتجاه العام للامام الهادى (ع):

فى استقدام المتوكل اياه:

لم يكن من المصلحة فى نظر الامام عليه السلام، اعلان الخلاف ضد المتوكل، و كذلك كانت سياسة ابيه و ابنائه عليهم السلام بالنسبة إلى الخلافة العباسية، حتى تكثرت هذه السلبية بغية الامام المهدي عليه السلام.

و لعلنا فى غنى عن اعطاء الفكرة الكاملة عن سبب هذه السلبية،

ص: ١٠٣

بعد وضوح ان ما يستهدفه الأئمة (ع) انما هو تأسيس المجتمع الاسلامى العادل الواعى الذى يطبق تعاليم الاسلام بتفاصيلها، و يتعاون افراده فى انجاح التجربة الاسلامية. و هذا انما يتوفر بعد وجود عنصرين:

اولهما: وجود الخلافة الاسلامية بالشكل الذى كان يؤمن به الأئمة عليهم السلام، و هو توليهم بانفسهم منصب الامامة و رئاسة الدولة الاسلامية، أو من يعينونه و يختارونه لذلك.

ثانيهما: وجود المجتمع الذى يملك اكثرية كبيرة أو مائة بالمائة، لو تحقق، من الافراد الواعين المتشبعين بفهم الاسلام نضا و روحا، و مستعدين للتضحية فى سبيله، و لقول الحق و لو على أنفسهم، و رفض مصالحهم الضيقة تجاهه. و الذين يبذلون- نتيجة لذلك- الطاعة المطلقة للحاكم الاسلامى الحق.

و لعلنا نستطيع ان نستوضح أهمية انضمام هذين العنصرين فى تكوين الدولة الاسلامية، اذا تصورنا تخلى بعضها عن بعض. فى صورة ما إذا تولى الامام الحق منصب الرئاسة فى مجتمع متضارب الآراء مختلف الاهواء، يعيش افراده على اللذذة الآنية و المصلحة الشخصية، بعيدين عن الاسلام و عن الاستعداد للتضحية فى سبيله باقل القليل. هل يستطيع الامام ان يقدم الخدمات الاسلامية المطلوبة، لمثل هذا المجتمع.

كلا، فان تطبيق العدل الكامل، يحتاج إلى العمل الدائب و التضحيات الكبيرة و الطاعة المطلقة للرئيس العادل، و كل ذلك مما لا يمكن توفره فى المجتمع المنحرف و غير الواعى.

ص: ١٠٤

و من ثم لم يكن الأئمة عليهم السلام، يرون المصلحة فى تولى رئاسة الدولة الاسلامية فى المجتمع المنحرف، الذى أدى بمن تولى هذا المنصب منهم إلى المتاعب المضاعفة و إلى القتل فى نهاية المطاف. و هم: جدهم الأعلى امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام، و من بعده ابنه الامام الحسن المجتبى عليه السلام، إذ لو كان المجتمع واعيا و مضحيا فى سبيل دينه فى عصرهما (ع) لكان لهما خاصة و للامة الاسلامية عامة تاريخ غير هذا التاريخ.

و لم يكن المجتمع فى خلال عصور الأئمة جميعهم بأحسن حالا من المجتمع الأول الذى قتل امير المؤمنين و خذل ابنه الحسن و قاتل ابنه الحسين عليهم السلام. ان لم يكن قد تزايد لهوه و بطره و حرصه على المصالح و اللذات، نتيجة لانكباب الخلفاء انفسهم على ذلك، فان الناس بدين ملوكهم، مع انعدام أو ضالة المد الكافى لتوعية المجتمع و ارجاعه إلى فهم دينه الحنيف.

و من ثم لم يكن لهم فى الخلافة مطمع، لانهم لم يكونوا يريدون السير على الخط (الأموى - العباسى) للخلافة، ذلك الخط المنحرف الذى يؤمن للناس اطماعهم و لذا ذاتهم و يقسم المجتمع إلى نعمة موفورة و إلى حق مضيع.

فكان الهدف الاساسى للأئمة عليهم السلام ينقسم إلى أمرين مترابطين:

أحدهما: حفظ المجتمع من التفسخ و الانهيار الكلى، أو بتعبير آخر: حفظ الثمالة المشعة من الحق، المتمثلة بهم و بمواليهم و قواعدهم

ص: ١٠٥

الشعبية. ثانيها: السعى الى تأسيس المجتمع الاسلامى الواعى، و رفع المستوى الايمانى فى نفوس افراده، تمهيدا لنيل الخلافة الحققة و تطبيق المنصب الالهى الذى يعتقدون استحقاقه.

و كانوا يعملون على تنفيذ ذلك، فى حدود الامكان الذى يناسب مع الحذر من الجهاز الحاكم و تجنب شره. إذ لم يكن من المصلحة، ان يقوم الامام عليه السلام بحركة ثورية عشوائية بجماعة قليلة تؤدى به و بجميع أصحابه إلى الاستئصال التام، و لا يتحقق شىء من ذينك الغرضين.

فهذا هو السر الاساسى للسلبية التى سار عليها الأئمة عليهم السلام تجاه السلطات الحاكمة، و هو الذى يفسر لنا - على تفصيل و تحقيق لا مجال له هنا - اعلان الامام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية.

و رفض الامام الرضا عليه السلام ولاية العهد التى عرضها عليه المأمون.

و هو السبب الذى أدى إلى الموقف السلبى للامامين العسكريين عليهما السلام اللذين نورخ لهما و هو الذى أدى - فى نهاية المطاف - إلى غيبة الامام المهدي عليه السلام، على ما سنعرف.

ص: ١٠٦

### سفره إلى سامراء:

وشى عبد الله بن محمد الذى كان يتولى الحرب و الصلاة بمدينة الرسول المنورة، بالامام الهادى عليه السلام، و كان يقصده بالاذى. فبلغ إلى الامام خير وشايتته، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه، و كذبه فيما سعى به<sup>١٧٣</sup>.

ففرى كيف ان عبد الله بن محمد يمثل الخط العام للدولة، فى الفرع من نشاط الامام و تصرفاته، و كيف وصل به الحال إلى ان يرسل إلى المتوكل بخبره، باعتباره حريصا على مصالح الدولة، و منتبها على مواطن الخطر؟! و لعله التفت إلى بعض النشاطات المهمة التى كان يقوم بها الامام بعيدا عن السلطات، فاجس منها خيفة حدثت به إلى هذه الوشاية.

الا ان المتوكل كان يعلم بكل وضوح، عدم امكان الحصول على أى مستند ضد الامام عليه السلام، فان للاتمة عليهم السلام، كما سبق ان قلنا اساليبا من الرمزية و الاخفاء يمكنهم خلالها القيام بجملته من جلائل

ص: ١٠٧

الأعمال. لعل أهم دلائل الاخفاء، هو تصديه إلى تكذيب الخبر برسالة يرسلها إلى المتوكل نفسه، يكذب فيها التهمة، و ينفى عن نفسه صفة التأمير على الدولة. فان نشاطه كان مقتصرًا فى الدفاع عن قواعد الشعبية و تدبير أمورهم، و ليس له ضد الدولة أى عمل، و ان كان قد أوجب عمله توهم عبد الله بن محمد لذلك.

و المتوكل هو من عرفناه بموقفه المتزمت ضد الامام عليه السلام و كل من يمت إليه بنسب أو عقيدة. و لكنه يتلقى رسالة الامام (ع) بصدر رحب، و يرسل له رسالة مفصلة كلها اجلال له و اعظام لمحله و منزلته.

يعترف بها ببراءته و صدق نيته و يوعز بعزل عبد الله بن محمد عن منصبه بالمدينة، و يدعى الاشتياق إليه و يدعوه ان يشخص إلى سامراء مع من اختار من أهل بيته و مواليه<sup>١٧٤</sup>.

و هذا الطلب، و ان صاغه المتوكل بصيغة الرجاء، الا انه هو الالزام بعينه، فان الامام عليه السلام ان لم يذهب حيث امره يكون قد اثبت تلك التهمة على نفسه و اعلن العصيان على الخلافة، و كلاهما مما لا تقتضيه سياسة الامام (ع).

و اما عام سفره هذا، فقد ذكر فى الارشاد<sup>١٧٥</sup>: ان الرسالة مؤرخة بجمادى الآخرة سنة ثلاث و اربعين و مأتين. و ليس فى هذا ما يلفت النظر لو لا ما ذكره ابن شهر اشوب من ان مدة مقام الامام

<sup>١٧٣</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣١٣.

<sup>١٧٤</sup> (١) انظر نص الرسالة فى الارشاد. الصفحة السابقة و ما بعدها.

<sup>١٧٥</sup> (٢) انظر ص ٣١٤.

ص: ١٠٨

الهادى عليه السلام فى سامراء من حين دخوله إلى وفاته، عشرون سنة<sup>١٧٦</sup>. واذ نعرف انه عليه السلام توفى عام ١٧٢٥٤، تكون سفرته هذه قبل عشرين عاما من هذا التاريخ أى سنة ٢٣٤. وهذا انسب بالاعتبار السياسى، باعتبار كونه بعد مجيء المتوكل إلى الخلافة بعامين، فيكون المتوكل قد طبق منهجه فى الرقابة على الامام فى الاعوام الأولى من خلافته بخلافه على الرواية الثانية، التى تبعد بالتاريخ عن استخلاف المتوكل أحد عشر عاما. والله العالم بحقائق الأمور.

اعطى المتوكل رسالته إلى احد صنائعه، يحيى بن هرثمة، ليسامها إلى الامام فى المدينة، و امره باستقدمه إلى سامراء. فأسمعه يقول فى روايته للحادثة<sup>١٧٨</sup>: فلما صرت إليها- يعنى المدينة المنورة- ضج أهلها و عجوا ضجيجا و عجيجا ما سمعت مثله. فجعلت اسكنهم و احلف لهم انى لم أوامر فيه بمكروه؛ و فتشت بيته، فلم أجد فيه إلا مصحفا و دعاء و ما أشبه ذلك.

فنعرف من ذلك، مدى اخلاص اهل المدينة لامامهم عليه السلام، و حرصهم عليه، و مدى تأثيره الحسن فيهم، و لم يكن هذا الضجيج الكبير منهم، إلا لمعرفةهم بوضوح سوء نية السلطات تجاه الامام

ص: ١٠٩

و ابتغائها الدوائر ضده. فكان تأسفهم و تأوهم ناشئا من امرين:

احدهما: انقطاعهم عن الامام عليه السلام، و حرمانهم من ارشاداته و الطافه و نشاطه الاسلامى البناء. و هذا ما اراده المتوكل، و قد حصل بالفعل بسفر الامام، فانه لم يعد إلى المدينة بعد ذلك.

الثانى: مخافتهم على حياته، لاحتمال قتله عند وصوله إلى العاصمة العباسية. و هذا هو الذى فهمه يحيى بن هرثمة من الضجيج - و حاول ان لا يفهم غيره- فحلف لهم انه لم يؤمر فيه بمكروه.

و لم يثن الضجيج هذا الرجل عن غرضه السياسى فى التجسس ففتش دار الامام، بالمقدار الذى حلاله، فلم يجد فيه أى وثيقة تدل على التمرد أو الخروج على النظام العباسى. و بذلك يكون المتوكل قد فقد أى مستمسك يؤيد ما سمعه عنه أو خافه منه. و استطاع الامام عليه السلام ان يحافظ على مسلكه العام فى السلبية.

<sup>١٧٦</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٠٥.

<sup>١٧٧</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٠٧ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ و ابن خلكان ص ٤٣٥ ج ٢ و الطبرى ج ١١ ص ١٥٧ و العبر ج ٢ ص ٥ و ابو الفداء ج ص ٢٥٤

<sup>١٧٨</sup> (٣) انظر المروج ج ٤ ص ٨٤ و ما بعدها

و خرج الامام الهادى عليه السلام، مصاحبا لولده الامام العسكرى و هو صبى، مع ابن هرثمة متوجها إلى سامراء. و حاول ابن هرثمة فى الطريق اكرام الامام و احسان عشرته. و كان يرى منه الكرامات و الحجج التى تدل على توليه طرق الحق، و توضح لهذا الرجل جريمته فى ازعاج الامام و زعزعتة و التجسس عليه، و جريمة من امره بذلك أيضا.

و يمر الركب ببغداد- فى طريقه إلى سامراء- فيقابل ابن هرثمة

ص: ١١٠

و إليها- بعد انتقال الخلافة عنها- و هو يومئذ اسحاق بن ابراهيم الطاهرى. و هو؛ بمقتضى منصبه، محل الثقة الكبرى من قبل المتوكل، بحيث جعله واليا على عاصمته الثانية و قائما مقامه فيها. فنرى اسحاقا الطاهرى يوصى بن هرثمة بالامام مستوثقا من حياته قائلا له: يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه و سلم، و المتوكل من تعلم و ان حرصته على قتله، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم خصمك.

فيجيبه يحيى: و الله ما وقفت له الا على كل امر جميل<sup>١٧٩</sup>.

و نحن حين نسمع هذا الحوار بين هذين الرجلين اللذين يمثلان السلطات نفسها و يعيشان على موائدها، نعرف كم وصل الحقد و التمرد على النظام القائم يومئذ، و كيف أنه تجاوز القواعد الشعبية إلى الطبقة العليا الخاصة من الحكام، مواضع ثقة الخليفة و منفذى اوامره. كما نعرف مدى اتساع الذكر الحسن و الصدى الجميل لافعال الامام و أقواله بين جميع الطبقات، حتى بين الحكام انفسهم.

و حين يصل الركب إلى سامراء، يبدأ ابن هرثمة بمقابلة و صيف التركى، و قد عرفناه قائدا من القواد الاتراك المنتفعين بالوضع القائم، ممن كان يشارك فى تنصيب الخليفة و عزله و مناقشته فى اعماله و يظهر من التاريخ ان وصيفا كان هو الأمر رسميا على ابن هرثمة، و من هنا قال له وصيف: و الله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة، لا يكون المطالب بها غيرى.

ص: ١١١

يقول ابن هرثمة: فعجبت من قولهما، و عرفت المتوكل ما وقفت عليه و ما سمعته من الثناء عليه، فاحسن جائزته و اظهر برّه و تكرمته<sup>١٨٠</sup>. و قد عرفنا مما سبق ان كل هذا الكرم الحاتمى، على الامام عليه السلام، لم يكن من أجل حفظ حق الامام، و انما كان تغطية للمنهج السياسى الذى يريد المتوكل اتباعه، و هو عزل الامام عن نشاطه و قواعده الشعبية و الحذر مما قد يصدر منه من قول أو فعل.

<sup>١٧٩</sup> (١) مروج الذهب ج ٤ ص ٨٥.

<sup>١٨٠</sup> (١) المصدر و الصفحة

و من هنا نرى، ان المتوكل أمر ان يحجب عنه الامام<sup>١٨١</sup> فى يوم وروده الأول إلى العاصمة العباسية. و نزل الامام فى مكان متواضع يدعى بخان الصعاليك، فقام فيه يومه<sup>١٨٢</sup>.

و مر عليه، و هو فى هذا الخان احد محبيه مقدرى فضله، صالح بن سعيد، فاحزنه حال الامام عليه السلام، فقال له: جعلت فداك، فى كل الامور ارادوا اطفاء نورك و التقصير بك حتى انزلوك فى هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك.

و يسمع الامام (ع) ما قال، فيجيب و كأنه قد التفت بعد استغراق تفكير و انشغال بال: ها هنا أنت يا ابن سعيد.

ثم يريد الامام (ع) ان يفهم هذا المشفق بان الحال الدنيوية، و ان

ص: ١١٢

كانت قد وصلت به نتيجة للظلم و العذر إلى هذا الحد المنحدر، إلا ان ذلك مما يرفعه قدرا و يزيده جهادا، و يضيف إلى فضائله فضيلة، فهو لم يخسر شيئا و انما الامة الاسلامية هى التى خسرتها. و انه يعيش على الأنوار الروحية و اللذات العلمية و النفحات القدسية، فكأنه فى روض الجنان. فيومئ الامام بيده، و يقول: انظر. قال ابن سعيد:

فنظرت فاذا بروضات آفات و انهار جاريات و جنات فيها خيرات عطرات و ولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصرى و كثر تعجبى.

فقال لى، حيث كنا: فهذا لنا يا ابن سعيد، لسنا فى خان الصعاليك<sup>١٨٣</sup>.

ص: ١١٣

### نشاطه السياسى فى المدينة:

إذا أردنا ان نلتفت إلى اعمال الامام عليه السلام و نوع نشاطه الاجتماعى و السياسى، فى المدينة المنورة، قبل وروده إلى سامراء، تواجهنا أمور ثلاثة:

احدها: موقفه العام الذى اوجب اثاره و إليها عبد الله بن محمد ضده و ايصاله الاذى إليه، و اوجب السعاية به إلى المتوكل، ذلك الموقف الذى علمنا اطاره العام، و استطاع الامام و اضطر التاريخ إلى اخفاء تفاصيله.

<sup>١٨١</sup> (٢) الارشاد ص ٣١٤.

<sup>١٨٢</sup> (٣) اعلام الورى ص ٣٤٨ و انظر الارشاد أيضا نفس الصفحة السابقة.

<sup>١٨٣</sup> (١) الارشاد ص ٣١٤ و اعلام الروى ص ٣٤٨.

ثانيها: موقفه من بغا الكبير حين ورد على رأس جيش إلى المدينة لمنازلة الاعراب المخربين، و سيأتى التعرض له فيما بعد.

ثالثها: رواية تضمنت بعض تعليقات الامام عليه السلام على بعض الحوادث السياسية الجارية فى ذلك الحين، و هو عام ٢٣٢ أى قبل ذهابه إلى سامراء بعامين بالتاريخ الذى رجحناه.

و ذلك: فى آخر خلافة الواصل و آخر وزارة محمد بن عبد الملك الزيات وزيره، حيث عذبه المتوكل بعد توليه كرسى الخلافة - بعد

ص: ١١٤

الواصل - اشد العذاب حتى مات تحت التعذيب<sup>١٨٤</sup>. فقد سأل الامام عليه السلام أحد القادمين إلى المدينة من العاصمة سامراء، يدعى بخيران الساباطى، سألته عن خبر الواصل. قال: فقلت: جعلت فداك، خلفته فى عافية، انا من اقرب الناس عهدا به. عهدى به منذ عشرة أيام، فقال لى: أهل المدينة يقولون إنه مات، فقلت: أنا أقرب الناس به عهدا، قال فقال لى: ان الناس يقولون انه مات. فلما قال لى: ان الناس يقولون، علمت انه يعنى نفسه.

ثم قال عليه السلام: ما حال جعفر، يعنى المتوكل. قلت:

تركته أسوأ الناس حالا، فى السجن، قال: فقال لى: اما انه صاحب الأمر. و إلى هنا نرى الامام (ع) قد تنبأ بموت خليفة و قيام آخر، بالرغم من ان وجود المتوكل فى السجن دال على بعد توليه الخلافة لا محالة.

ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟ قلت: الناس معه الامر امره.

فقال: اما أنه شؤم عليه. يشير إلى موته تحت التعذيب بيد الخليفة الجديد، جعفر المتوكل.

ثم اراد الامام عليه السلام، ان يربط هذه الحوادث بقدرة الله و علمه، فقال للراوى: لا بد ان تجرى مقادير الله و احكامه. يا خير ان مات الواصل و قعد جعفر المتوكل، و قد قتل ابن الزيات. فيسأله الراوى: متى جعلت فداك. فقال بعد خروجك بستة أيام<sup>١٨٥</sup>.

ص: ١١٥

و هنا لا بد ان نلاحظ امرين:

<sup>١٨٤</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٨٠.

<sup>١٨٥</sup> (٢) الارشاد ص ٣٠٩ و انظر الفصول المهمة ص ٢٩٦ و اعلام الورى ص ٣٤١ و نور الابصار ص ١٦٥.

احدهما: ان الامام قد صرح بهذه الحقائق، حين الامن من التصريح، بزوال اصحابها عن الحكم. أما المتوكل الذى تولى الحكم، فليس فى كلام الامام ما يشعر بالطعن فيه، لكى نعتبره نقدا سياسيا خارجا عن الاسلوب العام للسلبية.

ثانيهما: ان الامام صرح بذلك بعد أربعة ايام من وقوعه، و هى مدة لم تكن فى تلك العصور كافية لتلقى الاخبار عادة. ولذا كان الراوى متأكدا من انه اقرب الناس عهدا بالوضع السياسى. فمن هنا يرجح ان يكون الامام قد اطلع على ذلك بنحو غيبى، فى زمان لم تكن الوسائل الحديثة بمتحققة فى الوجود.

ص: ١١٦

### سلبية الامام تجاه الأحداث:

و قد عاصر الامام الهادى (ع) فى سامراء بقية أيام المتوكل، و هى حوالى اربعة عشر سنة، إلى ان قتله الأتراك عام ٢٤٧، ثم أيام المنتصر ثم المستعين ثم قسما من خلافة المعتز، حيث توفى الامام (ع) عام ٢٥٤، و اما المعتز فقد خلعه الأتراك عام ٢٥٥ كما عرفنا.

و قد تتابعت فى خلال هذه الأعوام من الحوادث ما لا يحصى، مما عرفناه فيما سبق و مما لم نعرفه. و لعل أهم ما عرفناه هو حصار بغداد و القتال الذى وقع فيها بين المستعين و المعتز. و الذى ادى إلى تولى الأخير كرسى الخلافة، و خلع الأول نفسه عام ٢٥٢.

كما ان هناك نشاط الخوارج الذى كان يومئذ قويا فعلا مدعما بالمال و السلاح، بقيادة مساور الشارى. و هناك الثورات و الانتفاضات العلوية و غيرها، و هناك الفتوح و الحروب الاسلامية على الحدود، فى الاندلس و سمبساط و غيرها. و حروب فى داخل الدولة بين مختلف الطامعين فى القيادة و الظهور، و هناك تغير الوزارات و القضاة و هناك الحالة الاقتصادية، بما فيها مشاكل و تبذيرات البلاط و الوزراء

ص: ١١٧

و الحاشية. و هناك موقف المتوكل من العلويين و هدمه لقبر الحسين عليه السلام، إلى غير ذلك من الحوادث مما لا يكاد يحصى.

و لم يرد إلينا تجاه ذلك، أى تعليق من قبل الامام الهادى (ع) على أى واحد من هذه الحوادث، مهما عظمت اهميته، بل يمكن ان يقال بشكل تقريبي انه لم يرد إلينا من موقف الامام (ع) مع الخلفاء - غير المتوكل - إلا أقل القليل.

و قد عرفنا فيما سبق الأسباب التفصيلية التى حدت بالامام إلى اتخاذ موقف السلبية تجاه الاحداث. على اننا يمكن أن نضيف إلى تلك العوامل ما يلي:

اما بالنسبة إلى علاقة الامام بالخلفاء، فنتحكم فيها العوامل الثلاثة الآتية:



العامل الأول: ما عرفناه من ضعف مركز الخلافة و سقوط هيبتها عن أعين الناس، و خروج الأمر من يد الخليفة إلى زمرة من القواد الأتراك و الموالى البعيدين كل البعد عن الاسلام و ذكر الله تعالى. حتى استطاعوا ان يعزلوا الخليفة و ينصبوا الآخر، بما فيهم المتوكل نفسه، و ان استطاع ان يفك نفسه من هذا الأسر إلى حد ما فيقوم ببعض النشاط الاجتماعي و يبقى في الملك مدة كافية.

اما غير المتوكل من الخلفاء، ممن وردوا إلى الحكم بعده، فقد ازاد تقوقعه على نفسه و بطره و انصرافه عن شؤون الناس، إلى اللهو

ص: ١١٨

و اللعب، فلم يكن لديهم الادراك الكافي للمسائل الاجتماعية حتى ينظروا إلى الامام عليه السلام، أو يكونوا معه علاقة خاصة و اتجاها معيناً، سوى الاتجاه العام الذى رسمه اسلافهم.

الأمر الثانى: ما عرفناه من ان المتوكل كان من متطرفى بنى العباس، فى عداوة أهل البيت عليهم السلام و مواليهم. و فعل فى ذلك ما لم يفعله غيره. و كان من آثار ذلك جلبه الامام الهادى (ع) إلى سامراء لزيادة مراقبته و الحجر عليه، و معرفة جميع مستويات أعماله، و هو مما يعكس حذراً و توجساً فى أعمال الامام (ع) لا محالة، مضافاً إلى ما قد يريده الامام بسلبيته، من اعلان الاحتجاج الصامت على تلك الأعمال النكراء.

على حين ان ابنه المنتصر حين تولى الخلافة بعد ابيه، ألان مسلكه مع أهل البيت و اظهر الميل إليهم؛ فكان ان خف الضغط على الامام (ع) و أصحابه و مواليه، إلا ما كان من اتجاه الخط العام الضرورى لحفظ أساس الدولة العباسية، و كان نتيجة لذلك أقل خوفاً من غيره، من انتفاض العلويين عليه.

الأمر الثالث: ان المتوكل كان يشعر بمسئولية خاصة تجاه الامام عليه السلام، باعتبار ما جعجع به من بلده و اقلق حياته الخاصة و العامة. و لم يكن هذا الشعور بالمسئولية ليؤثر فى مثل حقد المتوكل، باكرام الامام حقيقة، و الا فقد كان الخلق به ان يطلق له حرته، و هو ما لا يريده المتوكل أن يكون، و انما الشئ الذى انتجه هذا

ص: ١١٩

الشعور بالمسئولية أو تحسس الاثم، هو ان الامام اصبح مركز انتباه المتوكل و محور نشاطه، فكان يجلسه فى مجالسه و يركبه فى مراكبه على ما يأتى توخياً إلى الامن منه و كفكفة نشاطه.

و اما بالنسبة إلى عدم تعليق الامام عليه السلام على كثير من الأحداث، الداخلية و الخارجية، فلو غضضنا النظر عن العوامل التى ذكرناها فى المقدمة، و قلنا ان عدم الوجدان يدل على عدم الوجود- و هذا ما ننكره جزماً باعتبار ظروف النقل التاريخى التى عرفناها- فمن الممكن القول: ان هذه السلبية كانت نتيجة طبيعية، لانزاله التام عن الشؤون السياسية:

فاننا نعلم، من النظر فى احوال زماننا و كل زمن، ان من يعلن عن آرائه السياسية، هو أحد شخصين أو جهتين:

أحدهما: الشخص أو الجهة التي تمارس الحكم فعلا، فهي مسئولة- لكي توضح موقفها من الأحداث- ان تعلن عن رأيها السياسي فيها، حتى يكون هو الميزان أمام الناس و التاريخ، في تقييم هذا الحكم، و لكي تعطى المبررات المنطقية لاجل نشاط معين في مصلحة أو ضد أمر سياسي أو اجتماعي معين.

ثانيهما: الشخص أو الجهة التي تطمع بتولى الحكم في يوم من الايام و لا يكون محجورا عليها أو محددا سلوكها، من جهة قاهرة. فهي تعلن أمام الملأ آراءها السياسية و مبادئها الاجتماعية، لكي تحاول اقناع

ص: ١٢٠

الجمهور بها، فتجتلب بذلك المؤيدين و المناصرين، ليكونوا عوناً لها في معركتها السياسية التي تنشدها.

أما الذي لا يكون متصفاً باحد هذين الصفتين، مهما كان فرداً عظيماً و وجيهاً، أو ذو جهة نافذة قوية على الصعيد السياسي، فليس من الضروري أو المتوقع أن يعلن عن آرائه السياسية.

و الامام لم يكن يمارس الحكم، كما هو معلوم، و لم يكن ممن يطمع بالحكم في ذلك العصر المنحرف غير الواعي، كما قلنا. على انه لو كان مريداً ذلك في ضميره، فقد كان مراقباً محجوراً، تعد عليه أفعاله و أقواله. و معه لا أمل له في الحكم عادة. اذن فقد كان الامام عليه السلام من الناحية السياسية، فرداً عادياً من الامة، و انه اراد ذلك لنفسه، بحسب ما رآه من المصلحة، بالرغم من انه من الناحية الدينية الامام و القائد و المثل الأعلى لمحبيه و مواليه.

و لم يكن له عليه السلام، من امره يومئذ إلا الفتوى و الجواب على السؤال الذي يتلقاه، لو وجد مصلحة في الاجابة. و من الواضح ان شخصا من صانعي الأحداث في ذلك العصر لم يسأله عن عمل من أعماله، ليأخذ بمشورته و رأيه. فلا يبقى لدينا إلا احتمال ان أصحابه كان لهم الوعي الواسع، و كانوا يسألون أمامهم عن آرائه السياسية، و كان يجد مصلحة في جوابهم، فيجيبهم. و هذا الاحتمال و ان كان له ما يبعده،

ص: ١٢١

الا ان حدوث مثل ذلك، في ذلك الظرف العصيب، لم يكن ليصل إلينا أكثر مما وصل منه فعلا.

مضافاً، إلى ان جملة من الأحداث، كان في مستطاع أصحاب الامام عليه السلام و اعدائه، كما في مستطاع المؤرخ اليوم، استنتاج رأيه فيها، بصفته الوجود الممتد لرسول الله (ص) و الممثل للقواعد الاسلامية الصحيحة. فنحن لا نحتاج إلى مزيد تفكير حين نريد معرفة رأيه باشخاص الخلفاء أو سلوكهم المنحرف أو الوزراء أو القواد، و نشاطهم غير القائم على أساس العدل الاسلامي، أو رأيه في الخوارج أو في هدم قبر جده الحسين عليه السلام و منع الزوار عنه. فان كل ذلك مما يرفضه رفضاً باتاً و يستنكره أشد الاستنكار. و كذلك الحروب و المناوشات التي كانت تقع في داخل البلاد الاسلامية، قائمة على الطمع و التوسع. و كذلك تنصيب القضاة غير الاكفاء بنظر الامام (ع) و جميع ما يصدر من أحكام.

اما بالنسبة إلى حروب المسلمين مع الاغيار فى الحدود الاسلامية، فمن المستطاع القول بموافقته عليها، باعتبارها القضية التى تخص الاسلام، الذى يمثل الامام حقيقته و جوهره. و لو كان الجهاد فى ذلك الزمان فى سبيل الله محضا- كما كان على عهد رسول الله (ص)- لكان الامام أول المبادرين إلى تأييده، و لكننا اسلفنا فى التاريخ العام ان فكرة الجهاد انحدرت فى الازمان المتأخرة إلى التجارة و المساومة، فلم

ص: ١٢٢

تكن هذه الناحية، من الجهاد، بمرضية للامام عليه السلام، و بخاصة و ان الأموال المغتنمة، لم تكن تصرف فى مصلحة الدين و الامة، و انما كانت: فى الأغلب، تصرف فى الشؤون الخاصة للحكام.

و انما الذى يكون مرضيا للامام عليه السلام، هو نتيجة الجهاد و هو سقوط المنطقة الكافرة بيد المسلمين، و دخولها فى بلاد الاسلام و خلاصها من حكم الكفر أو الالحاد.

ص: ١٢٣

#### الخطوط العامة لمواقف الامام (ع):

كان الامام الهادى عليه السلام فى سامراء يمارس وظيفته الاعتيادية بصفته الامام و القائد لمواليه و المشرف على مصالحهم و المدافع عن عن قضاياهم بمقدار الامكان، فى تلك الحدود الضيقة التى تحدد بحدود الضغط و الرقابة الموجهة إليه و إلى مواليه.

فكان له فى ذلك موقفان:

الموقف الأول: اثبات الحق أو نقد الباطل، بحسب وجهة نظره، تجاه الناس من غير الموالين له؛ سواء على المستوى العالى فى الجهاز الحاكم، أو على مستوى القواعد الشعبية العامة.

الموقف الثانى: المحافظة التامة على أصحابه و رعاية مصالحهم و تحذيرهم من الوقوع فى الشرك العباسى، و مساعدتهم فى اخفاء نشاطهم، و ما إلى ذلك، بحسب الامكان.

و لعلنا نستطيع ان نتكلم فى كل موقف من هذين الموقفين، بما يوضح الفكرة و يبسط الامثلة التاريخية، و يؤسس الاساس لما نريد التوصل إليه فى نهاية المطاف، من دون ان نكون مضطرين إلى ذكر

ص: ١٢٤

كل شاردة و واردة فى ترجمته عليه السلام.

#### الموقف الأول:

نشاطه (ع) تجاه من لا يعتقد بامامته:

و يتجلى هذا الموقف فى عدة نقاط:

النقطة الأولى: النقد السياسى على المستوى الاعلى و هو ما يعبر عنه بلغة الفقه، انها كلمة حق أمام سلطان جائر.

و لعل أول و أوضح ما يندرج فى هذا الصدد، ما ذكره جماعة من المؤرخين العامة و الخاصة، من انه سعى به (ع) إلى المتوكل، و قيل ان فى منزله سلاحا و كتبا، و غيرها من شيعته و اوهموه انه يطلب الأمر لنفسه فوجه إليه عدة من الاتراك ليلا، فهجموا على منزله على غفلة، فوجدوه وحده فى بيت مغلق و عليه مدرعة من شعر، و على رأسه ملحفة من صوف، و هو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن فى الوعد و الوعيد، ليس بينه و بين الأرض بساط إلا الرمل و الحصى، فأخذ على الصورة التى وجد عليها، و حمل إلى المتوكل فى جوف الليل.

فمثل بين يديه و المتوكل يستعمل الشراب و فى يده كأس، فلما رآه أعظمه و أجلسه إلى جانبه، و لم يكن فى منزله شىء مما قيل عنه و لا حجة يتعلل بها.

فناوله المتوكل الكاس الذى فى يده. فقال: يا أمير المؤمنين ما

ص: ١٢٥

خامر لحمى و دمي قط، فاعفنى، فاعفاه. و قال: انشدنى شعرا استحسنته. فقال: انى لقليل الرواية للشعر. قال: لا بد ان تشدنى شيئا. فأنشده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم	غلب الرجال فما اغنتهم القلل
و استنزلوا بعد عز من معاقلمهم	فاودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	أين الاسرة و التيجان و الحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة	من دونها تضرب الاستار و الكلل
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم:	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا و ما شربوا	فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

قال: فاشفق من حضر على على (ع) و ظن ان بادرة تبدر إليه فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته، و بكى من حضره ثم امر برفع الشراب. ثم قال: يا ابا الحسن، أ عليك دين؟! قال:

نعم، أربعة آلاف دينار. فامر بدفعها إليه، و رده إلى منزله مكرماً<sup>١٨٦</sup>.

و لعلنا نستطيع أن نفهم من هذه القصة، عدة امور:

الاول: مقدار الجو المكهرب الذى كان يعيشه الامام (ع) تجاه

ص: ١٢٤

السلطات، و كيفية معاملتهم معه، تلك المعاملة التى كان للاتراك اليد الكبرى فى ارتكابها و تحمل جريرتها.

الثانى: ان الامام هو الذى أراد عن علم و عمد ان يكون فى جوف الليل، على الحالة التى رأوه عندها. فقد علم بنحو غيبى أو بطريق خاص، بمثل هذا الهجوم المفاجئ. فاخفى مستنداته بنحو تام و بدأ بقراءة آيات فى الوعد و الوعيد، مما يكون حجة على هؤلاء الأتراك المهاجمين. و ان تخيل الحكام و المؤرخون أيضاً ان القيام بهذه العملية كان على حين غرة منه و غفلة.

الثالث: ان الامام اعطى لهذا المقام مقاله، بالنحو الذى لا يكون مهددا مباشرة للكيان القائم، مع كونه واقعا موقع التأثير البالغ، لكونه تذكيرا بالموت و العقاب فى وقت التلبس بعصيان أوامر الله تعالى.

و كان له من الشمول لكل موقف سياسى أو شخص منحرف، ما يكفى لمتعظ.

الرابع: ان المتوكل كان فى لا شعوره و فى مرحلة غامضة من بواطن نفسه، يعترف بامرین أولهما: ان الحق فى جانب الامام، و ان قضيته عادلة، ثانيهما: ان ما يقترفه من الأعمال، انحراف عن الاسلام و عصيان لأوامر الله المتفق على ثبوتها بين المسلمين، فهو يحس بوقع الجريمة و وخز الضمير. إلا ان كلا من هذين الاحساسين تغطيتها اغشية المال و الملك و المصالح الشخصية، الذى جعلته فى قمة المنحرفين و المعادين لأهل البيت.

ص: ١٢٧

و على أى حال فقد استطاع الامام أن يمس بانشاده بواطن احساسه، فابكاه و نجا من الشر و الضرر الذى كان يحاوله ضده، بل زاد المتوكل على ذلك باعطائه المال و صرفه إلى منزله معززا مكرماً.

و من مثل هذا الموقف ما كان من الامام (ع) مع أحمد بن الخصيب، و من هو ابن الخصيب؟! هو الذى استوزره المنتصر و ندم على ذلك<sup>١٨٧</sup> و ذلك لأن ابن الخصيب كان ضيق الصدر بطيئاً فى حوائج الناس ظالماً، و من ذلك انه ركب ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصة، فاخرج رجله من الركاب فرج بها فى صدر المتكلم فقتله فتحدث الناس فى ذلك.

<sup>١٨٦</sup> (١) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٣٤. و ابو الفداء ج ١ ص ٤٧ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ و المسعودى فى المروج ج ٤ ص ٩١.

<sup>١٨٧</sup> (١) المروج ج ٤ ص ٤٨.

فقال بعض الشعراء فى اثر ذلك:

قل للخليفة يا ابن عم محمد

اشكل وزيرك انه ركال

اشكله عن ركل الرجال فان ترد

مالا فعند وزيرك الأموال<sup>١٨٨</sup>

و قد شارك جماعة الأتراك فى تنصيب المستعين بعد المنتصر<sup>١٨٩</sup>، و لكن المستعين نفاه عام ٢٤٨ إلى اقريطش (اليونان)<sup>١٩٠</sup>.

ورد ان الامام عليه السلام كان يساير احمد بن الخصيب هذا؛ فى

ص:١٢٨

اثناء وزارته، و قد قصر ابو الحسن عنه، فقال له ابن الخصيب: سر جعلت فداك. فقال له ابو الحسن (ع): أنت المقدم. يقول الراوى:

فما لبثنا إلا أربعة ايام حتى وضع الدهق على ساق ابن الخصيب، و قتل<sup>١٩١</sup>.

فهذا من النقد الضمنى، و القاء الحجّة، على هذا الوزير المنحرف، من حيث لا يعلم، و لكن الامام (ع) قال له قولاً صريحاً، نتيجة لاعتدائه عليه و الحاحه فى الانتقال من الدار التى قد نزلها و تسليمها إليه. قال الراوى: فبعث إليه أبو الحسن: لا قعدن بك من الله مقعداً لا تبقى لك معه باقية، فأخذه الله فى تلك الأيام. و هذه هى دعوة المظلوم المستجابة، و خاصة فى مثل شأن هذا الامام الممتحن (ع).

و من موارد اثبات الحجّة على المستوى الحكومى العالى، ما ورد بشكل مشهور عن زرافة حاجب المتوكل، ما حاصله: ان مشعوذاً هندياً أراد ان يأنس المتوكل بلعبه. و كان الامام (ع) حاضراً فى المجلس فأراد الهنذى أن يخجله ببعض شعواته، و وجد من المتوكل رغبة فى ذلك. فما كان من الامام إلا ان اشار إلى صورة أسد مرسومة على احدى الوسائد فوثبت الصورة على شكل أسد حقيقى فافترس الهنذى المشعوذ و عاد إلى شكله الأول على الوسادة.

قال الراوى: فتحير الحاضرون، و نهض على بن محمد (ع) فقال

ص:١٢٩

<sup>١٨٨</sup> (٢) المصدر و الصفحة.

<sup>١٨٩</sup> (٣) الكامل ج ٥ ص ٣١١ و المروج ج ٤ ص ٤٨.

<sup>١٩٠</sup> (٤) الكامل ص ٣١٢. المروج ج ٤ ص ٤١.

<sup>١٩١</sup> (١) الارشاد ص ٣١١. و المناقب ص ٥١١ ج ٣.

له المتوكل: سألتك بالله الا جلست و رددته. فقال: و الله لا يرى بعدها أ تسلط أعداء الله على اوليائه، و خرج من عنده. و لم ير الرجل بعدها<sup>١٩٢</sup>.

### النقطة الثانية - اثبات الحجّة على المستوى الشعبي العام:

و ذلك: بالنحو الذى لا ينافى السلبية و الحذر، من السلطة القائمة.

و ذلك: على أحد مستويين - احدهما: المستوى الشخصى و الآخر:

المستوى الجماعى.

المستوى الأول: اثبات الحق و اقامة الحجّة تجاه أشخاص باعيانهم.

مثل موقف الامام تجاه ذلك النصرانى الذى جاء دار الامام حاملا إليه بعض الأموال. و بمجرد ان وصل أمام الدار خرج إليه خادم أسود. فقال له: أنت يوسف بن يعقوب. قال: نعم. قال: فانزل.

و اقعده فى الدهليز، فتعجب النصرانى من معرفته لاسمه و اسم ابيه، و ليس فى البلد من يعرفه، و لا دخله قط، ثم خرج الخادم فقال: المائة دينار التى فى كمك فى الكاغذ، هاتها. فناولها اياه. و جاء فقال: ادخل، فدخل؛ و كان الامام وحده. فطالبه الامام (ع) بالاسلام و الرجوع إلى الحق نتيجة للآيات التى رآها بقوله يا يوسف. ما آن لك؟! فقال يوسف: يا مولاي، قد بان لى من البرهان ما فيه كفاية لمن اكتفى.

فقال: هيهات انك لا تسلم. و لكنه سيسلم ولدك فلان، و هو من

ص: ١٣٠

شيعتنا. يا يوسف ان اقواما يزعمون ان ولايتنا لا تنفع أمثالك.

كذبوا و الله، انها لتنفع. امض فيما وافيت له، فانك سترى ما تحب.

قال الراوى: فمضيت إلى باب المتوكل فنلت كل ما أردت و انصرفت<sup>١٩٣</sup>.

<sup>١٩٢</sup> (١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٨٤.

<sup>١٩٣</sup> (١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٨٣.

و على هذا المستوى موقف الامام (ع) تجاه سعيد بن سهل البصرى المعروف بالملاح، الذى كان واقفيا، فقال له الامام (ع)، إلى كم هذه التومة أما أن لك تنتبه منها. قال: فقدح فى قلبى شيئا و غشى على و تبعت الحق<sup>١٩٤</sup>.

انظر إلى هذه الرمزية التى استعملها الامام (ع) فى كلامه، بحيث لم يكن يصلح لفهمه إلا المخاطب، و بذلك أدخله فى مواليه و قواعده الشعبية، بعد ان كان حائدا عنه. إلى غير ذلك من الامثلة التى نكتفى منها بما نقلناه.

المستوى الثانى: اثبات الحق أمام جماعة أو جماعات، عند سنوح الفرصة و تنجز المسؤولية: بشكل هادئ ليس فيه تحد للوضع القائم، أو مقابلة لخط الحكام.

فمن ذلك: انه كان لبعض أولاد الخلفاء وليمة دعا إليها الامام

ص: ١٣١

الهادى عليه السلام. فلما رأوه انصتوا إجلالا له. و جعل شاب فى المجلس لا يوقره، و جعل يلفظ و يضحك، يدعوه إلى ذلك تجاهل وجود الامام و التهوين من شأنه أمام جماعة المدعوين. فقال الامام له: ما هذا الضحك ملء فيك، و تذهل عن ذكر الله، و أنت بعد ثلاثة أيام من أهل القبور. فكف عما هو عليه. و كان كما قال<sup>١٩٥</sup> حيث مات الشاب فى الموعد المحدد. و لم يكن على أحد من المدعوين، إلا ان يعرف موعد مدته، ليعرف حق قول الامام عليه السلام.

و من ذلك: ان السلطان خرج فى يوم من أيام الربيع، الا انه صائف، و الناس عليهم ثياب الصيف. اما الامام (ع) فعليه لباد و على فرسه ثوب يحميه المطر، و قد عقد ذنب فرسه. و الناس يتعجبون منه و يقولون:

أ لا ترون إلى هذا المدنى، و ما قد فعل بنفسه. قال الراوى: فلما خرج الناس إلى الصحراء لم يلبثوا ان ارتفعت سحابة عظيمة، هطلت. فلم يبق أحد الا ابتل حتى غرق بالمطر. و عاد عليه السلام، و هو سالم فى جميعه<sup>١٩٦</sup>. و هنا كان يكفى كل واحد من هؤلاء، قليلا من الالتفات لبروا كرامة الامام عليه السلام.

و هنا نلاحظ ان مشاركة الامام (ع) لموكب السلطان فى الخروج إلى الصيد- و هو لهو كان مفضلا عند الخلفاء و الوزراء فى تلك

ص: ١٣٢

العصور- ناتجة فى الحقيقة عما عرفناه من سياسة الخلافة العباسية فى حجز الامام (ع) فى بوتقة البلاط، و عزله عن قواعده الشعبية و نشاطه البناء، لكى يكون دائما تحت الرقابة و النظر.

<sup>١٩٤</sup> (٢) المناقب ج ٣ ص ٥١١.

<sup>١٩٥</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥١٧.

<sup>١٩٦</sup> (٢) المصدر السابق ص ٥١٦.



## النقطة الثالثة - جهاده العلمى:

ذلك الجهاد الذى كان يقوم به عليه السلام، لكى يثبت حقا أو يدفع باطلا، أو يجيب عن استفتاءات الخليفة له، أو يدفع تحديه عنه.

اما ما كان من اثبات الحق محضا، من دون أن يكون مسبوقا بتحد أو ازعاج. فمنه ما اجاب به عليه السلام عن سؤال الاهوازيين حين سألوه عن الجبر و التفويض. و هو بيان مطول بدأ بمقدمة حول اثبات الامامة طبقا للمفهوم الحق الذى يعتقده، و اتبعه بالجواب الصحيح عن الامر بين الامرين<sup>١٩٧</sup>.

و منه ما اجاب به أحمد بن اسحاق حين سأله عن الرؤية و ما فيه الخلق<sup>١٩٨</sup>.

و أما ما كان من دفعه للباطل، بعد اشتباه المسألة و التردد فيما هو الحق عند البعض، فمنه ما تكلم به عليه السلام مع فتح بن يزيد الجرجاني، لازالة بعض الشبهات الواردة فى ذهنه<sup>١٩٩</sup> و ما رد به على

ص: ١٣٣

رجل عباسى حين عز عليه تقدم الامام عليه، مع اعتقاده انه اشرف منه نسبا!!<sup>٢٠٠</sup>.

و اما المتوكل و استفتاءاته و تحدياته للامام عليه السلام، فهو كثير، فان المتوكل فى الوقت الذى يعوزه الفقه فى عدد من الوقائع، يضطر إلى الرجوع إلى الامام لتذليل ما يواجهه من عقبات. و لكنه كان يمزج استفتاءاته بالتحدى، فيسأل عن الحكمة أو الدليل بقصد الاحراج لا بقصد الفهم الصحيح، على ما سنعرف. و كان الامام (ع) يجيبه بالشكل الذى يراه مناسبا مع فهمه و فهم الحاضرين، و موافقا للمصلحة مع كونه مثبتا للحق فى نفس الوقت.

فمن ذلك انه قدم إلى المتوكل رجل نصرانى فجر بأمرأة مسلمة، فأراد ان يقيم عليه الحد، فاسلم. فقال يحيى بن أكرم - و هو قاضى القضاة يومئذ - قد هدم ايمانه شركه و فعله. و قال بعضهم يضرب ثلاثة حدود. و قال بعضهم يفعل به كذا و كذا.

فلما رأى المتوكل هذا الاختلاف بين الفقهاء. أمر بالكتابة إلى ابى الحسن العسكرى الامام الهادى عليه السلام، لسؤاله عن ذلك. فلما قرأ الكتاب كتب عليه السلام: يضرب حتى يموت. فانكر يحيى

ص: ١٣٤

<sup>١٩٧</sup> (١) انظره فى الاحتجاج ج ٢ ص ٢٥١ و ما بعدها.

<sup>١٩٨</sup> (٢) انظره فى المصدر و الصفحة.

<sup>١٩٩</sup> (٣) انظره فى المصدر ص ٢٦٠.

<sup>٢٠٠</sup> (١) انظر الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٠.

و انكر فقهاء العسكر: سامراء- ذلك. فقالوا: يا أمير المؤمنين، سله عن ذلك فانه شيء لم ينطق به كتاب و لم يجيء به سنة. فكتب إليه: ان الفقهاء قد انكروا هذا. وقالوا: لم يجيء به سنة و لم ينطق به كتاب. فبين لنا لم أوجبت علينا الضرب حتى يموت. فكتب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده، و كفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا<sup>٢٠١</sup>. فأمر به المتوكل، فضرب حتى مات<sup>٢٠٢</sup>.

و نستطيع ان نفهم من ذلك، بوضوح، امرين:

الأول: ان المتوكل بالرغم من افتقاره إلى الرجوع إلى فتوى الامام عليه السلام لحل معضلته، لم يكن على استعداد لتنفيذ ما أمره الامام إلا بعد مراجعته و التأكيد عليه في طلب الدليل.

الثاني: اننا نفهم من سياق الآية التي استشهد بها الامام، طريقة فهمه عليه السلام للموقف، و هو: ان الاسلام الذى اظهره هذا النصرانى ليس ايمانا صحيحا، و انما هو لقلقة لسان اظهرها للتهرب من اقامة الحد و النجاة من العقاب. و كل من اظهر الايمان خوفا من العدل الالهى، لا يكون الايمان نافعا له، و يكون مستحقا لمثل هذا العقاب الذى أمر به عليه السلام.

و قد يكون موقف المتوكل تجاه الامام موقف التحدى صرفا،

ص: ١٣٥

لا لأجل الحاجة إلى تطبيق الفتوى، و لا لأجل الحاجة إلى فهم الحق فى المسألة، و لا لأجل اثبات جدارة الامام عليه السلام توخيا للايمان به؛ بل لمجرد التحدى. فمن ذلك ان المتوكل يقول لابن السكيت: أسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتى! فيسأله ابن السكيت عن بعض ما يراه صعبا و مشكلا، فيخرج الامام (ع) ظافرا من هذا التحدى، و يجيب بما هو الحق الصريح. و إذ ينتهى الكلام مع ابن السكيت يتندر يحيى بن ائتم، فيقول: ما لابن السكيت، و مناظرته، و انما هو صاحب نحو و شعر و لغة؛ و رفع قرطاسا فيه مسائل، فأملى على بن محمد عليه السلام، على ابن السكيت جوابها<sup>٢٠٣</sup>.

انظر إلى تعليق ابن ائتم حين قرأ جواب الامام، تجده قد تخوف من عمق اجوبته و دقة علمه، من أن يشارك فى الدعاية له و تأكيد صدق قضيته، و بالنهاية توسيع و تقوية قواعده الشعبية؛ قال يحيى ابن ائتم للمتوكل: ما تحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلى هذه.

<sup>٢٠١</sup> (١) المؤمن ٨٤-٨٥.

<sup>٢٠٢</sup> (٢) المناقب ج ٣ ص ٥٠٩.

<sup>٢٠٣</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٠٧.

وانه لا يرد عليه بشيء بعدها إلا دونها. و في ظهور علمه تقوية للرافضة<sup>٢٠٤</sup>.

فهذه عدة نقاط من الموقف الأول للامام في العاصمة العباسية.

ص: ١٣٦

### الموقف الثاني:

موقفه مع أصحابه و مواليه.

و هو ما يرجع إلى المحافظة عليهم و حمايتهم من الانحراف و من الارهاب العباسي. و مساعدتهم على قضاء حوائجهم بحسب الامكان.

و يندرج في هذا الموقف عدة نقاط:

### النقطة الأولى:

حماية أصحابه و ذويه من الانحراف، و بيع الضمير للحكام بارخص الاثمان.

و لعل اهم و اوضح موقف وقفه الامام (ع) في هذا الصدد، موقفه في ردع اخيه موسى بن محمد بن علي بن موسى على آباءه الصلاة و السلام، عن الاجتماع مع المتوكل في المجلس الذي كان يريد المتوكل له، و هو مجلس اللهو و الشراب، ليتوصل بذلك إلى هتك اخيه الامام الهادي عليه السلام، و التشهير به. و لكن الله تعالى اتم نوره، و لم يتوصل المتوكل إلى مقصوده.

فان المتوكل، تحت سورة من الحقد و الغضب، قال لأصحابه في بعض مجالسه: و يحكم قد أعيانني أمر ابن الرضا<sup>٢٠٥</sup> و جهدت ان يشرب معي و ان ينادمني، فامتنع، و جهدت ان اجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها. فقال له بعض من حضر المجلس: ان لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحال؛ فهذا اخوه موسى قصاف عزّاف، يأكل

ص: ١٣٧

و يشرب و يعشق و يتخالع، فاحضره و اشهد به. فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك. فلا يفرق الناس بينه و بين اخيه. و من عرفه اتهم اخاه بمثل فعاله.

و جاء هذا الاقتراح مناسباً مع اتجاه المتوكل و بلسما على جرح قلبه.

<sup>٢٠٤</sup> (٢) المصدر ص ٥٠٩.

<sup>٢٠٥</sup> (١) يعنى الامام الهادي عليه السلام.

فامر باستقدامه إلى سامراء مكرّماً، وأمر له باستقبال فخم يحضر فيه جميع بنى هاشم و القواد و جماهير الناس. و كان عازماً على أنه إذا قدم أقطعه ارضا و بنى له فيها، و حول إليها الخمارين و القيان - أي الجوارى و المغنيات - و أمر بصلته و بره. و زاد على ذلك - لأجل تحقيق غرضه - ان افرد له منزلاً سرّياً يصلح ان يزوره فيه.

و إلى هنا، حاول المتوكل، بسلطته على شئون الدولة، ان تكون مؤامرتة على هتك الامام بواسطة التشهير باخيه، تامة. إلا ان ذلك مما لا يمكن أن يفوت الامام خبره، و لا يمكن ان يتغاضى عنه. لأنه هو المقصود بالذات، في هذا التخطيط، و العمل ضده عمل ضد الدين و ضد سيد المرسلين، باعتبار انه يعتقد انه الممثل الأساسي الاكمل لهذا المبدأ المقدس، فوقف الامام (ع) ضد هذه المؤامرة موقفه الحاسم.

خرج عليه السلام مع المستقبلين، فتلقى اخاه في قنطرة و صيف، و هو موضع يتلقى فيه القادمون. فسلم عليه و وفاه حقه. ثم جاء دور تحذيره من المؤامرة و تنبيهه على ما ينبغي ان يتصرف، بالنحو الذي يقتضيه رضاء الله تعالى و تعاليم الاسلام. فقال له الامام: ان هذا

ص: ١٣٨

الرجل<sup>٢٠٦</sup> قد احضرك ليهتكك و يضع منك، فلا تقر له انك شربت نبذا قط. و اتق الله يا اخي ان ترتكب محظورا. فقال له متجاهلا:

و انما دعاني لهذا، فما حيلتي. قال له الامام (ع): فلا تضع من قدرك و لا تعص ربك و لا تغفل ما يشينك، فما غرضه إلا هتكك.

و هنا بدأ الاعراض و التشكيك من موسى اخيه، إذ لعله كان يحسن الظن بالمتوكل و ينكر مؤامرتة، أو لعله يدركها و ليس لديه منها مانع، بالرغم مما فيها من الهتك له و لأخيه و لدينه. فكرر عليه أبو الحسن القول و الوعظ، و هو مقيم على خلافه. فلما رأى أنه لا يجيب؛ وجد الامام عليه السلام أن آخر الدواء الكى، و انه لا بد ان يقول قوله الحاسم، مستمداً من وراء الغيب، فقال له: اما ان المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت و هو أبداً.

ثم انظر كيف يتم الله نوره، و يأخذ بيد الامام (ع) .. ان المتوكل لأسباب مجهولة، تحول من ذلك الحماس العظيم للاجتماع مع موسى في دار منفردة في مجلس اللهو و الطرب، تحول إلى محاولة إبعاده و حجبته عنه و عدم الاجتماع به. حيث أقام موسى ثلاث سنين، يبكر كل يوم إلى باب المتوكل، فيقال له: قد تشاغل اليوم، فيروح، و يبكر، فيقال له: قد سكر فيبكر، فيقال له: قد شرب دواء. فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل<sup>٢٠٧</sup>. و لم يجتمع معه على شراب<sup>٢٠٨</sup>.

<sup>٢٠٦</sup> (١) يعنى المتوكل العباسى.

<sup>٢٠٧</sup> (٢) نعرف من ذلك ان هذه الحادثة وقعت عام: ٢٤٤.

<sup>٢٠٨</sup> (٣) الارشاد ص ٣١٢ و غيره.

## النقطة الثانية:

حمايته لأصحابه من الارهاب العباسي. و ذلك بمقدار امكانه، و لا ينافى خطه السلبي العام.

و لعل أوضح موقف يروى من ذلك، هو موقف الامام مع محمد بن الفرج الرخجي، إذ كتب إليه محذرا: يا محمد اجمع امرك و خذ حذرک.

فلم يفهم ما ذا أراد الامام بكلامه هذا، و لو كان قد فهم لدفع عن نفسه شرا مستطيرا. يقول هذا الراوى: فانا فى جمع امرى لست أدرى ما الذى أراد بما كتب، حتى ورد على رسول حملتى من وطنى مصفدا بالحديد، و ضرب على كل ما أملك، و كنت فى السجن ثمانى سنين.

ثم انظر إلى لطف الامام عليه السلام به مرة اخرى، حيث كتب إليه و هو فى السجن: يا محمد بن الفرج لا تنزل فى ناحية الجانب الغربى قال الراوى: فقرأت الكتاب و قلت فى نفسى: يكتب إلى أبو الحسن بهذا و انا فى السجن ان هذا لعجب. فما لبثت إلا اياما يسيرة حتى فرج عنى و حلت قيودى و خلى سبيلى<sup>٢٠٩</sup> و يندرج فى ذلك مساعدته لهم بطريق الدعاء. و هو الطريق الغيبى المتوفر دائما، للاتقاد من المصاعب و حل المشاكل. فكان الامام عليه السلام يلجأ إليه حين يجد المصلحة فى ارتفاع الصعوبة عن هذا الطريق.

فمن ذلك ما حدث به أحد المعاصرين لذلك العصر المتضررين من الحكم العباسى، حيث يقول: قصدت الامام يوما فقلت: ان المتوكل قطع رزقى. و ما أتهم فى ذلك إلا علمه بملازمتى لك. فينبغى ان تتفضل على بمسألته .. و لم يتفضل الامام بالوساطة إلى المتوكل - كما طلب - و انما تفضل عليه السلام بالوساطة مع الله تعالى، و هو غاية المأمول و نهاية المسئول ذو القوة المتين. فقال لهذا الرجل: تكفى ان شاء الله، يقول هذا الراوى: فلما كان فى الليل طرقتنى رسل المتوكل رسول يتلو رسولا. فجئت إليه فوجدته فى فراشه. فقال: يا أبا موسى يشتغل شغلى عنك و تنسينا نفسك. أى شىء لك عندى به. فقلت:

الصلة الفلانية، و ذكرت أشياء. فأمر لى بها و بضعفها.

و إلى هنا تأكد فى ذهن هذا الرجل بان الامام قد نفذ وساطته المطلوبة .. فبدر إلى الوزير الفتح بن خاقان و قال له مستفهما: وافى على بن محمد إلى هاهنا، أو كتب رقعة! فأجاب الوزير بالنفى.

قال: فدخلت على الامام. فقال لى: يا أبا موسى هذا وجه الرضا. فقلت ببركتك يا سيدى، ولكن قالوا: انك ما مضيت و لا سألت. فاجابه الامام عليه السلام .. انظر إلى جوابه إذ يسند النتيجة إلى الارادة الالهية و العون الالهى حيث لا يوجد المعين. فان أهل البيت عليهم السلام قد اجابوه إلى كل ما يريد فاجابهم عز و جل إلى كل ما يريدون. و كل من كان كذلك حصل على هذه النتيجة الكبرى

ص: ١٤١

لا محالة. قال الامام عليه السلام: ان الله تعالى علم منا انا لا نلجأ فى المهمات إلا إليه. و لا نتوكل فى الملمات إلا عليه. و عودنا- إذا سألناه- الاجابة. و نخاف ان نعدل فيعدل بنا<sup>٢١٠</sup>.

و يشبه هذا الموقف، موقفه عليه السلام مع ايوب بن نوح- و هو من ثقات أصحابه<sup>٢١١</sup>- حين تعرض له بالاذى قاضى الكوفة السائر فى خط الجهاز الحاكم، المدعو بجعفر بن عبد الواحد القاضى. فكتب إلى الامام يشكو إليه ما ناله من الأذى. قال الراوى: فكتب إلى: تكفى امره إلى شهرين. فعزل عن الكوفة فى شهرين. و استرحت منه<sup>٢١٢</sup> و لعلنا فى غنى عن التعليق على هذا الموقف من الامام بامرین:

احدهما: ان الامام عليه السلام اطلع بطريق سرى غيبى أو طبيعى على قرار عزل هذا القاضى قبل شهرين من صدوره.

ثانيهما: ان الامام عليه السلام استعمل فى الجواب عبارة غامضة، يمكن ان تخفى على الرقيب). فانه لم يكن يمكن ان يفهم أحد ان المقصود هو قاضى الكوفة غير ايوب بن نوح.

### النقطة الثالثة:

قضاء الامام لحوائج أصحابه بحسب الامكان. لعلنا قد تم لدينا- إلى حد الآن- التعرف على ما كان يعانيه أصحابه و قواعده الشعبية

ص: ١٤٢

من ضيق فى الحالة الاجتماعية و الاقتصادية معا، نتيجة لابعادهم عن المسرح العام سياسيا و اجتماعيا. و قد كان الامام عليه السلام يتوخى من وراء مساعدتهم عدة فوائد:

اولا: قضاء حوائجهم الخاصة.

<sup>٢١٠</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥١٤.

<sup>٢١١</sup> (٢) فهرست الشيخ الطوسى ص ٤٠.

<sup>٢١٢</sup> (٣) كشف الغمة ج ٢ ص ١٧٦.

ثانياً: تركيز ثقتهم به، بصفته قائدهم الأعلى و مأملمهم الأسمى عند الظروف القاسية، و المعين عند عدم وجود المعين.

ثالثاً: تجديد نشاطهم الاجتماعى، بحسب ما يراه لهم عليه السلام و تقتضيه سياسته فى ذلك العصر. و هى - على ما عرفنا:- العمل فى سبيل الله و العدل الاسلامى بشكل لا يثير الحقد و الخطر عليهم.

و أهم ما يندرج فى هذا الموقف: انه دخل على الامام جماعة من أفضل أصحابه و اوجههم عنده و عند قواعده الشعبية، و هم: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري و أحمد بن اسحاق الأشعري و على بن جعفر الهمداني. فشكا إليه احمد بن اسحاق دينا عليه. فقال عليه السلام لعثمان بن سعيد، و كان وكيله: يا أبا عمرو؛ ادفع إليه ثلاثين الف دينار و إلى على بن جعفر ثلاثين الف دينار و خذ أنت ثلاثين الف دينار و يعلق على ذلك علماؤنا: بان هذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، و ما سمعنا بمثل هذا العطاء<sup>٢١٣</sup>.

و أما نحن فيمكننا أن نستشف من وراء ذلك .. الموقف القيادى

ص: ١٤٣

المركزى الذى كان يقوم به الامام بين قواعده الشعبية و مواليه. ذلك الموقف الذى كانت تحاول الدولة العباسية الحيلولة دونه .. و لم تكن موقفة فى ذلك إلى حد كبير. فالامام يستلم الأموال الطائلة - بالطرق السرية أو العلنية الممكنة - مما يكون لدى مواليه من الضرائب الاسلامية كالخراج و الزكاة و الخمس. و هذا ما يتضح أيضا لمن راجع تاريخ آباءه عليهم السلام، و سيأتى فى تاريخ ولده الامام الحسن العسكرى عليه السلام ما يشبه ذلك.

و انما يتم تسليم هذه الأموال لكى تصرف فى المصالح الاسلامية الاجتماعية العامة - بعيدا عن العاصمة العباسية - فى تلك المهام التى تقتضى صرف عشرات الآلاف من الدنانير. و نحن مهما بلغ بنا الخيال، لا يمكن ان نتصور وصول الدين، فى قضاء الحوائج الشخصية، إلى ثلاثين الفا. الا أن يكون دينا فى عمل اجتماعى واسع أكبر من المصالح الشخصية و المسئولية العائلية. و خاصة فى أمثال هؤلاء من الفقهاء و الورعين، مضافا إلى اننا رأينا الامام عليه السلام يعطى الاثنين بدون طلب أو شكوى فى دين.

و على أى حال فهذه هى الخطوط العامة لسياسة الامام (ع)، فيما تمثله من موقفه الرئيسى تجاه مواليه و تجاه الآخرين.

ص: ١٤٤

### موقف الخلافة العباسية من الامام:

اشرنا فيما سبق ان موقف الخلفاء العباسيين، يتجلى - فيما وصل إلينا من النقل التاريخى - فى خصوص المتوكل، و لا يبدو لغيره أثر يذكر. و قد ذكرنا ما يمكن أن يكون سببا لذلك. فمن هنا ينحصر عنواننا فى المقام فى موقف المتوكل من الامام عليه السلام. و نستطيع ان نلخص موقفه فى عدة نقاط:

النقطة الأولى: تحديه من الناحية العلمية، كما سبق. و قد رأينا كيف يخرج الامام ظافرا من هذا التحدى.

النقطة الثانية: تقريبه من البلاط و دمجها فى حاشية الخلافة بمقدار الامكان، ليكون الامام على طول الخط بين سمعهم و ابصارهم فلا تفوتهم منه شاردة و لا واردة. و قد رأينا مقدار نجاحهم الضئيل فى ذلك.

و قد سبق ان لاحظنا ان هذا كان هو الهدف الاساسى من استقدام الامام إلى العاصمة العباسية. و كان الامام يعطى من نفسه بازاء ذلك و كأنه يوافق الدولة العباسية على سياستها تجاهه. فكان يحضر مواعدهم و يخرج فى مواكبهم كما سمعنا. و نستطيع ان نفهم موقف الامام (ع) هذا، لا على أساس التنازل أو التسامح مع الدولة، فان هذا مما لا يمكن

ص: ١٤٥

أن يكون من شخصية كشخصية الإمام المبدأية الإسلامية القائدة لجماهير قواعده الشعبية من المسلمين. و كان أى تنازل منه يعنى السعى ضد المصالح الاسلامية لهذه الجماهير، و هو ما لا يخفى ما فيه من قبيح و خيانة على الشخص الاعتيادى فضلا عن القائد الامام. مضافا إلى انه لو تنازل لشعرت الدولة بتنازله .. فكان فى الامكان أن ينال عندها أقصى الحظوة و المنزلة و الراحة .. و لارتفع ما كان محاطا به من المراقبة و الضغط .. مع انه كان يتزايد باستمرار، حتى ان المتوكل فى آخر ايامه انتهى به الامر إلى زج الامام فى السجن على ما سنسمع.

اذن فلم يكن موقفه متضمنا لشيء من التنازل، و انما كان ناشئا من المصالح و المبررات الآتية:

اولها: الضغط و الاكراه: فان السياسة العباسية حيث استقرت على دمج الامام بالبلاط، كان مقتضى رفض هذه السياسة و الانصراف عن اجابة دعواتهم و الحضور فى مجالسهم .. اعلانا صريحا للمعارضة ..

أو على الأقل اثاره لشك الحكام بان الامام متصد للمعارضة و خارج على الدولة، و كل ذلك مما لا يريده الامام (ع) بمقتضى سياسته السلبية تجاه الدولة.

ثانيهما: ان الامام (ع) كان حذرا من برائن الدولة عليه و على مواليه. فكأنه أراد التصريح بشكل عملى بعدم وجود ما تخشى منه الدولة عنده، و هذا ما يؤثر نفسيا فى تخفيف الشك ضده .. و معه فقد ينفث مجال جديد لنشاط جديد.

ص: ١٤٦

ثالثها: ان الإمام حين يعيش بين أكناف حكام الدولة مع من يحيطهم من القواد و البطانة و المتنفعين و الخدم و غيرهم من مختلف الطبقات .. فانه عليه السلام يستطيع بلباقة تامة و احتراس شديد و بمقدار الفوصة السانحة .. ان يقول الحق بينهم و يدافع عن قضيته بين ظهرانيهم .. و هناك احتمال كبير - يؤيده احترامهم لشخص الامام و اكارهم لعلمه و نسبه - ان يصل كلامه إلى قلوب بعضهم. فان السياسى مضافا إلى كونه حاكما مصلحيا، هو فى عين الوقت انسان ذو عقل و قلب. و قول الحق يجد طريقه فى العقل و القلب من اضيق طريق.



و بذلك يكتسب الامام العطف على قضيته فى المستويات العليا من الدولة.

و قد سبق ان حملنا فكرة عن مقدار نجاحه فى ذلك، و لعل فيما يأتى من البحث ما يضيف إلى ذلك شواهد اخرى.

رابعها: ان الكيان الحكومى يومئذ كان قائما بالصراحة على المحسوبة و المنسوبة .. تؤثر فيه المصالح الشخصية و تجد فيها الوساطات طريقها المستقيم.

و هذا و ان كان دالا على انحدار الأمة إلى حضيض لا تغبط عليه على أى حال، و غير ملائم مع اتجاهات الامام و مثله .. الا انه هو الواقع .. و من الممكن الاستفادة من هذا الواقع بما ينفع الناس و يكون مصلحة لهم. إذن فاتصال الامام بالحكام مثل هذا الاتصال الوثيق يفتح امامه فرصة أوسع للتوسط فى تيسير حوائج أصحابه و مواليه و تخفيف ضرهم و دفع الاخطار عنهم .. بحسب ما يراه من المصلحة.

ص: ١٤٧

و لعلنا نستطيع ان نستوضح ملامح الموقف اللين الذى كان يقفه الامام (ع) تجاه المتوكل، من المثال التالى: فان المتوكل ابتلى بقرحة و خراج أشرف به على الموت. و كان دواؤه عند اطباء عصره منحصران بان يمس الجرح بحديده فلم يجسر أحد أن يقوم بذلك، لاحتمال ان المتوكل سوف يأمر بقتل من يقوم بذلك لما سيجده من الألم.

و وجلت أمه و جلا شديدا .. و كانت تعتقد بالامام (ع) و قربيه من الله تعالى .. فنذرت انه ان عوفى ابنها المتوكل فانها تحمل إلى ابى الحسن الهادى عليه السلام مالا جليلا من مالها. و نبهها الفتح بن خاقان على ان تطلب من الامام ان يصف دواء للمتوكل .. فارسلت رسولا بهذا الشأن إلى الامام، فقال عليه السلام: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء الورد وضعوه على الخراج فانه نافع باذن الله. أقول: و لا يخفى ما فى ذلك من ترطيب للجرح خفى سره على الطب القديم الذى كان يداوى الدمل بامرار الحديد عليه!! و على أى حال فقد هزأ من حضر مجلس المتوكل من هذا الدواء باعتباره لم يسمع من طبيب. فينبرى الفتح بن خاقان مدافعا عن اقتراحه قائلا: و ما يضر من تجربة ما قال .. فو الله انى لارجو الصلاح به.

فاحضروا هذا العقار و وضع على الخراج فانفتح و خرج ما كان فيه.

و بشرت أم المتوكل بعافية ولدها. فحملت إلى أبى الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار مختومة بختمها، من دون علم ولدها المتوكل.

و يحافظ الامام (ع) على البدرة- و هى حزمة المال- غير مفضوذة

ص: ١٤٨

الخاتم و لا مستعملة .. اياما .. حتى حصلت كبسة سعيد الحاجب على داره بامر المتوكل، على ما سنذكر فى النقطة التالية. فيجد عنده البدره المختومة، فينقلها مع كيس آخر مخنوم و سيف إلى المتوكل. فلما نظر المتوكل إلى خاتم أمه على البدره بعث إليها و سألها فذكرت له نذرها عند مرضه .. و قالت: و هذا خاتمي على الكيس ما حركه .. و فتح الكيس الآخر فاذا فيه اربعمائة دينار .. فأمر ان يضم إلى البدره بدره اخرى و قال لسعيد الحاجب: احمل ذلك إلى ابى الحسن .. و اردد عليه السيف و الكيس بما فيه. قال سعيد: فحملت ذلك إليه و استحيت منه. فقلت له: يا سيدى عزّ على دخولى دارك بغير اذنك. و لكنى مأمورا! فقال لى: و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون<sup>٢١٤</sup>.

انظر إلى الاحترام و التقديس الذى يتمتع به الامام (ع) فى البلاط، و إلى المكاسب التى حصل عليها فيه. و لا ينبغي ان تفوتنا المبررات السابقة لسياسة الملاينة التى ينتهجها الإمام، بالرغم من انه يتلو حين يدق ناقوس الخطر قوله تعالى: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

النقطة الثالثة: اضهاد المتوكل للامام الهادى عليه السلام حيث امر بكيس منزل الامام (ع) عدة مرات. فان السعايات و الوشايات التى كانت ترتفع إلى المتوكل ضد الامام بين آونة و اخرى .. كانت

ص: ١٤٩

توقظ شكوكه و تثير توجهه الكامن فى نفسه، تجاه الامام. و لعنا نستطيع القول: بان شخصا من الضالعين بركاب الحكم، يطلع صدفة على بعض آثار نشاط الامام (ع) فى سبيل مصالح مواليه، فيبالغ هذا الشخص فيه، تملقا للدولة، و يجعله خطرا يهدد كيانها القائم، مع اننا عرفنا ان مثل هذا النشاط - بشكله المبالغ فيه - لم يكن موجودا لدى الامام عليه السلام. و على أى حال يشير هذا الساعى كوامن الخوف و التوجس فى نفس المتوكل؛ فيغريه ذلك بكيس دار الامام للتأكد من صدق الوشايات أو كذبتها.

و الملاحظ فى هذه العمليات امران:

احدهما: ان الوشايات دائما كانت تبوء بالفشل و يرجع جواسيس الخليفة مؤكدين انهم لم يجدوا فى دار الامام ما يشير التوجس. مما يوجب عود المتوكل إلى هدوئه و استمراره على اظهار احترام الامام و تقديره.

و قد سبق ان ارجعنا ذلك، إلى ان الامام افلح، بطريق غيبى أو طبيعى، فى اخفاء مكامن الشك عن الدولة، بالرغم مما كان يردده من الأموال و الكتب و ما كان يقوم به من اتصالات. و قد اطلعنا على صور موجزة للأساليب الرمزية التى كان يستعملها الامام حين يريد التعبير عن أمر محظور فى نظر الدولة.

ثانيهما: ان الامام و ان كان يظهر - عند الكيس على داره - سخطه

ص: ١٥٠

بتلاوة آية من القرآن كالذى سمعناه من قوله تعالى: و سيعلم الذين ظلموا .. الآية. إلا انه كان يعين الشرطى المتجسس على مهمته .. فيسرج له الضياء و يدلّه على غرف الدار .. توخيا فى الايضاح العملى للدولة بانه لا يملك أى نشاط غريب. على انه لو اظهر أى مناهة لمثل هذه المحاولة لكان مثيرا جديدا للشك .. هو فى غنى عنه، و منافيا لسياسة الامام السلبية تجاه الدولة.

و قد حدثت عدة حوادث كبس على داره عليه السلام. فمن ذلك ما سبق ان نقلناه عن ابن خلكان و جمهور من المؤرخين العامة و الخاصة.

من كبس داره فى نصف الليل و حمله إلى المتوكل و هو على مجلس الشراب، و استنشاده الشعر، فانشد الأبيات التى أولها:

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم      غلب الرجال فلم تنفعهم القتل

و من ذلك كبسه لدار الامام نتيجة لسعاية البطحائى به إلى المتوكل و زعمه: ان عنده أموالا و سلاحا. فأمر المتوكل سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلا و يأخذ ما عنده من الأموال و السلاح و يحمله إليه.

فأخذ سعيد معه سلما و ذهب إلى دار الامام و صعد عليها من الشارع إلى السطح و نزل خلال الظلام فلم يدر كيف يصل إلى الدار. قال سعيد:

فنادانى أبو الحسن عليه السلام من الدار: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعه. اقول: انظر إلى مساعدته عليه السلام لهذا المتجسس .. و إلى علمه بشخصه قبل رؤيته .. و انما ناداه بذلك لاثبات الحجة عليه، اثناء تلبسه بالجرم.

ص: ١٥١

يقول: فلم البث ان اتونى بشمعة، فنزلت، فوجدت عليه جبة صوف و قلنسوة منها و سجادته على حصير بين يديه و هو مقبل على القبلة. فقال لى: دونك البيوت - يعنى الغرف - فدخلتها و فتشتها، فلم اجد فيها شيئا. و وجدت البدره مختومة بخاتم أم المتوكل و كيسا مختوما معها. فقال لى أبو الحسن عليه السلام: دونك المصلى فارفعه. فوجدت سيفا فى جفن ملبوس. فاخذت ذلك .. إلى آخر الرواية كما سمعناها.

و يضطر هذا المتجسس، فى نهاية الشوط إلى الاعتذار من الامام (ع) بكونه مأمورا. فيتلو الامام قوله تعالى: «و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»<sup>٢١٥</sup>.

<sup>٢١٥</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣١١ و انظر الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٩٨ و ما بعدها بتغيير قليل.

و فى حادثة اخرى: يصل إلى المتوكل خبر مال يصل من قم، و هى احدى مراكز الولاء للامام (ع) .. إليه عليه السلام. فيأمر وزيره الفتح بن خاقان ان يراقب الوضع و يأتى بالخبر. فيرسل الوزير بعض مأموريه يدعى أبو موسى إلى الامام، فيجلس فى مجلسه ساكتا، فيطالبه الامام بتبليغ رسالة المتوكل قائلا: لا يكون الا خيرا .. يا أبا موسى، لم لم تعد الرسالة الأولى. فيجب أبو موسى: اجللتك يا سيدى. فيدله الامام بكل وضوح على طريق الاطلاع على هذا المال و ييسر له السبيل إلى ذلك بقوله. المال يجىء الليل و ليس يصلون إليه. فبت عندى.

و انما يجىء المال ليلا تخفيا عن عيون الدولة، و لكن ما الحيلة بعد

ص: ١٥٢

اطلاع الدولة عليه، و تحديد سياسة الامام بالسلبية.

و على أى حال .. يبات أبو موسى عنده، و حين يجىء الليل يشتغل الامام بالصلاة، مدة من الزمن .. و بينما هو فى الركوع فى احدى صلواته، إذ يقطعه بالسلام قبل اتمام ركعات الصلاة، و يقول لأبى موسى: قد جاء الرجل و معه مال و قد منعه الخادم الوصول إلى، فاخرج فخذ ما معه<sup>٢١٦</sup>.

#### النقطة الرابعة:

القاء القبض على الامام عليه السلام حين ضاق المتوكل ذرعا بحقده على الامام و بنشاط الامام الذى لم يكن بمستطاعه التعرف عليه بسعة و وضوح، و قد بذل كل ما فى وسعه و لا زال الجانب المهم من ذلك النشاط غامضا عنه يظن به الظنون و لا يمكنه ان يحيط بمحتواه. و قد حمل المتوكل توجسه و حقهده على أن يزج الامام فى السجن، و ذلك فى الأيام الأخيرة من خلافته.

و لا يخفى ما فى ذلك من التحدى للقواعد الشعبية و الجماهير الواسعة المؤمنة بالامام قائدا و رائدا و موجهها و اماما. فان سجن القائد بمنزلة سجن كل قواعده الشعبية، و يكون تحديا لها و للمبدإ الذى يتخذه و الهدف الذى يهدفه. و هذا ما لم يكن للمتوكل منه مانع، و هو الذى خرب قبر الحسين عليه السلام و منع الزوار عنه، على ما سمعنا.

ص: ١٥٣

و قد وردت فى سجن الامام روايتان تتفقان على وقوع ذلك فى وقت واحد قبل ثلاثة ايام من موت المتوكل، و لكنها تختلف فى جملة من التفاصيل.

الرواية الأولى: انه حين قبض المتوكل على الامام (ع) سلمه إلى على بن كركر ليزج به فى السجن و يراقبه فيه. فصادف ان سمعه بغا أو وصيف - الشك من الراوى -، و هما القائدان التركيان المنتفذان فى الدولة يومئذ، على ما عرفنا فى التاريخ العام .. سمع

<sup>٢١٦</sup> (١) المناقب ص ٥١٥ و ما بعدها.

الامام و هو فى السجن يزمر قائلاً: انا أكرم على الله من ناقة صالح «تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب» لا يفصح بالآية و لا بالكلام. و لم يفهم هذا القائد التركى مراد الامام. فسأل عنه، و كان المسئول هو راوى هذه الرواية. قال الراوى قلت: اعزك الله .. تواعد. انظر ما يكون بعد ثلاثة أيام. فلما كان من الغد أطلقه و اعتذر إليه.

فلما كان فى اليوم الثالث، نار عليه الأتراك، و منهم باغر و يغلون و اوتامش، و قتلوه و اعدوا ولده المنتصر مكانه<sup>٢١٧</sup>.

و يطيب لى ان اعلق على هذه الرواية، بأمرين:

احدهما: ان وعيد الامام كان رمزياً إلى حد كبير، إلى حد لم يفهمه القائد التركى .. و كان من الأهمية فى الدولة، بحيث ان الراوى حين فسره خاف ان يصرح بما فهمه بوضوح و انما اختصر كلامه اختصاراً

ص: ١٥٤

خشية ان يناله ضرر، و لا زال المتوكل فى الحياة و الحكم.

ثانيهما: اننا نستطيع ان نعرف بالدقة تاريخ هذا التواعد الذى ذكره الامام حال سجنه، و هو اليوم الثانى لعيد الفطر من شهر شوال عام ٢٤٧ للهجرة. و قد قتل المتوكل و الفتوح بن خاقان بيد باغر و يغلون و جماعة من الأتراك فى مجلس شرابه ليلة الرابع من شوال فى نفس العام<sup>٢١٨</sup>. و لم يكن بغا و لا وصيف ممن شارك فى قتله. و سلموا على ابنه المنتصر بالخلافة.

الرواية الثانية: ان المتوكل دفع الامام أبا الحسن الهادى عليه السلام إلى سعيد الحاجب - الذى عرفناه - ليقتله. فوضعه سعيد فى السجن حتى يتم قتله. و حين قدم الراوى إلى سامراء فى ذلك الحين دخل على سعيد. و كان سعيد يعلم بكونه موالياً للامام (ع). فقال له: أ تحب ان تنظر إلى إلهك. يقصد بذلك الامام استهزاء و استصغاراً. و لكن الراوى كان غافلاً فلم يفهم و أجاب: سبحان الله الهى لا تدركه الأبصار.

فاوضح سعيد مراده قائلاً: هذا الذى تزعمون انه امامكم. فصادف ذلك رغبة فى نفس الراوى. إلا انه اجاب بحذر قائلاً: ما اكره ذلك. فافهمه سعيد القصد من سجن الامام (ع) و قال: قد امرنى المتوكل بقتله و أنا فاعله غدا. و عنده صاحب البريد فقال: اذا خرج فادخل إليه.

و حين يخرج صاحب البريد من الامام (ع) يدخل الراوى فى الدار

ص: ١٥٥

<sup>٢١٧</sup> (١) انظر اعلام الورى ص ٣٤٤.

<sup>٢١٨</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٠٣.

- يعنى الغرفة - التى حبس فيها الامام، فيرى قبراً يحفر. قال:

فدخلت و سلمت و بكيت بكاء شديدا. فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى! قال: لا تبك فانه لا يتم لهم فى ذلك. فسكن ما بى. فقال: انه لا يلبث من يومين حتى يسفك الله دمه و دم صاحبه الذى رأيتة. قال:

و الله ما مضى يومان حتى قتل<sup>٢١٩</sup>.

و هذه الرواية لا تنافى الرواية الاولى، فى التوقيت. فان المراد من قتله من يومين: قتله بعد يومين و يكون سفك دمه فى اليوم الثالث، و هو نفس الموعد فى الرواية الاولى. كما لا تنافى بينهما فى تعيين من دفع المتوكل الامام إليه. إذ من الممكن ان نفترض ان المسئول عن قتله هو سعيد الحاجب و المشرف عليه فى سجنه هو على بن كرر الذى تذكره الرواية الأولى، كما ان خلو الأول من ذكر كون الغرض هو قتل الامام ليس تنافيا صريحا، إذ من الممكن أن نفترض ان الغرض هو ذلك.

و لكنه لم يرد فى تلك الرواية لنسيان الراوى لتفاصيل الحادثة، أو خوفه من بعض سامعيه فى ذكر محاولة المتوكل لقتل الامام أو غير ذلك من الأسباب.

الا ان الرواية الأولى ارجح من الثانية على أى حال. فان الثانية تتضمن مضعفا لاحتمال صحتها غير موجود فى الاولى و ذلك لانها نسبت للامام (ع) قوله: انه لا يلبث من يومين حتى يسفك الله دمه و دم صاحبه الذى رأيتة. فيقع السؤال عن صاحبه الذى قصده. و ظاهر

ص: ١٥٤

الكلام ان المراد به سعيد الحاجب، لانه هو الذى كان الراوى قد رآه.

مع ان سعيد لم يقتل مع المتوكل، بل بقى حيا حتى سنة ٢٥٧ حين أرسله المعتمد لحرب الزنج<sup>٢٢٠</sup> و انما قتل معه الفتح بن خاقان. فلا بد ان نفترض فرضا مخالفا لظاهر الكلام: ان الراوى كان قد رأى الفتح بن خاقان أيضا و انه فهم من كلام الإمام ذلك. و الله العالم.

كما ان الرواية الأولى تتضمن مرجحا لاحتمال صحتها، و هو تسمية من باشر قتل المتوكل من الأتراك، و هو مطابق للتاريخ العام بشكل عام، و قد ذكرنا فى المقدمة ان هذا يصلح قرينة على صحة الرواية، كما يصلح مرجحا للأخذ بها عند التعارض. و لكننا بعد اسقاط الاضعف فى مقدار التعارض يمكن أن نأخذ بها فى مداليلها و تواريخها الاخرى.

خاتمة المطاف:

<sup>٢١٩</sup> (١) انظر الخرائج و الجرائع ص ٥٩.

<sup>٢٢٠</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٦١.

لا بد لنا فى نهاية الحديث عن تاريخ امامنا الهادى عليه السلام، ان نشير إلى موقفين له مهمين، يشار إليهما فى التاريخ بشكل موجز يكاد يكون عابرا.

الموقف الأول: موقفه عليه السلام من الموالى عامة و الاتراك خاصة، و هم من كانت العاصمة العباسية الجديدة: سامراء، تزخر بهم.

و قد عرفنا مما سبق مدى تأثيرهم على السلطة و سيطرتهم على الخلفاء، تنصيبا و عزلا و اختيارا و قتلا. و كان الخليفة يضطر إلى أن يأخذهم بنظر الاعتبار كل الاعتبار.

ص: ١٥٧

و لا يخفانا قبل كل شىء، ان هؤلاء الموالى لم يكونوا من الموالين للإمام و لا من قواعده الشعبية. بل كان أكثرهم الغالب ضده و مختلفين معه فى المبدأ و المنهج، و من المساييرين لمبدأ الدولة و مناهجها، و المنتفعين من الخلافة العباسية. و كان جملة منهم قوادا منتفذين بيدهم إعلان الحرب و السلم مع أى شخص فى أطراف الدولة. و كانوا يخوضون الحروب فى الغالب فى الجيش الممثل للدولة و هو المنتصر فى الحرب غالبا، و بذلك يغنم الاتراك و من إليهم أموالا طائلة، من الثراء على حساب المظلومين المقهورين تحت الحروب.

و لم يكن الامام (ع) ليوافق على تصرفاتهم التى لم تكن قائمة على شىء من تعاليم الدين و العدل الاسلامى الصحيح. و بخاصة انه يعلم موقفهم ضده و ضد مواليه، حتى كان الخليفة يستخدمهم فى الكبس على دار الامام و حبسه و ازعاجه كما عرفنا.

و من هنا ينبثق موقف الامام (ع) حيث كان يحاول، بحسب الامكان، و ببطء، و حذر، اقامة الحجة عليهم و إفهامهم صدق مبدئه و عدالة قضيته. و لا يخفى ما فى ذلك من الفائدة المباشرة للإمام و أصحابه و مواليه، فانه بنشاطه هذا يخفف من غلواء المندفع منهم ضده و يقرب المعتدل منهم إليه، أو يجعل الفرد منهم يشك فى حال نفسه و يعيد النظر فى سلوكه و شأنه.

و نستطيع ان نقسم موقف الامام (ع) منهم إلى نقطتين، باعتبار موقفه من عامتهم تارة و موقفه من كبرائهم و قوادهم اخرى.

ص: ١٥٨

النقطة الأولى: فى موقف الامام عليه السلام من جمهور الموالى و عامتهم فى العاصمة العباسية.

و من المستطاع القول بان جهوده المستمرة اثمرت بعض الشىء فى تقريب بعضهم إليه و ايمانهم بفضله و ربما بامامته .. و كانت جهود الامام عليه السلام متواصلة فى ذلك.

فمن ذلك: انه مر به تركي: فكلمه بالتركية. فنزل عن فرسه فقبل حافر دابته. قال الراوي: فحلفت التركي انه ما قال لك الرجل؟ قال: هذا كناني باسم سميت به في صغرى ببلاد الترك، ما علمه أحد إلا الساعة<sup>٢٢١</sup>. ولعلك لاحظت معي هذا التأثير الكبير الذي استطاع الامام ان يصهر به التركي، باقامته هذه المعجزة البسيطة له.

و من ذلك: ما عن علي بن مهزيار- وهو من ثقاة الأئمة عليهم السلام و معتمديهم- قال: ارسلت إلى ابي الحسن الثالث- يعنى الامام الهادى (ع)- غلامى و كان صقليبيا. فرجع الغلام إلى متعجبا. فقلت له: مالك يا بنى؟ فقال: و كيف لا اتعجب؟ ما زال يكلمنى بالصقلبية كأنه واحد منا، و انما أراد بهذا الكتمان عن القوم<sup>٢٢٢</sup>.

و لعلك لاحظت معي، ان الامام استطاع بتكلمه بتلك اللغة أن يحصل على فائدتين: احدهما: التأثير على الغلام و اكتساب اعجابه و تعجبه من اطلاع الامام و معرفته، ان لم يعتبرها معجزة من معاجزه.

ص: ١٥٩

ثانيهما: انه بهذا الاسلوب اخفى مضمون الكلام عن لا يريد اطلاعه عليه من عيون الدولة. فتراه يتكلم مع الغلام بلغته مع كونه عالما بكونه يحسن اللغة العربية.

النقطة الثانية: موقفه عليه السلام من كبرائهم و قوادهم. و لا يخفى ما فى الموقف الايجابى منهم من الدقة و الحرج، فانهم بصفتهم ممثلين للجهاز الحاكم، يكون الحذر منه حذرا منهم أيضا، و بخاصة ان اكثرهم ينهج نهج عدائه و الطعن فى شأنه.

و من ثم لا نجد موقفا منقولا فى التاريخ للامام عليه السلام تجاههم، ما عدا موقفه من بغا الكبير، الذى كان يعتبر واحدا من اثنين أو ثلاثة من أهم القواد الاتراك و متنفذيه. فانه كان يملك تجاه الامام موقفا معتدلا و يشفق على قضيته بعض الشيء، و ربما انتج ذلك احيانا، استعمال مركزه فى رفع بعض الظلمات عنه و عن اصحابه.

يقول المسعودى<sup>٢٢٣</sup>: و كان بغا كثير التعطف و البر على الطالبين.

ثم ينقل له تعظفا على بعض الطالبين، حيث كان قد حاول قتل عامل المعتصم على الكوفة، فأمر المعتصم بغا هذا بإلقائه إلى السباع .. فلم يلقه.

إلا انه امره بان يجهد الا يظهر فى أيام المعتصم .. فوعده بذلك.

و كان هذا النشاط البناء لهذا القائد التركي، فى قضاء حوائج المؤمنين، يرد مورد الرضا فى نظر النبى (ص). و من هنا نسمع بغا

<sup>٢٢١</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥١٢.

<sup>٢٢٢</sup> (٢) المصدر و الصفحة.

<sup>٢٢٣</sup> (١) المروج ج ٤ ص ٧٦.



ص: ١٦٠

يقول: رأيت في نومى النبى (ص) و معه جماعة من أصحابه. فقال لى: يا بعا احسنت إلى رجل من امتى، فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك. قال: فقلت: يا رسول الله و من ذلك الرجل؟ قال: الذى خلصته من السباع. فقلت: يا رسول الله. سل ربك ان يطيل عمرى.

فرفع يديه نحو السماء و قال: اللهم اطل عمره و اتم اجله. فقلت:

يا رسول الله، خمس و تسعون سنة. فقال رجل كان بين يديه: و يوقى من الآفات. فقلت للرجل من أنت. قال: انا على ابن ابى طالب.

فاستيقظت من نومى، و أنا أقول: على بن ابى طالب<sup>٢٢٤</sup>.

و مهما كان رأيك فى صدق الأحلام و كذبها، فاننا وجدنا بعا يعيش نيفا و تسعين سنة حتى توفى عام ٢٢٥٢٤٨ و فى نقل آخر انه كان حيا عام ٢٥٣ حين قتل و سيف التركى<sup>٢٢٤</sup> .. و على أى حال فهذا لا يعدو ان يكون مرجحا لطول عمره و ينقل التاريخ للامام الهادى عليه السلام موقفا واحدا تجاه بعا الكبير يدل على التأييد الضمنى له. و ذلك اثناء وجود الامام فى المدينة المنورة قبل انتقاله إلى سامراء، فانه فى عام ٢٣٠ اغار الاعراب من بنى سليم على المدينة و نهبوا الأسواق و قتلوا النفوس، و لم يفلح حاكم المدينة فى دفعهم رغم القتال الشديد. بل انتصروا عليه فازداد شرهم و استفحل

ص: ١٦١

أمرهم. فوجه إليهم الواثق العباسى بعا الكبير ففرقهم و قتل منهم و اسر آخرين و انهزم الباقر<sup>٢٢٧</sup>.

و بالطبع فان مثل هذه الحوادث المؤسفة تؤلم قلوب الناس و بخاصة قلب المؤمن الذى يشعر بتعاليم الاسلام و المسئولية الدينية. فكيف بحال الامام عليه السلام .. و من ثم نرى الامام حين ورود بعا بجيشه إلى المدينة .. نراه يقول لأصحابه: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبئة هذا التركى. يقول الراوى: فخرجنا فوقفنا<sup>٢٢٨</sup>.

و كان الامام (ع) بصفته الرئيس و الموجه لاصحابه و مواليه يريد أن يشجع بعا و يؤيده ضد هذا العمل التخريبي المؤسف. و ان كان التاريخ قد اهمل تماما، ما إذا كان قد وقع بين الامام و بعا شىء من الكلام أو بين أصحابهما شىء من المداولات.

<sup>٢٢٤</sup> (١) المصدر و الصفحة.

<sup>٢٢٥</sup> (٢) المصدر ج ٤ ص ٧٥.

<sup>٢٢٦</sup> (٣) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣٣٥.

<sup>٢٢٧</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٢٧٠.

<sup>٢٢٨</sup> (٢) انظر اعلام الورى ص ٢٤٣ و كشف الغمة ص ١٨٧ ج ٣.

الموقف الثانى: للامام عليه السلام تمهيده لغيبه حفيده محمد بن الحسن بن على الحجة المنتظر، و ذلك بتحضير الذهنية العامة لدى قواعده الشعبية، لتقبل فكرة الغيبة.

و تبليغ الامام عن ذلك كان منصبا على مواليه و مقتصرا على أصحابه الخاصين، و لم يكن يعم الآخرين، لانهم لم يكونوا يؤمنون بتسلسل خط الأئمة الاثنى عشر، اذن فيكون تبليغهم بذلك تبليغا بلا موضوع.

ص: ١٤٢

و يلاحظ فى تبليغ الامام عليه السلام التخطيط لحماية الحجة المهدي عند غيبته. فكلام الامام حوله محاط بهالة من القدسية و الغموض، و مشفوع بالتأكيد المتزائد بانه لا يحل لأحد ذكر اسمه. و ذلك توصلا إلى عدم تسريه إلى الجهاز الحاكم.

و قد وردت عنه - بهذا الصدد - عدة احاديث تقتصر على بعضها:

فمن ذلك قوله (ع) - فى كلام له: و من بعدى الحسن ابني. فكيف للناس بالخلف من بعده، قال الراوى: فقلت: و كيف ذلك يا مولاي.

قال: لأنه لا يرى شخصه و لا يحل ذكر اسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطا و عدلا، كما ملئت جورا و ظلما.

و من غامض قوله (ع) فى ذلك: إذا رفع علمكم من بين اظهركم فتوقعوا الفرغ من تحت أقدامكم. و قوله: فاني لكم بالخلف بعد الخلف<sup>٢٢٩</sup>.

و لا يخفى ما فى الغموض من مصلحة خفاء المهدي (ع) حتى من أصحابه و مواليه. فان المستوى العام الذى يجب أن يشتركوا فيه هو الايمان بوجوده، و انه الثانى بعد الامام الهادى (ع) و هو معنى: الخلف بعد الخلف. إلا ان معرفتهم بالتفاصيل فهو مما لا سبيل إليه، لأن أفراد أصحابه و مواليه يختلفون فى مقدار ضبطهم و صمودهم امام الاغراء و التهديد، فإذا عرفنا ان الدولة كانت مستعدة لبذل المستحيل و مختلف أساليب الاغراء و التهديد فى سبيل القبض عليه، لعلمنا انه يجب أن

ص: ١٤٣

يبقى اسم المهدي (ع) و مكانه و سائر أموره غامضة و مختفية حتى عن كثير من الموالين، لما يخشى من ضعفهم أمام الجهاز الحاكم.

<sup>٢٢٩</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط و انظر الخبر الأول فى الكافى المخطوط.

ولذا سنرى الامام الحسن العسكرى لا يعرض ابنه المهدي (ع) إلا على القليل من أصحابه، بالمقدار الذى تقوم به الحجة على الناس مع الضمان الكامل لنجاته من براثن الجهاز الحاكم، فكان موقف الامام الهادى عليه السلام تمهيدا لموقف ابنه الامام العسكرى عليه السلام من ذلك، وتهيئة للذهنية العامة تجاهه.

ص: ١٦٥

### الفصل الثالث تاريخ الإمام الحسن بن على العسكرى (ع)

ولد عليه السلام بالمدينة عام ٢٣٢ ٢٣٠ و انتقل مع ابيه إلى سامراء بأمر المتوكل - على ما عرفنا - عام ٢٣٤ و عمره حوالى العامين. و من ثم فقد قضى القسط الأهم من حياته فى العاصمة العباسية، و واكب فى العقدين الاولين من حياته، و هى فترة معاصرتة لابيه، جميع الظروف و الملابسات و المواقف التى كان يواجهها ابوه عليه السلام أو يقوم بها.

و كان يتلقى ذلك بصمت و ضبط و اتقان استعدادا لتولى الامانة بعد والده.

و إذ توفى والده الامام الهادى (ع) عام ٢٣١ ٢٥٤ فى أيام المعتز العباسى، قبل خلعه بعام واحد سنة ٢٣٢ ٢٥٥ .. يكون عمره عليه السلام آنذ، حين تسلمه مركز الامامه الفعلية لمواليه و المؤمنين بقيادته .. اثنين و عشرين عاما.

ص: ١٦٦

و قد واكب فى عصر امامته عليه السلام، عاما واحدا من أيام المعتز.

ثم المهتدى حتى ثار عليه الأتراک و قتلوه عام ٢٣٣ ٢٥٦. ثم واكب من ايام المعتمد حوالى اربعة أعوام، حيث توفى عليه السلام عام ٢٣٤ ٢٦٠.

على حين استمر المعتمد فى الحكم إلى عام ٢٧٩ حيث خرج من سامراء و قتل، و بذلك انتهت هذه البلدة عن كونها عاصمة للخلافة العباسية، و عادت الخلافة إلى بغداد .. و قد سبق فى الفصل الأول ان حملنا عن ذلك فكرة كافية.

---

٢٣٠ (١) انظر الارشاد ص ٣١٥ و اعلام الورى ص ٣٤٩ و الاتحاف ص ٦٨ و غيرها.

٢٣١ (٢) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٣٥ و الطبرى ج ١١ ص ١٥٧ و الكامل ج ٥ ص ٣٣٩ و ابن الوردى ج ١ ص ٣٣٧ و الاتحاف ص ٦٨ و الارشاد ص ٣٠٧ و اعلام الورى ص ٢٣٩ و المناقب ص ٥٠٥.

٢٣٢ (٣) الكامل ج ٥ ص ٣٤١.

٢٣٣ (١) المصدر ص ٣٥٥.

٢٣٤ (٢) انظر ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٢ و الكامل ج ٥ ص ٣٧٣ و ابن الوردى ج ١ ص ٢٣٢ و الاتحاف ص ٦٨ و الارشاد ص ٣١٥ و اعلام الورى ص ٣٤٩ و المناقب ص ٥٢٤ و الفصول المهمة ص ٣٠٧.

## موقفه (ع) تجاه الأحداث العامة:

و هنا نواجه نفس الفجوة التاريخية التي كنا نواجهها في تاريخ الامام الهادي عليه السلام. و هو عدم ورود تعليقات الامام العسكري (ع) على جملة من الحوادث العالمية فى أيامه. و قد اعطينا فيما سبق المبررات الواقعية لذلك مفصلا.

و المهم ان نعرف انه واكب عصر الامام العسكري (ع) العديد من الحوادث المهمة المختصة به. فالعام الأول من إمامته عليه السلام هو العام الأول لبدء دولة احمد بن طولون فى مصر. حيث بدأت بتولية الحكم على مصر واليا من قبل احد الأتراك هو بابكيال .. أولا. ثم آخر منهم هو ياركوج<sup>٢٣٥</sup> حيث استعمله الأخير على ديار مصر كلها و سلطه عليها فقوى امره و علا شأنه و دامت ايامه.

ص: ١٤٧

و فى ايامه عليه السلام، كانت سيطرة الحسن بن زيد العلوى على طبرستان، فى ثورته الكبرى ضد السلطة التى دامت عدة سنوات، و ما قام به و ما نفذ ضده من حروب.

و يتكلم كل ذلك، من ناحية الاهمية بالنسبة إلى الكيان العباسى القائم بل لشعب المنطقة كله .. بظهور صاحب الزنج بثورته العارمة الصاخبة التى عرفناها فيما سبق و قد استمرت حوالى الخمسة عشر عاما.

و سنجد للامام (ع) تعليقا بسيطا على صاحب الزنج. أما الحوادث الاخرى فلم نسمع منه عليها تعليقا. و انما كان كايه يقتصر فى نشاطه بصفته إماما لمواليه و أصحابه و مشرفا على مصالحهم العقائدية و الاجتماعية مضافا إلى تمهيدته المباشر لغيبه ولده الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام.

و من الغريب المؤسف، ان ظروفنا صعبة نراها تمر على الخلافة العباسية فى هذا العصر بالذات، ضعفت فيها الخلافة، و سيطر على الحكم الموالى و الأتراك و جماعة آخرين كالموفق طلحة بن المتوكل. و نرى المهتدى يتحنث و يتشبه بعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية، و ينصب قبة للمظالم و يتقرب إلى الله بما يعتقد من خدمة الناس و قضاء حوائجهم<sup>٢٣٦</sup> كل ذلك لم يوجب خفة الضغط الموجه ضد الامام و أصحابه و مواليه، بل كان فى ازىاد مستمر و تصاعد كبير، على ما نرى من المعتمد عند وفاة الامام العسكري و تقسيم أمواله و بدأ الغيبة الصغرى، على ما سنسمع، بالرغم مما كان يتمتع به المعتمد من سلبية و انصراف عن شئون الدولة.

و السبب فى ذلك واضح و هو ان التوجس من الامام و أصحابه و الخوف من تحركاته، لو كان مقتصر على شخص الخليفة أو بطانته،

ص: ١٤٨

<sup>٢٣٥</sup> (٣) الكامل ج ٥ ص ٣٣٩.

<sup>٢٣٦</sup> (١) انظر الكامل ج ٥ ص ٣٥٧ و المروج ج ٤ ص ١٠٣.

لهان الأمر، و لاستطاع الامام بكثير من الوسائل اخفاء نشاطه و بث تعاليمه بعيدا عن انظار الدولة. و لكن الأمر ليس كذلك، بل كان هذا التوجس و الانحراف متمثلا فى خط اجتماعى عام لم يكن الخليفة إلا أحد افراده .. يضم كل من سيطر على الدولة و كسر شوكة الخلافة، كالموفق نفسه و جماعة الاتراك و الموالى فى أكثر قوادهم و عامتهم. كما يضم، إلى جانب ذلك، عددا كبيرا من المصلحين و المنتفعين و «أعضاء الشرف» فى جهاز الدولة الكبير.

فكان هذا الخط الاجتماعى العام يتعاون و يتضامن ضد الخط العام الذى تمثله قيادة الامام عليه السلام. و يحاول بكل صراحة وجد ان يبعد الامام و أصحابه عن المسرح السياسى و الاجتماعى و يعد عليهم أنفاسهم و يحاسبهم على القليل و الكثير. فمن ثم لا ينبغى أن نتوقع خفة الضغط بتوالى الأعوام؛ بل شدته و ترسخه و عمق تأثيره.

و على أى حال، فينبغى أن نكون على ذكر من ذلك، فى مستقبل البحث فانه يمثل أحد الأسباب المهمة لحدوث الغيبة.

### تفاصيل مواقفه:

إذا نظرنا إلى مواقفه و أعماله عليه السلام، نجدها امتدادا طبيعيا لمواقف و اعمال والده عليه السلام، كما هو غير خفى لدى مقارنة بعضها من بعض، و معرفة انها تستقى من معين واحد و تتجه اتجاها متشابها.

و نستطيع ان نقسم مواقفه عليه السلام إلى أربعة:

الموقف الأول: موقفه تجاه من لا يؤمن بامامته، حكاما و محكومين.

ص: ١٦٩

كاقامة الحجّة عليهم أو تعليقه على بعض أعمالهم.

الموقف الثانى: جهاده العلمى فى رد الشبهات و إيضاح الحق.

الموقف الثالث: موقفه من أصحابه، محذرا لهم من الوقوع فى الشرك العباسى، أو معينا لهم على نوائب الدهر.

الموقف الرابع: تمهيده لغيبة ولده قائم آل محمد (ص).

فلا بد من الدخول فى تفاصيل هذه المواقف:

الموقف الأول: موقفه تجاه من لا يؤمن بامامته:

و من خلال تفاصيل هذا الموقف يمكن أن نضع يدنا على عدة نقاط:

## النقطة الأولى:

موقفه من خلفاء عصره:

كانت السياسة العباسية تجاه الأئمة عليهم السلام، تلك السياسة التي سنّها المأمون تجاه الامام الجواد و طبقها المتوكل تجاه الامام الهادي، و هي ربط الامام بالبلاط و دمجها بالحاشية توصلها الى دوام مراقبته و دقة الاطلاع على امره و فصله عن قواعده الشعبية الموالية له .. كانت هذه السياسة سارية المفعول تجاه الامام العسكري، فكان كوالده محجوزا في سامراء مسؤولا عن الذهاب إلى بلاط الخلافة كل اثنين و خميس<sup>٢٣٧</sup>.

ص: ١٧٠

الا ان علاقته بالخلفاء كانت باحتراس و حذر مضاعفين، و كانت خالية من الضجيج الذي كان يثار حول والده عليه السلام بل كانت تقام بشكل روتيني رتيب، تمسكا بتلك السياسة العامة بدون ان ينقل خبر في التاريخ عن تفاصيل العلاقات بينه و بين كل واحد من خلفاء عصره.

و انما اقتصر التاريخ على نقل تنبؤات الإمام عليه السلام، بموت من مات في عصره من الخلفاء، و هم اثنان: المعتز و المهتدي.

اما بالنسبة إلى المعتز، فوجد الامام عليه السلام يكتب إلى أحد أصحابه قبل موت المعتز بنحو من عشرين يوما: الزم بيتك حتى يحدث الحادث. فيتخيّل الرجل ان المراد الاشارة إلى حادث آخر. فلما قتل بريحة كتب إليه: قد حدث الحادث فما تأمرني. فكتب الامام إليه:

ليس هذا الحادث. الحادث الآخر، فكان من المعتز ما كان<sup>٢٣٨</sup>. و كلنا يعرف ما الذي كان، من مقتل المعتز عام ٢٥٥ بيد الاتراك على أساس ضيق ذات يده عن دفع الرواتب و الأرزاق، و بخل أمه عن امداده بالمال، على ما سمعنا من التاريخ العام في الفصل الأول.

لاحظ معي قول الراوي: فكان من المعتز ما كان، بما فيه من تعمد الاغماض و بعد الاشارة إلى مقتل المعتز. كما ان تعبير الامام عن ذلك أشد غموضا. و قد عرفنا إلى الآن تفاصيل الظروف التي أوجبت إغماض العبارتين.

ص: ١٧١

و مثله في الغموض تنبؤه الآخر بقتل المعتز، حيث يروى ان المعتز أمر سعيدا الحاجب بقتل الامام بعيدا عن عيون الناس.

<sup>٢٣٧</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٣.

<sup>٢٣٨</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٦.

قائلا له: اخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه فى الطريق. قال الراوى: فجاء توقيعه عليه السلام إلينا- يعنى إلى أصحابه- الذى سمعتموه تكفونه. فخلع المعتز بعد ثلاث و قتل<sup>٢٣٩</sup>.

ولا يخفى ما فى هذه العبارة الغامضة تجاه الجهاز الحاكم، من وضوح تجاه أصحابه عليه السلام، و رفع لمعنوياتهم، أن يعلموا ان امامهم و قائدهم المههد سيبقى على قيد الحياة. و ان الذى هدده هو الذى سيبوء بالفناء و الدمار. مضافا إلى انها ستكون دليلا جديدا على ايمانهم و صدق مقاعدهم، عند تحقق النبوءة فتزيدهم قوة فى العمل و تحملا للتضحية فى سبيل الحق.

و اما بالنسبة إلى المهتدى العباسى، فما قد يلاحظه التاريخ من كونه متحنثا متدينا، يتشبه بعمر بن عبد العزيز، و كان يواصل الصيام و كان يركع و يسجد إلى ان يدركه الصبح<sup>٢٤٠</sup> و انه بنى قبة للمظالم جلس فيها للعام و الخاص و امر بالمعروف و نهى عن المنكر و حرمّ الشراب و نهى عن القيان و أظهر العدل<sup>٢٤١</sup>... هذا و ان كان تقدا نحو الحق بالنسبة إلى اسلافه و تخلصا عن كثير من العثرات و الانحرافات التى وقعوا فيها. إلا انه على أى حال حق بمقدار فهمه و ادراكه .. حق مبتون

ص: ١٧٢

ناقص .. لا يمكن أن يكون هو التطبيق الصحيح للاسلام، و من ثم وقف الناس منه موقف الراضى المستنكر. و ذلك انطلاقا من احدى وجهتى نظر:

#### وجهة النظر الاولى:

وجهة من يجعل إلهه هواه، و يستصعب الحق و العدل و يستكين الى اللهو و اللعب الذى عودهم عليه الخلفاء السابقون. فكان مسلك هذا الرجل ضيقا عليه و احراجا لموقفه. يمثل هذه الوجهة أكثر الشعب و أكثر القواد و الوزراء و المنتفعين. يقول المسعودى: فنقلت و طأته على العامة و الخاصة، فاستطالوا خلافته و سئمو ايامه و عملوا الحيلة عليه حتى قتلوه<sup>٢٤٢</sup>.

#### وجهة النظر الثانية:

وجهة الامام عليه السلام الواعية لحقيقة المشكلة الاجتماعية من ناحية و للعدل الاسلامى من ناحية اخرى. فليست المشكلة الاساسية فى المجتمع، ما أدركه المهتدى من سوء القضاء أو انصراف الخليفة عن مصالح الناس أو كثرة البذخ فى البلاط أو زيادة مكتسبات القواد و رواتبهم .. فان كل ذلك و ان كان ظالما خارجا على حكم الاسلام .. إلا ان ذلك كله فرع الحقيقة الكبرى للمشكلة، و هو انحراف المجتمع اساسا عن العدل الاسلامى و عدم وعيه له و عدم استعداده لتطبيقه و التضحية فى سبيله.

<sup>٢٣٩</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣١.

<sup>٢٤٠</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ١٠٣.

<sup>٢٤١</sup> (٣) المصدر ص ٩٦.

<sup>٢٤٢</sup> (١) المروج ج ٤ ص ٩٦.

و الحل لا بد ان ينطلق من محاولة ايجاد الوعى و تثقيف الناس، حتى يخضعوا للحكم العادل و يكون طيبا على نفوسهم.

ص: ١٧٣

كما ان العدل الاسلامى ليس هو ما يقضى به المهتدى، فانه على اى حال ليس جامعا لشرائط القاضى العادل فى الاسلام. و بالنتيجة فان هذا الرجل هو ثمرة لخط طويل، منحرف- فى نظر الامام (ع)- و غاصب للحق الاولى الذى يؤمن به الامام لنفسه و لآبائه. و من ثم لم تكن سيرة المهتدى لتشفع تجاه الامام بحيث يخرج بها هذا الرجل عن كونه ظالما إلى كونه عادلا.

زد على ذلك، ان هذا الرجل الذى يدعى العدل، قد مارس سجن الامام عليه السلام، اذن فهو- على ما هو عليه- ممثل للحقد التقليدى للدولة العباسية تجاه الامام. و قد صرح الامام فى سجنه لأحد أصحابه المسجونين معه قائلا: فى هذه الليلة يبتتر الله عمره. قال الراوى: فلما أصبحنا، شغب الأتراك و قتل المهتدى و ولى المعتمد مكانه<sup>٢٤٣</sup>. و اذا رجعنا إلى التاريخ العام نرى كيف ان الأتراك بقيادة بابك كيال قاتلوه و حاججوه على سيرته و عزلوه و قتلوه.

و من طريق ما قالوا له: ان الرسول (ص) كان مع قوم قد زهدوا فى الدنيا و رغبوا فى الآخرة كأبى بكر و عمر و عثمان و على و غيرهم.

و أنت إنما رجالك ما بين تركى و خزرجى و فرغانى و مغربى و غير ذلك من أنواع الأعاجم .. لا يعلمون ما يجب عليهم من أمر آخرتهم، و انما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا، فكيف تحملهم على ما ذكرت من الواحة<sup>٢٤٤</sup>.

ص: ١٧٤

و من طريق ما فعل يومئذ: انه بعد انهزام جيشه فى قتال الأتراك، دخل سامراء وحده مستغيثا بالعامه مستنصر للناس، و هو ينادى: يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتمكم. فلم يجبه أحد من العامة إلى ذلك<sup>٢٤٥</sup>.

و نسمع للامام تنبأ آخر عن موت المهتدى اسبق من ذلك التنبؤ بايام مقرونا بتعليق سياسى. و ذلك: ان المهتدى بعد ان استفحل الأمر بينه و بين الموالى، عزم على استئصالهم<sup>٢٤٦</sup> و حلف قائلا: لاجلينهم عن جديد الأرض. فخطر فى ذهن بعض أصحاب الامام ان انشغال المهتدى بذلك يصرفه عن ملاحقة الامام و تهديده له. فكتب إلى الامام:

يا سيدى، الحمد لله الذى شغله عنك، فقد بلغنى انه يتهددك.

<sup>٢٤٣</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٥.

<sup>٢٤٤</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ٩٩.

<sup>٢٤٥</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٥٦.

<sup>٢٤٦</sup> (٢) على ما تقول الرواية- فى تاريخنا الخاص- و هو أمر غير معروف من التاريخ العام.

و ان كانت القران الاجتماعية قائمة على صحته.



فانظر بما ذا اجاب الامام .. انه إذ يعيش الجو السياسى آتذ يرى بوضوح ان الموالى أقوى من المهتدى و أكثر عدة و عددا. و إذا فهم الموالى قصده ضدهم .. فما أسهل من قتلهم إياه. و من ثم يكون تهديده لهم جناية من نفسه على نفسه و قطعاً لعمره، من دون ان يترتب غرضه.

فقد وقع الامام بخطه: ذاك أقصر لعمره. عد من يومك هذا خمسة أيام و يقتل فى اليوم السادس، بعد هو ان و استخفاف يمر به<sup>٢٤٧</sup>. يشير إلى القتال و المناقشات و عدم خروج الناس لنصرتة .. فكان كما قال<sup>٢٤٨</sup>.

ص:١٧٥

### موقف المعتمد تجاه الامام:

نرى للمعتمد موقفاً غريباً لم يسبق لأحد من أسلافه ان قام به، و هو موقف التذلل للامام و التضرع إليه.

فانه كان يكفى لهذا الرجل ادنى تفكير .. ليتوصل إلى الشك فى بقاءه فى الخلافة يوماً أو بعض يوم فضلاً عن العام و الأعوام. اذ يكفى ان يستعرض آجال اسلافه من الخلفاء و كيف كتبها الموالى و الأتراك بسيوفهم و آرائهم، ليدرك ضعف موقف الخلافة بشكل عام لا فى السيطرة على الحكم فقط، بل فى السيطرة على الخلافة نفسها. اذن فهو بصفته سائراً فى هذا الخط، فلن يكون أحسن حالاً من اسلافه؛ بل قد يكون - فى نظره - أسوأ حالاً باعتبار كونه مغلوباً على أمره مسلوباً عن التصرف بالكلية، على حين كانوا أقوى منه و أكثر حرية و انفذ حكماً.

لذا فقد وجد أقرب طريق لدفع الشر المستطير عن نفسه و ضمان طول عمره و امتداد حكمه، و لا زال فى أول أعوام خلافته، هو أن يقصد الإمام عليه السلام فى داره و يتضرع إليه و يسأله أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة فى الخلافة، فيجيبه الامام قائلاً: مد الله فى عمرك<sup>٢٤٩</sup>.

انظر إلى هذه المدة التى حددها لنفسه .. انها اقصى همة المعتمد و أبعد أهدافه!! و مهما يكن رأيك فى الدعاء .. فاننا نجد أن مدة

ص:١٧٦

خلافته زادت على العشرين بثلاث سنين من عام ٢٥٦ إلى عام ٢٧٩. كما يطلعنا على ذلك التاريخ العام. على حين لم يبق المتوكل - و هو أقوى خلفاء تلك الفترة - فى الحكم غير خمسة عشر عاماً، من عام ٢٣٢ إلى عام ٢٤٧.

<sup>٢٤٧</sup> (٣) اعلام الورى ص ٣٥٦.

<sup>٢٤٨</sup> (٤) الارشاد ص ٣٢٤.

<sup>٢٤٩</sup> (١) المناقب ص ٥٣٠ ج ٣.

و لعل السر في زيادة الثلاث سنين على العشرين هو انه عاش بعد دعاء الامام عشرين سنه. و لذلك تشير الرواية قائله: فاجيب -  
يعنى الامام- و توفي- المعتمد- بعد عشرين سنة<sup>٢٥٠</sup> مع افتراض ان المعتمد طلب الدعاء من الامام بعد ثلاث سنين من خلافته،  
يعنى عام ٢٥٩.

و هو أول عام لاحساسه بالضعف نتيجة لبدء سيطرة الموفق على دفة الحكم و الادارة، بعد ان عقد له المعتمد بنفسه و عينه قائدا  
لحرب صاحب الزنج قبل هذا التاريخ بعام أى سنة ٢٥٨.

و لكننا نستطيع الآن أن نرى بوضوح، السر الطبيعي لاستجابة دعاء الامام عليه السلام. فان المعتمد كان واهما في كون ضعفه و  
انصرافه عن الحكم موجبا لقلته مدته و قصر عمره. فان القوم من الأتراك و غيرهم انما كانوا يقتلون اسلافه نتيجة لغضبهم من  
تصرفاتهم و أقوالهم. و اما إذا كان الخليفة نكرة سلبيا لا قول له و لا فعل .. فهو الامل الأساسى لهم لكى تنتنى لهم الوسادة و  
تنتفح أمامهم الفرصة فى التصرف التام فى شئون البلاد. و لعل المعتمد قد فهم ذلك- لا شعوريا على الأقل ففضل بقاءه فى الخلافة  
على السعى إلى تطبيق المصالح الاسلامية العليا.

ص: ١٧٧

و من ثم استكان للذل و الانعزال. و بهذا امكن استجابة الدعاء و بقاء المعتمد فى الخلافة هذه المدة المتطاولة التى تزيد على  
تاريخ وفاة الامام العسكرى بحوالى تسعة أعوام.

و لعلك لاحظت معى أيضا، كيف ان المعتمد يعرف موطن الحق، و يؤمن فى باطن نفسه بصحة موقف الامام (ع) و عدالة قضيته.  
و ان كانت شئون الملك العباسى قد أخذت بخناق المعتمد و اوجبت غلظته على الامام (ع) و على أصحابه. و اما لو لم يكن  
المعتمد مؤمنا بذلك لما وجد أى داع فى نفسه لمثل هذا الطلب و التضرع، و لاختار شخصا آخر للقيام بمثل هذه المهمة.

فليكن هذا على ذكر منك، فانه ينفعنا فى تفسير جملة من تصرفات المعتمد عند وفاة الامام العسكرى عليه السلام.

و اما موقف الامام (ع) فى استجابته لطلب المعتمد فى الدعاء له.

فقد كان واضحا كل الوضوح، فهو:

اولا: لم يرد اعلان التمرد و الخلاف على الدولة، للذى عرفناه من سياسته و سياسة ابيه عليهما السلام. و كان رفضه لطلب الخليفة  
بالدعاء له تجسيدا لموقف التمرد و الخلاف على الدولة، بشكل أو بآخر، و هو ما لا يريده الامام عليه السلام.

ثانيا: كان يريد عليه السلام اثبات الحجة على هذا الرجل و على غيره ممن

يعرف هذه الواقعة. حين يرى الناس، وبخاصة الخليفة نفسه، في نهاية حياته، أنه قد استجيب الدعاء و قد استمرت مدة حكمه بالفعل عشرين سنة. فيتأكد بذلك من عدالة قضية الامام و انحراف الخط الحاكم.

و قد يخطر في الذهن: ان هذا الدعاء من الامام (ع) يستوجب طول عمر شخص يعتقد الامام نفسه ظالما منحرفا. و جوابه: ان الامام كان يعلم ان المعتمد متى وافته المنية - سواء طال زمانه أو قصر - فلن يخلفه إلا شخص منله من حيث الفكرة و الاتجاه. و لم يكن الامام على ما عرفنا يخطط لنيل الحكم لكي يكون موت المعتمد موجبا لفوز الامة الاسلامية بالحكم الاسلامي بقيادة الامام عليه السلام. اذن فيتمحض الموقف في الحصول على المصالح التي اشرنا إليها، و هي اقامة الحجة ضد موقف المعتمد، لاثبات عدالة قضية الامام (ع) و أصحابه.

### خبط تاريخي:

و الذي نود ان نشير إليه، و نحن في صدد الكلام عن موقف الامام من الخلفاء. انه وقع في هذا الصدد بعض التخليط في الروايات، حيث تذكر موقفا للامام العسكري عليه السلام تجاه المستعين<sup>٢٥١</sup>. و هذا لا يمكن ان يكون صحيحا. فان هذا الامام و ان كان معاصرا لعهد المستعين إلا ان ذلك كان في زمان حياة ابيه عليه السلام قبل توليه الامامة الفعلية. و نحن نعرف من العقائد الاسلامية ان كل امام يبقى في زمان ابيه صامتا غير ذي نشاط، و انما يبدأ علاقاته و نشاطه كله بعد موت

ابيه و توليه الامامة الفعلية لمواليه.

فهذه الروايات اما ان تكون مكذوبة، من قبل الرواة أو انها تحتوى على تحريف و تخليط بين اسماء الخلفاء، فانه قد يحصل مثل هذا الاشتباه لمدى التشابه اللفظي بين القابهم. أو انه حصل الاشتباه في اسم الامام عليه السلام، إذ قد يكون الموقف لابيه و قد نسب إليه. باعتبار ان كليهما عليهما السلام كان يسمى بالامام العسكري، و ان كان هذا اللقب على الحسن بن علي عليه السلام أشهر.

و منله ما روى من علاقته عليه السلام بالمتوكل<sup>٢٥٢</sup> فانه لم يكن معاصرا لعصر إمامته عليه السلام.

<sup>٢٥١</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣٢١ وكشف الغمة ٢٢٠.

<sup>٢٥٢</sup> (١) انظر المناقب ج ٣ ص ٢٢٠.

وقد التفت الاربلى فى كشف الغمة<sup>٢٥٣</sup> إلى هذا التخليط، ونسبه إلى غلط الرواة والنساح ثم قال: وللتحقيق حكم. أقول: و على أى حال تسقط هذه الروايات عن كونها صالحة للاثبات التاريخى.

### النقطة الثانية:

موقف الامام العسكرى من وزراء عصره.

نجد للامام عليه السلام موقفا حافلا مع الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الذى استوزره المعتمد فى أول تسلمه الحكم عام ٢٥٤٢<sup>٢٥٤</sup> و له مجلس قصير معه<sup>٢٥٥</sup> يرويه أبنه احمد. و كان شديد النصب و الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام. و مع ذلك نسمعه يقول: ما رأيت و لا

ص: ١٨٠

عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن على بن محمد بن على الرضا، فى هديه و سكونه و عفافه و نبله و كبرته عند أهل بيته و بنى هاشم كافة و تقديمهم اياه على ذوى السن منهم و الخطر. و كذلك كانت حاله عند القواد و الوزراء و عامة الناس.

و نحن إذ نسمع هذا المدح و الاكبار من أحمد بن عبيد الله، نعرف اثر هذا المجلس الذى سيرويه بنفسه، و تغيير عقيدته من النصب إلى الحب، و لكنه على أى حال لم يؤمن بالامامة.

و اذ يفكر الامام العسكرى عليه السلام ان يزور عبيد الله بن خاقان ابان وزارته، فانه يتوخى عدة مصالح و مبررات كلها أو بعضها:

احدهما: ان هذه الزيارة امتداد لتلك السياسة القديمة التى سار فيها المتوكل تجاه ابيه، من التقريب إلى البلاط، و الدمج بالحاشية. و لم يكن الامام بسليبيته، مريدا الخروج على هذه السياسة أو الاحتجاج ضدها ثانيهما: ان الامام كان يستهدف من وراء هذه الزيارة بعض مصالح أصحابه، اما تأليفا لقلب هذا الوزير تجاههم، أو انه كان قاصدا إليه بحاجة مهمة معينة، لم يذكرها له، لانقطاع مجلسه معه بدخول ابى احمد الموفق زائرا للوزير على ما سنذكر.

ثالثها: ان هذا الوزير كان يحترم الامام و يعتقد بقدسيته و عظمته و جدارته، كما يدل عليه كلامه الذى سنسمعه عنه. و كان الامام عليه

<sup>٢٥٣</sup> (٢) انظر ج ٣ ص ٢٢٠.

<sup>٢٥٤</sup> (٣) انظر الكامل ج ٥ ص ٣٥٨ و المروج ج ٤ ص ١١١.

<sup>٢٥٥</sup> (٤) انظره فى الإرشاد ص ٣١٨ و اعلام الورى ص ٣٥٧ و غيرها

السلام يعلم منه ذلك. فذهب لزيارته تأييدا لهذه الجهة في نفسه و إذكاء لهذا النور في قلبه. و كأنه يريد ان يفهم الدولة بشكل عملي انه عليه السلام إلى جنب الوزير في انتقاده للظلم و انحراف الصادر من رجال الحكم، فانه عليه السلام يعطى التأييد لكل حق، اينما وجد الحق. و ليس له عداوة شخصية مع أحد، فانها قضية أمة و دين، و هي أعلى و أوسع من الأشخاص و الارقام. و قد اختار الامام عليه السلام ان تكون زيارته في مجلسه العام لكي يحقق ذلك الهدف، و لثلا تكون زيارة خاصة قد تتبرر الشكوك.

و كان مجلس الوزير محتشما مهيبا باحتشام الوزير و هيئته فكان لا يكنى أحد بحضرتة و لا يمشى مستقبلا أو مودعا أحدا و لا يجوز الدخول إليه إلا بعد اذنه الخاص.

و في اثناء جلوسه في مجلسه، و ولده احمد يقف خلفه إذ يدخل حجابته قائلين: أبو محمد بن الرضا بالباب. فيأخذ هذا الخبر اهتماما في نفس الوزير و يقول بصوت عال محاولا اسماع الزائر الكريم: انذنوا له. قال ولده احمد: فتعجبت مما سمعت منهم و من جسارتهم ان يكونوا بحضرة ابي، و لم يكن يكنى عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى.

يقول: فدخل رجل حسن القامة جميل الوجه جيد البدن؛ حديث السن، له جلاله و هيئته حسنة. أقول: كان عمره في أول وزارة عبيد الله بن خاقان أربعاً و عشرين سنة. و انما استجلب عمره انتباه احمد، باعتبار

كثرة ما رأى له من تبجيل و احترام، مما لا يكون غالبا للفتى في مثل عمره عليه السلام، بحسب فهم هذا الرجل و تصوره.

قال احمد: فلما نظر إليه ابي، قام فمشى إليه خطأ، و لا أعلمه فعل هذا باحد من بنى هاشم و القواد. فلما دنى منه عاتقه و قبل وجهه و صدره، و أخذ بيده و أجلسه على مصلاه الذي كان عليه و جلس إلى جنبه مقبلا عليه بوجهه، و جعل يكلمه و يفديه بنفسه. أقول: و لا يخفى أثر هذا الاحترام على مجموع الحاضرين، في مثل هذا المجلس المحتشم.

و بخاصة في نفس احمد بن عبيد الله، الذي كان متعجبا مما يرى من ابيه.

و بعد برهة قصيرة، اذ دخل الحاجب معلنا عن مجيء الموفق «طلحة بن المتوكل» الذي يكلفه المعتمد يومئذ بقتال صاحب الزنج.

و كان الموفق إذا دخل على هذا الوزير تقدمه حجابته و خاصة قواده، فوقفوا يمين مجلس الوزير و الدار على شكل صفين من حين دخول الموفق إلى حين خروجه.

و كان الوزير لا يزال مقبلا على ابي محمد عليه السلام يحدثه حين سمع بمجىء الموفق. و هو يعلم كل العلم بما في عثور الموفق على الامام في هذا المجلس من الخطر عليه و على الامام معا. فأراد أن يعرفه بكل أدب و احترام قبل دخول الموفق. فقال له:

إذا شئت، جعلنى الله فداك يكنى بذلك عن طلب القيام منه. ثم عانقه و أمر حجابيه بالأخذ بيد الامام وراء أحد الصفين، ليكون فى امكانهم أن يخرجوه خلصة.

و اما احمد بن عبيد الله فقد بقى قلقا متفكرا فى أمر ابيه و أمر

ص: ١٨٣

الامام، حتى استغل فرصة سانحة لأبيه فاستأذنه بالسؤال و قال: يا به! من الرجل الذى رأيتك بالعداء، فعلت به ما فعلت من الاجلال و الكرامة و التبجيل، و فديته بنفسك و ابويك. قال: فقال: يا بنى ذاك امام الرافضة الحسن بن على المعروف بابن الرضا. ثم سكت و أنا ساكت، ثم قال:- و انظر إلى ما قال!:- يا بنى لو زالت الامامة عن خلفائنا بنى العباس ما استحقتها أحد من بنى هاشم غيره لفضله و عفافه و صيانتته و زهده و عبادته و جميل اخلاقه و صلاحه. و لو رأيت اباہ رأيت رجلا جزلا نبيلًا فاضلا.

و هذا يدل بكل وضوح، على الذى عرفناه فى تاريخ الامام الهادى عليه السلام، من ان عظمة الامام و عدالة قضيته قد تمتشت فى قلوب الناس و افكارهم، نتيجة لجهود الامام المتظافرة، فلم تدع حتى المنتفعين من الدولة و المنخرطين فى سلكها، فضلا عن جمهور العامة و سائر الناس.

قال أحمد: فلم تكن لى همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره و البحث عن أمره. فما سألت أحدا من بنى هاشم و القواد و الكتاب و القضاة و الفقهاء و سائر الناس، إلا وجدته عندهم فى غاية الاجلال و الاعظام و المحل الرفيع و القول الجميل و التقدير له على جميع أهل بيته و مشايخه.

فعظم قدره عندى. إذ لم أر له وليا و لا عدوا الا و هو يحسن القول فيه و الثناء عليه.

النقطة الثالثة: موقف الامام من صاحب الزنج.

نستطيع ان نحلل موقف صاحب الزنج نفسه إلى ثلاث أمور:

ص: ١٨٤

الأول: خروجه على الدولة العباسية و خلافتها.

الثانى: زعمه الانتساب إلى امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام. حيث زعم انه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على ابى طالب<sup>٢٥٦</sup>.

الثالث: خروجه على القانون الاجتماعى السائد بما فيه تعاليم الدين الاسلامى نفسه، من قتله الرجال و سلبه الأموال و احراقه المدن و سببه النساء، كل ذلك بالجملة و بلا حساب و باعداد الآلاف لا الآحاد و لا العشرات.

اما الأمر الثالث: فموقف الامام عليه السلام منه واضح كل الوضوح و هو الاستنكار و الرفض التام القاطع لكل تلك الأعمال، على أساس منافاتها الفاضحة لعدالة الدين و تعاليم سيد المرسلين، تلك التعامل التى يمثل الامام قمته العليا، فى نظره- على الأقل-.

و نحن فى غنى فى معرفة ذلك عن وروده فى الروايات. و ستأتى الاشارة إلى سبب سكوت الامام عنه، مضافا إلى وضوحه و اخذه مسلما و مفروض الصحة بينه و بين أصحابه.

و اما الأمر الثانى: فهو الذى وردنا عن الامام عليه السلام نفيه فانه بصفته أعظم فرد فى عصره من الذرية العلوية، يكون هو المسئول عن إيضاح صحة نسبة هذا المدعى و بطلانها. و بخاصة بعد أن توجه السؤال إليه فى ذلك. فأجاب قائلا:- ضمن كلام له:- و صاحب الزنج

ص: ١٨٥

ليس منا أهل البيت<sup>٢٥٧</sup>.

و لا يخفى ما فى تجريده عن هذه الصفة من سوق رائجة عند الناس، فان العقل و الشرع و ان حكما بانه «لا تزر وازرة وزر اخرى» و انه لا نقص فى الاب إذا كان أحد ذريته منحرفا ظالما. كيف و ان ابراهيم الخليل على نبينا و عليه السلام كان له ذرية ظالمون، أخرجهم الله تعالى عن عهده بقوله عز من قائل «لا ينال عهدى الظالمين». إلا ان الجمهور سوف يقول ما يشاء و يلوك العلويين بما هم منه براء. و من ثم نستطيع ان نتصور أثر ادعاء صاحب الزنج الانتساب إليهم، و اثر تكذيب الامام (ع) اياه.

و لم يسأل الامام عن التفاصيل السياسية لثورة الزنج لعدم تحمله مسئولية بيانها باعتباره ليس حاكما و لا فى طريق الحكم. و كل من يكون كذلك لا يكون مسئولا عن بيان آرائه السياسية كما أسلفنا.

مضافا إلى ان نقد صاحب الزنج فى تفاصيله يحتوى على تأييد ضمنى للدولة. و بخاصة إذا عرفنا ان المنازل له فى حومة القتال هو الموفق الذى خشى عبيد الله بن خاقان ان يجتمع بالامام فى مجلسه- فاستنكار ثورة الزنج يجب ان يعطى من قبل الامام بحذر بالغ بشكل لا يستشعر منه ذلك التأييد. فان الامر الأول الذى ذكرناه لصاحب الزنج و هو خروجه على الدولة العباسية و وقوفه منها موقف المعارض، أمر ينبغى المحافظة على معنويته، من حيث كونه مؤديا إلى اضعاف الحكم

ص: ١٨٦

وكسر شوكته. وهذا معنى الفكرة القائلة: بان المعارضين - مهما اختلفوا - يشتركون في مناوئة الوضع القائم.

على ان هناك فائدة اخرى قد ينالها الامام و أصحابه من وراء حركة الزنج. فهي في نظرهم و ان كانت واقعا مؤسفا إلا انها حقيقة واقعة يمكن استغلالها. و ذلك: لأن الدولة لم تكن من القوة بحيث يمكنها أن تحارب في جبهتين، و ان تعطى لكل جبهة ثقلها المطلوب.

اذن فاتجاهها لحرب الزنج يعنى - إلى حد ما - خفة الضغط على الامام و أصحابه. و لكننا يجب أن لا نبالغ في ذلك فان الدولة كانت تبذل المستحيل في سبيل صد نشاط الامام و الوقوف ضده، بل انها اتراه - في واقعه - أشد خطرا و ابعد أثرا من الزنج. و هي - على أى حال - لا تتكلف تجاه الامام و أصحابه حربا حقيقية و انما غاية ما تتكلفه هو البذل على التجسس و السجن و التشريد، و هو أمر لا ينافى القيام بالحرب في جبهة اخرى.

النقطة الرابعة: موقف الامام من ساجنيه.

و اقصد بهم من يتولى سجنه و الاشراف عليه من قبل الدولة. فقد كان عليه السلام يقيم عليهم الحجة الواضحة التي يجعلهم بها يؤمنون به أعمق الايمان، و بالتالى: بجريمة من أمر بسجنه و رضى به.

الا أنه كان يقيم الحجة بطريق غير مباشر، لا يستخدم فيه الوعظ و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .. و انما يقيمها بافعاله .. بعبادته ..

بزهدة .. بالآيات التي يتعمد أقامتها أمامهم بكل بساطة و هدوء. و من ثم

ص: ١٨٧

نرى ان السجن حين يؤمن به، يختص إيمانه بشخص الامام من دون ثقافة تفصيلية، تلك الثقافة التي لم تكن متوفرة عند أمثال هؤلاء إلا باقل القليل. ما لم يفترض ان الامام يستطيع أن يزرق إليه بالكناية و لباقة التعبير بعض التوجيهات، و خاصة بعد أن أصبح السجن - و هو عين الدولة عليه - مواليا له لا يحتمل في شأنه أن يشى به.

فمن ذلك انه حبس أبو محمد عليه السلام عند على بن اوتامش، و هو أحد أتراك العاصمة العباسية. و كان شديد العداوة لآل محمد عليهم السلام غليظا على آل ابى طالب .. فما أقام إلا يوما حتى وضع خديه له، و كان لا يرفع بصره اجلالا و اعظاما. و خرج من عنده و هو احسن الناس بصيرة و أحسنهم قولاً فيه<sup>٢٥٨</sup> و هذه الرواية، و التي نذكرها بعدها أيضا، تهملان ذكر الخليفة الذي أمر بسجن الامام. و هذا من فجوات التاريخ التي يصعب الوقوف فيها على أمر يقين.



و من ذلك انه عند ما حبس الامام عليه السلام، دخل العباسيون على صالح بن وصيف فقالوا له: ضيق عليه. فلم يستنكر ابن وصيف ذلك، إلا انه اراد ان يعلن اعتذاره عن عجزه عن التضييق عليه، فقال: و كلت به رجلين من شر من قدرت عليه: على بن بارمش و اتمامش .. فقد صارا من العبادة و الصلاة إلى أمر عظيم يضعان خديهما له.

ثم ان ابن وصيف أمر باحضارهما لاستجوابهما أمام النفر العباسيين عن

ص: ١٨٨

هذا التغير الذى طرأ عليهما. فقال لهما: و يحكما! ما شأنكما فى شأن هذا الرجل؟ فانظر بما ذا اجابا و كيف يكون قولهما دعاية تلقائية صافية للامام (ع) أمام هؤلاء المتعنتين. فقد قالوا: ما نقول فى رجل يقوم الليل كله، و يصوم النهار لا يتكلم و لا يتشاغل بغير العبادة. فاذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا و داخلنا ما لا نملكه من انفسنا<sup>٢٥٩</sup>.

و لعلك لاحظت معنى عجز الدولة عن التضييق عليه فى سجنه. فان أمرها تجاه الامام دائر بين شيئين: فأما ان تقتصر فى الاشراف عليه على فرد أو افراد معينين يواكبون كل الأيام التى يقضيها الامام فى السجن. فهؤلاء سيصبحون بعد قليل من الاندفاع تجاه الامام بحيث يعد من المستحيل اقناعهم بتعذيبه و التضييق عليه. فلربما قدموا نفوسهم دونه أو عذابهم على راحته، أو اشتغلوا بالعبادة عن تنفيذ ما يوجه إليهم من أمر بهذا الخصوص. و اما ان ترى الدولة ضرورة تجنب ذلك فتستعين بكتيرين يقوم كل يوم واحد أو أكثر فى الاشراف على السجن. فهذا يكون انكى عليها، لأن هؤلاء برمتهم سيؤمنون بالامام، و يصبحون - بشكل أو بآخر - من قواعد الشعبية و مؤيديه.

ثم انه من المعتقد ان كلتا الراويتين تعربان عن حادثة واحدة لسجن الامام عليه السلام. إلا ان الثانية توسعت فى النقل أكثر و اقتصرت الاولى على بيان حال على بن اوتامش مع الامام. فاذا تم

ص: ١٨٩

احتمال: ان يكون المراد من على بن بارمش فى الرواية الثانية هو على بن اوتامش نفسه .. مع حصول التحريف فى نقله. إذا تم ذلك لم يبق أى تهاوت بين الراويتين - أما صالح بن وصيف فلم يكن هو السجن و انما كان بمنزلة مدير السجن، اما الاشراف المباشر فلعلى بن اوتامش و صاحبه.

النقطة الخامسة: موقفه عليه السلام من عامة من لا يؤمن بامامته.

و بخاصة الموالى و الأتراك، لاجل اقامة الحق أو دفع الشبهات. و نحن هنا فى غنى عن الاشارة إلى ما سبق ان عرفناه فى تاريخ ابيه عليه السلام، من اهمية هذا الموقف فى زيادة المخلصين له و توسيع قواعد الشعبية .. و بالتالى:

بذر الشك في نفوس الناس من الحكم العباسي السائد.

فمن ذلك ان ابا محمد عليه السلام كان كثيرا ما يكلم غلمانه بلغاتهم و فيهم ترك و روم و صقالبة. قال الراوى: فتعجبت من ذلك. و قلت:

هذا ولد بالمدينة و لم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن عليه السلام، و لا رآه أحد، فكيف هذا؟ و بينما يحدث نفسه بذلك اذ اقبل الامام (ع) عليه و قال له: ان الله عز و جل ابان حجته من سائر خلقه و اعطاه معرفة كل شىء، فهو يعرف اللغات و الانساب و الحوادث.

و لو لا ذلك لم يكن بين الحجة و المحجوج فرق<sup>٢٦٠</sup> فقد دلت هذه الرواية على أمور رئيسية ثلاثة:

الأمر الأول: ان الامام عليه السلام كان يمتلك غلمانا كثيرين.

و لعلك تتوسع في الظن إلى الاعتقاد بانه كان يملك إلى جانب ذلك ما

ص: ١٩٠

يوازيه و يقتضيه من الدار الواسعة و الأموال و العلاقات.

و هذا، لو فرضت صحته، فهو ناشئ من أحد منشأين:

المنشأ الأول: ما سبق ان عرفناه من السياسة التى اتبعها العباسيون تجاهه و تجاه والده وجده عليهم السلام. تلك السياسة التى كانت قائمة - بحسب التحليل - على ركائز ثلاثة: أولها: تقريرت الامام من البلاط و الدمج بالحاشية. ثانيها: مراقبته و الفحص عن أموره صغيرها و كبيرها جملة و تفصيلا. ثالثها: اكرامه و احترامه ظاهرا، لأجل ذر الرماد فى عيون الناس و اسكات من يحاول الاحتجاج على مراقبته و مضايقته.

و من الطبيعى أن يحتاج تقريبه من البلاط إلى حياة مرفهة توازى كل من هو قريب من البلاط و مندمج فى الحاشية. و لا يمكن ان تدرك الدولة العباسية غير ذلك. كما ان الدولة كلما شددت على المراقبة و المطاردة احتاجت إلى «رماد» أكثر لتذره فى عيون الناس بطبيعة الحال.

و من الطبيعى ان نتصور ان الامام قد حصل على عدد من هؤلاء الغلمان نتيجة لهذه السياسة. و الامام يتقبلها لأمرين: الأول: تمشيا مع سياسته السلبية تجاه الدولة و تجنبنا لاثارة الخلاف معها. الثانى: كون ذلك فى مصلحة العبيد أنفسهم، من حيث انقاذهم من براثن الباطل و الانحراف و انتقالهم إلى طريق معرفة الحق .. و سيرهم فى طريق الانعتاق فى نهاية الشوط.

المنشأ الثاني: ما عرفناه أيضا من أن الامام عليه السلام بصفته الرئيس

ص: ١٩١

الأعلى لمواليه و المؤمنين به، يستقطب، بحسب الامكان، كميات الأموال التي كانت ترد إليه من الأطراف من الحقوق الشرعية و غيرها مما يرسله مواليه. و كان يصرف القسم الأكبر منها على المصالح الاجتماعية و الاسلامية لأصحابه و مواليه. و قد يبقى عنده - بعد ذلك - كمية من الأموال التي يستطيع الحصول بها على عدد من العبيد، لأجل مصالحه العامة و الخاصة و مصالح العبيد أنفسهم أيضا.

و لا يفوتنا في هذا المجال ان نحتمل - على الأقل - ان جملة الأموال قد ترد إليه - حين ترد - على شكل عبيد لا على شكل نقود.

فيكون ذلك موجبا لتكديسهم لديه.

على ان الرواية عبرت بالعلمان، و الغلام في اللغة: العبد و الأجير ..

فربما كان عدد منهم أجرارا و لم يكونوا عبيدا. كان يستأجرهم للقيام بامور معينة تعود إلى مصالحه الخاصة و العامة. و الرواية لم تدل على اجتماعهم دفعة واحدة ليقال: أى حاجة إلى هذا المقدار من الاجراء يوميا.

الامر الثاني مما يلاحظ دلالة الرواية عليه: ما قلناه من ان القاعدة العامة تقتضى كون الامام خلال حياة ابيه أن يكون منعزلا عن المسؤولية فارغا عن شئون القيادة و أعمالها. و تطبيقا لهذه القاعدة كان الامام الهادى عليه السلام يحجب ابنه عن المجتمع و يبعده عن العلاقات العامة.

و كان التركيز على الامام العسكرى (ع) من هذه الناحية أشد، لأجل تهيئة الذهنية العامة لتقبل احتجاجه تقديمها لتهيئتها لغيبة الامام المهدي عليه السلام، على ما سوف نشير إليه.

ص: ١٩٢

الامر الثالث: ان الامام عليه السلام، مضافا إلى هدايته لعلمانه الموالى و اقامة الحجة عليهم، فانه أقام الحجة على الراوى أيضا، بعد ان تعجب من معرفة الامام بمختلف اللغات. و كان حاصل مراد الامام في جوابه: ان الامام الذى يجب ان يكون المثال الأعلى للشعب المسلم و خير أفراد الأمة الاسلامية؛ إذا فرض انه كان جاهلا باللغات - مثلا - فانه يكون مشتركا مع سائر الأفراد فى هذا الجهل و ليس له عليهم مزيه. و هو معنى قوله عليه السلام: لم يكن بين الحجة و المحجوج فرق. و من ثم جعل الله تعالى للامام هذه الخصوصية و هى العلم بكل شىء، حتى يتحقق فعلا انه أفضل سائر أفراد الامة الاسلامية.

و يندرج فى هذه النقطة من مواقف الامام عليه السلام.

ما روى من ان رجلا بالأهواز ناظر رجلا من التنويه، بقصد افحامه و اقامة الدليل الاسلامى الصحيح ضده. و لكنه كان ضعيف الثقافة الاسلاميه، فبدل ان يؤثر فيه تأثر منه. و قويت حجة ذاك الثنوى فى نفس هذا الرجل. ثم ان قدم سامرا .. يقول:

فحين رأيت ابا محمد أو ما بسبابته: احد احد. فخررت مغشيا على<sup>٢٦١</sup>.

اقول: انما تكون هذه الاشارة دليلا على المطلوب، مع انها تكرر لنفس الدعوى بدون زيادة ... باعتبار ان الامام استطاع استعمال المعجزة لاثبات الحجة، فيكون فى استطاع هذا الرجل ان يقول فى نفسه: بان هذا الامام قطعى الصدق باعتبار معجزته- و هى علمه بما فى

ص: ١٩٣

نفسى بدون سابق معرفة- و هو يرشدنى الى ان الرب الذى وهبه هذا العلم رب واحد احد لا إله الا هو اذن فيثبت المطلوب، بالدليل الإنيِّ باصطلاح الفلسفة.

و يندرج فى هذه النقطة أيضا، ما روى من اقامته للحجة على رجل من وفد جاء الى سامراء من الاهواز من موالى الامام عليه السلام.

و قد صادف يوم وصول الوفد، يوم خروج السلطان الى صاحب البصرة- على حد تعبير الرواية يعنى خروج الموفق لمنازلة صاحب الزنج الذى كان مسيطرا على منطقة البصرة و الاهواز. و كان الامام العسكرى (ع) خارجا من موكب السلطان. اقول: و هذا تطبيق جزئى لسياسة دمج الامام بحاشية البلاط.

و اذ يرجع الامام يمر فى طريقه على جماعة الوفد .. و حين يقرب منهم يقف و يمد يده الى قلنسوته فينتزعها عن رأسه و يمسكها بيده و يمر بيده الاخرى على رأسه. ثم يلتفت الى رجل من الحاضرين فيبتسم فى وجهه ..

و يكون لهذا الموقف بالغ التأثير فى نفس الرجل، فيبادر الى القول:

اشهد انك حجة الله و خيرته. قال الراوى: فقلنا: يا هذا ما شأنك.

قال: كنت شاكا فيه. فقلت فى نفسى: ان رجوع و اخذ القلنسوة من رأسه قلت بامامته<sup>٢٦٢</sup>.

و يطيب لى ان اعلق على هذه الرواية بما يلى:

<sup>٢٦١</sup> (١) انظر المناقب ج ٣ ص ٥٣٠ و كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٥.

<sup>٢٦٢</sup> (١) انظر الخرائج و الجرائح ص ٦٤ و غيره.

اولا: اننا نستطيع ان نحدد تاريخ مجيء هذا الوفد من الاهواز الى سامراء. بعد ان عرفنا انه وقع في اليوم الذي عقد فيه المعتمد الموفق قائد الحرب الزنج. و نحن نعرف من التاريخ العام ان ذلك

ص: ١٩٤

قد وقع في ربيع الاول من عام ٢٥٨ .. و ان المعتمد قد ركب معه يشيعه حين خروجه<sup>٢٦٣</sup> و من هنا نعرف ان الامام (ع) كان في موكب المعتمد.

ثانيا: ان القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام، قد اتسعت و شملت كثيرا من المناطق الاسلامية. و كانوا يرجعون في تحديد وضعهم الديني و الاجتماعي و الاقتصادي الى الامام. و يتم ذلك باحد طريقتين:

الطريق الاول: ارسال الوفود، لنقل الاموال التي تحصل من الحقوق و الضرائب الاسلامية و تسليمها الى الامام. و لنقل الاستفتاءات و الاسئلة حول مختلف الاحوال الشخصية و الاجتماعية و العقائدية من اهل البلاد، و معرفة جوابها من الامام. و قد ورد هذا الوفد من الاهواز ليقوم بمثل هذه المهمة.

الطريق الثاني: الاتصال بوكلاء الأئمة عليهم السلام: فانه كان لهم وكلاء في مختلف انحاء البلاد الاسلامية، و في كل منطقة تخضع للامام بالولاء. يكون الوكيل مشرفا عاما على مصالحهم في حدود تعاليم الامام و قواعد الشريعة الاسلامية. و سيأتي من الأخبار الكثيرة الدالة على ذلك.

ثالثا: لعلك لاحظت معي كيفية اقامة الحجّة على هذا الرجل على شكل سرى لا يطلع عليه غيره، و لا يمكن أن يدخل تحت رقابة أو ضبط. و لو لم ينسب الرجل ببنت شفة لبقيت الحجّة مكتومة من غيره إلى الأبد. و بهذا قد حصل الامام مواليا متيقنا بامامته، من دون دخوله تحت طائل رقابة الدولة.

ص: ١٩٥

الموقف الثاني: جهاده العلمي: من حيث قيامه بمسئوليته الاسلامية في رد الشبهات و اقامة الحق، بطريق المناقشة العلمية و الجدل الموضوعي.

أو اصدار البيانات العلمية أو تأليف الكتب و نحو ذلك.

فمن ذلك موقف الامام عليه السلام من الكندي «ابى يوسف يعقوب بن اسحاق» فيلسوف العراق في زمانه، حين أخذ في التأليف في تناقض القرآن، و شغل نفسه بذلك و تفرد به في منزله. فسلط الامام عليه أحد طلابه بكلام قاله له، جعله يتوب و يحرق أوراقه.

و ملخص الفكرة التي بذرها الامام فى ذهن هذا الفيلسوف، بعد ان وصفه لتلميذه: انه رجل (يفهم إذا سمع) .. هو احتمال ان يكون المراد بالآيات القرآنية غير المعانى التي فهمها و ذهب إليها.

و حين ذكر له تلميذه هذا الاحتمال فكر فى نفسه و رأى ذلك محتملا فى اللغة و سائعا فى النظر. فقال: اقسمت عليك إلا اخبرتني من أين لك. فقال: انه شىء عرض بقلبي فاوردته عليك. فقال: كلا. ما مثلك من اهتدى إلى هذا، و لا من بلغ هذه المنزلة، فاخبرني من أين لك هذا. فقال: اخبرني به أبو محمد فقال: الآن جئت به. و ما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت. ثم انه دعا بالنار و احرق جميع ما كان ألفه<sup>٢٤٤</sup>.

و هذه الرواية تدل على ان الكندى مر بمرحلة فكرية لم يكن يعترف فيها بالاسلام. و هو و ان كان أمرا محتملا، إلا اننا لا نستطيع التثبيت

ص: ١٩٤

بهذه الرواية ضد الكندى. فانها من المراسيل التي لا تصلح للاثبات التاريخي<sup>٢٤٥</sup>، و لم نجدها فى المصادر الاخرى لتاريخنا الخاص، كما لم نجد ما يوازئها فى تاريخ الكندى نفسه، فى حدود ما اطلعنا عليه من مصادر.

و من بياناته العلمية ايضا حه لأبى هاشم الجعفرى، و هو من خاصة أصحابه، مسألة خلق القرآن<sup>٢٤٦</sup> و له عليه السلام بيانات تفصيلية فى تفسير القرآن و فى عصمة الملائكة و فى الاخلاق الفاضلة<sup>٢٤٧</sup>.

و يذكر له ابن شهر اشوب<sup>٢٤٨</sup>، مرسلا، بيانا ضافيا، أرسله عليه السلام إلى على بن الحسين بن بابويه القمى، و هو من اجلة علمائنا المتقدمين فقها و وثاقة. يخاطبه فيه: يا شيخى يا أبا الحسن. و نحن نعرف ان ابن بابويه توفى عام ٢٤٩٣٢٩ فتكون وفاته بعد وفاة الامام العسكرى عليه السلام المتوفى عام ٢٤٠، بتسع و ستين عاما، فمن المحتمل انه عليه الرحمة عاصر الامام شابا فى نحو العشرين من العمر، و كان و هو فى مقتبل العمر شيخا جليلا له المرتبة الفضلى التي تؤهله لأن يخاطبه الامام بهذا الاسلوب و الله العالم بحقائق الأمور.

<sup>٢٤٤</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٢٤.

<sup>٢٤٥</sup> (١) قاله يرويه ابن شهر اشوب فى المناقب عن ابى القاسم الكوفى فى كتاب «التبديل».

مرسلة ... بدون سند.

<sup>٢٤٦</sup> (٢) المناقب ج ٣ ص ٥٣٥.

<sup>٢٤٧</sup> (٣) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٥٠ و ما بعدها.

<sup>٢٤٨</sup> (٤) المناقب ج ٣ ص ٥٢٧.

<sup>٢٤٩</sup> (٥) الكنى و الألقاب ج ١ ص ٢١٨.

و على أى حال، فالامام- حسب الرواية- يؤكد فى بيانه هذا على غيبة ولده الامام المنتظر عليه السلام، و على الخلق الذى ينبغى أن

ص: ١٩٧

يتحلى به الفرد المسلم فى أيام الغيبة، و هو الصبر و انتظار الفرج.

فيكون هذا البيان إحدى تمهيداته عليه السلام للغيبة. و سوف نعرض لها فى مستقبل البحث.

و نسب إليه أيضا، بشكل غير موثوق، التفسير المشهور: بتفسير الامام العسكرى. و هو يحتوى على تفسير سورتي الحمد و البقرة باستطرادات كثيرة حول مناقشات دينية أو مذهبية أو روايات تاريخية و غير ذلك. و هو- على أى حال- ليس بقلم الامام عليه السلام بل بتقرير بعض طلابه عن تدرسه اياه. فكان عليه السلام يدرس الطالب بحسب ما يراه مناسبا مع فهمه، و كان الطالب يتلقى عنه و يكتب ما يفهمه منه. و من هنا جاء مستوى التفسير منخفضا عن مستوى الامام بكثير. على أن روايته ضعيفة، لا تصلح للاتبات التاريخى.

و نسب إليه أيضا كتاب ترجمة فى جهة رسالة المقنعة. يشتمل على أكثر علم الحلال و الحرام. ألفه سنة خمس و خمسين و مأتين. و أوله:

اخبرنى على بن محمد بن موسى<sup>٢٧٠</sup> يعنى والده عليه السلام. اذن فهو كتاب فى «الفقه» بنحو الرواية.

و اذا نظرنا نجد ان المقنعة كتاب فى الفقه للشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، أحد مشايخ الطائفة الاجلاء و علمائها القدماء.

المتولد عام ٣٣٦ و المتوفى عام ٤١٣. و قد كتب عليه الشيخ محمد بن الحسن الطوسى قدس الله روحه شرحه المشهور الموسوم بتهذيب الأحكام،

ص: ١٩٨

فخرج فتاواه كلها من الأخبار. أقول: و هذا الكتاب لا يناسب أن يكون هو المقصود لوجود البعد الزمنى بينهما، إذ كانت ولادة الشيخ المفيد متأخرة عن وفاة الامام العسكرى عليه السلام بست و سبعين سنة. و لا نعلم بوجود كتاب آخر بهذا الاسم فى عصره عليه السلام.

على انه لم يعرف معنى قوله: كتاب ترجمة فى جهة رسالة المقنعة.

فهو نقل لهذا الكتاب من لغة أخرى أو هو استدراك عليها أو رد عليها أو تخريج لفتاواها أو انه مكتوب على غرارها .. كل ذلك وغيره محتمل .. والله العالم. على ان الرواية فى المناقب مرسله غير قابلة للاثبات التاريخي. وهذا الكتاب غير موجود فى اليد فعلا. و معه فلا يمكن نسبته إلى الامام عليه السلام.

الموقف الثالث: موقفه عليه السلام تجاه أصحابه. محذرا لهم من الوقوع فى الشرك العباسى أو معينا لهم على نواب الدهر من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية وغيرها.

والامام عليه السلام فى هذا الموقف يمارس نشاطه، بصفته أماما لمواليه، والمستول الأعلى عن مصالحهم و اغراضهم الاسلامية. و ينقسم هذا الموقف إلى قسمين:

القسم الأول: قضاء الامام للحاجات الشخصية الخاصة بأصحابه.

كارشادهم إلى حقيقة عقائدية أو الدعاء لهم بمجىء ولد أو الاقتراح عليهم بتسميته أو الدعاء بالشفاء من المرض أو إعطائهم كميات محدودة من المال، و نحو ذلك. و هو ما يخرج بنا استقصاؤه عن الغرض المقصود.

ص: ١٩٩

القسم الثانى: وقوف الامام لمصالح أصحابه و شد أزهم من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية. و هذا ما نحاول استعراضه فيما يلى و تحديده فى عدة نقاط:

النقطة الأولى: تحذيره عليه السلام لأصحابه من الوقوع فى الشرك العباسى أو تبشيرهم من النجاة منه، فهنا - باعتبار ذلك - جانبان:

الجانب الأول: تحذيره عليه السلام إياهم من الوقوع فى الشرك العباسى أو تهيبته الوسائل للنجاة منه.

فمن ذلك: ما سبق فى موقفه عليه السلام مع الخلفاء انه كتب إلى أحد اصحابه قبل موت المعتز بنحو عشرين يوما: الزم بيتك حتى يحدث الحادث<sup>٢٧١</sup> يعنى بذلك موت المعتز. و كأنه عليه السلام كان يرى عليه خطرا يحيط به لو ان الرجل خرج من منزلة فى حياة المعتز.

و من ذلك: انه كتب بنفس المناسبة، و هو موت المعتز، إلى محمد بن على السمرى، و هو من خاصة أصحابه و رابع نواب ولده الحجة المهدي فى غيبته الصغرى. كتب إليه مخاطبا أصحابه: فتنة تضلكم. فكونوا على أهبة. قال السمرى: فلما كان بعد ثلاثة



أيام وقع بين بنى هاشم و كانت لهم هنه لها شأن. فكتبت إليه: أ هي هذه؟ قال: لا. و لكن غير هذه فاحترسوا، فلما كان بعد أيام كان من أمر المعتز ما كان<sup>٢٧٢</sup>.

و يلاحظ في هذه الرواية عدة أمور:

الأمر الأول: احتجاج الامام عليه السلام، و مخاطبة أصحابه عن

ص: ٢٠٠

طريق الخطابات المكتوبة و عدم المواجهة و المشافهة. و يندرج هذا ضمن التخطيط الذى كان يتبعه عليه السلام للتمهيد إلى الغيبة، على ما أشرنا و سيأتى تفصيله.

الأمر الثانى: انه ما الذى وقع بين بنى هاشم، حين كانت لهم هنه ذات شأن؟ .. لم يشأ الراوى الافصاح عن ذلك و لم يشأ التاريخ بيانه أيضا. و لعل نزاعا أو شغبا وقع بينهم نتيجة لمصالح خاصة أو انحراف لدى بعضهم .. فكان لهم نتيجة لوقوع هذا الحادث منه .. يعنى قد اتضحت أمام الآخرين احدى نقاط الضعف التى كان ينبغى ان تختفى عنهم و أن يرتفع الهاشميون عن مستواها فيما بينهم.

الأمر الثالث: اننا نستطيع أن نفهم من قوله: فكان من المعتز ما كان .. موت المعتز بصفته ابرز الحوادث التاريخية التى طرأت على المعتز بعد امامة الامام العسكرى عليه السلام.

و لكننا ينبغى أن نلوذ بالصمت تجاه السؤال عن المصلحة التى يراها الامام فى تحذيره لأصحابه من موت المعتز. و ما الذى كان يحدث لأصحابه حين موت المعتز زيادة على حالهم الجارية آنئذ، لو لم يأخذوا حذرهم؟ .. هذا مما لا يستطاع الجواب عنه تاريخيا و انما هو موكول إلى الظروف و الملابسات التى يقدرها الامام عليه السلام فى العصر الذى يعيشه.

و لعلنا نستطيع أن نقدم لذلك اطروحتين محتملتين:

الاطروحة الأولى: ان الدولة حين انتهاء رئاسة شخص و ابتداء

ص: ٢٠١

رئاسة خلفه، تكون عادة فى ضعف و هبوط. و يكون فى هذه الفترة من الهبوط نشاط ملحوظ للحاشية و البطانة و الوزراء و نحوهم لأجل صيانة أساس الحكم و الكيان القائم عند تبدل الرئيس. و هذه الفترة كانت تعيشها الأمة الاسلامية بين كل خليفتين. و بالطبع .. يكون الجزء الأكبر من الحذر و المراقبة موجهها ضد الامام و أصحابه، بصفتهم أهم الجهات المعارضة للدولة.

و حيث كانت سياسة الامام عليه السلام قائمة على نوع من السلبية تجاه الدولة .. فقد امر أصحابه بالصمت و الكف عن النشاط الاعتيادى، ما دامت الدولة فى حالة تأهب و حذر، ريشما يعود المياه إلى مجاريها، و يستتب الأمر للخليفة الجديد.

الاطروحة الثانية: ان مراد الامام التحذير مما وقع عام ٢٥٤ حيث أوقع مفلح - و هو أحد القواد الموالين للحكومة - باهل قم فقتل منهم مقتلة عظيمة<sup>٢٣٣</sup>. و نحن نعرف ما فى قم من القواعد الشعبية المهمة للامام عليه السلام و بينهم الكبراء و العلماء و الأعيان. و هذا العام هو أول اعوام تولى الامام العسكرى للامامة بعد ابيه.

و من هنا نستطيع ان نفترض ان تحذير الامام كان مرسلا إلى قم قبيل وقوع هذا الحادث، لأجل ان يأخذ أصحابه اهبتهم تجاهه. و هذا الحادث و ان نسب فى الرواية - على فرض ارادته - إلى المعتز، حين قال الراوى: فكان من أمر المعتز ما كان. إلا انه لا ينافى قيام (مفلح)

ص: ٢٠٢

به، فان القائد انما يقوم باعماله انطلاقا من اوامر الخليفة، فصح نسبته إليه.

الجانب الثانى: تبشيريه عليه السلام لأصحابه بالنجاة من بعض ما كان يقع عليهم من الحيف و السجن و نحوه.

و لا يخفى ما فى ذلك من رفع لمعنوياتهم، و تجديد لاستعدادهم إلى العمل الجديد .. و تركيز ايمانهم بسبب تحقيق النبوءة بالباشارة فمن ذلك: ان الامام حين يكون هو و بعض اصحابه فى سجن المهتدى العباسى يقول لأحدهم: فى هذه الليلة يبتر الله عمره. قال الراوى: فلما أصبحنا شغب الأتراک و قتل المهتدى و ولى المعتمد مكانه.

و قد سبق الحديث فى ذلك.

و من ذلك: موقفه عليه السلام تجاه جماعة من أصحابه كانوا رهن الاعتقال تحت اشراف صالح بن وصيف. و هم: ابو هاشم الجعفرى و داود بن القاسم و الحسن بن محمد العقيقى و محمد بن ابراهيم العمرى و غيرهم. فبينما هم فيه إذ يدخل عليهم الامام و معه اخوه جعفر.

فيخف الجماعة لاستقباله و الترحيب به. فيقول لهم - فيما يقول -:

لو لا ان فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم. و يومى إلى جمحى كان معهم فى الحبس يدعى انه علوى، و يأمره بالخروج فيخرج.

قال الراوى: فقال أبو محمد: هذا ليس منكم فاحذروه، فان فى ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره فيها بما تقولون فيه. فقام بعضهم

ص: ٢٠٣

فتش ثيابه فوجد القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة<sup>٢٧٤</sup>.

و لعلك تلاحظ مقدار صرامة الدولة فى ملاحقة أصحاب الامام عليه السلام و ملاحقتهم، حتى فى اثناء الاعتقال، حيث وضعت عليهم عينا يرفع عنهم التقارير إلى الدولة من دون أن يعلموا بهويته. و قد كان بارعا فى أداء عمله بادعاء كونه علويا، لئلا يكون لهم حرج فى التكلم أمامه.

و من هنا نرى ان الامام يكشفه أولا لأصحابه أمام هذا الرجل نفسه، ثم يحذرهم منه، ثم يخبرهم بالتقرير الذى يحمله. أما تفتيش ثياب الرجل فهو (خطوة ثورية) لم تكن بأمر الامام لمنافاتها لمنهج السلبية .. و انما كان ارتجالا من أحد اصحابه حيث حمله الغضب من هذا الرجل على ذلك. و لم يردعه الامام لأجل الاظهار العملى لصدق قوله عند استخراج التقرير منه.

و سيكون هذا درسا عمليا لهذه الجماعة الصالحة لم يكونوا يعرفوه قبل ذلك، و هو امكان ملاحقة الدولة لهم بالرقابة السرية حتى فى السجن، و احتمال أن يكون احد المسجونين عينا عليهم. و من هنا يكون لزاما عليهم تطبيق سياسة السلبية حتى فى مثل هذه المواطن.

و هناك امثلة اخرى لمواقف الامام هذه، يطول بنا المقام عند استيعابها، على اننا لسنا فى مقام التفصيل و الاستيعاب.

ص: ٢٠٤

النقطة الثانية: من موقف الامام تجاه أصحابه: مساعدته لهم بالامداد المالى لأجل مصالحهم الشخصية و العامة.

و نحن عرفنا فيما سبق الموارد المالية للامام عليه السلام، حينما تكلمنا عنها فى الامام الهادى (ع). و قلنا انها تتكون من الأموال التى تجلب طبقا للأحكام الاسلامية من مختلف بقاع بلاد الاسلام التى تحتوى على قواعده الشعبية، بواسطة الوكلاء المنتشرين فيها.

و بالرغم من محاولة اخفاء هذه الناحية اخفاء تاما، من قبل جانب الامام من جهة و جانب السلطات من جهة اخرى، و السرية التامة التى كانت تكتنف كثيرا منها. إلا انه وردنا- بالرغم من ذلك- المقدار الكافى لتكوين فكرة واضحة.

<sup>٢٧٤</sup> (١) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٢٢٢. و المناقب ج ٣ ص ٥٣٦. و أعلام الورى ص ٣٥٤ و نور الأبصار ص ١٦٦ و ما بعدها

فالامام عليه السلام يقبض من بعض الرسل اربعة آلاف دينار<sup>٢٧٥</sup> و من آخرين مائة و ستون صرة من الذهب و الفضة<sup>٢٧٦</sup> و يدفع رسول آخر ما معه من المال إلى المبارك خادم الامام بامر منه عليه السلام، و كان قد حمله من الموالين في جرجان<sup>٢٧٧</sup> و ستبقى هذه الأموال ترد إلى حين وفاة الامام و بعده. فمنها مال جليل جمعه محمد بن ابراهيم بن مهزيار<sup>٢٧٨</sup> و منها سبعمائة دينار يأتي بها أحد الموالين<sup>٢٧٩</sup> و ثمانية عشر قيراطا من

ص: ٢٠٥

الذهب و حبة يأتي بها شخص آخر<sup>٢٨٠</sup>. فكن على ذكر من ذلك، فانه يشكل احدى النقاط الرئيسية لنشاط نواب الحجة المهدي عليه السلام بعد الامام العسكري عليه السلام.

و اذ يتشكل من هذه الواردات المال الضخم الذي يمكنه أن يسد حاجات الآلاف من المحتاجين و يمول العشرات من المشاريع الاجتماعية الضخمة .. نرى الامام الهادي عليه السلام فيما سبق يبذل في احدى اعطياته تسعين الفا من الدنانير لثلاثة من أصحابه. و ترى الامام العسكري الآن يبذل ما يفوق هذا الرقم بكثير من ضعفه، حيث وصل الرقم إلى مأتى الف دينار، اعطاه لاثنتين من مواليه.

فقد حج أبو طاهر بن بلبل، فنظر إلى علي بن جعفر الهمداني و هو ينفق النفقات العظيمة. فلما انصرف كتب بذلك إلى ابي محمد (ع) فأمر لهما بهذا المال<sup>٢٨١</sup>.

و يفهم من ذلك بوضوح ان علي بن جعفر الهمداني، كان ينفق النفقات في الحجاز؛ و الرواية و ان لم تصرح بالوجه التي كان ينفق فيها هذه الأموال، حفاظا على منهج الكتمان. إلا ان ضخامة الارقام تدلنا على كونه مشروعاً اجتماعياً ضخماً أو عدة مشاريع، و اقرار الامام اياه و امداده له يدل على اخلاصه و توفر المصلحة الاسلامية فيه.

و تستطيع ان تلاحظ بوضوح، كيف استطاع الامام، و هو

ص: ٢٠٦

---

<sup>٢٧٥</sup> (١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٦.

<sup>٢٧٦</sup> (٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٤٩.

<sup>٢٧٧</sup> (٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٧.

<sup>٢٧٨</sup> (٤) الارشاد ص ٣٣١.

<sup>٢٧٩</sup> (٥) اعلام الوری ص ٤٢٠.

<sup>٢٨٠</sup> (١) الخرائج و الجرائح ص ١١٣.

<sup>٢٨١</sup> (٢) انظر المناقب ج ٣ ص ٥٢٦.

المضطهد الممتحن مع كل مواليه، ان يقبض هذه الأموال من مواردها و ان يعطيها فى مصادرهما طبقا للمصالح التى يراها، بشكل تقف الدولة العباسية تجاهه عاجزة مكتوفة الأيدي عن منعه، بالرغم من بذل أقصى وسعها فى ذلك. و لا زال فى الذهن ما سمعناه فى تاريخ الامام الهادى كيف انها تحاول السيطرة على كل مال يرد إليه، حتى و لو وصل فى جوف الليل. مع ذلك استطاع الامام العسكرى (ع) ان يسيطر و ان يكون له زمام المبادرة إلى ذلك، باعتبار مسلك السرية و الرمزية الذى يلتزمه.

و ما انكشف بعض هذه الأموال للدولة، إلا نتيجة لتقصير بعض الأطراف فى الأخذ بهذا المسلك.

و على أى حال، فهذا مثال لعطائه الضخم و مساعداته الاجتماعية.

الكبرى. و أما اعطياته على المستوى الخاصة، فاكتر من أن تحصي:

فمنها: سبيكة من الذهب تقدّر بنحو خمسمائة دينار اعطاها الامام عليه السلام لأبى هاشم الجعفرى، إذ شكا إليه الحاجة. و قال: خذها يا أبا هاشم و اعذرنا.

و منها: المائة دينار التى أرسلها إليه أيضا مرفقة بكتاب يقول عليه السلام فيه: إذا كانت لك حاجة فلا تستح و لا تحتشم و أطلبها تأتيك على ما تحب أن شاء الله<sup>٢٨٢</sup>.

و منها: أيضا الخمسمائة درهم التى أعطها لعلى بن ابراهيم و الثلاثمائة التى أعطها لابنه محمد .. اعطاها دون أن يقابلهما .. أوصلها إليهما

ص: ٢٠٧

خادمه<sup>٢٨٣</sup>. و هذا جزء من مخطط الاحتجاب الذى كان يسير عليه الامام العسكرى عليه السلام تمهيدا لغيبته ولده المهدي (ع) و قد سبق ان عرفنا صوراً منه أيضا.

النقطة الثالثة: موقفه (ع) فى نصح أصحابه و توجيههم و رفع معنوياتهم.

اذ هم فى معمعة التضحية الاجتماعية الكبرى .. تلك التوجيهات التى تشكل حجر الزاوية فى تأجيج نار الايمان و نور الاخلاص و عاطفة العقيدة عند أصحابه و مواليه، و زرع روح التضحية و الجهاد فيهم ..

و هم أحوج ما يكونون إلى التضحية و الجهاد.

<sup>٢٨٢</sup> (١) انظرهما فى الارشاد ص ٣٢٢.

<sup>٢٨٣</sup> (١) انظر المناقب ج ٣ ص ٥٣٧.

و هذا التعليم و التوجيه كان مستمرا من كل أمام من آباءه عليهم السلام تجاه مواليه و أصحابه فى عصره، بالشكل الذى يتلائم و حوادث و متطلبات ذلك العصر. و من هنا نجد ان الامام العسكرى يشارك آباءه فى هذا التعليم الايمانى و التوجيه الجهادى، حفاظا على الخط العريض، و سيرا على المخطط الكبير الذى التزموه عليهم السلام. فنجد ان شخصا من أصحابه يكتب إليه يشكو إليه الفقر. و قد سبق ان سمعنا شكايات عديدة مماثلة، و نحن نعرف منشأها بوضوح .. ان الفرد من أصحاب الامام عليه السلام لو ذاب فى الدولة و ساير الحكام و باعهم ضميره و نشاطه، لنال عندهم المال الوفير و العيش الرغيد و الجاه العريض؛ و انما عانت هذه الزمرة المضطهدة الفقر، باعتبار ما تحاوله الدولة العباسية على

ص: ٢٠٨

استمرار من ابعادهم عن المسرح الاجتماعى و الاقتصادى و السياسى، و تواجه امامها لديهم صمودا و نبلا و إرادته. فكانوا ينزلون همومهم و آلامهم بقائدهم الأعلى و موجههم الأكبر .. امامهم العسكرى (ع).

فكان تارة يتبرع بالمال، كما سمعنا، و اخرى يقوم بالتوجيه الفكرى العقائدى، لأجل تصعيد روح التضحية و الجهاد و الصبر على المصاعب فى سبيل الحق الكبير و الهدف العظيم، تحت قيادته الرشيدة، فيقول:

الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا. و القتل معنا خير من الحياة مع عدونا .. و نحن كهف لمن التجأ إلينا، و نور لمن استبصر بنا، و عصمة لمن اعتصم بنا. من احبنا كان معنا فى السنام الأعلى و من انحرف عنا فإلى النار<sup>٢٨٤</sup>.

و من ذلك ان ابا هاشم، و قد عرفناه من خاصة أصحاب الامام عليه السلام، حين يرى معالم الانحراف فى المجتمع و اتباع المصالح و الشهوات، و هو يعلم ان حزب الله هم المفلحون و ان حزب الشيطان من أصحاب السعير .. يقول: اللهم اجعلنى فى حزبك و فى زمرك.

فيجيبه الامام (ع): أنت فى حزبه و فى زمرك ان كنت بالله مؤمنا و لرسوله مصدقا و باوليائه عارفا و لهم تابعا .. ثم ابشر<sup>٢٨٥</sup> .. فهذا هو الانسان الذى يكون فى حزب الله .. عادلا و اعيا .. يمثل فى عقيدته و سلوكه المستوى العالى للتطبيق الاسلامى العادل .. و من ثم يستحق

ص: ٢٠٩

البشارة ببلوغ قصده و نيل الرضا به، و الخلود فى الجنة فى منتهى شوطه.

<sup>٢٨٤</sup> (١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢١١.

<sup>٢٨٥</sup> (٢) اعلام الورى ص ٣٥٥.

و لا يخفى ان هذه التعاليم الاسلامية الواعية، لم يكن يبلغها الامام إلا للخاصة من أصحابه، الذين يتحلون بالصمود تجاه الضغط الحكومى و الحفاظ على هذه التعاليم و عدم بثها فى مناهات الانزلاق و الشبهات.

اما سائر القواعد الشعبية الموالية، فكانت محرومة بشكل عام، من هذا التوجيه العالى الواعى. و ذلك لعدة أسباب اهمها امران: اولهما:

ما خطته الدولة للامام من الانفصال عن قواعده الشعبية بتقريبه إلى البلاط و دمجها فى الحاشية و قد كان رفض ذلك من قبله عليه السلام منافيا لسياسة السلبية تجاه الدولة التى اختطها و آباؤه من قبله. و ثانيهما:

ان الفرد العادى لهذه القواعد يعيش المعترك بكل ثقله، و يتصف عادة بضعف الارادة تجاه التيار الحكومى. فمن المحتمل ان يتسرب منه هذا التوجيه الواعى المضاد للدولة و (الخارج على القانون!!) إلى الجهات الحاكمة. و هو ما لا يريده الامام عليه السلام.

الموقف الرابع: تمهيده عليه السلام لغيبه ولده المهدي (ع).

ان الامام الحسن العسكرى عليه السلام حين يعلم بكل وضوح تعلق الارادة الالهية الازلية بغيبه ولده لأجل أن يكون مذخورا لاقامة دولة الحق و تطبيق العدل الاسلامى على الانسانية. و الأخذ بيد المستضعفين فى الأرض الموتورين من دول الظلم و الانحراف ... ليتبوءوا فيها حيث يشاؤون .. يبدل خوفهم أمنا .. يعبدون الله لا يشركون به شيئا ..

ص: ٢١٠

فيؤسسوا بذلك دولة المؤمنين المتقين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزبون.

حين يعلم عليه السلام بذلك .. يعرف ان عليه جهدا مضاعفا و نشاطا متزايدا فى التمهيد لغيبه ولده. و السبب فى ذلك: ان البشر- بشكل عام- مربوطون فى مداركاتهم بالحس و العادة التى يعيشونها و فى حدود الزمان و المكان .. و من الصعب على الشخص الاعتيادى ان ينظر نظرا معمقا تجريديا أسمى من هذه الحدود، ما لم يطلع الفرد على البرهان الصحيح المدعم بالايان الراسخ القائل: بأن الكون أوسع من العالم المنظور و من حدود الزمان و المكان .. و ان فى عالم الوجود قوى كبرى و ارادات واسعة، تستقى تدبيرها و ادارة شؤونها من الارادة الازلية و الحكمة اللانهائية .. من الله تعالى.

و الانسان كلما سما روحيا و تعمق فكريا، استطاع استجلاء هذه الحقيقة الكبرى أكثر، كما انه كلما تسافل روحيا و أخلد إلى الأرض و اتبع هواه و تغافل عن صوت عقله .. كلما كان ابعد من ذلك، و أكثر انشدادا إلى حسه و عادته.

و لم يكن المجتمع الذى يعيشه الامام عليه السلام .. لم يكن- بشكل عام- إلا متكونا من الانسان المتسافل روحيا المشدود إلى مصالحه و خدمة ذاته و انحرافه بعيدا عن عمق الايمان و عن سمو الروح و دقة الفكر.

لا يختلف في ذلك الحاكم عن المحكوم و المولى عن العبد. و لعل فيما استعرضناه في الفصل الأول من التاريخ العام لهذا العصر ما يعطى فكرة واضحة عن ذلك.

ص: ٢١١

نعم .. يستثنى من ذلك- بشكل و آخر- رجال الفكر في ذلك العصر و قادة النهضة العلمية فيه .. بما فيهم أصحاب الأئمة عليهم السلام الذين تربوا على توجيهات الامام العسكري و آباءه عليهم السلام. إلا ان ذلك لا يكفى في تحقيق الغرض المنشود، فان فكرة الغيبة يجب ان تكون عامة بين سائر الناس و ليست خاصة برجال العلم و الفكر و النظر.

و الغيبة، التي يجد الامام نفسه مسئولاً من التخطيط لها، حادث قليل النظير في تاريخ البشرية و يحتوى إلى حد كبير على عنصر غيبي، خارج عن حدود المحسوس و المعتاد من الحياة فان عنصر اختفاء المهدي (ع) و ان امكن تفسيره تفسيراً طبيعياً<sup>٢٨٤</sup> إلا ان طول عمره متمحض بالارادة الالهية الخاصة و بالعامل الروحي النازل من فوق الكون المنظور ..

لأجل حفظ مصلحة الاسلام العليا، و انجاز يوم الله الموعود.

اذن فستكون الغيبة التي يمهد لها الامام العسكري (ع) أمراً غريباً على الازهان بعيداً عن الطباع، يحتاج إلى تكرار و تفهيم و جهد مضاعف كبير.

و كانت الارهاصات المسبقة و التبليغات المتوالية عن المهدي .. متتابعة متواترة عن النبي (ص) .. رواها مؤلفوا الصحاح و هم معاصرون أو متقدمون على هذه الفترة بما فيهم البحارى و مسلم و احمد بن حنبل.

و متتابعة متواترة عن الأئمة عليهم السلام يرثها أصحابهم جيلاً بعد جيل حتى اصبحت من ضروريات المذهب بل من قطعيات الاسلام .. و كان

ص: ٢١٢

كل امام يقوم بدوره الكافي في التبليغ و الارشاد إلى هذه الفكرة الكبرى.

و قد كان لكل هذه التبليغات أثرها الكبير في ترسيخ فكرة المهدي في نفوس المسلمين بشكل عام .. يأخذ كل فرد منهم ما يناسبه منها بحسب عمق ايمانه و سعة تفكيره و اتجاه مذهبه في الاسلام. و ستعرف انها استطاعت أن تثير اهتمام السلطة الحاكمة بشكل حاد و مركز، لا بالايمان بها، بل بالوقوف ضدها و محاولة القضاء عليها.

<sup>٢٨٤</sup> (١) على ما سوف يأتي في الكتاب الثاني من هذه الموسوعة.



فالامام العسكرى عليه السلام، و هو يواجه المسلمين بهذه الفكرة، يجد بالرغم من اخلادهم إلى مصالحهم و انحرافهم و حدود حسهم .. يجد عندهم مسبقات ذهنية و قاعدة فكرية مشحونة بالايمان بفكرة المهدي و الاعتقاد بإمكان وقوعها، مما يجعل له ارضية ممهدة للسير من قبله بهذا الشوط إلى نهايته.

و انما الأمر الكبير الذى يتحمل الامام العسكرى عليه السلام مسئوليته، بصفته والدا مباشرا للمهدي (ع) .. هو فكرة التطبيق و انهم قد اظلمهم زمان الغيبة و أوشكت على الوجود و التنفيذ. و هو أمر صعب بالنسبة إلى الفرد العادى استطيع ان أسميه ب (الصدمة الايمانية). فان هناك فرقا كبيرا فى منطق ايمان الفرد العادى بين ايمانه بالغيب بشكل مؤجل لا يعلم امده إلا الله تعالى و لا يكاد يحس الفرد باثره فى الحياة ..

و بين الايمان بالغيب مع اعتقاد تنفيذه و تنفيذه فى زمان معاصر و يكفيك ان تتصور نفسك و حالتك الايمانية الوجدانية إذا اخبرك شخص لا تشك بصدقه بقرب حدوث يوم القيامة مثلا أو قرب موتك مثلا. فان

ص: ٢١٣

مثل هذا الخبر يعتبر صدمة للايمان لأنه يحتاج إلى مؤونة زائدة و قوة مضاعفة من الايمان و الارادة و التفكير .. و يحتاج الفرد فيه إلى حشد كل ما فى نفسه من قوى الايمان و مقدمات البرهان .. بالشكل الذى يسعفه بالقناعة بأمر غيبى كهذا.

و من ثم كان على الامام ان يبذل جهدا اجتماعيا مضاعفا لتخفيف هذه الصدمة و تذليلها، و تهيئة الذهنية العامة لتقبل الفكرة الجديدة، و تعويد أصحابه على الالتزام بما تتطلبه الغيبة من انحاء من العقيدة و السلوك. و خاصة و هو يريد تربية جيل واع. متحمل للمسؤولية تجاه ذلك ليكون هو البذرة الاساسية لتربية الاجيال الآتية، التى ستبنى بجهداها- العث و السمين- تاريخ الغيبتين: الصغرى و الكبرى.

فاذا عطفنا على ذلك، ما عرفناه من ظروف الامام و أصحابه، و المعانات الصعبة التى كانوا يعيشونها من قبل الدولة. و اخذنا بنظر الاعتبار ان فكرة المهدي- و هى الفكرة الاصلاحية الثورية الكبرى- تعتبر فى منطق الحكام، امرا مخوفا يهدد كيانهم و يقضى مضاجعهم، و يعتبر التصريح بها و الدعوة إليها خروجا على قانونهم و تمردا على أساس دولتهم .. على حين كان الامام قد اتخذ سياسة السلبية و المسالمة مع الدولة، و عدم مصارحتها بالخلاف.

من كل ذلك نستطيع ان نتميز بكل وضوح دقة مهمة الامام عليه السلام و صعوبة موقفه، فى التوفيق بين سلبيته تجاه الدولة، و بين إيضاح فكرة المهدي للاجيال.

ص: ٢١٤

و من ثم سار الامام على مخطط معين، توصل به إلى كلا الغرضين و حقق كلا الهدفين كما سنرى و نستطيع ان نقسم نشاط الامام عليه السلام حول ذلك إلى قسمين: احدهما: نشاطه بلحاظ ولادة المهدي (ع) و تربيته و صيانتة و حجه عن أعين الناس مع

أظهاره لبعض خاصته و نحو ذلك. ثانيهما: بيانه لفكرة الغيبة و افهام الناس تكليفهم و مسئوليتهم الاسلامية تجاهها. و تعويدهم على متطلباتها.

أما القسم الأول فمن المستحسن ارجاء الحديث عنه إلى الفصل الرابع الآتى حين نتعرض لتاريخ المهدي عليه السلام خلال حياة أبيه، و سنرى حينئذ المواقف التفصيلية التى اتخذها الامام العسكرى عليه السلام تجاه ولده.

و أما القسم الثانى فهو الذى يحسن التعرض له فى المقام، و هو ما يعود إلى موقفه عليه السلام تجاه الآخرين فى مخططه للتمهيد للغيبة، باعتبار المهام الكبرى التى أشرنا إليها.

و يمكن تحديد نشاطه عليه السلام فى هذا السبيل ضمن نقاط ثلاث:

النقطة الاولى: تعاليمه و بياناته عن المهدي، كحلقة من تبليغات آبائه و اجداده عنه عليه السلام. مع زيادة جديدة تخص الامام العسكرى (ع) بصفته الوالد المباشر للمهدي و المخطط الأخير لغيبته.

و تتخذ هذه البيانات على لسان الامام أشكالا ثلاثة.

الشكل الأول: بيان عام كبيانات آبائه عليهم السلام، فى صفات المهدي بعد ظهوره و قيامه فى دولة الحق.

ص: ٢١٥

فمن ذلك قول الامام العسكرى عليه السلام فى جوابه لبعض أصحابه حين سأله عن القائم إذا قام بم يقضى و اين مجلسه الذى يقضى فيه. فكتب عليه السلام: سألت عن القائم. فاذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داود، لا يسأل البيئته<sup>٢٨٧</sup>.

و أود ان اشير فى هذه الرواية إلى جهتين:

الجهة الاولى: ان السؤال و الجواب بين السائل و الامام (ع) كان بطريق المكاتبة لا المشافهة. و هذا تطبيق لسياسة الامام فى الاحتجاب تمهيدا لفكرة الغيبة على ما سنعرف.

الجهة الثانية: ان المرية الرئيسية لقضاء داود عليه السلام هو عدم المطالبة بالبيئته، حيث نراه قال للمدعى: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه<sup>٢٨٨</sup>. من دون ان يلتفت إلى صاحبه فيسأله عن رأيه و لا ان يطالب المدعى بالبيئته المثبتة لدعواه.

و على أى حال، فتطبيق ذلك من قبل المهدي عليه السلام يتوقف الجزم به على صحة هذه الروايات التى اعربت عنه. و فى بعضها ما يدل على انه عليه السلام يقوم بذلك بعد ظهوره مرة واحدة امتحانا لأصحابه و استيثاقا منهم؛ كما كانت نفس الحادثة

<sup>٢٨٧</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣٢٣.

<sup>٢٨٨</sup> (٢) السورة ٣٨ / ٢٤.

بالنسبة إلى النبي داود عليه السلام امتحانا له (و ظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه و خر راکعا و أناب). و لعلنا نعرض إلى تفصيل ذلك في بعض بحوثنا الآتية<sup>٢٨٩</sup>.

ص: ٢١٤

الشكل التالي ان يتخذ بيان الامام (ع) عن المهدي شكل النقد السياسي لبعض الأوضاع القائمة آنئذ، مقترنة بفكرة ان المهدي (ع) حينما يظهر فانه يأمر بتغييرها. و كل ما يأمر المهدي بتغييره فهو باطل للتسالم على كون حكمه قائما على العدل الاسلامي، كما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله.

فمن ذلك قوله عليه السلام: اذا خرج القائم يأمر بهدم المنابر و المقاصير التي في المساجد .. و المقاصير غرف معينة بناها الخلفاء في المساجد حتى يصلوا فيها بامامة الجماعة منفصلين عن جماعتهم، لأجل حفظ غرضين من اغراضهم هما الأمن اثناء الصلاة من الاعتداء و زرع الهيبة في نفوس الآخرين. و هذا العمل مما يعتقد الامام بطلانه، و لا زال من واضحات الفقه الامامي فساد الجماعة إذا صليت بانفصال الامام عن المؤمنين. و من ثم يكون من الحق ان يأمر المهدي بازالة ذلك عن الوجود.

غير اننا نجد الراوي لم يفهم الوجه في ذلك، و تساءل في نفسه مستغربا: لأي معنى هذا، فيقبل عليه الامام و يقول: معنى هذا انها محدثة مبتدعة لم بينها نبي و لا حجة<sup>٢٩٠</sup>.

الشكل الثالث: ان يتخذ بيان الامام شكل الوصية العامة و النصيحة التوجيهية الكبيرة، لقواعده الشعبية. و اعطائهم الفكرة الصحيحة الحقة، فيما هو تكليفهم الاسلامي في سلوكهم النفسي و الاجتماعي، تجاه

ص: ٢١٧

ما سيعانونه، من غيبة امامهم و انقطاعهم عن القيادة المعصومة ردحا من الدهر.

فتراه عليه السلام يكتب إلى أحد علمائنا الأبرار ابي الحسن على بن الحسين بن بابويه القمي، رسالة بهذا الشأن يقول فيها: عليك بالصبر و انتظار الفرج. قال النبي (ص) أفضل أعمال امتي انتظار الفرج ..

و لا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي (ص) يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما. فاصبر يا شيخى يا أبا الحسن على، و أمر جميع شيعتى بالصبر. فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين<sup>٢٩١</sup>.

<sup>٢٨٩</sup> (٣) انظر الكتاب الثالث من هذه الموسوعة.

<sup>٢٩٠</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٦.

<sup>٢٩١</sup> (١) الصدر السابق ص ٥٢٧.

فهذا هو أعلى مستوى اسلامى واعى، للسلوك الصحيح للفرد المسلم فى اثناء الغيبة، و من هنا نرى الامام عليه السلام يؤكد فى عبارته هذه على عدة مفاهيم:

المفهوم الاول: الصبر بمعنى تحمل المشاق و العقبات و الارتفاع فوق مستوى الآلام التى تنجم عن فعل الظالمين خلال عصر الغيبة، و عن انعدام القيادة الرشيدة الموحدة. فانه يجب ان لا تكون المصاعب مثبتات للعزم و موهنة لقوة الارادة التى يحملها المؤمن بين جنبيه، تجاه مسالمة الباطل و التعاون مع المبطلين.

المفهوم الثانى: انتظار الفرج .. و توقع اليوم الذى ينفذ الله تعالى به وعده الكبير الذى قطعه على نفسه فى كتابه الكريم بقوله تعالى:

ص: ٢١٨

وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض و ليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا،<sup>٢٩٢</sup> ... الوعد باعطاء القيادة العالمية و التوجيه البشرى العام بيد الزمرة المؤمنة الصالحة، التى كانت فى عصور الظلم و الفساد مضطهدة خائفة .. الوعد الذى تظهر به نتائج جهود كل الأنبياء و الاوصياء و الشهداء و الصالحين و تتكامل كل متاعبهم بالنجاح .. الوعد الذى يتم بتخطيط من الله عز و جل و تنفيذ من قبل القائد الأكبر الحجة المهدي عليه السلام.

و لا يخفى ما فى الانتظار المنسجم مع المبادئ الاسلامية العليا، من الأثر الايجابى على نفس المؤمن و سلوكه. اذا تصورنا ما فى الياس و القنوط من أثر سلبي عليه، فى اضعاف معنوياته و كبح جماحه و الكفكفة من نشاطه .. إذا لم يكن لنشاطه أمل يرجى أو نتيجة تقصد. على حين ان هذا الانتظار أو الأمل يعطيه الدفع الثورى، الكافى ايماننا و سلوكا لكى ينخرط الفرد فى سلك الأنبياء و الشهداء و الصالحين .. و يشارك بمقدار جهده بتمهيد المقدمات ليوم الله الموعود.

المفهوم الثالث: اعطاء القيادة العامة فى زمن الغيبة إلى العلماء بالله، الذين يمثلون خط الامام عليه السلام .. ذلك المفهوم الذى اعطاه الامام الصادق عليه السلام صيغته التشريعية بقوله: ينظر ان من كان منكم ممن قد روى حديثنا و نظر فى حلالنا و حرامنا و عرف احكامنا، فليرضوا به حكما فانى قد جعلته عليكم حاكما. فإذا حكم بحكمننا فلم يقبل منه،

ص: ٢١٩

فانما استخف بحكم الله و علينا رد، و الراد علينا راد على الله و هو على حد الشرك بالله<sup>٢٩٣</sup>.

اوضحه و اعطاه صيغته الاجتماعية الكاملة الامام الهادى عليه السلام حين قال: لو لا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه و الدالين عليه، و الدابين عن دينه بحجج الله، و المنقذين لضعفاء عباد الله من شياك ابليس و مردته، و من

<sup>٢٩٢</sup> (١) النور ٢٤ / ٥٥.

<sup>٢٩٣</sup> (١) الوسائل، كتاب القضاء ج ٣ ص ٤٢٤.

فخاخ النواصب، لما بقى أحد إلا ارتد عن دين الله .. و لكنهم الذين يمسون ازمة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسون صاحب السفينة سكانها. اولئك هم الافضلون عند الله عز و جل<sup>٢٩٤</sup>.

و الاساس العام الذى تقوم عليه هذه البيانات، هو: ان المسلمين الممثلين لخط الأئمة عليهم السلام و قواعدهم الشعبية الكبرى يجب ان لا تبقى - فى زمن الغيبة و انقطاع القيادة المعصومة و مصدر التشريع - خالية عن المرشد و الموجه و الفكر المدبر .. يعطيهم تعاليم دينهم و يرتفع بمستوى ايمانهم و عقيدتهم، و يشرح لهم اسلامهم، و يوجههم فى سلوكهم إلى العدل و الصلاح و رضاء الله عز و جل. فان من هذه الجماهير - ان لم يكن الأكثر - من يكون ضعيف الايمان و الارادة، يحتاج فى تصعيد مستواه الروحي و عمله الايمانى إلى مرشد و موجه، و إلا كان لقمة سائغة لمردة ابليس و شبابه من اعداء الدين و المنحرفين و ذوى الأغراض الشخصية و المصالح الظالمة.

ص: ٢٢٠

و من هنا نرى الامام العسكرى عليه السلام أيضا يؤكد على ذلك، فان ابن بابويه حلقة من سلسلة العلماء الصالحين، فهو يريد ان يشجعه أكبر تشجيع و يجعل له بين قواعد الشعبية عنوانا كبيرا و أمرا نافذا فيقول له تارة: يا شيخى يا أبا الحسن. و يقول له تارة اخرى: و أمر شيعتى بالصبر. فكأن مراسلته مراسلة للجميع و تبليغه بالتعاليم تبليغ للكل، لأنه هو المشرف على مصالح هذه الجماهير الموالية للأئمة عليهم، فى عصره الخاص الذى سيكون من عصور الغيبة فى أول وجودها.

المفهوم الرابع: ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ..

و العاقبة للمتقين. فليست الأرض لأى حاكم من البشر، و انما هى بارادة الله و إدارته .. انها لله و إذا كانت لله فهو الذى يعطيها لمن يشاء من عباده .. و قد شاء الله تعالى أن يكون ميراث الأرض و الحكم النهائى فيها للمتقين ليكونوا خير خلف لشر سلف، فتملاً الأرض بهم عدلا بعد ان ملئت جورا. و إذا كانت هذه هى ارادة الله، فالمؤمن لا بد له ان يخضع لها و يقوم بمتطلباتها.

اذن فليست عصور الظلم و الانحراف، التى نعيشها فى عصور الغيبة - بالرغم من وضوحها فى الازهان و رسوخها فى النفوس - ليست إلا نتيجة للامهال الالهى الذى قدره لعمر أى حضارة من الحضارات قال الله تعالى: و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله .. فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف

ص: ٢٢١

بما كانوا يصنعون<sup>٢٩٥</sup>. وقال عز وجل: ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لأنفسهم .. انما نملى لهم ليزدادوا اثما و لهم عذاب مهين<sup>٢٩٦</sup>.

فليس هذا الكفر و الانحراف قدرا اضطراريا أو وضعا جبريا، يجب الاعتراف به و الخضوع لتياره .. بل هو مهلة لهم و فسحة فى حياة حضارتهم، حتى يستكملوا انحرافهم و يتمرسوا فى ظلمهم و تتم الحجة الدامغة عليهم .. فإذا اراد الله تعالى تنفيذ وعده العظيم، اخذهم بذنوبهم و البسهم نفس اللباس الذى كانوا يضطهدون به المؤمنين: لباس الجوع و الخوف، و أورث الأرض لعباده الصالحين يتبوءون فيها حيث يشاء، تحت راية المهدي عليه السلام، و لنعم عقبى المتقين.

اقول: و مثل هذا الشكل من البيان بجميع مفاهيمه، مما يختص به الامام العسكرى عليه السلام، و لم يكن ليصدر عن أحد من آباءه عليهم السلام لمدى البعد الزمنى بين عصورهم و عصر الغيبة، و انما يصدره الامام العسكرى بصفته الامام الاخير فيما قبل عصر الغيبة، و المخطط المباشر لها و المسئول الأكبر عن تطبيق مستلزماتها. مما يستدعى التفصيل و التأكيد أكثر من ذى قبل بطبيعة الحال.

النقطة الثانية: من موقفه عليه السلام تجاه الغيبة:

احتجابه عن الناس، إلا عن خاصة أصحابه، و ايكال تبليغ الأحكام و التعليمات إلى اسلوب المكاتبات و التوقيعات بينه و بين أصحابه، و إزجاء حاجاتهم بواسطة عدد من خاصته.

ص: ٢٢٢

لأنه عليه السلام كان يعلم ان المنهج العام لابنه المهدي (ع) فى غيبته الصغرى سيسير على هذا النسق، و هو احتجاب شخص الامام مع اىصال التعليمات بواسطة الخاصة. و هو أمر - كما قلنا - قد يبدو غريبا على الأذهان إذا بدأه المهدي عليه السلام بدون سابقة، و لعل مضاعفات غير محمودة تنتج من استغراب الناس من ذلك. اذن فلا بد من اتخاذ منهج خاص لتهيئة الذهنية العامة لاستساغة هذا الأسلوب و حسن تقبله.

أما جعل الوكلاء و إيضاء الناس بالرجوع إليهم فى مسائلهم و مشاكلهم فهو مما اعتاد عليه الناس ردحا من الزمن، تحت ظل آباءه عليهم السلام.

فانه لم يكن يمكن الارتباط بالبلاد البعيدة ذات القواعد الشعبية الموالية إلا عن هذا الطريق. و انما تنحصر المشكلة فى الاحتجاب و مخاطبة الناس - على طول الخط - عن طريق المكاتبات و قبض الأموال - على الدوام - عن طريق الوكلاء و هو الأمر الذى ينبغى تهيئة الذهنية العامة له و زرعه فى المجتمع من جديد.

<sup>٢٩٥</sup> (١) السورة ١٦ - ١١٢.

<sup>٢٩٦</sup> (٢) السورة ٢ - ١٧٨.

وكان قد بدأ بالتخطيط لذلك - بعض الشيء - الامام الهادي عليه السلام، ليكون تعودهم على هذا المسلك تدريجيا بطيئا موافقا للفهم العام لدى الناس. روى المسعودي<sup>٢٩٧</sup> ان الامام الهادي عليه السلام كان يحتجب عن كثير من مواليه إلا عن عدد قليل من خواصه. وحين افضى الأمر إلى الامام الحسن العسكري عليه السلام، كان يتكلم من

ص: ٢٢٣

وراء الستار مع الخواص وغيرهم، إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان.

ونحن في حدود التاريخ الذي استعرضناه، قد نجد في عبارة المسعودي شيئا من المبالغة، بعد ان وجدنا الامام العسكري، يذهب إلى دار السلطان (البلاط) كل اثنين و خميس و يزور الوزير عبيد الله بن خاقان و يزور أصحابه في السجن .. و نحو ذلك. إلا اننا إلى جانب ذلك، حملنا من تاريخه عليه السلام فكرة واضحة، عن سيره على هذا المخطط و اتصاله بأصحابه عن طريق الكتب و المراسلات. حتى اعتاد أصحابه على ذلك و أصبح المفروض عند مواليه ان الاتصال به و السؤال منه لا يكون إلا عن طريق المراسلة. و قد مرت بنا كثير من الشواهد على ذلك.

فهذا تختلج في صدره مسألان يريد الكتاب - الكتابة - بهما إليه عليه السلام<sup>٢٩٨</sup> و أبو هاشم الجعفرى يكتب إليه شاكيا ضيق الحبس و كلب الحديد<sup>٢٩٩</sup>. و الامام يكتب إلى أصحابه مبشرا لهم و محذرا بموت المعتز<sup>٣٠٠</sup> أكثر من مرة و بموت المهتدي<sup>٣٠١</sup> أيضا أيضا و مخبرا لهم عن موت الزبيرى<sup>٣٠٢</sup> و يكتب لهم عن رأيه فى صاحب الزنج و عن وصفه لقضاء المهدي القائم فى دولته و يعطى لمحمد بن ابراهيم خمسمائة درهم و لابييه

ص: ٢٢٤

ثلاثمائة من وراء الباب بواسطة غلامه<sup>٣٠٣</sup>. و قد سبق ان سمعنا كل ذلك.

و شواهد أكثر من أن تحصى.

---

<sup>٢٩٧</sup> (١) اثبات الوصية ص ٢٤٢ و انظر منتهى الآمال ج ٢ ص ٥٤٥.

<sup>٢٩٨</sup> (١) الارشاد ص ٣٢٣.

<sup>٢٩٩</sup> (٢) المصدر ص ٣٢٢.

<sup>٣٠٠</sup> (٣) انظر مثلا - كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٧.

<sup>٣٠١</sup> (٤) المصدر ج ٣ ص ٢٠٤.

<sup>٣٠٢</sup> (٥) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٧.

<sup>٣٠٣</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٧.

و لاجل ذلك يدخل عليه أحمد بن اسحاق، و هو من خاصته، فيطلب إليه ان يكتب لينظر إلى خطه فيعرفه عند وروده ليكون آمنا من التندليس و التزوير. فيكتب له الامام (ع) فى ورقة. ثم يلفت نظره إلى احتمال تغير القلم فى كتاباته عليه السلام، قائلا: يا أحمد أن الخط سيختلف عليك ما بين القلم الغليظ و القلم الدقيق. فلا تشكن<sup>٣٠٤</sup>.

و كان غاية أمل جمهور مواليه فى رؤيته عليه السلام .. هو الجلوس فى الطريق، فى وقت مروره ذاهبا إلى البلاط و راجعا منه. فمن ذلك مما سمعناه من مجيء الوفد من الأهواز و مقابله فى الطريق حين رجوع موكب المعتمد من توديع الموفق حين خروجه لحرب الزنج.

و سمعنا عن ذلك الشخص الذى اثرت فيه شبهة الثنوية، فلقبه الامام فى طريق رجوعه من زيارة البلاط و أشار إليه بسبابته: أحد أحد..

و يجلس شخص من المواليين للامام عليه السلام، فى أحد الشوارع فىرى الامام مارا حين خروجه من منزله قاصدا مجلس الخليفة.

فيفكر فى نفسه انه لو صاح الآن بأعلى صوته معلنا بالحق الذى يعتقدده مصرحا بامامة هذا الامام على البشر اجمعين، فما ذا سوف يحدث؟!

ص: ٢٢٥

قال الراوى: فقلت فى نفسى: ترى ان صحت: أيها الناس هذا حجة الله عليكم، فاعرفوه. يقتلونى؟ .. فلما دنا منى أوماً باصبعه السبابة على فيه أن اسكت. ثم يراه هذا الرجل فيما يرى النائم محذرا له من القتل و موجبا عليه الكتمان قائلا: انما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك<sup>٣٠٥</sup>.

و مما يندرج فى هذا الصدد إفهامه عليه السلام لأحد أصحابه و هو راكب فى الطريق .. بالاشارة انه يرزق ولدا و لكنه ليس بذكر ..

فولدت زوجته ابنة<sup>٣٠٦</sup>. و ذلك العباسى الذى يجلس للامام على قارعة الطريق و يشكو له الحاجة و يحلف له: انه ليس عنده درهم فما فوقه و لا غداء و لا عشاء. قال: فقال: تحلف بالله كاذبا و قد دفنت مأتى دينار. و ليس قولى هذا دفعا لك عن العطية. يا غلام اعطه ما معك ..

<sup>٣٠٤</sup> (٢) المناقب ج ٣ ص ٥٣٣.

<sup>٣٠٥</sup> (١) انظر الخرائج و الجرائع ص ٥٩.

<sup>٣٠٦</sup> (٢) انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٢١٦.



فاعطاني مائة دينار<sup>٣٠٧</sup>.

اذن فالامام عليه السلام كان سائرا على طبق مخطط الاحتجاب، تعويدا لأصحابه و قواعده الشعبية على فكرة الغيبة و اسلوبها، و رفعا لاستغرابهم الذي كان سيحدث لو لم يكن هذا المخطط.

و لعلنا نستطيع - بهذا الصدد- ان نحمل فكرة واضحة من ان فكرة غيبة الامام المهدي عليه السلام هي بذاتها فكرة احتجاب ابيه، و ان اسلوبهما في قيادتهما واحد من الناحية الكيفية لا يختلف.

ص: ٢٢٤

نعم، غيبة المهدي، من الناحية الكمية أشد من احتجاب ابيه و أكثر حذرا و ابعد عن الناس. فالامام العسكري عليه السلام كان يراه جملة من الناس من أصحابه و غيرهم عند زيارته للبلاط، على حين ان المهدي عليه السلام لا يراه إلا اقل القليل على طول التاريخ. كما ان الامام العسكري توفي و دفن بمشهد و مرأى من الجميع، على حين ضمن المخطط الالهي طول العمر لابنه المهدي عليه السلام. و كان الامام العسكري (ع) معروف الشكل و الهيئة لدى الناس. و أما الحجة المهدي فقد انتهى الجيل الذي رآه في صغره، و تابعت الأجيال في غيبته الصغرى و غيبته الكبرى، من دون ان تحمل أى فكرة عن شكل المهدي و سحنته و هيئته و جسمه .. إلى غير ذلك من الفروق.

#### النقطة الثالثة: اتخاذه نظام الوكلاء:

ليس الامام العسكري (ع) أول من سن هذا النظام و انما كان موجودا في زمان ابيه الامام الهادي (ع) و ما قبله، و كان ذلك أحد الطرق الرئيسية لاتصالهم عليهم السلام بقواعدهم الشعبية و قضائهم لحوائجهم، و اتصال القواعد الشعبية بهم. و ارسال الأموال، و الحقوق الاسلامية إليهم.

و حيث اتخذ الامام العسكري (ع) مسلك الاحتجاب الذي عرفناه كان إلى نظام الوكالة أقرب و له الزم، و اتخذه بشكل يشمل أكثر الأمور أو جميعها، مما يتصل بامور المجتمع حتى في داخل المدينة التي يسكنها الامام (ع) نفسها. فكانت عامة اتصالاته و توقيعاته و الأموال التي تصل

ص: ٢٢٧

إليه، ما عدا القليل .. يتم عن طريق الوكلاء.

و اعلى و اهم من يندرج في هذه القائمة لمدى وثاقته و عظم شأنه: عثمان بن سعيد العمري الزيات أو السمان، الذي سيصبح الوكيل الأول لولده المهدي (ع). و انما يقال له السمان لأنه كان يتجر السمن تغطية على هذا الأمر، يعنى على نشاطه في مصلحة

<sup>٣٠٧</sup> (٣) الارشاد ص ٣٢٣ و الاعلام ص ٣٥٢ و كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٣.

الامام عليه السلام. و كان الشيعة إذا حملوا الى ابي محمد (ع) ما يجب عليهم فى الاسلام من الاموال، نفذوا إلى ابي عمرو، فيجعله فى جراب السمن و زقاقه، و يحمله إلى ابي محمد (ع) تقيّة و خوفاً، و حماية للمال عن انظار الحاكمين، لأنهم إذا عرفوه، صادروه، كما سمعنا ما فعله المتوكل فى الأموال التى علم وصولها إلى الامام الهادى (ع).

و قد اتنى الامام الهادى و الامام العسكرى عليهما السلام على السمان ثناء عاطراً، كقول الامام الهادى فيه: هذا أبو عمر و الثقة الأمين.

ما قاله لكم فعنى يقوله و ما آداه فعنى يؤديه<sup>٣٠٨</sup> و قوله: العمرى تثنى فما أدى إليك فعنى يؤدى و ما قال لك فعنى يقول، فاسمع له و اطع.

فانه الثقة المأمون<sup>٣٠٩</sup>.

و قول الامام العسكرى (ع) فيه: هذا أبو عمر و الثقة الأمين، ثقة الماضى، و تثنى فى المحيا و الممات. فما قاله فعنى يقوله و ما أدى إليكم فعنى يؤديه<sup>٣١٠</sup>. و قوله فى العمرى و ابنه محمد بن عثمان: العمرى

ص: ٢٢٨

و ابنه ثقتان، فما اديا إليك فعنى يؤديان، و ما قالاه فعنى يقولان.

فاسمع لهما و اطعهما، فانهما الثقتان المأمونان. قال أبو العباس الحميرى: فكنا كثيرا ما نتذاكر هذا القول، و نتواصف جلالة محل ابي عمرو<sup>٣١١</sup>.

و هذا الرجل الجليل و ابنه، سوف يكونان وكيلين عن الامام المهدي (ع) فى غيبته الصغرى. و لن يكون ذلك نشازا على الازهان، بعد ان كانا بهذه المنزلة و الرفعة عند ابيه و جده عليهما السلام و عند الجماهير الموالية لهما.

و قد عرفنا ما لابي هاشم داود بن القاسم الجعفرى و احمد بن اسحاق الأشعري، من عظم قدرهم لدى الامام العسكرى (ع) و وثاقتهم عنده.

و كانا يمارسان أعمال الوكالة عنده أيضا كما تدل عليه بعض الروايات.

<sup>٣٠٨</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ٢١٥.

<sup>٣٠٩</sup> (٢) المصدر ص ٢١٩.

<sup>٣١٠</sup> (٣) المصدر ص ٢١٥.

<sup>٣١١</sup> (١) المصدر ص ٢١٩ و ٢١٥.

و من وكلائه أيضا محمد بن أحمد بن جعفر، و جعفر بن سهيل الصيقل<sup>٣١٢</sup>.

و سنجد ان نظام الاحتجاب و الوكلاء هو الذى سيكون سارى المفعول فى الغيبة الصغرى، بعد ان اعتاد الناس عليه، فى مسلك الامامين العسكريين عليهما السلام، و خاصة الحسن الاخير عليه السلام.

ص: ٢٢٩

### هل مات الامام مقتولا؟

لم يبق لدينا الآن مما يدخل ضمن غرضنا من تاريخ الامام الحسن العسكرى، إلا التعرض لوفاته. و هذا ما نرجئه إلى الفصل القادم، فانه الصق به كما سيأتى.

و انما الذى نود الاشارة إليه، هو انه هل من المستطاع القول أن الأئمة عليهم السلام جميعا ماتوا مستشهدين على أيدي خلفاء زمانهم و بتسبيب من قبلهم .. بحيث ان الامام الهادى عليه السلام قتله المعتز و الامام العسكرى عليه السلام قتله المعتمد ... أو لا يمكن ذلك. و قد يمكن القول- لو انكرناه-: ان الامام مات حتف انفه.

و ما يمكن به اثبات استشهاد الامام أحد وجوه ثلاثة محتملة:

الوجه الأول: الاستناد إلى ما روى عن الامام الصادق عليه السلام:

ما منا إلا مقتول أو شهيد<sup>٣١٣</sup> فجميع الأئمة عليهم السلام انما يخرجون من الدنيا بالقتل أو الشهادة، و ليس فيهم من يموت حتف انفه.

و القاتل لهم على طول الخط .. هو الحكام الذين كانوا دائما على حذر من الأئمة عليهم السلام و من نشاطهم الاسلامى. لأنهم عليهم السلام كانوا يمثلون دائما جبهة المعارضة الصامدة ضد الانحراف الاساسى عن تعاليم الاسلام الذى تمثله الخلافة الاموية و العباسية، و من ثم تنسب وفاة كل امام- مع عدم وجود اثبات تاريخى آخر- إلى الخليفة الذى توفى فى

ص: ٢٣٠

عصره. فالامام الهادى عليه السلام الذى توفى فى عصر المعتز، قد قتله المعتز أو تسبب إلى موته بالسم بشكل من الاشكال. و الامام العسكرى الذى توفى فى عصر المعتمد، قد قتله المعتمد و تسبب إلى ذلك بالسم من طرف خفى.

<sup>٣١٢</sup> (٢) مناقب آل ابى طالب ص ٥٢٥ ج ٢.

<sup>٣١٣</sup> (١) اعلام الورى ص ٣٤٩.

و على هذا الوجه اعتمد جملة من علمائنا قدس الله ارواحهم. قال الطبرسى<sup>٣١٤</sup>: و ذهب كثير من أصحابنا إلى انه - يعنى الامام العسكرى عليه السلام - مضى مسموما، و كذلك أبوه و جده و جميع الأئمة عليهم السلام، خرجوا من الدنيا بالشهادة. ثم ذكر الطبرسى استشهادهم بالحديث المنقول عن الامام الصادق (ع). ثم قال: و الله أعلم بحقيقة ذلك.

أقول: و هذا يتوقف على صحة هذا الحديث و ثبوته. و لعل فى اعتماد علمائنا عليه ما يرجح ثبوته .. و الله العالم.

الوجه الثانى: الانطلاق من الفكرة القائلة: بان الامام المعصوم عليه السلام، خلقه الله تعالى كاملا فى بنيته الجسمية و تركيبه البدنى معتدلا من جميع الجهات. و لا يمكن ان يصيبه الموت أو التلف إلا بعارض خارجى من قتل و نحوه. و أما لو لم يحدث عليه حادث فانه قابل للبقاء أبدا الدهر من دون هرم و لا موت.

و استنتجوا من هذه الفكرة ثلاث نتائج.

النتيجة الأولى: ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، لا بد و ان

ص: ٢٣١

تكون وفاته مسببة عن القتل، فانه لم يكن قابلا للموت التلقائى و خاصة فى مثل العمر الذى مات فيه. و اختلفوا فى سبب قتله، فقال جمهور اخواننا أهل السنة ان السم الذى اكله فى الذراع الذى قدمته له اليهودية، اثر فيه بعد عدة سنوات. و قال بعض الخاصة انه (ص) مات نتيجة لعمل تخريبي مباشر من قبل بعض المنافقين.

النتيجة الثانية: ان الأئمة عليهم السلام جميعا، ماتوا بسبب القتل، ضربا بالسيف أو تناولا للسم. فما كان من تلك الأسباب معروفا و ثابتا تاريخيا، كان مؤيدا لهذه الفكرة التى انطلقنا منها، و ما لم يكن له اثبات تاريخى، صارت هذه الفكرة اثباتا له.

النتيجة الثالثة: ان الحجة المهدي المنتظر عليه السلام، حيث انه لم يصب بحادث تخريبي يؤدى بحياته، فهو باق فى الحياة. و سوف تستمر حياته ما دام لم يصب بسوء. و اما موته بعد ظهوره و قيامه بدولة الحق، فيكون بالقتل أيضا، على ما ورد فى رواياتنا، على ما سنذكره فى محله من بحوثنا الآتية<sup>٣١٥</sup>.

بل ان بقاء الحجة المهدي، طوال هذه المئات من السنين، يكفى اثباتا لهذه الفكرة، عند من يريد ان يأخذ بمدلولها. فانه عليه السلام إمام معصوم، و كل إمام معصوم غير قابل للموت و الفناء إلا بعارض خارجى كالقتل، و من هنا لا يكون عليه السلام قابلا للموت مهما طال الزمن، بعد احراز عدم طروء شىء من الحوادث عليه.

ص: ٢٣٢

<sup>٣١٤</sup> (١) اعلام الورى ص ٣٤٩.

<sup>٣١٥</sup> (١) فى الكتاب الثالث من هذه الموسوعة.

و الذى أود ان أشير إليه: ان هذه الفكرة، لا تنافى قوله تعالى:

كل نفس ذائقة الموت. و لا تكون هذه الآية دليلا على بطلانها. لأن الآية تعرب عن موت كل حى، و هو ما يتحقق فى الخارج حتى للمعصومين عليهم السلام قبل يوم القيامة على أى حال. و ليس المدعى فيهم الخلود أو ضرورة الحياة، و انما المدعى هو وجود قابلية الحياة لدى المعصوم ما لم يحدث حادث يوجب الموت. و معه يكون تطبيق هذه الآية بالنسبة إلى المعصومين هو طرو الحوادث التى توجب الوفاة.

و على أى حال، فان هذه الفكرة تحتاج إلى اثبات، و لم أجد فى حدود تتبعى، نصا فى الكتاب أو السنة يدل عليها. لكن قد يستدل لها بالرواية التى ذكرناها فى الوجه الأول: ما منا إلا مقتول أو شهيد.

إذا كان المستفاد منها عدم امكان موتهم إلا بطريق الشهادة و القتل.

كما قد يستشهد لهذه الفكرة بما روى عن الامام العسكرى عليه السلام من قوله: و لسنا كالناس فنتعب كما يتعبون<sup>٣١٦</sup> باعتبار ان ذلك انما هو لأجل توفر القوة البدنية بشكل غير متوفر فى سائر الناس.

و لازم ذلك ان الناس بقواهم العادية يكونون قابلين للموت، و اما إذا كانت هذه القوه العليا موجودة فيكون فيها مقتضى الحياة، و لا تكون قابلة للموت إلا بمؤثر خارجى و حادث طارئ.

الوجه الثالث: لاستشهاد الأئمة عليهم السلام. و هو وجه خاص بالمتأخرين منهم عليه السلام.

ص: ٢٣٣

و ذلك: نظرا إلى ان الامام الجواد و الامام الهادى و الامام العسكرى عليهم السلام، لم يكتب لهم أن يعمروا، بل وافتهم المنية و هم فى آبان شبابهم على اختلاف اعمارهم. فالامام الجواد كان له يوم قبض خمس و عشرون سنة و اشهر<sup>٣١٧</sup> و الامام الهادى له احدى و اربعون سنة<sup>٣١٨</sup> و الامام العسكرى له ثمان و عشرون سنة<sup>٣١٩</sup> على ما عرفنا من تاريخ ولادته و وفاته. و الغالب حتى فى الفرد العادى، هو ان يعمر أكثر من ذلك، خاصة فى الامامين: الجواد و العسكرى عليهما السلام. بل أن فى عصرنا الحاضر من الشباب فى هذا العمر من يعتبر نفسه غير خارج من دور الطفولة بعد!! و له بالزواج أمل قريب!! و لو سألته عما بقى لديه من العمر لم يشك فى كونه خمسون أو ستون سنة على أقل تقدير.

اذن فلما ذا توفى هؤلاء الأئمة بهذا العمر القصير؟ ليس لذلك إلا احد سببين: احدهما: المرض. و الآخر: القتل من قبل السلطات.

<sup>٣١٦</sup> (١) المناقب ج ٢ ص ٥٣٤ و رجال الكشى ص ٤٨١

<sup>٣١٧</sup> (١) الارشاد ص ٣٠٧.

<sup>٣١٨</sup> (٢) المصدر ص ٣١٤.

<sup>٣١٩</sup> (٣) المصدر ص ٣٢٥.

أما المرض فهو غير محتمل لأحد أمور ثلاثة:

الأمر الأول: انه غير منقول عن الامام الجواد و الامام الهادى عليهما السلام، و انما نقل فى الامام العسكرى (ع) انه كان معتلا قبل وفاته على ما سوف نقول فى حينه. و لكننا لم نحرز أن هذه العلة مستقلة عن الفعل التخريبي من قبل السلطات. اذ لعلها ناشئة من السم المدفوع إليه، و هذا الاحتمال لا دافع له، و هو المقصود.

ص: ٢٣٤

الأمر الثانى: انه إذا كان المرض القاتل فى أبان الشباب محتملا فى واحد بعينه، فهو غير محتمل فى ثلاثة، كلهم يموتون صدفة بسبب مرض يصيبهم فى زهرة العمر، من دون سبب مشترك أو علة وراثية و نحو ذلك.

الأمر الثالث: القاعدة التى اعطيت فى الوجه الثانى: القائلة بان جسم الامام غير قابل للتلف إلا بعارض خارجى. و لا أقل من احتمالهما.

فإذا بطل احتمال المرض، غير المستند إلى التخريب، بأحد هذه الوجوه أو جميعها، تعين السبب الآخر للموت و هو وفاته شهيدا بيد السلطات الحاكمة يومئذ، اذ ليس هناك سبب آخر محتمل كسقوط شىء عليه أو وقوعه من شاهر أو قتله بيد لص مثلا، فإن كل ذلك مما لم يقل به أحد.

و كلنا يعرف شأن السلطات الحاكمة يومئذ. فاننا بعد ان نحمل فكرة مفصلة عن ذلك، من وقوف الأئمة عليهم السلام موقف المعارضة ضد انحرافات الحكام. و من الحقد الوراثى عند الحكام ضد الخط الذى يمثله الأئمة عليهم السلام. و كانت كل مصادر القوة و السلاح و نفوذ الحكم بيد الخلفاء و لم يكن بيد الأئمة و لا أصحابهم شىء. و انما كانوا يمثلون دور المعارضة بشكل أعزل لا يراد به إلا العدل الاسلامى و رضاء الله عز و جل.

أقول: و لعل هذا الوجه الثالث على استشهاد الأئمة هو أقرب هذه الوجوه إلى الوجدان، فانه يورث القطع بنتيجته و هى استشهاد الأئمة

ص: ٢٣٥

عليهم السلام بيد السلطات الحاكمة، سواء كان السبب المباشر لذلك هو الخليفة نفسه، باعتبار كونه المسئول الرئيسى فى المحافظة على كيان الخلافة العباسية، أو غيره من صنائعه أو المسيطرين عليه، كبعض الموالى و الأتراك أو القواد أو القضاة.

و أما إذا لم تتم عند أحد هذه الوجوه، و توخينا الاثبات الخاص على كل أمام بمفرده انه مقتول أو شهيد. فسوف لن يسعفنا التاريخ بطائل. حتى ان الشيخ المفيد فى الارشاد يقول عن الامام الجواد عليه السلام: و قيل انه مضى مسموما و لم يثبت بذلك عندى خبر<sup>٣٢٠</sup>.

و اما الامام الهادى عليه السلام، فنجد بعض من تعرض لوفاته يذكر انه: قيل انه مات مسموما، كابن الجوزى فى تذكرته<sup>٣٢١</sup> و المسعودى فى المروج<sup>٣٢٢</sup> و قال عنه الطبرسى: انه استشهد<sup>٣٢٣</sup>. و قال ابن شهر اشوب: انه استشهد مسموما. و اضاف: و قال ابن بابويه:

و سمه المعتمد<sup>٣٢٤</sup>. أقول: و هذا غير محتمل لما عرفنا من أن الامام الهادى عليه السلام توفى فى أيام المعتز قبل خلافة المعتمد بسنتين و ذلك فى عام ٢٥٤ و استخلف المعتمد عام ٢٥٦. و عرفنا ان الامام الذى توفى فى

ص: ٢٣٦

أيام خلافة المعتمد هو الامام العسكرى عليه السلام. اذن فهذا النقل سهو إما من ابن بابويه أو من ابن شهر أشوب رضى الله تعالى عنهما.

و اما المفيد فى الارشاد و الاربلى فى كشف الغمة و ابن خلكان فى تاريخه و سائر مؤلفى التاريخ العام ممن تعرض لوفاة الامام الهادى كابن الأثير و ابى الفداء و ابن الوردى و ابن العماد، فلم يذكروا لوفاته سببا.

و نفس هذا الموقف يقفه هؤلاء جميعا بالنسبة إلى الامام الحسن العسكرى عليه السلام. يضاف إليهم ابن الجوزى فانه أيضا لم يصرح هنا بشيء. و قال ابن شهر أشوب: و يقال انه استشهد<sup>٣٢٥</sup>. و أما الطبرسى فقد عرفنا موقفه من ذهاب كثير من الأصحاب إلى انه عليه السلام ذهب مسموما للحديث الوارد عن الامام الصادق (ع). و كان تعليق الطبرسى على ذلك قوله: و الله أعلم بحقيقة الحال. مما يدل على عدم تأكده منه، على أقل تقدير.

و على أى حال، فانه ان اعوزنا التاريخ، كفانا ما اثبتناه من القرائن العامة على ذلك. و الله من وراء القصد.

ص: ٢٣٧

٣٢٠ (١) انظر ص ٣٠٧.

٣٢١ (٢) ص ٣٧٥.

٣٢٢ (٣) ص ٨٦ ج ٥.

٣٢٣ (٤) اعلام الورى ص ٣٣٩.

٣٢٤ (٥) المناقب ص ٥٠٦ ج ٣.

٣٢٥ (١) المناقب ج ٣ ص ٥٢٣.

## الفصل الرابع فى تاريخ الإمام المهدي (ع) خلاك حياة أبية

و هذا الفصل فى حقيقته مكمل للقسم الأول من الكتاب و لتاريخ الامام العسكرى (ع) بالذات، حيث يعرض إلى موقفه عليه السلام من ولده مفصلا، ثم إلى وفاته عليه السلام و إلى النتائج التى ترتبت على ذلك حيث يبدأ تاريخ الغيبة الصغرى الذى نعقد له القسم الثانى الآتى أن شاء الله تعالى.

### عرض عام:

تميزنا بوضوح خلال سيرنا التاريخى، الظروف التى عاشها الامامىن العسكريين عليهما السلام و ولد فيها الامام المهدي (ع). فالبلد سامراء عاصمة الدولة العباسية يومذاك. و ابوه وجده عليهما السلام، قد قهرا من قبل السلطات على الاقامة فى سامراء تطبيقا لسياسة التقريب إلى البلاط .. التى عرفناها.

و هما عليهما السلام يتكفلان الاصلاح الاسلامى مهما وسعهما الأمر.

و يمثلان جانب المعارضة الصامدة أمام انحراف الحكام عن الخط الرسالى

ص: ٢٣٨

الذى جاء به نبي الاسلام (ص) .. بالشكل الذى لا يتنافى مع سياسة الملاينة التى اتخذها تجاه الدولة. و هما يقومان فى عين الوقت بالرعاية العامة لمصالح أصحابها و موالبيها فى شئونهم العامة دائما و الخاصة فى كثير من الاحيان. و يكون النشاط فى الغالب سرىا محاطا بالكتمان و الرمزية قولاً و عملاً. و يختص الصريح منه بالخاص من الأصحاب الذين تعرف منهم قوة الارادة و الصمود أمام ضغط الحكام.

و الاماميين عليهما السلام يقبضان الاموال و يوزعانها بحسب الامكان عن طريق الوكلاء المنتشرين لهم فى مختلف بقاع البلاد الاسلامية.

و الوفود ترد بين حين و آخر من الموالين لهم فى الأطراف حاملة المال و المسائل من بلادهم لأجل تسليمها و تبليغها للامام عليه السلام.

و اما السلطات، بما فيهم الخليفة نفسه، على اختلاف شخصه، و بما فيهم الأتراك و الموالى، و خاصة القواد منهم. و كذلك العباسيون بشكل عام و على رأسهم الموفق طلحة بن المتوكل. و كذلك الوزراء و القضاة كابن ابي دؤاد و ابن أكرم و ابن ابي الشوارب و غيرهم ... كل هؤلاء يمثل خطأ واحدا من الناحية السياسية و الاجتماعية، اساسه الانتفاع المصلحى من الدولة القائمة المتمثلة بالخلافة العباسية. و الحرص عليها أشد الحرص، حفاظا على مصالحهم و منافعهم. فكان ذلك موجبا لحذر السلطات



الدائم و التوجس المستمر من كل قول أو فعل يصدر من الامام عليه السلام أو من احد اصحابه .. فكان السجن و الأغلال هو النهاية الطبيعية لكل من يفكر فى ولاء الامام أو التعامل

ص: ٢٣٩

الاجتماعى معه.

بل ان الأمر ليشند و يتأزم أحيانا، فينتهى الأمر إلى القاء القبض على الامام نفسه. و من المعلوم ان القاء القبض على القائد، هو سجن لكل مبادئه و مثله و قواعده الشعبية و تحد لها. و يبقى الامام مسجوناً مدة، ثم يخرج ليسجن مرة ثانية.

و كانت السلطات تحاول جاهدة عزل القواعد الشعبية، للامام عن الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، فكان الفرد منهم يعانى الخوف و الفقر و المرض، من دون ان يجد ناصراً أو معيناً سوى ادعية امامه عليه السلام و قلوب اخوانه.

على اننا عرفنا ان الامام لم يكن مريدا الاستيلاء على السلطة فى ذلك المجتمع المنحرف .. و انما كان غاية همه رعاية مصالح أصحابه و ادارة شؤونهم .. و كان هذا النشاط هو الذى يثير السلطات و ينفرها، منظماً إلى وهما الخاطى باحتمال أخذ الامام بحقه الذى يعتقده مشروعاً فى الاستيلاء على السلطة .. فكانت تبذل الجهود الجبارة ضد ذلك.

و قد استطاع الامامان عليهما السلام، بالرغم من كل ذلك و من سياسة المراقبة و التقريب إلى البلاط .. ان يخفيا نشاطهما و يسترا الاموال و الواردة إليهما و الصادرة عنهما و التعاليم التى تبلغ من قبلهما.

و بذلك استطاعا أن يأمنا قسطاً كبيراً من العذاب الذى كان يصيبهما و أصحابهما لو لا ذلك، و أن يحققا كثيراً من المصالح التى كانت مما يحال دونهما بغير ذلك.

ص: ٢٤٠

على ان السلطات بمختلف طبقات حكامها و موظفيها و أهل الأمر النافذ فيها، و على تفاوتهم فى التعصب أو حسن التفكير .. كانوا يعرفون فى قرار قلوبهم و داخل نفوسهم، حق الامام و يحترمون به بالغ الاحترام و يعتبرونه خير خلق الله فى عصره بما له من العبادة و العلم و الاخلاق و النسب ... لا يختلف فى ذلك الموالمون عن غيرهم، و لا الخلفاء عن سواهم. و بخاصة المعتمد الذى رأيناه- فى ابان احساسه بالضعف- يأتى إلى الامام العسكرى عليه السلام بنفسه و يتوسل إليه ان يدعو له بالبقاء فى الخلافة مدة عشرين عام .. فيجيبه الامام إلى طلبه و يدعو له.

و هذا الخليفة العباسى، هو الذى عاصر ايام الامام المهدي عليه السلام من أولها، و توفى الامام العسكرى عليه السلام فى أيامه. و هو الذى تصدى للفحص عن تركه الامام و ورثته و مراقبة الحوامل من نسائه على ما سنذكر .. و كل ذلك يدل على انه يعرف الحق و يخاف منه .. و يفرق من فكرة المهدي و وجوده .. لعلمه انه الامام القائم بالحق للساحق للانحراف و المنحرفين من الحكام و المحكومين.

و قد كانت أفكار المسلمين و بخاصة المواليين للأئمة عليهم السلام، مليئة بالاعتقاد بوجود المهدي (ع) للتبليغ المستمر المتواتر منذ زمان النبي (ص). إلى زمان الامام الحسن العسكري (ع). يتعاضد في ذلك سائر المذاهب الاسلامية. ففي عين الوقت الذي يبلغ الامامان العسكريان عليهما السلام عن غيبة ولدتهما المهدي (ع) .. يكتب البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و ابن ماجه في صحاحهم اخباره

ص: ٢٤١

و كلهم يعيشون في تلك الفترة من الزمن أو متقدمون عليها قليلا<sup>٣٢٤</sup> .. يروون هذه الأخبار عن النبي (ص) جيلا بعد جيل.

و لم يكن ليفوت الامامين العسكريين (ع) التمهيد المباشر لغيبة الامام المهدي (ع) و تعويد أصحابهم فكرا و سلوكا عليها، و ذلك باتخاذ نظام الوكلاء أولا و تخطيط الاحتجاب عن الناس ثانيا .. و كلا الامرين سوف يكون مطبقا في الغيبة الصغرى للمهدي (ع) على ما سنعرف.

و قد كان هذا التمهيد بالنسبة إلى الامام الهادى عليه السلام قليلا مجملا لبعده النسبى عن عهد المهدي عليه السلام. و قد تكفل القسط الأكبر من ذلك أبوه الامام العسكري عليه السلام.

فهذه هى الظروف العامة و الخاصة التى ولد فيها الامام المهدي، و قد عرفنا لكل فقرة منها شواهد و دلائل استعرضناها بالتفصيل.

أم المهدي (ع):

يحسن بنا، و قد عرفنا تفاصيل ابيه و جده عليهما السلام. ان نحمل فكرة كافية عن أمه الراضية المرضية المجاهدة، كما وردت في التاريخ بشكل عام و في مصادر الخاصة بشكل خاص.

كانت رضى الله عنها قبيل حملها بولدها المهدي (ع) أمه مملوكة

ص: ٢٤٢

جلبت بواسطة الفتح الاسلامى الذى كان جاريا على قدم و ساق في تلك العصور من بعض مدن الكفر إلى سامراء، و دخلت في ملكية بعض أفراد اسرة الامام العسكري عليه السلام.

و كانت تسمى في ذلك المجتمع باسماء مختلفة، فهى: ريحانه و نرجس و سوسن و صقيل. و ان كان الغالب عليها بين أفراد العائلة: نرجس.

---

<sup>٣٢٤</sup> (١) فمن المتقدمين عليها البخارى صاحب الصحيح المتوفى عام ٢٥٦. و مسلم صاحب الصحيح المتوفى عام ٢٤١. و من المعاصرين لهذه الفترة ابن ماجه القزوينى المتوفى عام ٢٧٣ و أبو داود السجستانى المتوفى عام ٢٧٥ و أبو عيسى الترمذى المتوفى عام ٢٧٩ (انظر وفيات الأعيان و غيره).

و يعود تعدد اسمائها إلى احد أسباب:

السبب الاول: صلة الحب و الرحمة بالجارية من قبل مالكةها. فهو يناديها بافضل الأسماء لديه و اجملها في ذوقه. و لذا كان جملة منها من أسماء الأزهار. لكن لا على أن يكون كل ذلك اسمها الحقيقي .. بل على أساس ان يحتفظ بالاسم الحقيقي في نفسه و يناديها بأى اسم شاء ..

توددا و استلطافا .. و هى تعتاد أن تجيب مالكةها عن أى اسم وقع اختياره عليه. و اذ تسمع الناس باختلاف النداء زعموا ان لها أسماء كثيرة، و وردنا في التاريخ ذلك.

كذلك كان حال الجوارى المحضيات عند مواليهن ... و لعله يكون منطبقا على أم المهدي عليه السلام.

السبب الثاني: ان المجتمع في ذلك الحين، إذ كان يجلب العبد أو الأمة بطريق السبى من البلاد البعيدة التى لا يحمل عنها و عن لغتها أى فكرة محددة ... و يكون للمالك حق التصرف فيه، يستخدمه و يبيعه و يشتريه .. و لا يشعر بوجود شخصية هذا العبد أو ارادته، أو أن يكون في مستقبل الدهر علما من الاعلام .. لكى يجب أن يحدد اسمه

ص: ٢٤٣

و يرسم معالم شخصيته لكى تبقى واضحة المعالم في اذهان مؤرخيه. بل ان العبد حين يجلب، يعجز العربى عن نطق اسمه الأصلى غالبا، لقيامه على لغة اجنبية لا يقوى على تلفظ كلماتها .. و هو لا يهتم بأن يصنع لعبده أو امته أسماء معينة، و انما حسبه ان يدعوه باللغة العربية بأى لفظ جرى على لسانه.

و من هنا تكونت عادة في ذلك المجتمع، باسباغ عدة اسماء على العبيد .. فكان ان اخذت اسرة الامام العسكرى (ع) بهذه العادة، و اسبغت على هذه الجارية عدة اسماء. حتى اننا رأينا الاسرة اذ وجدت ان اثر الحمل لا يظهر عليها، على ما سنسمع، لم تتحاش عن إسباغ اسم جديد عليها، هو صقيل.

السبب الثالث: انها رضوان الله عليها عاشت تخطيطا خاصا، في تبديل اسمها بين آونة و اخرى، و دعائها بعدة اسماء في وقت واحد أو في اوقات مختلفة .. عاشت ذلك منذ دخلت هذه العائلة الكريمة، لأنها ستصبح أما للمهدى (ع) و سترى المطاردة و الاضطهاد من قبل السلطات و ستعيش في السجن مدة من الزمن ... اذن فيجب القيام بهذا المخطط تجاهها إمعانا في الحذر و زيادة في التوقى عليها و على ابنها، و لاجل أن يختلط في ذهن السلطات ان صاحبة أى من هذه الاسماء هى المسجونة و أى منها هى الحامل و أى منها هى الوالدة و هكذا ... حيث يكون المفهوم لدى السلطات كون الأسماء لנסاء كثيرات، و يغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة.

ص: ٢٤٤

و هذا الاحتمال الثالث، هو - بلا شك - الاحتمال الراجح في أم المهدي (ع).

و إذ نريد ان نعرف أول مالك لهذه الجارية من اسرة الامام عليه السلام .. تواجهنا فرضيتان، باعتبار اختلاف الأخبار الواردة عن ذلك، احدهما: انها كانت ملكا للامام الهادي عليه السلام. و ثانيتهما:

انها كانت ملكا لحكيمة اخت الهادي رضى الله عنها. و لكل من الفرضيتين خبر و قصة ..

الفرضية الاولى: انها دخلت أولا فى ملكية الامام على الهادي (ع).

و هو الذى قام بتزويجها لابنه العسكرى عليه السلام.

و ذلك: ان الامام عليه السلام حين يريد ان يحصل على زوجة ابنه: أم المهدي (ع). يدعو نخاسا من بائعى العبيد مواليا له قد علمه أحكام الرقيق و فقهه فى تجارته، يدعى بشر بن سليمان النخاس ...

يدعوه فيأمره بالسفر من سامراء إلى بغداد و يحدد له الزمان و المكان و البائع. و يصف له الجارية و بعض سلوكها. فمن ذلك: انها تمتنع من السفور و لمس من يحاول لمسها. و إذ يضر بها النخاس، تصرخ بالرومية صرخه. قال الامام: فاعلم انها تقول: و اهتك ستراه! .. و من ذلك:

انها تنطق العربية بطلاقة و يعطيه الامام عليه السلام صرة من النقود و كتابا ملصقا بخط رومى و لغة رومية و مختموم بخاتمه الخاص.

و يذهب بشر النخاس إلى بغداد و يشاهد كل ما حدده له الامام، و رآها تدفع عن نفسها المشتريين بضراوة، قائلة لأحدهم: لو برزت فى

ص: ٢٤٥

زى سليمان و على مثل سرير ملكه ما بدت لى فيك رغبة .. فاشفق على مالك. فيقول بائعها النخاس: فما الحيلة و لا بد من بيعك. فتقول الجارية: و ما العجلة، و لا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبى إلى أمانته.

و هنا يقوم بشر إلى بائعها و يقدم له الكتاب و يأمره بدفعه إلى الجارية قائلاً: انه لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية و خط رومى، و وصف فيه كرمه و وفاءه و نبلة و سخاءه. فناولها لتأمل منه اخلاق صاحبه فان مالت إليه و رضيت به فانا وكيله فى ابتياعها منك. و قد جرى كل ذلك بحسب وصف الامام و امره و تخطيطه.

و إذ تقرأ الكتاب، ينقلب منها الحال انقلابا عجيبا، فتبكي بكاء شديدا، و تقول لبائعها: بعنى من صاحب هذا الكتاب، فان امتنعت قتلت نفسى، و تحلف بالايمان المحرجة المغلظة على ذلك. و اذ يرى بائعها ذلك يطلب من بشر النخاس ثمنا كبيرا، فتطول المعاملة بينهما حتى يستقر الثمن على مقدار ما فى الصرة التى حملها من الامام، فيعطيه للبائع و يستلم الجارية. و يذهب بها إلى الحجرة التى كان يأوى إليها فى بغداد.

و إلى هنا رأينا فى هذه الجارية أربعة أوصاف يندر وجود واحد منها فضلا عن المجموع فى جارية مسبية حديثة العهد بهذا المجتمع. و كل منها جار على خلاف السلوك الاعتيادى للعبيد، فهى: أولا: تنطق العربية بطلاقة. و ثانيا: تمتنع من السفور و تتحاشى يد اللامس.

و ثالثا: ترفض أى مشتر يتقدم لشرائها، و تقترح على بائعها أن تعين

ص: ٢٤٤

هى مشتريها لأجل أن يسكن قلبها إلى امانته. و رابعا: انها رعبت رغبة شديدة بالامام عليه السلام، و بكيت و هددت بالانتحار إذا لم يبيعها منه. فما ذا قرأت فى الكتاب و كيف حصل لها معه هذه الرابطة القوية و الرغبة الأكيدة؟!

كل ذلك يراقبه بشر النحاس و يعجب منه. و تتولد فى ذهنه علامات استفهام كبيرة! و تتأكد هذه العلامات وضوحا حين رآها انها بمجرد إن استقر بها المقام فى غرفته فى بغداد .. اخرجت كتاب الامام (ع) من جيبها و صارت تلثمه و تضعه على خدها و تطبقه على جفونها و تمسحه على بدنها. فيقول لها متعجبا منها: أ تلتمين كتابا لا تعرفين صاحبه؟!

و إذ تجيبه عن سؤاله .. نراها تعطيه بيانا ضافيا، عن تاريخها و أحوالها، يفسر كل تصرفاتها الحالية .. نلخص منه المهم فيما يلى:

انها مليكة بنت يسوعا بن قيصر ملك الروم. و امها من ولد أحد الحواريين المنتسب إلى وصى المسيح شمعون.

و يحدث فى يوم من الأيام ان يحاول جدها القيصر تزويجها من ابن اخيه، فيعقد لذلك أعظم مجالسه ابهة و جلالة و اكثرها من حيث عدد الحاضرين و أسخاها من حيث الذهب و الجواهر الموزعة على أطراف المكان و على العرش الموضوع هناك المهياً للعرس الجديد .. فبينما يصعد ابن اخيه على هذا العرش تتساقط الصلبان و تنهار الاعمدة و يختر الصاعد على العرش مغشيا عليه. و يتشاءم القيصر و الاساقفة، و يباده كبرهم قاتلا: أيها الملك اعفنا من ملاقات هذه النحوس الدالة على زوال

ص: ٢٤٧

هذا الدين المسيحى و المذهب الملكانى.

و على أى حال .. فهى ترى فى تلك الليلة فيما يرى النائم انه انعقد فى قصر جدها القيصر مجلس متكون من المسيح و شمعون و عدة من الحواريين. و يدخل محمد صلى الله عليه و آله و جماعة معه و عدد من بنيه فيخف المسيح لاستقباله معتقلا له فيقول له نبي الاسلام (ص):

يا روح الله انى جئتك خاطبا من وصيك شمعون فتاته مليكة لا بنى هذا. تقول: و أومى بيده إلى ابى محمد صاحب هذا الكتاب.

فنظر المسيح إلى شمعون فقال: قد اتاك الشرف، تصل رحمك برحم رسول الله صلوات الله و سلامه عليه قال: قد فعلت.

فصعدوا ذلك المنبر و خطب محمد (ص) و زوجنى من ابنه .. و شهد المسيح عليه السلام و شهد بنو محمد (ص) و الحواريون.

و على اثر هذا الحلم يعلق فى نفسها حب الامام العسكرى ابى محمد عليه السلام، بالرغم من انها تخاف ان تقص هذه الرؤيا على ابيها و جدها مخافة القتل. ثم انها تصاب على اثر حرمانها من حبيبها بمرض شديد، و يحضر لها جدها كل الأطباء فلا يفهمون من دائها شيئاً. و يطول بها الداء .. فيقترح عليها جدها ان تقترح عليه شيئاً ترغبه لكى ينفذ لها رغبتها عسى أن تحس بالسعادة فى مرضها. فتقول له: يا جدى أرى أبواب الفرج على مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن فى سجنك من اسارى المسلمين و فككت عنهم الاغلال و تصدقت عليهم و منيتهم بالخلاص .. رجوت أن يهب المسيح و أمه فى عافية و شفاء. فينفذ لها جدها القيصر رغبتها .. فتتجلد فى إظهار الصحة و تتناول يسيرا من

ص: ٢٤٨

الطعام. فيسر جدها بتحسّن حالتها و يزيد فى اكرام الاسارى و اعزازهم.

ثم انه يزورها فى المنام بعد أربع ليال: مريم بنت عمران و فاطمة بنت محمد عليهما السلام. فتقوم العذراء بتعريف الزهراء لمليكه قائلة: هذه سيدة النساء أم زوجك ابى محمد عليه السلام. و إذ تعرفها مليكة تتعلق بها و تبكى و تشكو إليها امتناع ابى محمد (ع) من زيارتها فتجيبها الزهراء عليها السلام: ان ابنى ابى محمد لا يزورك و أنت مشركة بالله على دين مذهب النصارى. ثم تأمرها بأن تشهد الشهادتين، فيدفعها الحب و الشوق إلى امتثال هذا الأمر. و تدخل فى الاسلام فى عالم الرؤيا.

و اذ تسمع منها الزهراء (ع) ذلك، تضحها إلى صدرها و تعدها بزيارة ابى محمد لها.

و بعد ذلك يبدأ أبو محمد بزيارتها كل ليلة، بدون استثناء. قائلاً لها: ما كان تأخيرى عنك إلا لشركك، و إذ قد اسلمت فانى زائر كل ليلة .. إلى ان يجمع الله شملنا فى العيان.

ثم ان أبا محمد عليه السلام يخبرها فى بعض زياراته، بان جدها سيجرد جيشاً لقتال المسلمين فى موعد حدده لها. و أمرها أبو محمد (ع) - و هو يريد ان يخطط لها طريق الاجتماع به فى العيان - أمرها ان تتنكر فى زى الخدم و تخرج من طريق معين لتلحق بطلائع الجيش الإسلامى، ليأسروها و ينقلوها إلى بلادهم. ففعلت ذلك حتى وصلت إلى بشر النخاس. و انكرت فى غضون ذلك شخصيتها، و لم تخبر أحداً بانتسابها إلى قيصر الروم، و إذ يسألها مالكها عن اسمها تدعى ان اسمها: نرجس. اذن فهى التى

ص: ٢٤٩

اختارت لنفسها هذا الاسم.

و إذ تنتهى الجارية فى قصتها إلى هذا الحد .. يستطيع بشر النخاس ان يفسر كل تصرفاتها، ما عدا معرفتها للغة العربية. فيسألها عن ذلك فتخبره بانه بلغ من ولوع جدها و حمله اياها على تعلم الآداب ان عين لها امرأة ترجمان تزورها صباحاً و مساءً و تنفيذها للغة العربية، حتى استمر عليها لسانها و استقام.

و يذهب بها بشر النخاس إلى سامراء و يدخلها على الامام الهادى عليه السلام. فيقول لها: كيف أراك الله عز الاسلام و ذل النصرانية و شرف أهل بيت محمد (ص). قالت: كيف اصف يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به منى.

ثم يتصدى الامام عليه السلام لامتحانها و سير اغوار ايمانها و معرفة درجة اخلاصها. فانظر كيف يخيرها بين العاجل و الآجل .. بين الدنيا و الدين .. إذ يقول لها: فاني اريد أن اكرمك: فأیما احب إليك عشرة آلاف درهم أم بشرى لك بها شرف الابد. قالت: بل الشرف.

و اذ وجدها الامام واعية لموقفها مضحية فى سبيله بكل عال. و رخيص.

قال لها: فابشرى بولد يملك الدنيا شرقا و غربا و يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا. قالت: ممن؟ قال عليه السلام متسانلا:

ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه و آله؟- و عين لها الوقت- قالت:

من المسيح و وصيه. قال: فممن زوجك المسيح و وصيه؟ قالت:

من ابنك ابى محمد. قال: فهل تعرفينه. قالت: فهل خلوت ليلة من

ص: ٢٥٠

زيارته اياى منذ الليلة التى اسلمت فيها على يد سيدة نساء العالمين، أمه.

و عندئذ يستدعى الامام الهادى عليه السلام، اخته حكيمة و يأمرها بأن تأخذ نرجس إلى منزلها و تعلمها أحكام الاسلام. و يقول: فاني قد زوجت ابى محمد الحسن عليه السلام و أم القائم عليه السلام<sup>٣٢٧</sup>.

و أود ان اعلق على هذا الخبر بعدة تعليقات:

التعليق الأول: اننا نستطيع أن نعين تاريخ شراء الجارية و زواج الامام العسكرى (ع) بها. فانه كان فى زمان الامام الهادى عليه السلام، و قد أراد ان يزوج ابنه الحسن عليه السلام قبل ان يتوفى عام ٢٥٤.

ليولد من هذه المرأة الجليلة مهدي هذه الامة القائم بدولة الحق. و سيأتى ان ولادة المهدي (ع) كانت بعد وفاة جده الهادى (ع). فإذا استطعنا ان نعرف انه لم يمر زمان طويل بين زواجها و ولادتها، أكثر من المقدار الضرورى للحمل و الولادة، عرفنا ان زواجها كان فى نفس هذا العام: ٢٥٤.

<sup>٣٢٧</sup> (١) انظر اكمال الدين للشيوخ الصدوق (نسخة مخطوطة). و انظر الغيبة للشيوخ الطوسى ص ١٢٤ و ما بعدها المناقب ج ٣ ص ٥٣٨ و ما بعدها

التعليق الثانى: انه قد يورد على هذا الحديث بعض الاعتراضات التى يمكن الجواب عنها على أصولنا الاعتقادية، و يبقى الجواب عنها عند من لا يؤمن بهذه الأصول معلقا على التسليم بها. على اننا سنقول اننا غير ملزمين باعتبار هذا الخبر إثباتا تاريخيا كافيا.

الاعتراض الأول: انه متضمن لعلم الامام الهادى عليه السلام بأمور

ص: ٢٥١

غائبة غير منظورة. فى حين ان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

و الجواب على ذلك: انه بعد فرض ثبوت امامته، يكون ذلك ممكنا فى حقه. و نحن لا ندعى علمه بالغيب مباشرة كعلم الله عز و جل.

و انما ندعى ان الامام إذا أراد أن يعلم شيئا اعلمه الله تعالى اياه، كما نظقت بذلك بعض الأخبار.

و المصلحة الرئيسية من الناحية الاجتماعية، فى ذلك هى ان الامام قائدا لأمة و رئيس لدولة و موكول إليه تطبيق العدل الاسلامى الالهى على البشرية. فاحسن طريق لنجاح عمله و قيادته، من الناحيتين النظرية و العملية معا، هو ان يكون ملهما مسددا موقفا من قبل الله تعالى. و كيف لا، و هو منصوب لتطبيق أعلى أهداف الاسلام و ممثل لأحد أيام الله الكبرى التى اخذها الله تعالى بنظر الاعتبار فى كونه.

الاعتراض الثانى: ان الايمان بمضمون هذا الحديث، متوقف على الايمان بالاحلام. و هو خرافة من الخرافات.

و الجواب عن ذلك: يكون باحد أمور ثلاثة:

اولا: ان ما هو الخرافة، هو الايمان المطلق بصدق جميع الاحلام، و هذا لم يقل به مفكر، و لا هو الذى ندعيه و لا يتوقف عليه صحة هذا الحديث. و انما الشئ الذى لا شك فيه هو صحة بعض الاحلام و تحققها فى الواقع. و هذا أمر ضرورى لمن راجع حوادث الحياة و نظر فى الكتب المؤلفة فى ذلك كدار السلام للحاج ميرزا حسين النورى و الاحلام للدكتور على الوردى. و غيرها.

ص: ٢٥٢

اذن فمن الممكن أن يكون هذا المذكور فى الحديث أحد الاحلام المطابقة للواقع، و خاصة بعد ان اتصف بحوادث و مميزات لا تعدو عالم الحياة و العيان. فلو صلحت هذه الرواية للاثبات التاريخى لم تكن هذه الجهة موجبة لضعفها أو الطعن فيها.

ثانيا: ان هناك فكرة تقول: بان رؤية النبى (ص) و الأئمة المعصومين (ع) فى المنام لا يمكن أن تكون كاذبة. لأن المنام الكاذب من الشيطان و الشيطان لا يمكن أن يتصور بصورة النبى أو الامام.



و يستشهد لذلك بما نسب إلى النبي (ص) من قوله: من رأنا فقد رأنا.

و يقول الامام العسكري عليه السلام لأحد أصحابه فى المنام أيضا: و أعلم ان كلامنا فى النوم مثل كلامنا فى اليقظة<sup>٣٢٨</sup>.

فإذا تمت هذه القاعدة- و الله العالم بحقيقتها- لم يكن بالامكان ان يقال: بان ذلك الحلم الذى وجد فيه رسول الله (ص) و الأئمة عليهم السلام بما فيهم الامام العسكري (ع)، أو هو مستقلا حين كان يأتيها كل ليلة ... حلم كاذب.

ثالثا: اننا غير مضطرين لأن نلتزم من هذا الحديث بحر فيه الرؤيا.

بل يمكننا ان نحمله على نحو من الرمزية و نقول: ان أم المهدي عليه و عليها السلام، كانت و هى فى بلادها الأولى كانت ملهمة بشكل غامض بعض خطوط مستقبلها و الحنين إليه، بمقدار بحيث انها حين واجهت هذا المستقبل أحبته و اخلصت له.

ص: ٢٥٣

و هذه مصلحة إلهية عظيمة، باعتبار ما يعلمه الله تعالى من كونها اما للمهدي عليه السلام، و ما سوف ترى فى سبيل ذلك من الضغط و المطاردة و العذاب. اذن فهى تحتاج إلى الهام خاص- و لو بشكل لا شعورى غامض- يوجب تربيتها و توجيه عواطفها بالشكل المخلص المؤمن. فانها، لو كانت مجردة عن هذا الالهام و كانت مشتتة من السوق من دون اخلاص سابق و تربية داخلية، لأمكن لها ان تجزع من التعذيب فتبوح بأمر ولدها، و يؤدى الحال إلى القاء القبض عليه و قتله. و هو ما لا يريد الله تعالى أن يكون .. كيف؟. و قد ذكره الله عز و جل بقدرته الكبرى لمستقبل الاسلام و ارساء قواعد الحق.

أما انكار وجود الالهام كحقيقة كونية إلهية، تتحقق بارادة الله تعالى عند وجود المصلحة .. فهذا تكذيب للقرآن إذ ينسب الالهام إلى النحل قائلا: و اوحى ربك إلى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات، فاسلكى سبل ربك ذللا<sup>٣٢٩</sup>. و ينسب عز و جل هذا الالهام ببعض مراتبه إلى الانسان إذ يقول عز من قائل: فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام، و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء<sup>٣٣٠</sup>.

اذن فلتكن الظاهرة التى احست بها و عاشتها أم المهدي، شكلا من اشكال الالهام.

ص: ٢٥٤

الاعتراض الثالث: ان هذا الحديث دال على ان اسلامها و زواجها كان فى عالم الرؤيا. و هو مما لا يمكن ان يعترف بشرعيته و قانونيته.

<sup>٣٢٨</sup> (١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٤.

<sup>٣٢٩</sup> (١) السورة ١٦ / ٤٨ - ٤٩.

<sup>٣٣٠</sup> (٢) السورة ٦ / ١٢٥.

و الجواب عليه: ان هذا الحديث و ان كان دالا على ذلك، إلا اننا لا ندعى الاكتفاء به بطبيعة الحال. و انما اصبحت مسلمة فى عالم اليقظة و العيان ... أما حال وجودها فى بلادها الاولى بعد ان اعتقدت بصحة الطيف و مطابقته للواقع، فاستيقظت معتقدة للاسلام. أو انها اسلمت حين قالت للامام الهادى عليه السلام: يا ابن رسول الله .. فان هذا الوصف متضمن للاعتراف بالاسلام بكل وضوح، أو انها اصبحت مسلمة حين علمتها حكيمة تعاليم الاسلام امتثالاً لامر اخيها عليه السلام، و على أى حال فقد تم اسلامها قبل زواجها من الامام العسكرى (ع).

و اما ما قد يخطر على البال من انها إذا كانت قد بقيت غير مسلمة فى عالم اليقظة و العيان حتى حين وصولها إلى سامراء، فكيف زارها الامام أبو محمد (ع) فى المنام .. فجوابه: ان هذا كلام من يؤمن بالاحلام .. و أما من لا يؤمن بها لا يعتبر الزيارة فى عالم الرؤيا شيئاً يؤخذ بنظر الاعتبار. و معه فنقول للمؤمن بالاحلام المتكلم بهذا الكلام:

ان زيارة الامام فى المنام يكفى فيها الاسلام فى المنام! و أما لقاء العيان و اليقظة فيحتاج إلى اسلام حقيقى فى عالم اليقظة.

و أما زواجها، فلم يكن ما وقع منه فى المنام كافياً أيضاً، و انما تم بانشاء الامام الهادى (ع) لعقد الزواج حين قال:- كما نطق الحديث:-

فإنى قد زوجت ابا محمد الحسن عليه السلام و أم القائم عليه السلام.

ص: ٢٥٥

بعد ان احرز رضاها و رضاه. و هو وليهما و ولى المؤمنين.

الاعتراض الرابع: ان هذا الحديث دال على تساقط الصلبان و انهيار الاعمدة، من دون سبب ظاهر. فكيف كان ذلك؟

و الجواب عن ذلك: انه مما لا شك فيه، من الناحية الاسلامية، ان ما يعتقده المسيحيون أصبح بعد بعثة نبي الاسلام (ص)، باطلا و المقيم عليه ضالاً مضلاً. و ان مقتضى الهداية إلى الصراط المستقيم هو الاهتداء بنور الاسلام و الاعتقاد بعقائده و الالتزام بعدله.

فمن الممكن القول: ان هذا الذى حدث، هو معجزة إلهية حدثت للتوصل إلى غرضين: احدهما: استنكار بقاء هؤلاء على المسيحية مع امكانهم الدخول فى الاسلام و معرفتهم بوجوده، فان الأولى بمصالحهم ان ان يعتنقوه لا ان يحاربوه؛ ثانيهما: استنكار زواج هذه المرأة من ابن عمها، فانها مقدرة فى علم الله الأزلى لأن تكون زوجة للامام العسكرى و اما للمهدى. لا ان تكون كما يشاء جدها زوجة لابن اخيه. بحدوث هذه المعجزة يحصل فى قلوبهم تشاؤم من حصول هذا الزواج، فلا يقومون به. كما قد عرضوا عنه فعلاً.

الاعتراض الخامس ان هذه الرواية تدل على شيئين متناقضين. فبينما تنص فى أولها على ان الامام الهادى (ع) هو الذى كتب الكتاب الذى حمله بشر النخاس إلى الجارية ... نراها تدل بعد ذلك على ان كاتبه هو الامام العسكرى (ع). كقولها: و أوماً بيده إلى أبى محمد صاحب هذا الكتاب. و قولها: يعنى على صاحب هذا الكتاب.

و الجواب عن ذلك: ان الرواية دلت على ان كاتب الكتاب هو الامام الهادى (ع). إلا انها دلت فى عين الوقت ان هذه الجارية كانت تتوهم ان كاتبه هو فتى احلامها و زوج مستقبلها الامام العسكرى عليه السلام. و ليس بين الامرين أى تنافى. و لا نعلم ان ما فى الكتاب يدل على تحديد شخصية كاتبه حتى تعرفه بذلك.

اذن فليس شىء من هذه الاعتراضات وارد على هذا الحديث و مضعف لدلالته و ما يعرب عنه من حديث و تاريخ. و انما الاعتراض الوحيد الذى يمكن صدقه، هو ان هذا الحديث ضعيف من ناحية اثباته التاريخى، باعتبار كونه مجهول الرواة ضعيف السند.

التعليق الثالث: الذى نعلقه على هذه الرواية:

ان هذه الرواية مهملة من حيث التاريخ. و نحن و ان استطعنا ان نعرف وقت شراء الجارية إلا انه لا يمكن تحديد وقت هذا القتال الذى وقع بين الروم و المسلمين. ذلك القتال الذى أصبحت مليكة نتيجة له اسيرة للمسلمين. كما انه لا يمكن تحديد مكانه على وجه التعيين، فان سائر أطراف الدولة الاسلامية كانت مسرحا لحروب و مناوشات و فتوحات فى ذلك العصر. و أغلبها كان بين الروم و المسلمين.

فان لفظ الروم كان يستعمله العرب فى ذلك الحين بشكل مجمل واسع المعنى. فانهم كانوا يصطلحون بهذا اللفظ على كل بلاد مسيحية خارج حدود بلاد الاسلام. و هذا معنى شامل لكثير من مناطق الأرض. فهو يشمل سوريا و لبنان و تركيا قبل فتحها الاسلامى، ثم

يستمر إلى ما وراءها شمالا مما هو الآن تحت حكم الاتحاد السوفييتى. و قد دخل قسم منه فى الاسلام وبقى الكثير منه مسيحيا إلى حد الآن. كما يمتد هذا اللفظ غربا ليشمل اوروبا كلها بما فيها اليونان و ايطاليا و فرنسا و اسبانيا و صقلية و غيرها مما كان معروفا يومذاك. و كانوا إذا أرادوا التدقيق فى التعبير عن اوروبا، قالوا: الفرنجة أو الافرنج، تمييزا لها عن سائر بلاد الروم. و هو أيضا لفظ مجمل يشمل كل أقطار اوروبا تقريبا.

لا يستثنى من لفظ الروم، بحسب اصطلاحهم .. من وجه العالم المعروف يومئذ، إلا ما كان فى شرق بلاد الاسلام: كالهند و الصين و ما كان فى جنوبها كافريقيا.

و الصحيح تاريخيا ان الروم هم شعب دولة روما، التى هى الآن عاصمة ايطاليا، و كان الاسم الرسمى للملك عندهم هو القيصر. و هى دولة استطاعت ان تسيطر على رقعة ضخمة من العالم ... من حوض البحر الأبيض المتوسط. كالشمال الافريقى و اليونان و تركيا و سوريا و لبنان و فلسطين، حتى كانت تسمى كل هذه المناطق بدولة الروم، و من هنا وقع الاجمال و الاختلاط فى معناه لدى الناس فى تلك العصور ...

و حتى كانت العاصمة لهذه الدولة الجبارة هي القسطنطينية، و هي ليست في ايطاليا، و غير قريبة من روما! و انما تقع في الجزء الاوروبى من تركيا فعلا. و تسمى اليوم باستانبول. و كان لسقوطها بايدى الجيش الاسلامى من الاهمية و (الاستراتيجية) الشىء الكثير. اذ يعنى

ص: ٢٥٨

انحسار الحكم الرومى عن بلاد الشرق و انكماشه فى داخل اوروبا المسيحية.

و على أى حال، فانه يمكن ان يفهم من هذه الرواية ان الملك نفسه كان خارجا مع جيشه للحرب، و هو ما كان يحدث فعلا فى الحروب المهمة الواسعة. فبذلك يمكن أن نلتفت إلى الحادثة التى ينقلها التاريخ العام فى سنة ٢٤٩، حيث نزل ملك الروم بنفسه إلى الحرب مع خمسين الفا، و حصل بينه و بين المسلمين قتال شديد، قتل فيها من الفريقين خلق كثير<sup>٣٣١</sup>. فالمظنون ان هذه هي الحادثة المشار إليها فى الحديث.

و كان الامام العسكرى عليه السلام فى هذا العام، عمره سبعة عشر عاما، يعيش تحت ظل ابيه عليه السلام ثم أن أم المهدي عليه السلام بعد ان سببت فى الحرب بقيت عند مالكةا حتى عام ٢٥٤ حين أراد بيعها، فاشترها الامام عليه السلام ليزوجها من ابنه عليه السلام. و الرواية على أى حال، لا تدل على سرعة بيعها بعد الاسر، و ان كان المفهوم منها بشكل عام، هو ذلك. و الله العالم.

الفرضية الثانية: ان المالك لهذه الجارية من اسرة الامام عليه السلام، هو حكيمة اخت الامام الهادى (ع).

و هذه فرضية بسيطة و مختصرة، تكفيينا فى الاثبات التاريخى ان لم تكفنا الفرضية الأولى، و لم نقتنع بمدلول ذلك الخبر. و الخبر الوارد فى هذه الفرضية يهمل بالكلية التعرض لأصل هذه الجارية أو ترجمة

ص: ٢٥٩

حياتها أو تاريخ ورودها إلى بلاد الاسلام أو تاريخ شرائها.

و انما يبدأ الحديث انه فى يوم من الايام يزور الامام العسكرى عليه السلام عمته حكيمة رضى الله عنها؛ فيرى جارتها فيحد النظر إليها.

فتقول له: يا سيدى لعلك هويتها أ فأرسلها إليك. فينفى الامام عليه السلام الهوى الجنىسى عن نفسه، فانه مناف لمقام الامام و عصمته، و يعطى السبب المنطقى الصحيح لعمله. و ذلك انه اجاب عمته قائلا:

لا يا عمّة، ولكنى اتعجب منها. فقالت له: وما اعجبك؟. فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز و جل الذى يملأ الله به الأرض و عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا. فقالت له: فارسها إليك يا سيدى. فيوقف الامام العسكرى (ع) ذلك على اذن ابيه، قائلا: استأذنى فى ذلك ابى.

قالت: فلبست ثيابى و اتيت منزل ابى الحسن عليه السلام. فسلمت عليه و جلست. فبدأنى و قال: يا حكيمة ابعتى نرجس إلى ابنى ابى محمد. قالت: فقلت: يا سيدى على هذا قصدتك .. ان نستأذنك فى ذلك. فقال لى: يا مباركة، ان الله تبارك و تعالى أراد ان يشركك فى الاجر و يجعل لك فى الخير نصيبا.

و تبادر العمّة إلى الرجوع إلى منزلها، و تقوم بتزيين نرجس و تهبها لأبى محمد عليه السلام. و تجمع بينه و بينها فى منزلها. فيقيم الامام عندها اياما، حتى يتوفى والده عليه السلام بعد ايام، فينتقل الامام العسكرى (ع) مع زوجته إلى دار ابيه<sup>٣٣٢</sup>.

ص: ٢٦٠

و هذه الرواية تتفق مع سابقتها على عدة خصائص، منها: ان أم المهدي عليه السلام كانت جارية مملوكة، و ان اسمها نرجس و ان زواج الامام العسكرى كان فى حياة ابيه و اذنه. و لذا نستطيع ان نعتبر اتفاقهما على ذلك اثباتا تاريخيا كافيا له. إلا ان هذه الرواية تعين وقوع الزواج فى الأيام الاخيرة من حياة الامام الهادى (ع). و لم يكن هذا واضحا من الرواية السابقة.

و ليس على هذه الرواية من اعتراض من الناحية الشكلية، إلا اعتراض واحد، و هو ان الامام العسكرى (ع) حين زار عمته كيف جاز له ان يحد النظر إلى جارتها مع انها ليست زوجته و لا مملوكته فى ذلك الحين. و يأتى الجواب واضحا بسيطا، و هو انه نظر إليها باذن مالكتها. و المالك إذا اذن لشخص فى النظر إلى مملوكته جاز للمأذون له النظر شرعا فى حدود اذن المالك.

و هذا و ان لم يذكر فى الرواية إلا انه أخذ مفروض التحقق فى الرواية، للتسالم الواضح فى المجتمع المسلم على عدم جواز النظر إلى مملوكة الغير إلا باذنه. لذا كان من الواضح فى ذهن الراوى ان السامع المسلم سوف يفهم تلقائيا وجود الاذن فى النظر ... و من هنا اهمله من سرده من لفظ الرواية.

ص: ٢٦١

### ولادة الامام المهدي (ع):

ولد عليه السلام عند الفجر من يوم النصف من شهر شعبان<sup>٣٣٣</sup> و حيث يقع الفجر ما بين الليل و النهار، فقد عبر بعضهم ان ولادته كانت فى الليل و بعضهم عبر باليوم حيث قال: فى يوم الجمعة كالصدوق فى اكمال الدين و ابن خلكان فى الوفيات.

<sup>٣٣٢</sup> (١) انظر اكمال الدين .. نسخة مخطوطة.

<sup>٣٣٣</sup> (١) انظر الكافى (مخطوط) و اكمال الدين (مخطوط) و وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣١٦ و الارشاد ص ٣٢٦ و اعلام الورى ص ٣٩٣. و نور الابصار ص ١٧٠.

أما عام ولادته فالمشهور انه عام ٢٥٥<sup>٣٣٤</sup> و ليس على ذلك اعتراض إلا ما يذكره الكليني في الكافي و الصدوق في اكمال الدين. فانهما يرويانها على وجهين، فتارة قالوا: انه ولد عام ٢٥٥ و تارة اخرى قالوا:

انه ولد عام ٢٥٦<sup>٣٣٥</sup>، و تنافيهما في الرواية يوجب الأخذ بالمشهور كما هو واضح.

و على ذلك يكون قد ولد عليه السلام بعد وفاة جده الامام الهادي عليه السلام بحوالي عام، و بعد مجيء المهدي العباسي إلى الحكم باقل من شهر. حيث استخلف المهدي لليلة بقيت من رجب و ولد الامام المهدي في النصف من شعبان في نفس العام. و بقي المهدي في الحكم حوالي عام واحد حيث ازاله الأتراك و بايعوا المعتمد عام ٢٥٦. و بقي

ص: ٢٦٢

المعتمد في الحكم ثلاثا و عشرين سنة، حتى عام ٢٧٩ على ما سمعنا فيما سبق.

و يعاصر الامام المهدي عليه السلام من حياة ابيه خمس سنوات، حيث يصعد أبوه إلى الرفيق الأعلى عام ٢٦٠ على ما سبق ان عرفنا.

و قد انصب النشاط الرئيسي خلال ذلك على امرين رئيسيين: احدهما:

الحذر التام من السلطة الحاكمة. ثانيهما: تعرف خواص ابيه (ع).

و مهما يكن من أمر، فالمهم الآن ان نحمل فكرة عما تدلنا عليه الروايات من حوادث ولادة الامام المهدي عليه السلام:

ان الامام العسكري عليه السلام تزوره عمته حكيمة في يوم من الأيام، و تبقى عنده إلى المساء. و حين تريد ان تنصرف يرحبها الامام عليه السلام ان تبيت في داره هذه الليلة، فانه سيولد فيها المولود الكريم على الله عز و جل، حجة الله في أرضه. فتسأله العمّة: و من أمه؟. فيقول الامام عليه السلام: نرجس! فتتنفى العمّة أن يكون نرجس اثر للحمل. فيؤكد لها الامام (ع) ذلك قائلاً: هو ما أقول لك فتفحصها العمّة جيدا و تقلبها ظهرا لبطن فلا تجد أثر الحمل. فتعود فتخبره تارة اخرى. فيبتسم الامام عليه السلام و يعطيها الحجة الواضحة و المبرر الالهي الصحيح في ذلك، قائلاً: إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل .. لأن مثلها كمثل أم موسى لم يظهر بها الحبل و لم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام. و هذا نظير موسى عليه السلام.

ص: ٢٦٣

<sup>٣٣٤</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٢٦ و اعلام الورى ص ٢٩٣ و ابن خلكان ج ٣ ص ٣١٦ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ و أبو الفداء ج ١ ص ٤٧ و الاتحاف ص ٦٩ و

اليواقيت و الجواهر ص ٢٨٨ و الفصول المهمة ص ٣١٠ و نور الأبصار ص ١٧٠.

<sup>٣٣٥</sup> (٣) انظر للمصدرين المخطوطين.

و حاصل البرهان الذى يتضمنه كلام الامام عليه السلام بعد إيضاح مقدماته هو: أن الله تبارك و تعالى اقتضت حكمته الازلية ان يستهدف فى خلق البشرية هدايتها و ارشادها و اخراجها من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون<sup>٣٣٦</sup>. و لاجل هذا الهدف الأعلى كانت بعثات الأنبياء و الرسل مبشرين و منذرين. و من هنا كان وعد الله القاطع باقامة دولة الحق على الأرض. فان الأرض لله يرثها عباده المتقون.

و الهدف الالهى إذا كان لزوميا و مهما، توصل الله تعالى إليه بقدرته، بما شاء من الوسائل و الطرق. فانه القادر على كل شىء الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. فان كان فى الامكان تحقق الهدف بالطريق الطبيعى، فهو .. و الا توصل الله تعالى إلى ايجاده عن طريق خرق النظام الكونى الطبيعى بالمعجزات. كما تحدثنا عنه و فصلنا القول فيه فى رسالتنا عن المعجزة فى المفهوم الاسلامى و أهون بالجهد البشرى أن يكون حائلا أو مانعا بين ارادة الله تعالى و بين تنفيذ ما يريده من الأهداف فى خلقه.

و إذ يكون ضغط السلطات الحاكمة عاليا، و يكون لوجود الفرد المطارد أثرا مهم فى تحقق الهدف الالهى، و لم يمكن حفظه من السلطات بطريق طبيعى، اذن يتعين حفظه بطريق اعجازى .. توصلا إلى الهدف الكبير و هو هداية البشرية فى مستقبل الدهر.

ص: ٢٤٤

و بين يدينا الآن مثالان لذلك: احدهما: النبى موسى بن عمران على نبينا و عليه السلام. فان الله تعالى حين تعلق غرضه المهم الملزم بهداية البشرية به فى زمان مستقبل .. و كان ذلك متوقفا على ولادته صحيحا سالما و لم يكن ذلك ممكنا للضغط العالى المتوجه من قبل سلطات فرعون يومئذ. اذن يتعين حفظه بطريق اعجازى تحفظا على الغرض الالهى الكبير الذى سيكون موسى عليه السلام المسئول الرئيسى لتنفيذه و تطبيقه فى حينه.

المثال الثانى: الامام المهدي عليه السلام الذى تعلق الغرض الالهى المهم الملزم بهداية البشرية به فى الزمان المستقبل و تنفيذ وعد الله تعالى بدولة الحق على يده. و ذلك يتوقف على ولادته و بقاءه سالما. و من هنا افاض الله تعالى عنايته الخاصة و ارادته اللانهائية، تحفظا على غرضه الكبير و تحديا للجهد البشرى المتواضع الذى تبذله السلطات .. باقامة المعجزة فى اخفاء الحمل من ناحية و فى بقاءه أمدا طويلا من الدهر من ناحية ثانية.

و حيث كان المثال الأول واضحا فى اذهان المسلمين، اذن فلا بعد فى قدرة الله تعالى أن يقوم بذلك بالنسبة إلى المهدي (ع) أيضا.

و المعجزة فى اخفاء الحمل يكون- فى الأرجح- على هذا الترتيب:

و هو ان النطفة خلال مدة الحمل تنمو ببطء شديد أو لا تنمو على الاطلاق. ثم انها قبل الولادة بوقت قصير قد لا يزيد على دقائق، تنمو بسرعة حتى يكتمل الجنين، و يكون قابلا للميلاد، فى الجو السرى

ص:٢٦٥

الخاص البعيد عن أعين السلطات.

و بذلك لا يتمكن أحد من الفاحصين حتى القوابل، خلال المدة الاعتيادية للحمل .. من التعرف على وجوده. فضلا عن مجرد النظر.

و ذلك: لأن الطب إلى يومنا الحاضر عاجز عن التعرف إلى الحمل فى شهره الأول، فكيف بالعصور السابقة .. عصور الخلافة العباسية. فلو بقى الجنين، بارادة الله تعالى، على شكله فى الشهر الأول طيلة مدة الحمل، لم يتمكن أحد ان يخمن وجود الحمل على الاطلاق، فى تلك العصور.

و لا يخفانا أيضا، ما فى التوقيت فى الفجر، من اهمية خاصة فى زيادة الحذر و الخفاء، فان هذه العائلة كانت فى ذلك الوقت فى يقظة.

و كل من يتولى السلطة و التجسس يغط فى نوم عميق.

ثم ان حكيمة إذ تسمع تأكيد الامام عليه السلام، تعود إلى نرجس فتخبرها بما قال و تسألها عن حالها. فتقول نرجس: يا مولاتى ما أرى بى شيئا من هذا. ثم ان نرجس نامت و اشتغلت حكيمة بالصلاة، لكى تؤدي صلاة الليل، و جلست للدعاء عقيب الصلاة، و هى فى كل ذلك ترقب نرجس. فلا تجد عليها إلا النوم الهادى لا تقلب جنبا عن جنب.

و هناك من الأخبار ما يدل على أن نرجس نفسها قامت من نومتها فأدت صلاة الليل ثم نامت مرة اخرى. و هى لا تحس بشيء.

حتى إذا كان وقت طلوع الفجر، و ثبت نرجس من نومها فرعة، فضمتها حكيمة إلى صدرها. و قالت لها: اسم الله عليك، هل تحسين

ص:٢٦٦

بشيء. قالت: نعم يا عمه. أقول: نعرف من ذلك ان جنينها قد كبير و اكتمل. و تم هذا فى دقائق أو أقل. و هذا يفسر لنا و ثوبها من نومها فرعة.

و هنا يأمر الامام عليه السلام حكيمة بأن تقرأ عليها سورة الدخان التى تبدأ بقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم. حم. و الكتاب المبين.



انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم امرا من عندنا أنا كنا مرسلين. و لا يخفى ما فى قراءة هذه الآيات من المناسبة لمقتضى الحال.

و حينما يحين وقت الولادة، يحدث نوع من الغموض بين الأمر أتين بحيث لا تطلع حكمة على نرجس، و قد عبر عن ذلك فى بعض الروايات بالفترة .. و هى نوع من الغفلة أو النعاس .. أصابتهما معا.

و عبر عنه فى رواية اخرى، بقول حكمة: حتى غيبت عنى نرجس فلم أرها، كأنه ضرب بينى و بينها حجاب. و المعنى المفهوم منها واحد، و الغرض منه هو عدم الاطلاع على نرجس حين خروج الامام عليه السلام.

و تتبته حكمة، فتجد الامام المهدي عليه السلام ساجدا على الأرض يقول شيئا من الكلام، يعطى به المفهوم الواعى الكبير الذى خلقه الله من اجله و الغرض الذى أو كله إليه و الوعد العظيم الذى اناطه به.

لكن الروايات تختلف فى اللفظ الذى قاله. ففى احداها انه قال: اشهد ان لا إله إلا الله و ان جدى محمد رسول الله و ان ابى امير المؤمنين. ثم

ص: ٢٤٧

عد اماما اماما إلى ان بلغ إلى نفسه. ثم قال: اللهم انجز لى ما وعدتني و اتمم لى امرى و ثبت و طأتى، و املاً الأرض بى عدلا. و فى رواية اخرى انه قال: الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين. زعمت الظلمة ان حجة الله داخضة. و لو اذن لنا فى الكلام لزال الشك. و فى رواية ثالثة: انه عليه السلام تلا قوله تعالى شهد الله انه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم .. إلى آخر الآية. و فى رواية رابعة: انه تلا قوله تعالى: و نريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين .. الى آخر الآية.

و نحن كمسلمين، لا ينبغي ان نستغرب ذلك أو نستنكره، فانه ليس بدعا فى الدهر، و ليس شاذا فى افعال الله تعالى و قدرته الكبرى.

و هذا القرآن يصرح بكل وضوح بنطق عيسى بن مريم فى المهدي: قال انى عبد الله اتانى الكتاب و جعلنى نبيا .. اذن فهو نبى فى صغره أيضا، و المهدي عليه السلام له الشبه به من كلتا الناحيتين. أما النطق فباعبار هذا الذى سمعناه. و أما الامامة فى الصغر فلانه تولاهها و عمره خمس سنوات بعد وفاة ابيه عام ٢٤٠ للهجرة.

و ينزل الحجة المهدي عليه السلام إلى الأرض بدون دماء نظيفا مفروغا منه. فيستدعى به أبوه عليه السلام، فتحمله حكمة إليه، فيأخذه و يضع لسانه فى فيه و يمر يده على عينيه و سمعه و مفاصله.

ثم يقول له: تكلم يا ابنى. فقال: اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له و اشهد ان محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم. ثم صلى على

امير المؤمنين و على الأئمة إلى ان وقف على ابيه. ثم احجم.

أقول: و الروايات تنسب إليه عليه السلام بعد ميلاده كلاما واحدا، و لكنها تختلف في زمانه. فالأكثر انه تكلم عند أول ولادته.

و واحدة منها تقول انه تكلم بعد حمله إلى ابيه- و هو ما نقلناه اخيرا- و يكون مقتضى الجمع بين الروايات انه قد تكلم مرتين، باعتبار ان كل رواية اثبتت شيئا لم تنفه الرواية الاخرى. إلا ان النتيجة، و هى تكلمه مرتين، يكون منافيا مع فحوى سائر الروايات فالأرجح هو الأخذ بالروايات الاكثر و هو انه تكلم بكلام واحد بعد ولادته مباشرة. فانها بتعددتها تكفى للاثبات التاريخي، و ان كان القطع بمثل هذه المسألة مما لا حاجة إليه من الناحية الدينية أو الاجتماعية.

و المفهوم من سياق أكثر الروايات انه لم يكن حال ولادة المهدي إلا أمه و حكيمة. و كان والده يشتغل بالصلاة و الدعاء في طرف آخر من الدار، مراقبا للوضع عن كتب، إلا ان هناك رواية تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيرانهم بشكل غامض شديد الكتمان، للقيام بالتوليد<sup>٣٣٧</sup> و في هذا منافات لأكثر الروايات، و معه فالارجح الأخذ الأكثر دون هذه الرواية.

#### ما بعد المولد:

يولد الامام المهدي عليه السلام، شأنه في ذلك شأن آبائه عليهم السلام، محتونا، و لكن والده يقرر امرار موسى عليه لاصابة السنة<sup>٣٣٨</sup>. فانه لا ينبغي ان تتخلف السنة الاسلامية عن أحد.

و يأمر الامام العسكري عليه السلام، ابا عمر و عثمان بن سعيد، و هو من اخص أصحابه لديه .. بان يعق عن المولود الجديد عددا من الشياه و ان يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز و عشرة آلاف رطل لحما و يوزعه على الفقراء<sup>٣٣٩</sup>. و ما أكثرهم في ذلك المجتمع المنحرف، و خاصة في القواعد الشعبية للامام المعزولين اجتماعيا و اقتصاديا.

و قد وصلت شاة مذبوحة إلى محمد بن ابراهيم الكوفى، باعتبارها عقيقة عن المولود الجديد<sup>٣٤٠</sup>.

<sup>٣٣٧</sup> (١) انظر الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٤٥. و اعلم ان ما ذكرناه من قصة الميلاد مستقى من روايات عديدة، موجودة- في الأغلب- في اكمال الدين للشيخ الصدوق. الا ان مما يساعد على سعة الاطلاع في هذا الصدد مراجعة كتاب الغيبة للشيخ الطوسى و الخرائج و الجرائح للقطب الراوندى و البحار ج ١٣ للعلامة المجلسى و منتخب الأثر للصافى و غيرها.

<sup>٣٣٨</sup> (١) انظر اكمال الدين المخطوط.

<sup>٣٣٩</sup> (٢) انظر المصدر.

<sup>٣٤٠</sup> (٣) انظر المصدر.

و يتباشر الأصحاب الخاصون بميلاد الامام المهدي عليه السلام.

فيزور أحدهم الامام العسكري (ع) فيهنثوه بولادة ابنه القائم<sup>٣٤١</sup> و يجتمع اثنان من الأصحاب فيبادر أحدهما الآخر قائلاً: البشاره. ولد البارحة فى الدار مولود لأبى محمد عليه السلام، و أمر بكتمانه. فيسأله الآخر السؤال المعتاد ... يسأله عن أسم المولود الجديد، فيقول له: سمي محمد و كنى بجعفر<sup>٣٤٢</sup>.

ص: ٢٧٠

و يبقى على الامام العسكري عليه السلام، وظيفة مزدوجة تجاه ولده الجديد، تحتاج كل منهما إلى تخطيط خاص، و يحتاج الجمع بينهما إلى غاية فى الحذر و اللباقة الاجتماعية.

الوظيفة الأولى: اثبات وجود الامام المهدي عليه السلام تجاه التاريخ و تجاه الامة الاسلامية، و تجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد أمامهم الثانى عشر بحسب نص النبى (ص) حين قال: يكون بعدى اثنا عشر خليفة كلهم من قریش. فليس من الممكن و لا المنطقى أن يبلغ الحذر و التوقى إلى اخفائه الكامل بحيث يؤدى انطماس اسمه و انكار وجوده. مع كونه عليه السلام الامام الثانى عشر لمواليه و القائد المذخور لدولة الحق.

على انه لا بد من اقامة الحججة فى وجوده على الموالين خاصة و على المسلمين عامة، بحيث يكون هناك تواتر فى الأخبار عن وجوده و رؤيته، يدحض به قول من يزعم عدم وجوده أو انه ليس للامام العسكري عليه السلام من ولد.

الوظيفة الثانية: حماية الامام المهدي عليه السلام من السيف العباسى و المطاردة الحكومية، التى عرفنا مناشئها و تخطيط السلطات لها، و تجنيد كل قواها و عيونها من اجلها.

اضف إلى ذلك ما اشرنا إليه من ان الجهاز الحاكم، كان يعرف فى دخيلة نفسه حق الامام و عدالة قضيته و صدق قوله. و انما كان يمنعهم عن اتباع الحق: الملك العقيم و المصالح العريضة المتعلقة بالخلافة العباسية

ص: ٢٧١

مضافا إلى تعصب ورائى قديم. و من هنا كانوا يشعرون ان ولادة المهدي عليه السلام، و هو الشخص الذى ملأ رسول الله (ص) اسماعهم بانه يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا ... ان ولادته يعنى الحكم على نظامهم بالموت المحتم و فضح مخططاتهم المنحرفة و أساليب عصيانهم لأوامر الاسلام و اهمال طاعة الله تعالى و عدم الاهتمام بالامة الاسلامية. و بعبارة اقرب: انهم كانوا يدركون ان مجتمعهم الذى يحكمونه قد امتلأ .. بفعل انحرافهم و سوء تصرفهم .. ظلما و جورا.

<sup>٣٤١</sup> (٤) انظر المصدر.

<sup>٣٤٢</sup> (٥) انظر المصدر.

اذن فمن المنطقي ان يتصدى الامام المهدي عليه السلام لكى يملأه قسطا و عدلا .. و هذا ما يخافونه و يرهبونه.

و هم و إن لم يحددوا بالضبط تاريخ ميلاد الامام المهدي عليه السلام، لمدى السرية التامة المحاطة فيها تجاههم .. إلا انهم يعلمون، على الاجمال ان زمانه قد اظلمهم و انه على و شك الوجود. فانه يكفيهم ان يعرفوا ان الامام العسكرى عليه السلام يكون فى السلسلة التى وعد بها رسول الله (ص) الامام الحادى عشر ... لكى يكون ولده هو الثانى عشر ..

و هو المهدي. و يدل على ذلك أيضا و على جهلهم بتحديد التاريخ ما نعرض له من مراقبتهم للحوامل عند وفاة الامام العسكرى (ع) ظنا منهم بوجود الامام المهدي (ع) جنينا فى رحم احدى النساء. مع انه كان مولودا قبل خمس سنوات، كما أطلع على ذلك الخاصة من مواليه.

و إذا كان نشاط الامامين العسكرين عليهما السلام، و هو مقتصر على حفظ مصالح قواعدهم الشعبية، و مشفوعا بسياسة السلبية و المسالمة

ص: ٢٧٢

مع الجهاز الحاكم على ما قلنا .. إذا كان هذا النشاط مثيرا و مغضبا للسلطات .. فكيف بالنشاط الموعود للمهدي المنتظر الذى يكون غليظا فى الحق لا يتسامح و لا يسالم و لا يعفو عن الانحراف.

و من هنا كان عمل السلطات فى تلك الظروف اقرب شيها بالحركات العصبية التى يقوم بها المخنوق عند خنقه أو الغريق قبل انقاذه .. فانها تعلم بوجود شىء خطر مشرف عليها، شديد الاهمية بالنسبة إليها ..

و لكنها تشعر بالعجز تجاهه، و ضيق الباع فى الوصول إليه و الوقوف عليه. بالرغم من وجود القوة و المال و الضمائر الاجيرة فى جانبها، و ليس فى الجانب الآخر إلا العزل و الفقراء و المضطهدون ... و لعلها تحس تجاه ذلك بالتحدى لقوتها و عزتها فتزيد من نشاطها و تبذل المستحيل فى سبيل الحصول على الامام المهدي (ع) و القبض عليه.

فكانت هاتان الوظيفتان المزدوجتان للامام العسكرى عليه السلام، توقفه فى موقف غاية من الدقة و الحرج .. و بخاصة و ان كلتا الوظيفتين ضرورية بالنسبة إليه لا يمكنه ان يتخلى عنها.

و يزيد الموقف دقة، ان الامام العسكرى يعيش فى هذا المجتمع الصاخب، تحت الأضواء المسلطة عليه من كل الجهات و الرقابة الاجتماعية التى تلاحقه، لعدة أسباب: منها: انه الرجل المثالى الاسلامى فى عبادته و اخلاقه و علمه و نسبه فى نظر الجميع. و منها: انه القائد و الموجه لقواعد شعبية واسعة من المسلمين. و منها: انه يمثل جبهة المعارضة ضد السلطات الحاكمة. و منها: ان الحكومة تستمر فى تقريبه من

ص: ٢٧٣

البلاط و دمجها في الحاشية. و من المعلوم ان الشخص الذى تكون له بعض هذه الخصائص، فضلا عن جميعها يكون لولده اهمية كبيرة و خبرا منتشرا واسعا، و خاصة إذا كان للمولود اهمية خاصة .. كان مهدي هذه الامة. اذن فمن طبيعة المجتمع ان تتوجه الانظار من كل حذب و صوب إلى ميلاد الامام المهدي عليه السلام، و خاصة من قبل السلطات الذين يعيش فى بلاطهم و يزوره فى الاسبوع مرتين.

و من ثم كان أقرب تخطيط للخروج من هذا المأزق، ترك الاعلان الاجتماعى عن ولادة المولود الجديد بالكلية، و كأن شيئا لم يحدث على الاطلاق، بالنسبة إلى الفهم العام، و ترك الأحداث تسير فى مجراها الاعتيادى من دون اثاره أى انتباه أو فضول أو شك من أحد فى شىء من النشاط أو القول أو العمل. حتى ان خادم الباب فى بيت الامام العسكرى لم ينتبه إلى شىء و لم يفهم شيئا<sup>٣٣٣</sup> و اذا لم يحصل الشك و الانتباه لم يحصل الفحص و السؤال.

و مما ساعد الامام العسكرى (ع) على الاخفاء مساعدة كبرى، تطبيقه سياسة الاحتجاب على نفسه، و انقطاعه عن أصحابه و مواليه إلا بواسطة المراسلات، كما عرفنا، حيث استطاع عليه السلام بذلك تحقيق نتيجتين اساسيتين: احدهما: تعويد قواعده الشعبية على فكرة الاحتجاب و القيادة غير المباشرة، كما سبق ان أوضحنا. و ثانيتهما:

استقطاب المهام التى كان يقوم بها، و الحوادث التى كان يعيشها .. بشكل

ص: ٢٧٤

منفرد بعيد عن الانتباه و تسليط الأضواء و الضوضاء .. لا يكاد يعرف بكل مهمة أحد إلا أهل الصلاة بها. و حيث كان اخفاء ولده من مهامه الرئيسية، فلم يكن ذلك بممتنع عليه بعد تخطيط الاحتجاب.

و قد ساعد على الاخفاء أيضا مساعدة كبيرة، تحول انتباه الدولة و المجتمع إلى حرب صاحب الزنج الذى بدأ أعماله التخريبية فى جنوب العراق و الأهواز فى عام ميلاد المهدي عليه السلام .. عام ٢٥٥ على المشهور فى ميلاده. و المتتبع للتاريخ العام يعرف ما أوجده هذا المخرب من الفزع و القلق فى اذهان الشعب عامة و الجهاز الحاكم خاصة. و من المعلوم ان المجتمع الذى يسوده القلق الذهنى يكون فكره مركزا على ما يخاف منه و من الصعب أن يلتفت إلى شىء آخر. كالفرد الواحد إذا خاف وحشا تركز نظره و فكره و قوته عليه. فكذلك المجتمع بشكل أو بآخر. فكان وجود صاحب الزنج خير صارف ذهنى للفهم العام عن الالتفات إلى ميلاد الامام المهدي عليه السلام.

الا ان هذه الفكرة سوف تبقى تجيش بشكل غامض فى ذهن السلطات المتمثلة فى الخليفة المعتمد نفسه .. و تتجلى بأوضح صورها على ما سوف يقوم به عند وفاة الامام العسكرى عليه السلام. اذ يكون المعتمد فى ذلك الحين مرتاحا بعض الراحة من الناحيتين السياسية و العسكرية .. بعد ان أوكل قتال صاحب الزنج إلى اخيه ابى أحمد الموفق، قبل عامين .. سنة ٢٥٨ كما عرفنا، و قد استقل الموفق تدريجا بالحرب و غير الحرب من شئون الدولة و عزل الخليفة عن الأمر و النهى

<sup>٣٣٣</sup> (١) انظر اكمال الدين. (مخطوط).

و عن النشاط السياسى بالكلية. فمن هنا توفر للمعتمد بعض الوقت للتفكير فى أمر آخر ... هو البحث عن الوريث الشرعى للامام عليه السلام.

و على أى حال، لم يكن إلى حد التاريخ الذى نتكلم عنه، قد ثار حول ولادة المهدي (ع) أى احساس أو التفات أو شك من قبل المجتمع أو السلطات .. نتيجة لمجموع هذه الخصائص و الملابسات ... فكانه حادث غير موجود!!.

و إلى هنا استطاع الامام الحسن العسكرى عليه السلام أن يضمن بكل بساطة .. حماية ولده المهدي عليه السلام من الجهاز الحاكم و من كل من يدور فى فلكه .. و بذلك قام بالوظيفة الثانية خير قيام.

و اما الوظيفة الأولى له عليه السلام، و هى اثبات وجوده للتاريخ و للامة الاسلامية عامة و لمواليه خاصة ... فكان يجب - تحت الظروف التى عاشها الامام - ان تتقلص و ان تضمر، و ان يختص التبليغ بوجوده و رؤيته، بكل شخص يعلم من قوة ايمانه و اخلاصه فى عقيدته ان له من صلابة الارادة ما لا يمكن أن تلين أمام أى ضغط من السلطات بحيث يكون على استعداد ان يقدم نفسه فداء فى سبيل امتثال أمر امامه (ع) بالكتمان. كما انه لا بد ان يعلم من رجاحة عقله و اتزانه و لياقته، انه يكتفم ذلك فى المجتمع كتماننا تاما، و لا يتهور باذاعة السر إلى من لا ينبغى ان يذيعه له، و له الخبرة الكافية بالخاصة الذين يمكن ان يتبادل و ياهم هذا الخبر ... و هكذا كان .. و بمقدار هذا التبليغ

خطط الامام العسكرى عليه السلام.

و كان هذا سببا لحجب المولود الجديد، حجباً تاماً مطلقاً عن الجمهور غير الموالى له. بل حتى عن جمهور الموالين ممن لم يحرز فيه قوة الارادة و عمق الاخلاص.

و كان كل من يطلعه الامام على المولود الجديد، فيرويه اياه أو يخبره عنه، مكلفاً تكليفاً إلزامياً بامرین لا مناص له منهما، و هو يطبقهما باعتبار اخلاصه و قوة ارادته و ايمانه. و هما:

أولاً: وجوب الكتمان. و قد سمعنا فيما سبق ان أحد الأصحاب يقول للآخر: ولد البارحة فى الدار مولود لأبى محمد (ع) و أمر بكتمانه و يكتب الامام العسكرى عليه السلام لأحمد بن اسحاق: ولد لنا مولود، فليكن عندك مستورا و عن جميع الناس مكتوما. فانا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته و المولى لولايته. احببنا اعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به. و السلام<sup>٣٤٤</sup>.

و قد عرفنا، بكل وضوح وجه المصلحة فى هذا الكتمان.

ثانيا: حرمة اطلاع أحد على اسمه عليه السلام. و هو أسلوب في الكتمان ورد التأكيد عليه بشكل خاص.

و لا يخفى ان اسم المهدي المنتظر أساسا، معلوم لدى الأمة، بإخبار نبيها (ص) حين قال: اسمه اسمي. و هذا يعنى بكل وضوح ان اسمه محمد. و هذه المعرفة لا يختلف فيها الناس من مواليين و غيرهم.

ص: ٢٧٧

و لكن السلطة القائمة، إذ تريد أن تطارد المهدي المنتظر في شخص المولود الجديد، لا بد لها من امرين: أولا: ان تعرف ولادته. اذ مع الغفلة عنها، لا يمكنها بطبيعة الحال ان تجرد المطاردة الفعلية الحقيقية ضد المولود. و ثانيا: أن تعرف شخصه باسمه. إذ بدونه لا يمكن ان تحارب فيه المهدي المنتظر. لاحتمال أن يكون المهدي هو ولد آخر للامام العسكري (ع) لعله ولد و لعله لم يولد بعد- فيما تحتمله السلطة- و هي ليس لها غرض معين إلا ضد المهدي المنتظر على وجه التعيين.

مضافا إلى وضوح ان الاسم يكسب الفرد شخصيته القانونية و الاجتماعية التي يمكن أن تعين و يشار إليها به. و أما مع الجهل به إلى جانب الجهل بشكله أيضا، فيكتسب بذلك نحو من الغموض و عدم التعيين، في ذهن السلطات، فتحار عند البحث عنه، انها تبحث عن أي شخص على وجه التحديد. و هذا الغموض- على أي حال- يعطي المهدي المبحوث عنه رهبة في صدورهم و هالة قدسية في احساسهم و شعورا بالعجز تجاهه. و في هذا ما فيه من التسبب إلى ضعف معنويات السلطة و خاصة الجنود الفاحصين المطاردين من قبل الدولة.

و طبقا لهذا التكليف الثاني .. سمعنا الامام الهادي عليه السلام حين يبشر بحفيده المهدي (ع) يقول: لانكم لا ترون شخصه و لا يحل لكم ذكره باسمه. قال الراوي فقلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا:

الحجة من آل النبي صلى الله عليه و آله و سلم. و نسمع عثمان بن سعيد العمري، و هو الوكيل الأول للحجة (ع) يقول لمن يسأل عن اسمه:

ص: ٢٧٨

اياك ان تبحث عن هذا<sup>٣٤٥</sup>. و يقول لآخر: نهيتم عن هذا<sup>٣٤٦</sup>. و في حادثة مشابهة يقول: ابنه الوكيل الثاني محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك. و يضيف: و لا أقول هذا من عندي و ليس لي ان احلل و احرم، و لكن عنه عليه السلام يعنى الحجة المهدي (ع). و لكننا لا نجد نهيا عن التسمية و اردا عن الامام العسكري عليه السلام، و هذا له سبب نقوله في مستقبل البحث ان شاء الله تعالى.<sup>٣٤٧</sup> و الذي أود ايضاحه في هذا الصدد، أن هناك احتمالا راجحا تؤكده الحوادث، هو ان المراد من كتم الاسم كتم الشخص نفسه و اخفاء ولادته عن لا ينبغي أن يصل إليه الخبر. و عليه فهناك تكليف واحد بالكتمان متعلق بالولادة و الاسم معا، باعتبارهما

<sup>٣٤٥</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط.

<sup>٣٤٦</sup> (٢) الغيبة ص ٢١٥.

<sup>٣٤٧</sup> (٣) المصدر ص ٢١٩.

يعبران عن معنى أصيل واحد. وليس المراد بكتمان الاسم حرمة التصريح به مع غض النظر عن حرمة التصريح بولادته. بل المراد بالاسم هو شخص المسمى و وجوب الكتمان راجع إلى اصل ولادته المحافظة عليه بشكل عام.

و من ثم نرى أن من يضطلع ببيان ذلك هو عثمان بن سعيد دون الامام العسكري عليه السلام. و ذلك: لما سنسمعه من ان السلطات بعد ان أيست من العثور على الوريث الشرعى للامام العسكري، قررت الجزم بعدم وجوده اساسا، و تقسيم ميراث الامام بين الورثة الآخرين.

ص: ٢٧٩

و بذلك اسقطت السلطة وجود الحجة المهدي عليه السلام من حساب قانونها و غضت النظر عنه بالكلية. و ان كانت المخاوف تبقى تعتمل فى نفسها على ما سنسمع. و من المعلوم و الحال هذه ان أى تصريح جديد باسم المهدي (ع) أو تلويح بشخصه أو تأكيد على ولادته، سوف يثير من جديد التفات السلطات و تجديدها للمطاردة و البحث. و هذا هو الخطر الذى كان قد ابتعد عن الامام إلى حد كبير بعد يأس الدولة من العثور عليه.

و من هنا تأتى التأكيدات من قبل عثمان بن سعيد فى هذا الزمن المتأخر نسبيا بالنهى عن التسمية .. فهو تارة يقول: اياك ان تبحث عن هذا. فان عند القوم ان هذا النسل قد انقطع<sup>٣٤٨</sup> و المراد بالقوم الحكام و بهذا النسل الأئمة عليهم السلام. و يعلله فى رواية اخرى قائلا:

فان الأمر عند السلطان ان ابا محمد (ع) مضى و لم يخلف ولدا و قسم ميراثه، و اخذه من لا حق له. و صبر على ذلك<sup>٣٤٩</sup>. إلى غير ذلك من التأكيدات التى سنبينها فى فترتها التاريخية الخاصة.

و من الواضح ان اثاره السلطات من جديد لا يفرق فيه بين ذكر اسمه أو ذكر مولده، أو التعرض لأى شأن من شؤنه.

و أما الامام الهادى عليه السلام، فالمظنون أنه يشير إلى خصوص هذه الفترة التاريخية، أو إليها و إلى ما بعدها إلى انتهاء زمان الغيبة

ص: ٢٨٠

الصغرى، فان التصريح باسمه و الأخبار عن ولادته و وجوده، كان خطرا عليه فى مثل تلك الأزمنة.

و معه نعرف ان هذا الحكم غير سارى المفعول إلى ايامنا هذه؛ إذ من المعلوم عدم وجود أى خطر عليه من التصريح باسمه هذا اليوم .. ان لم يكن - بالعكس - متضمنا للدعوة إليه و نشر فكرته العادلة و اهدافه الكبرى.

<sup>٣٤٨</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط.

<sup>٣٤٩</sup> (٢) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٤٧.



و اما الامام الحسن العسكري عليه السلام، فكان الموقف فى ايامه مختلفا عن الموقف فى عصر الغيبة الصغرى الذى يبدأ بوفاة، و يفتتحه عثمان بن سعيد بسفارته عن المهدي (ع). فان السلطات فى ذلك العصر المتأخر كانت قد ايست من القاء القبض على المهدي عليه السلام، حتى قررت الغاء وجوده القانونى كوريث شرعى لأبيه فكان فى التصريح باسمه اعادة للشك إلى ذهن السلطة. و أما فى زمان ابيه عليهما السلام ..

فلم تكن السلطة قد التفتت إلى ولادته أو احست بشىء يدل عليه. و من المعلوم اختلاف الحالة النفسية عند السلطة بين كونها غافلة أساسا عن الشىء و بين كونها ملتفتة عاجزة آيسة. فانها فى هذه الحالة الثانية تكون أقرب ذهنا و أكثر توجهها إلى تصيد الخبر الشارد و اللفظ الوارد عن الامام المهدي عليه السلام.

إلا اننا سنلاحظ من الامام العسكري عليه السلام، انه و ان لم يمه عن التسمية .. إلا انه يأخذ الحيطه من هذه الجهة .. فلا يصرح باسمه لأحد من خاصته ممن يريهم ولده المهدي، بل يكتفى بقوله لهم: هذا

ص: ٢٨١

صاحبكم .. يعنى انه الامام بعده عليه السلام. و يقتصر فى التصريح باسمه على اقل القليل.

و فى الحقيقة ان التكليف الشرعى الاسلامى، المتعلق بالامام العسكري عليه السلام بالتبليغ و اقامة الحجة على وجود ولده و التكليف المتعلق باصحابه بالايمان بامامهم الثانى عشر .. يكفى فيه هذا المقدار من الاطلاع و ان كان الاسم مجهولا. إذ يكفيهم بينهم و بين الله أن يؤمنوا بوجود امام يرجعون إليه فى الأحكام و المشاكل. و لا يتوقف ذلك على معرفة اسمه بعد معرفة شخصه و امكان الاتصال به عن طريق سفرائه.

و إذ يريد الامام العسكري عليه السلام ان يثبت وجود ولده المهدي (ع)، يختار من مواليه و أصحابه من كان له صلابه فى الايمان و عمق فى الاخلاص، و بخاصة اولئك الذين يربطون بينه و بين قواعد الشعبية و ينقلون منه و إليه المراسلات و التوقيعات. فانهم خير من يستطيع ان يبلغ خبر ولادة الحجة المهدي إلى الجماهير الموالية للامام (ع) فان هذه الجماهير تعرف سلفا وثاقه هؤلاء الأشخاص و ايمانهم و اخلاصهم و اعتماد الامام عليهم فى الربط بينهم و بينه.

و من ثم لن يفرق شيئا على الفرد من القواعد الشعبية الموالية بين أن يرى الامام المهدي بنفسه أو يسمع عنه من ابيه .. و بين ان يبلغه وجوده محفوفًا بقرائن الأتبات من قبل هؤلاء الأصحاب الموثوقين ..

ص: ٢٨٢

يستلم الفرد منهم الخبر كما يستلم الفتوى من الامام عليه السلام.

على اننا سنعرف ان الكثيرين من الأصحاب، قد تيسرت لهم رؤيته. كان جملة من حاول الوصول إلى الامام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى، تيسر له ذلك. اذن فيكفى الفرد الموالي أن يكتر السؤال من كثيرين ممن يعرف فيه القدم و الرسوخ في علاقته مع الامام العسكري عليه السلام، و ممن شاهد ولده المهدي (ع) من غيرهم ..

ليحصل عنده التواتر الموجب للعلم بوجود امامه الثاني عشر. و لئن كان التواتر قد وصلنا من الطرق الخاصة و العامة إلى هذا العصر .. فكيف في ذلك الزمن الذي كانت كل القرائن تدل عليه و كل الأيدي تشير إليه، و كان هم ابيه و وكلائه و أصحابه .. هو التأكيد على وجوده و التبليغ عنه إلى كل صالح للتبليغ.

و لعل أوسع اعلان يقوم به الامام العسكري بين أصحابه عن ولادة ابنه و امامته من بعده، و وجوب طاعته عليهم، هو انه عليه السلام قبل وفاته بايام، و قد كان مجلسه غاصا باربعين من أصحابه و مخلصيه، منهم محمد بن عثمان العمري و معاوية بن حكيم و محمد بن ايوب بن نوح ..

يعرض عليهم ابنه عليه السلام و يقول: هذا امامكم من بعدى و خليفتي عليكم. اطيعوه و لا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا في اديانكم. و يضيف - منبها لهم إلى أن هذه هي فرصتهم الوحيدة في المهدي (ع) - قائلا:

أما انكم لا ترونه بعد يومكم هذا<sup>٣٥٠</sup>.

ص: ٢٨٣

و نجد انه عليه السلام عرض ولده على أصحابه في اليوم الثالث من ولادته، و أعطاهم المفهوم الصحيح الاساسى الذى أو كله الله تعالى إليه، و عين لهم تكليفهم تجاهه بصفته الامام بعد ابيه. و قال لهم: هذا صاحبكم بعدى و خليفتي عليكم .. و هو القائم الذى تمد إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جورا و ظلما، خرج، فملأها قسطا و عدلا<sup>٣٥١</sup>.

فهذا و ذاك هو الاعلان الرسمى الكبير الذى قام به الامام العسكري عليه السلام، على طرفى المدة .. بعد الميلاد و قبل الوفاة .. لكى يكون هو الاساس الضخم لاقامة الحجّة تجاه القواعد الشعبية الموالية. و كان خلال هذه المدة يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه. فمنهم:

عمرو الأهوازي حيث أراه أبو محمد (ع) ولده المهدي (ع) و قال:

هذا صاحبكم<sup>٣٥٢</sup>.

<sup>٣٥٠</sup> (١) انظر اكمال الدين - نسخة مخطوطة.

<sup>٣٥١</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط.

<sup>٣٥٢</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٢٩ و ص ٣٣٠ مكررا.

و منهم: شخص آخر يزور الامام عليه السلام و يريد ان يتأكد من وجود الامام بعده قائلاً: يا سيدى من صاحب هذا الأمر. يعنى الإمامة. فيأمره الامام العسكرى (ع) برفع ستر كان مسبلا على باب غرفة إلى جنبه. فيرفعه الرجل فيخرج إليهم غلام يقدره الراوى بعشر أو ثمان سنين، واضح الجبين أبيض درى المقلتين شش الكفين معطوف الركبتين، فى خده الأيمن خال؛ و فى رأسه ذؤابة. فيجلس على فخذ

ص: ٢٨٤

ابى محمد عليه السلام. فيقول الامام للرجل هذا هو صاحبكم. ثم وثب الغلام فقال له أبوه: يا بنى ادخل إلى الوقت المعلوم<sup>٣٥٣</sup> يعنى وقت ظهوره عجل الله فرجه.

و لا يخفى أن تقدير الراوى لعمر المهدي عليه السلام، لا ينافى ما عرفناه من أن عمره حين وفاه ابيه خمس سنين. فان هذا بحسب عدد السنين هو الصحيح. و أما بحسب النظر إلى نمو المهدي عليه السلام و نشاطه البدنى، فلا يمكن أن نستبعد ان يبدو فى ظرف خمس سنين أو أقل كابن ثمان سنين أو أكثر. و ذلك انطلاقاً من أحد اساسين:

الاساس الأول: الميزان الطبى الطبيعى. فانه من المشاهد وجدانا أن كثيرا من الناس لا يمكن تقدير أعمارهم بشكل دقيق، اذ يبدو للناظر انهم أكبر من عمرهم الحقيقى بعدة سنوات أو أصغر بعدة سنوات.

فاذا اضفنا إلى ذلك نشاطا متزايدا و صحة موفورة لم نستبعد ان يبدو الصبى على ضعف عمره الحقيقى .. حتى على الموازين الطبية الطبيعية.

الأساس الثانى: ما ورد فى بعض رواياتنا من ان نمو الامام المعصوم يكون عادة أسرع من غيره. فمن ذلك ما ورد عن الامام العسكرى (ع) نفسه يقول: ان أولاد الأنبياء و الأوصياء اذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم. و ان الصبى منا إذا كان اتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة<sup>٣٥٤</sup>.

ص: ٢٨٥

و لعل بالامكان ان نفسر هذا الاساس الثانى بالاساس الأول أيضا، و الله العالم.

و ممن عرضه عليه الامام العسكرى عليه السلام، رجل من أهل فارس قصد الامام عليه السلام ليتشرف بخدمته. فاذن له الامام بذلك، فكان مع الخدم يشتري لهم الحوائج من السوق. و بقى على هذه الحال حتى أصبح خاصا و ارتفعت الكلفة بينه و بين الامام .. فكان يدخل الدار من دون استئذان إذا لم يكن فيها إلا الرجال.

<sup>٣٥٣</sup> (١) انظر اكمال الدين المخطوط.

<sup>٣٥٤</sup> (٢) انظر اكمال الدين المخطوط.

و بينما هو داخل عليه فى يوم من الايام، و الرجال عنده، إذ سمع حركة فى البيت - يعنى الغرفة - و ناداه الامام: مكانك لا تبرح. يقول: فلم اجسر اخرج و لا أدخل. فخرجت علىّ جارية معها شىء مغطى. ثم ان الامام ناداه و أمره بالدخول فدخل الغرفة. فنادى الجارية فرجعت، فأمرها الامام ان تكشف ما معها. فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه، قدره الراوى بسنتين. و قال الامام: هذا صاحبكم. ثم أمر الجارية فحملته فلم يره بعد ذلك حتى توفى الامام العسكرى أبو محمد صلوات الله عليه<sup>٣٥٥</sup>.

ففرى ان هذا البواب بالرغم من ملازمته للدار و دخوله من دون استئذان أحيانا .. لم يفهم بولادة الامام المهدي عليه السلام و لم يحس بتجدد أى أمر جديد فى الدار. و اكتفى الامام العسكرى (ع) بعرضه عليه مرة واحدة كما هو الشأن مع جملة من أصحابه و خاصته. بل حتى لو

ص: ٢٨٤

فرضنا أن هذا البواب قد ورد إلى خدمة الامام (ع) بعد ميلاد ولده عليه السلام، فانه أيضا لم يفهم به إلا فى اليوم الذى شاء له الامام ذلك.

و هذه الرواية و ان كان المفهوم السطحى منها يدل على اختصاص الرؤية بهذا البواب، لكننا لو دققنا النظر نجد ان الرجال الذين كانوا عند الامام و الجارية التى جاءت بالمهدي (ع)، كلهم قد شاهدوه بطبيعة الحال. و ان كان الراوى ناقلا للقصة من زاويته الخاصة.

و ممن عرضه الامام العسكرى عليه رجل من أصحابه .. يقول:

رأيت صاحب الزمان عليه السلام و وجهه يضىء كأنه القمر ليلة البدر، و رأيت على سرته شعر يجرى كالخط. و كشفت الثوب عنه. فوجدته مختونا. فسألت أبا محمد (ع) عن ذلك فقال، هكذا ولد و هكذا ولدنا، و لكننا سنمر موسى عليه لاصابة السنة<sup>٣٥٦</sup>. يشير بذلك إلى ان القانون العام فى الأئمة عليهم السلام أن يولدوا مختونين .. و لكن السنة الاسلامية فى الختان لا ينبغى أن تتخلف عن أحد. فلا بد من امرار موسى عليه تحفظا على شكل الختان، و على التعليم الاسلامى العام.

و من هنا نعرف ان هذه الرؤية كانت قبل إمرار موسى، و هو ما يستحب عمله فى الاسلام فى اليوم الثالث أو السابع من حياة الطفل.

و ممن عرضه الامام العسكرى (ع) من أصحابه: أحمد بن اسحاق بن سعد الأشعري، و هو من خاصة الامام و ثقافته. و اعطاه الفكرة الواعية الصحيحة عن غيبة الامام المهدي، و أفهمه عدة براهين عن

<sup>٣٥٥</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط. و اصول الكافي (مخطوط).

<sup>٣٥٦</sup> (١) انظر الاكمال المخطوط.

امكان الغيبة و صحتها. و مجال البحث و التدقيق فى هذه البراهين ليس هو هذا الكتاب. بعد ان كان مقتصرًا على الجهة التاريخية للامام المهدي عليه السلام. و لعلنا نستقصى الكلام فيها فى بحث مقبل.

و على أى حال فان احمد بن اسحاق يقصد زيارة الامام عليه السلام يريد أن يسأله عن الخلف من بعده .. و من يتولى الامامة بعد وفاته و يضطلع بشئون الأمة عند ذهابه إلى ربه. فيدخل على الامام، فيقول له الامام مبتدئًا: يا أحمد بن اسحاق ان الله تبارك و تعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام و لا يخليها إلى ان تقوم الساعة، من حجة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض و به ينزل الغيث و به تخرج بركات الأرض.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله. فمن الامام و الخليفة بعدك؟

فينهض الامام عليه السلام مسرعا و يدخل احدى الغرف، ثم يخرج و على عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر. من ابناء ثلاث سنين.

ثم يقول: يا أحمد بن اسحاق لو لا كرامتك على الله عز و جل و على حججه ما عرضت عليك ابني هذا. انه سمي رسول الله صلى الله عليه و آله و كنيه<sup>٣٥٧</sup> الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما.

يا أحمد بن اسحاق، مثله فى هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام، و مثله مثل ذى القرنين. و الله ليغيب غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز و جل على القول بامامته و وفقه الله للدعاء بتعجيل فرجه.

قال احمد بن اسحاق: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن بها قلبي. فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربى فصيح: انا بقية الله فى أرضه و المنتقم من أعدائه. و لا تطلب اثرا بعد عين، يا أحمد بن اسحاق.

قال: احمد بن اسحاق: فخرجت مسرورا. فلما كان الغد عدت إليه، فقلت له: يا ابن رسول الله، لقد عظم سرورى بما مننت علىّ فما السنة الجارية من الخضر و ذى القرنين، قال: طول الغيبة يا أحمد قلت: يا ابن رسول الله، و ان غيبته لتطول. قال: أى و ربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلا من أخذ الله عز و جل عهده بولايتنا و كتب فى قلبه الإيمان و أيده بروح منه. يا أحمد بن اسحاق هذا أمر من أمر الله و سر من سر الله و غيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك و اكتمه و كن من الشاكرين، تكن معنا فى عليين.

وفاة الامام العسكري (ع):

<sup>٣٥٧</sup> (١) أى انه متحد معه (ص) فى الاسم و الكنية.

و اذ يؤدي هذا الامام الممتحن الصابر مسئوليته التامة تجاه دينه و مجتمعه و ولده، يريد الله تعالى أن يلحقه بالرفيق الأعلى .. و ذلك عام ٢٦٠ للهجرة .. حيث اعتل عليه السلام في أول يوم من شهر ربيع الأول من ذلك العام<sup>٣٥٨</sup> و لا زالت العلة تزيد فيه و المرض يثقل عليه حتى توفي في الثامن من الشهر.

ص: ٢٨٩

و يتوفى سلام الله عليه، عن تسع و عشرين سنة من العمر. و قد سبق ان ذكرنا ان الغالب في البشر ان يكون الفرد في مثل هذا العمر في أوج الصحة، و القوة، فما الذي أودى بهذا الامام الممتحن الصابر في زهرة شبابه، غير العمل التخريبي من قبل الجهاز الحاكم. و لم يكن ينقل عنه ضعف في المزاج أو اعتلال سابق في الصحة أو مرض وراثي، و لا أى شىء غيره.

و بمجرد ان يعتل الامام عليه السلام يصل الخبر إلى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الذى رأينا الامام (ع) يزوره في بعض الايام فيحتفى به حفاوة بالغة. و يقول لولده أحمد حين سأله عنه: يا بنى لو زالت الامامة عن خلفائنا بنى العباس ما استحقها أحد من بنى هاشم غيره.

و هنا تنتصب امامنا همزة استفهام كبيرة .. فى سبب الوصول السريع لهذا الخبر إلى الوزير. ربما كان ذلك لانتشار الخبر فى المجتمع باعتبار شعور المجتمع بالاسف تجاه مرض الامام عليه السلام. و ربما كان عن طريق ما لديهم من العيون و المخبرين المنتشرين بين أفراد الشعب المطاردين للامام و مواليه. و ربما كان لاطلاع الوزير على سبب مرضه باعتباره ناشئا من الجهاز الحاكم نفسه، و هو القاء السم إليه من قبل بعض المجرمين من محسوبي الدولة. و الذى يبعد الاحتمالين الأولين ما عرفناه من انزال الامام و احتجابه حتى من مواليه و جملة من أصحابه فضلا عن عيون الدولة و مخبريها .. فكيف يصل الخبر بمثل هذه السرعة إلى

ص: ٢٩٠

الوزير، ما لم يتحقق الاحتمال الثالث .. و هو علم الوزير بالسبب. و من هنا نراه يعرف و يجزم ان الامام مشرف على الموت، و لا يبدى احتمالا فى شفائه، و انما يعين له الجماعة التى تلازمه و ترقب ساعة موته. فلو لم يكن يعرف السبب لفكر باحتمال شفائه و لو باعتباره شابا قوى البنية لا تؤثر فى مثله الأمراض عادة.

و على أى حال، فهو يركب من ساعته إلى البلاط .. دار الخلافة ..

لكى يخبر الخليفة بمرض الامام (ع) و يستصدر منه الأمر بتعيين جماعة من خدمه الثقات لديه للاشراف على حال الامام و مراقبته فى صورة القيام بخدمته و تنفيذ حاجاته. و هكذا كانت السياسة العباسية تجاه الامامين العسكريين، كان الاكرام و الاعظام

يستبطن دائما قصد المراقبة و المطاردة و التنكيل. و قد رأينا ذلك من المتوكل تجاه الامام الهادى عليه السلام، بكل وضوح، و نراه الآن بوضوح أيضا.

ثم يرجع الوزير مستعجلا، و معه خمسة من خدم المعتمد، كلهم من ثقاته و خاصته، منهم نحرير الخادم. و من نحرير هذا؟! انه الذى تولى سجن الامام عليه السلام فى يوم من الأيام .. و كان يضيق عليه و يؤذيه، و حلف: و الله لارمينه إلى السباع<sup>٣٥٩</sup>.

و يأمرهم الوزير بلزوم دار الحسن عليه السلام و تعرف خبره و حاله، فإن الامام فى مثل هذه الحال يحتاج إلى الرعاية الدائمة و الدولة تحتاج إلى الاتصال الدائم باخباره، و معرفة ساعة وفاته. و تحتاج إلى معرفة أمر آخر .. اعلم من ذلك و اعقد .. و هو السر العميق الذى لا زال الامام

ص: ٢٩١

(ع) يحافظ على كتمان خمسة أعوام متطاولة .. و هو وجود ولده المهدي (ع). فلعل بقاء الخدم الخمسة فى الدار و مرابطتهم الدائمة فيها .. تنتج - و لو صدفة - اطلاع أحدهم على أى تصرف مريب أو على أى همزة للاستفهام تدل الطريق على الامام المهدي عليه السلام.

و الدولة كما عرفنا، لم تكن مطلعة إلى ذلك الحين على ولادته ..

و لكننا قلنا انها كانت تعرف الحق، و تعترف فى دخيلة ضميرها بصدق الامام .. فهى تتوقع - بكل وضوح - انجاب الامام العسكرى (ع) للمهدى. و ها قد أوشكت حياته على الانتهاء، و لم يبلغها وجود ولده ..

اذن فهى تحاول جاهدة، أن تعرف .. و ان تتنسم الهواء .. و ان تتشمم الانباء عن ذلك بكل طريق.

و بعث الوزير إلى نفر من المتطبيين، فأمرهم بزيارته و تعهده صباحا و مساء. إلا ان طبهم لم يكن مجديا و رأيهم لم يكن حصيفا ..

و لعلهم لم يباشروا العلاج بشكل حقيقى يتوقع معه الشفاء .. فإنه لم يمر إلا يومين أو ثلاثة حتى أوصلوا الخبر إلى الوزير بأن الامام قد ضعف و ان حاله قد ثقل .. فأمر هؤلاء الاطباء بملازمة داره و عدم مغادرته.

و بعث إلى قاضى القضاة، و هو فى ذلك الحين: الحسين بن ابى الشوارب، الذى تولى هذا المنصب منذ عام ٢٥٢-٣٦٠ فاحضره إلى مجلسه فجاءه ابن ابى الشوارب، فأمره الوزير أن يختار عشرة ممن يوثق بدينه و ورعه و امانته .. فاخترهم له و أحضرهم. فأرسلهم الوزير إلى دار

<sup>٣٥٩</sup> (١) انظر اعلام الورى ص ٣٦٠ و الارشاد ص ٣٢٤.

<sup>٣٦٠</sup> (١) الكامل ج ٥ ص ٣٣٤.

ص: ٢٩٢

ابى محمد الحسن عليه السلام .. حيث الامام المريض (ع). و أمرهم بملازمته ليلا و نهارا. اذن فقد أصبح عدد الملازمين له - سوى الاطباء - خمسة عشر نفرا من قبل الدولة. و كلهم فى حالة مراقبة و انصات و تأهب، و يبقون ملازمين له حتى يتوفى عليه السلام<sup>٣٦١</sup>.

و لكن وجود هؤلاء القوم فى الدار، لم يمنع الامام من ان يتفرغ فى ليلة وفاته فى إحدى غرف الدار، لأجل كتابه عدد كبير من الكتب إلى المدينة .. و ان يرسل رسولا إلى المدائن بكتبه .. كل ذلك لأجل حفظ عدد من المصالح الاجتماعية و التخطيط لها إلى ما بعد وفاته عليه السلام.

و إذ يطلع الفجر من اليوم الثامن من ربيع الأول، لا يكون ساعتئذ معه فى الغرفة إلا صقيل الجارية، و هى نرجس أم المهدي عليه السلام، و عقيد الخادم، و هو من خدم الامام عليه السلام - تقول الرواية -: و من علم الله عز و جل غيرهما. تشير إلى وجود ولده المهدي عليه السلام أيضا معهم.

فيأمر الامام عليه السلام ان يؤتى له بماء مغلى بالمسطكى، فجاءوا به فى قدح. فيقرر الامام (ع) البدء بأداء صلاة الصبح أولا .. و يأمرهم بان يساعده. فجاءوا له بمنديل و بسطوه فى حجره، لأجل الوضوء.

فيأخذ عليه السلام من صقيل الماء و يتوضأ و يصلى صلاة الصبح على فراشه .. و إذ ينتهى من الصلاة، يأخذ القدح لكى يشرب، فيستولى

ص: ٢٩٣

عليه ضعف المرض، فترتجف يده، و يضرب القدح ثناياه مع حركة اليد الرتيبة .. و لم يستطع ان يستمر بالشرب. فتأخذ صقيل القدح من يده. فيستلقى و يسلم الروح من ساعته صلوات الله عليه<sup>٣٦٢</sup>.

و بذلك نفهم ان الامام استطاع بطريقته فى الاخفاء و الرمزية، و بلباقته الاجتماعية .. ان يقضى الرجال الخمسة عشر، عن مجاورته و يحجبهم عن أموره الخاصة. فيكمل ما ينبغى ان يقوم به من أعمال قبل أن تدركه المنية، ثم يتوفى بمعزل عنهم.

و إذا كان هذا النشاط الذى قام به، قد خفى عليهم، فمن الأولى و الأوضح أن يخفوا فى مهمتهم الاساسية .. و يبقى ما هو أهم فى الاخفاء و اعمق فى عور الاتهام عليهم .. و هو وجود المهدي عليه السلام .. يبقى فى حجاب و خفاءه .. لم يستطيعوا ان يجدوا له أى أثر أو يقعوا على ما يؤدى إليه أو يدل عليه.

<sup>٣٦١</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣١٩.

<sup>٣٦٢</sup> (١) انظر الاكمال (المخطوط).



و بمجرد أن يذاع خبر وفاته عليه السلام فى سامراء، و هى البلدة التى يؤمن كل من فيها بان الامام خير من فيها علما و زهدا و عبادة و نسبا، لا يختلفون فى ذلك باختلاف مناصبهم و أعمالهم و باختلاف ولائهم و عدائهم. فمن الطبيعى لهذه البلدة و هى تفقد هذا الرجل العظيم أن تضج ضجة واحدة، و ان تعطل أسواقها، و ان يجتمع الناس للشهادة و السير فى جنازة الامام عليه السلام. حتى كان ذلك اليوم شبيها

ص: ٢٩٤

بيوم القيامة. و ركب بنو هاشم و الكتاب و القضاة و المعدلون إلى جنازته و تجهيزه.

و إذ يفرغون من تهيئته و تجهيزه، يبعث الخليفة المعتمد إلى اخيه ابى عيسى بن المتوكل، فيأمر بالصلاة عليه. فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه. دنى أبو عيسى منه، فكشف عن وجهه، فعرضه على الحاضرين من بنى هاشم من العلويين و العباسيين و القواد و الكتاب و القضاة و المعدلين و قال- و ما اطرف ما قال!!:- هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا عليهم السلام. مات حتف انفه على فراشه.

و حضره من خدم أمير المؤمنين و ثقاته فلان و فلان، و من القضاة فلان و فلان و من المتطبيين فلان و فلان. ثم غطى وجهه و صلى عليه و أمر بحمله<sup>٣٤٣</sup>.

ان ذهن الجهاز الحاكم، المتمثل الآن بابى عيسى بن المتوكل، مشحون بالتوجس و الحذر، مما يروونه مرتسما فى اذهان الناس بوضوح، و ان لم تصرح به الأفواه، و هو التهمة للجهاز الحاكم بانه هو الذى سبب موت الامام عليه السلام بشكل أو آخر، لأنه كان يمثل دور المعارضة الصامدة الصامتة ضده. و لعلنا نستطيع الآن أن نلمس اللاعج الكبير الذى يختلج فى ذهن الجهاز الحاكم بعد أن اجهز على الامام فعلا و تسبب إلى موته حقيقة .. انه يريد- بأى طريق- ان يبقى هذا الأمر فى غاية الخلفاء، و ان يبقى ثوبه، على المستوى العام .. ابيض نقيا من دم

ص: ٢٩٥

الامام عليه السلام حتى لا يبيء بلعنة التاريخ و انتقام الامة، و المثل يقول: يكاد المجرم أن يقول خذونى!.

انظر إلى الاسلوب الطريف الذى نفيت به هذه التهمة! ان الدولة تستخدم شخصيتها و قوتها فى (الفتوى!) بنزاهتها، أمام هذا الجمع الغفير، و تتخذ من سكوت الجمع دليلا على الموافقة. متغاضية عن أن شخصا من هؤلاء لا يمكنه، بأى حال، ان يفتح فاه بأى اعتراض أو استنكار، و إلا فسيكون مصيره معروفا لدى الجميع.

و الاطرف من ذلك، ان جميع الحاضرين، و كل المجتمع متسالمون على ذلك فى نفوسهم، و يعلمون شأن هذه (الفتوى!). إلا انها الاسلوب الغريب الذى تلجأ إليه السلطات رغم كل ذلك.

و كانت هناك صلاة اخرى .. خاصة .. قد صليت على الامام قبل ذلك فى داره .. بعيدا عن المستوى الرسمى العام الذى سمعناه .. بين أصحابه و مواليه.

و هنا تبرز شخصية جديدة لم تكن قد برزت فى التاريخ لحد الآن، هى شخصية (جعفر بن على) اخو الامام العسكرى و عم الامام المهدي عليهما السلام .. و هو الذى سيكون له الأثر السيئ فى اثاره السلطه على عائلة الامام عليه السلام على ما سوف نسمع فى مستقبل الحديث.

يرى جعفر ان الامام العسكرى (ع) سوف لن يكون له خلف ظاهر و وريث واضح. اذن فهناك فرصة موسعة للاصطياد بالماء

ص: ٢٩٤

العكر. و لا بد- فى نظره- من استغلال هذه الفرصة للوصول إلى التزعم على القواعد الشعبية الموالية لأخيه، و استقطاب الأموال التى كانت و لا تزال تحمل إليه من سائر أطراف البلاد الاسلامية، و الحصول على أرث اخيه العسكرى عليه السلام. و يتم كل ذلك بادعاء الامامة بعد أخيه .. و أول مستلزمات ذلك و أقربها هو أن يباشر الآن الصلاة عليه.

و من ثم نجد الامام العسكرى (ع) بعد وفاته، و قبل اخراجه للجمهور، مسجى فى داره. و جعفر بن على واقف على باب الدار يتلقى من موالى اخيه التعزية بالوفاة و التهنتة بالامامة، و هو مرتاح له كانه هو الوضع الطبيعى. و لا يخفى ان اجمال الفكرة فى اذهان هؤلاء من حيث وجود ولد عند الامام و عدم وجوده .. ساعد على هذا الابهام إلى حد كبير. و قد عرفنا ان الظروف القاسية التى عاشها الامام عليه السلام لم تكن مساعدة بأى حال على إيضاح الفكرة و ابلاغ المفهوم إلى سائر القواعد الشعبية فى العاصمة و غير العاصمة.

و لكننا سنسمع بعد قليل ان مخطط جعفر بن على قد مات فى مهده و لم يكتب له النجاح. و استطاع الامام المهدي ان يستقطب عواطف و قيادة مواليه .. أما مباشرة أو عن طريق نوابه و سفرائه على ما سنعرف.

و بعد قليل يخرج عقيد الخادم، الذى سمعنا اسمه فى حادثة الوفاة.

و يقول له: يا سيدى قد كفن أخوك، فقم للصلاة عليه. فيدخل

ص: ٢٩٧

جعفر و يدخل جماعة من الشيعة يقدمهم عثمان بن سعيد العمري المعروف بالسمان، الذى سيصبح النائب الأول للامام الغائب. فيرون الامام العسكرى صلوات الله عليه على نعشه مكفنا. فتقدم جعفر بن على ليصلى على أخيه.

و إذا صلى جعفر، فقد اكتسب في نظر المجتمع بعض الحق، و وضع لبنه أساسية في مخططه، و حصل على (سابقة قانونية) يمكنه ان ينطلق منها للتغريب بجماهير الموالين. و هو ما لا يمكن ان يحدث مع وجود الامام المهدي (ع) و قدرته على الأخذ بزمام المبادرة لدفع هذه الشبهة، و رفع البدعة، و انقاذ مواليه من التورط بغير الحق من حيث لا يعلمون.

اذن فلا بد أن يبادر الامام المهدي (ع) إلى منع عمه عن الصلاة على الامام (ع) و يحرمه من هذه (السابقة القانونية)، و يجوز هذه السابقة لنفسه، و هو احق بذلك .. لكونه الامام بعد ابيه و الوريث الشرعي له. و من ثم يشاهد الواقفون صبياً يخرج بوجهه سمرة بشعرة ققط باسنانه تغليح، فيجذب رداء جعفر بن علي و يقول له: تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي. فيتأخر جعفر، من دون مناقشة، و قد أربد و وجهه و علتة صفرة. و يتقدم الصبي عليه السلام و يصلي على ابيه<sup>٣٦٤</sup> لاحظ معي .. انه كان في امكان المهدي (ع) ان يصلي على جثمان

ص: ٢٩٨

ابيه في الخفاء قبل ان يدعى جعفر للصلاة عليه ... لكي تبقى صلاة جعفر بن علي هي الصلاة الرسمية على المستوى الخاص .. إلا ان هذا هو الذي لا يريده المهدي، و يحاول التأكيد على نفيه و (إقامة الحجّة) ضده.

انظر الآن .. ان من جملة الواقفين ان لم يكن أكثرهم، هو ممن هنى جعفر بالامامة قبل لحظات .. يرى الآن بام عينه فشل جعفر، و تتضح أمامه بدعته و مغالطته. و سوف يكون كل فرد لسانا في نقل ما رأى من الحق إلى الآخرين .. فقد كان ذلك بمنزلة الاعلان العام من قبل الامام المهدي (ع) في فضح مخطط عمه و احباط مقصوده.

و كان جعفر لينا في تأخره عن الصلاة .. بالرغم من الصفرار و وجهه، أسفا على فشل مخططه، و خجلا من هؤلاء الحاضرين الذين تقبل منهم التهنية بالامامة، من دون أن ينفبها عن نفسه ... انه على أى حال، لا يستطيع مكافحة الحق الراسخ في ضمير الامة، بسنة رسول الله (ص) و جهود الامام العسكري (ع) .. فانه سيفتضح ان فعل ذلك .. أكثر مما هو عليه .. و سوف لن يرى إلا الاشتمزاز و الازورار من القواعد الشعبية التي يتوقع منها التأييد.

و على أى حال، فبعد أن تنتهى هذه الصلاة الخاصة، يحمل جثمان الامام عليه السلام للجمهور لكي تصلّى عليه صلاة اخرى (رسمية!) و يتم تشييعه و حمله إلى مثواه الاخير. و قد دفن إلى جنب ابيه الهادي عليهما السلام.

ص: ٢٩٩

جعفر بن علي:

يحسن بنا الآن ان نستعرض بايجاز سوابق جعفر بن علي و ماضيه حتى يتضح لنا التحديد التام لموقفه، و ما سيقوم به من نشاط.

و أول ما يواجها من ذلك، موقف ابيه الامام الهادى عليه السلام منه، فى أول ولادته، حيث نرى ان العائلة كلها سرت بولادته سوى ابيه (ع) فسألته امرأة فى ذلك. فقال: هونى عليك و سىضل به خلق كثير<sup>٣٦٥</sup>.

و لما ترعرع و شب انحرف عن تعاليم الاسلام و عن توجيه والده و أمامه عليه السلام، و اتخذ طريق اللهو و شرب الخمر و المجون تأثراً بهذا الخط المنحرف الذى كان يعيش على موآئده الكثيرون فى تلك العصور.

و من ثم نرى والده عليه السلام يأمر أصحابه بالابتعاد عن جعفر و عدم مخالطته، معلماً اياهم بانه خارج عن تعاليمه عاص لأمره و نهيه. و كان يقول لهم: تجنبوا ابنى جعفراً، فانه منى بمنزلة نمرود من نوح الذى قال الله عز و جل فيه: قال نوح: ان ابنى من أهلى. قال الله: يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح<sup>٣٦٦</sup> فان المنطق القرآنى، قائم على ان الولد إذا كان مقتفياً خطى والده فى اتباع الحق فهو ولده على الحقيقة. و أما إذا كان زائغاً عن الحق منحرفاً عن طريق العدل ..

فهو و ان كان مولوداً منه، إلا انه ليس من أهله، لأنه عمل غير صالح.

ص: ٣٠٠

و هذا بعينه هو حال الامام الهادى عليه السلام مع ابنه جعفر.

و أصبح هذا المسلك معروفاً عنه مشهوراً فيه. حتى لنرى ان احمد بن عبيد الله بن خاقان، الذى يروى اجتماع والده بالامام العسكرى عليه السلام .. نراه إذ سأله عن جعفر يقول: و من جعفر فيسأل عن خبره أو يقرن بالحسن (ع). جعفر معلن بالفسق فاجر شريب للخمر.

أقل من رأيته من، الرجال، و اهتكهم لنفسه، خفيف، قليل فى نفسه<sup>٣٦٧</sup>. و نرى أبا الأديان حين رأى جعفر يهنى بالامامة - كما سمعنا - يقول فى نفسه: ان يكن هذا الامام فقد بطلت الامامة.

و يضيف: لأنى كنت أعرفه بشرب النبيذ و يقام فى الجوسق :-

القصر - و يلعب بالطنبور<sup>٣٦٨</sup>.

و لكنه بالرغم من ذلك، كان يحاول أخوه الامام العسكرى عليه السلام جهد الامكان، الستر عليه و التخفيف من انحرافه. و ذلك:

<sup>٣٦٥</sup> (١) كشف الغمة ج ٣ ص ١٧٥.

<sup>٣٦٦</sup> (٢) انظر تاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٥١. نقلاً عن مدينة المعاجر.

<sup>٣٦٧</sup> (١) الارشاد ص ٣١٩.

<sup>٣٦٨</sup> (٢) انظر اكمال الدين (المخطوط).

باستصحابه معه تارة، و بالتوسط له لدى السلطات تارة اخرى. و هكذا.

إلا ان ذلك لم يكن مفيدا في كفكفة جماع جعفر أو التخفيف من انحرافه.

فقد سمعنا في فصل تاريخ الامام العسكري عليه السلام انه يدخل على أصحابه في السجن لأجل أن يبشرهم بموعد خروجهم، و يد لهم على رجل كان عينا للسلطات ضدهم. و كان معه اخوه جعفر<sup>٣٦٩</sup>.

ص: ٣٠١

و قد كانا معا مسجونين في عهد المعتمد، فيرسل المعتمد رسولا إلى السجن لأجل ابلاغ الامام العسكري سلامه و اطلاق سراحه. و حين يصل الرسول يجد على الباب حمارا ملجما و الإمام قد لبس خفه و طيلسانه، فأدى له الرسالة. يقول الراوى: فلما استوى على الحمار، وقف.

فقلت له: ما ووقفك يا سيدي. فقال لى حتى يجيء جعفر فقلت:

انما امرنى باطلائك دونه. فقال له: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعا، فإذا رجعت و ليس هو معى، كان فى ذلك ما لا خفاء به عليك.

فمضى الرسول و عاد يقول المعتمد: قد أطلقت جعفرا لك، لأنى حبسته بجنائته على نفسه و عليك، و ما يتكلم به. فخلى سبيله فصار معه إلى داره<sup>٣٧٠</sup>.

و لكن كل ذلك لم يكن مما يؤثر فى جعفر، فى شدة انحرافه و قوة اندفاعه. و نراه انه بمجرد ان يرى اخاه قد أسلم الروح، يتصدى للاصطياد بالماء العكر، و استغلال الموقف بالشكل الذى يحرز به الزعامة و جباية الأموال .. لو لا ان الله تعالى اتم نوره و لو كره المنحرفون.

و يستفاد من الاخبار، ان لهذا الرجل، بصورة رئيسية، ثلاث نشاطات منحرفة مضادة للحق و للامام المهدي عليه السلام.

أولا: ادعاؤه الامامة بعد اخيه الحسن بن على العسكري عليهما السلام. و قد توسل إلى ذلك بوسائل، منها: ما سمعناه من محاولته

ص: ٣٠٢

الصلاة على اخيه. و منها: ما سنسمعه من توسطه عند الدولة فى أن تجعل له مرتبه اخيه فى الزعامة على القواعد الشعبية الموالية. و قد باء فى كلتا المحاولتين بالفشل الذريع.

<sup>٣٦٩</sup> (٣) اعلام الورى ص ٣٥٤.

<sup>٣٧٠</sup> (١) تاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٥٦.

ثانياً: انكاره وجود الوريث الشرعى للامام العسكرى (ع)، و من ثم ادعاؤه استحقاق التركة، و استيلاؤه عليها باذن من السلطات الحاكمة. و سنجد ان الامام المهدي عليه السلام يقف بنفسه ضد هذا النشاط، بشكل لا ينافى مع غيبته الصغرى.

ثالثاً: انه حين يسمع الاحتجاج عليه، يوعز إلى الدولة باحتمال وجود المهدي (ع)، فتتجدد فى قلبها الشجون، و تبدأ سلسلة من المطاردات و الاعتقالات على ما سوف يأتى. و تنتهى الحملة باضطهاد الموجودين من عائلة الامام العسكرى عليه السلام، و عدم العثور على الامام المهدي عليه السلام.

و هذا هو الذى عبر عنه فى الأخبار بكشف ما أوجب الله عليه كتمانته و ستره.

و نحن لا بد أن نسير مع كل واحد من هذه النشاطات، لنرى مخطط جعفر بن على و نتائجه، و أسلوب وقوف المهدي (ع) ضده. ادعاؤه الإمامة بعد أخيه:

و قد ساعدت عدة أمور على تخطيط هذا الادعاء، أو تخيلها جعفر مساعدة له:

الأمر الأول: ما قلناه من خلو الجو على الصعيد الاجتماعى من منافس

ص: ٣٠٣

ظاهر مطالب بحقه بين الناس، و إذا خلا الجو للقبرة كان لها ان تبيض و تصفر، و للمنحرف ان يصطاد بالماء العكر.

الأمر الثانى: ما قلناه أيضا من اجمال فكرة وجود المهدي (ع) و ولادته فعلا، فى اذهان الناس. الأمر الذى ساعد عليه ما عرفناه من عدم تمكن الامام العسكرى عليه السلام من الاعلان الاجتماعى العام عن وجود ولده .. و كان يوصى كل من يعرضه عليه بالكتمان و وجوب الستر و السكوت.

الأمر الثالث: ما حاوله جعفر من الصلاة على اخيه، باعتبار انها تعطيه (سابقة قانونية) يستفيد منها اجتماعيا فى ادعائه للإمامة. لأن المفروض انه لا يصلى على الامام إلا وريثه الشرعى أو الامام الذى بعده، على ما نطقت به بعض الأخبار.

الأمر الرابع: توسطه إلى الدولة، لكى تجعل له مثل مقام اخيه فى شيعته، بازاء مال سنوى يدفعه إليها مقدار عشرين الف دينار<sup>٣٧١</sup>.

انظر إلى مقدار الريح الذى يتوقعه جعفر حين وصوله إلى هدفه و توليه الامامة المزعومة .. بحيث يستطيع ان يتحمل بها مثل هذه الغرامة السنوية الكبيرة.

<sup>٣٧١</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣٢٠ و غيره.

و هذا يفسر لنا اطلاعه على مقادير الأموال التي كانت تصل من أطراف العالم الاسلامى إلى ابيه و اخيه، و تقديره للموقف من هذه الناحية تقديرا حسنا.

ص: ٣٠٤

انه يشعر بذلك و يريد ان يستفيد منه لمصالحه الخاصة، من دون ان ينظر بعينه الاخرى للمصادر التي كان أبوه و أخوه عليهما السلام يصرفان فيها هذه الأموال، و المشاريع و المساعدات الاجتماعية التي كانا يقومان بها، مما سمعنا طرفا منه فيما سبق.

و قد بأت كل هذه الأمور الأربعة بالفشل، بسبب عدة عوامل استطاعت ان تحول ضد نجاحها و استثناء نتائجها:

العامل الأول: كونه مشهورا بالفسق و اللهو و المجون .. و قد سمعنا تعليق أحدهم و هو يرى جعفرا يهنأ بالامامة، بقوله: ان يكن هذا هو الامام، فقد بطلت الامامة.

و من المعلوم ان جميع أفراد المجتمع، و خاصة القواعد الشعبية الامامية، يدركون ان من أوليات و واضحات سلوك الامام هو السلوك الصالح و الخلق المثالى الرفيع .. كذلك اعتادوا من الامامين العسكريين عليهما السلام و آبائهما عليهم السلام. و أما مع خلاف ذلك، فمن غير المحتمل تقلد الفرد للامامة بأى حال من الأحوال. و هو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام: قال: انى جاعلك للناس أماما. قال: و من ذريتى. قال: لا ينال عهدى الظالمين<sup>٣٧٢</sup>. و الانحراف الذى كان عليه جعفر هو الظلم بعينه، اذن فهو لا ينال عهد الله بالامامة.

العامل الثانى: ان الموقف أصبح مختلفا اختلافا كبيرا فى الزمان

ص: ٣٠٥

المتأخر عن وفاة الامام العسكرى عليه السلام، عما كان عليه ساعة وفاته حين تمكن جعفر ان يتلقى التهاني بالامامة.

فالموقف فى تلك الساعة، و ان كان صعبا و معقدا، حتى ان السمان و هو عثمان بن سعيد الذى سيصبح الوكيل الأول للحجة، و عقيد الخادم الذى رأيناه يحضر وفاة الامام العسكرى عليه السلام .. لم يكن لهما رأى أو مناقشة فى صلاة جعفر على اخيه، بالرغم مما يعلمان به من وجود الامام المهدي عليه السلام.

و مهما تكن وجهة نظرهما آنذ، فان الموقف أصبح يتكشف و الطريق يتعبد، كلما تقدم الزمان، بفضل جهود العاملين فى سبيل اعلاء راية الحق، و على رأسهم الوكيل الأول عثمان بن سعيد نفسه. فاننا و ان فهمنا ان الفكرة كانت مجملة فى اذهان الجمهور العام .. إلا ان الصفة المختارة التي عرض عليها الامام العسكرى عليه السلام ولده، و هم أكثر من خمسين، كانت لا تزال فى

الوجود، متحمسة للدفاع عن قضيتها ضد أى انحراف. يضاف إليهم من يشاهد الحجة المهدى (ع) فى غضون هذا الزمان و من يصل إليه توقيعاته فى قضاء حاجاته الشخصية و الاجتماعية .. و هم عدد ضخم لا يستهان به.

و أول من فتح الباب لاتضح هذا الطريق هو الحجة المهدى (ع) حين بادر إلى منع عمه من الصلاة على الامام عليه السلام، أمام جماعة من مواليه، كان جملة منهم قد هنا جعفرًا بالامامة و قد رأينا جعفرًا لم يمانع فى تأخره عن الصلاة.

ص: ٣٠٤

و ان نفس وقوع الجدل بين المواليين .. فى امامة جعفر، و المحاولات الجاهدة لاحباط خططه من قبل المخلصين، ليتمخض شيئًا فشيئًا عن وضوح الفكرة و انجلاء الغمامة الذهنية عن العموم.

العامل الثالث: البيان الذى أصدره الامام المهدى عليه السلام بنفسه، فى نفي امامة عمه، و التأكيد على بطلانها و البرهنة على كذبها:

و ذلك: ان جعفر كتب إلى بعض المواليين كتابا يدعوه إلى نفسه، و يعلمه انه القيم بعد اخيه، و يدعى ان عنده من علم الحلال و الحرام ما يحتاج إليه، و غير ذلك من العلوم كلها. و حين يصل الكتاب إليه يستنكر مضمونه و يشك بما فيه، فيذهب إلى أحمد بن اسحاق الأشعري، الذى يعرفه و عرفناه انه اخص أصحاب الامام العسكرى عليه السلام و أقربهم لديه، فيخبره بأمر هذا الكتاب و يعرضه عليه. فيبادر ابن اسحاق للكتابة إلى الحجة المهدى (ع) بواسطة سفيره و يجعل كتاب جعفر فى ضمن كتابه ليطلع عليه المهدى عليه السلام.

فيرد الجواب إلى احمد بن اسحاق، شديد اللهجة، مستنكرا أشد الاستنكار، متحديا لجعفر فى اثبات الامامة أقوى التحدى. و يؤسفنا أن يكون ذكر نص الكتاب خروج عما نتوخاه من الاختصار<sup>٣٣٣</sup> و لكننا نذكر بايجاز النقاط التى أكد عليها الحجة المهدى (ع) فى كتابه:

أولاً: وجود الخطأ الاملائي فى كتاب جعفر.

ثانياً: ان الله تعالى ميز آباءه الأئمة عليهم السلام عن اخوتهم و بنى

ص: ٣٠٧

عمهم بميزات، و جعل بينهم فرقا واضحا «بان عصمهم من الذنوب و برأهم من العيوب و طهرهم من الدنس و نزههم من اللبس، و جعلهم خزان علمه و مستودع حكمته و موضع سره، و ايدهم بالدلائل. و لو لا ذلك لكان الناس على سواء و لا دعى أمر الله عز و جل :- الامامة - كل أحد، و لما عرف الحق من الباطل و لا العلم من الجهل.»

<sup>٣٣٣</sup> (١) انظره الاحتجاج ج ٢ ص ٢٧٩ و ما بعدها.



ثالثا: نفيه لكون جعفر عالما بالحلال و الحرام. و انه لا يعرف حتى حد الصلاة و وقتها. و انما يزعم ذلك طلبا للشعوذة.

رابعا: تذكير الناس بفسقه. و ان ظروف مسكره منصوبة، و آثار عصيانه مشهورة قائمة.

خامسا: تحديه بمطالبته باقامة آية أو حجة أو دلالة. فان كان له فليذكرها، و إلا بطلت دعواه.

سادسا: تحديه من الناحية العلمية. و مطالبة أحمد بن اسحاق ان يمتحنه فى ذلك، و يسأله عن آية من كتاب الله يفسرها أو صلاة يبين حدودها و ما يجب فيها. فان لم يجب علم السائل حاله و مقداره من العلم.

سابعا: نفي أن تكون الامامة فى اخوين بعد الحسن و الحسين عليهما السلام.

و يختم المهدي (ع) كتابه بالدعاء لله بحفظ الحق على أهله. و يقول:

و إذا اذن الله لنا فى القول ظهر الحق و اضمحل الباطل و انحسر عنكم.

العامل الرابع: مما أدى إلى فشل مخطط جعفر بن على: هو شعور

ص: ٣٠٨

الدولة بالعجز عن تأييده و اجابة طلبه.

فانه إذ يعرض الطلب الذى سمعناه على الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، و يقول له: اجعل لى مرتبة اخى .. و انا أوصل إليك كل سنة عشرين الف دينار .. يشعر الوزير بعجز الدولة تماما عن اجابته.

فانه لا يمكن بأى حال أن يفرض جعفر اماما على الجماهير الموالية لأبيه عليه السلام. فان العقائد ليست مما يمكن فرضه، و لا مما يشتري بالمال، و لا مما يحصل بقوة السلاح و لا بأى طريق آخر، سوى صدق البرهان، و التوفيق الإلهى لشخص بالامامة. فانه حينئذ يستطيع ان يثبت امامته لأى أحد بالطريق الذى يراه، كما تيسر لآبائه عليهم السلام. و أما مع فقدان ذلك فليس إلى فرض الامامة من سبيل.

و ان التجربة المعاصرة، لتعيش فى ذهن الوزير بوضوح. و هى ان الجماهير الموالية للأئمة عليهم السلام، بالرغم من اضطرار الدولة لهم و مطاردتهم و التنكيل بهم، و معاناتهم الفقر و المرض و العزلة السياسية الاجتماعية .. كانوا لا يزدادون إلا ولاء و تقربا من الأئمة عليهم السلام.

فالدولة حين أرادت ان تتوصل إلى رفض أمامة الأئمة (ع) بكل ما تملك من سلاح، لم تستطع. فكيف تستطيع الدولة أن تزرع إماما جديدا فى هذه القلوب المعارضة لها المنكرة لتصرفاتها المعانية من آلامها و نكباتها.

ولذا نرى الوزير يستهين بجعفر و يزجره و يسمعه ما يكره.

و يقول له الحقيقة الواضحة: يا احمق. السلطان أطال الله بقاءه جرد

ص: ٣٠٩

سيفه فى الذين زعموا ان اباك و أخاك أئمة ليردهم عن ذلك، فلم يتهياً له ذلك. فان كنت عند شيعة ابيك و اخيك اماما، فلا حاجة بك إلى سلطان يرتبك مراتبهم، و لا غير سلطان. و ان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا<sup>٣٧٤</sup> ثم ان الوزير استقله و استضعفه و أمر ان يحجب عنه فلم يأذن له فى الدخول عليه حتى مات.

و إذ تضيق بجعفر هذه الوجوه، يصعد إلى الخليفة، آملاً أن يجد فى البلاط ما لم يجده عند الوزير. فان جعفر يعلم ان من مصلحة الدولة ايقاع الخلاف و الاغتشاش بين الجماهير الموالية لآبائه (ع)، و إيقاع الشك فيهم فى اتجاه خط الامامة و انه يعرض خدماته على الدولة للقيام بمثل هذا العمل، لا بازاء مال يقبضه منها، بل بازاء مال يدفعه إليها!! ولكنه يواجه عند الخليفة المعتمد ما واجه عند الوزير، من الموقف النفسى و الازدراء الاجتماعى.

قال له المعتمد: اعلم ان منزلة أخيك لم تكن بنا. انما كانت بالله عز و جل. و نحن كنا نجتهد فى حط منزلته و الوضع منه. و كان الله عز و جل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة، لما كان له من الصيانة و حسن السمات و العلم و كثرة العبادة. فان كنت عند شيعة اخيك بمنزلته، فلا حاجة بك إلينا. و ان لم تكن عندهم بمنزلته، و لم يكن فيك ما كان فى أخيك، لم نغن عنك فى ذلك شيئاً<sup>٣٧٥</sup>.

ص: ٣١٠

انه نفس الاسلوب الذى اتخذه الوزير و عين الاتجاه. و هو يؤكد ما سبق ان أكدنا عليه، من معرفة الخليفة بالحق و ايمانه بصدق الامام العسكرى و عدالة قضيته. و انما كان يمنعه من اتباعه التمسك بالسلطان و بالمصالح الشخصية و النظر إلى الهدف القصير.

و انما يصرح المعتمد بمثل هذا التصريح الخطير، بالنسبة إليه و إلى كيانه .. باعتباره يواجه جعفرا، و هو ابن الامام و اخو الامام. و هو من أعرف الناس بهما، بالرغم من انحرافه عنهما. فليس هذا التصريح بالنسبة إليه سرا يكشف امرا خفيا يذاع. و ليس جعفر من القواد الأتراك أو من متعصبى بنى العباس ليخشى المعتمد من سطوتهم عليه.

كما انه ليس من الجماهير غير الموالية للامام - بشكل عام -، ليخاف تحولهم إلى الولاء نتيجة لهذا التصريح. و انما جاء هذا التصريح عفواً الخاطر، باعتباره العذر الوحيد فى رفض طلب جعفر و بيان العجز عن تنفيذه.

<sup>٣٧٤</sup> (١) الارشاد ص ٣٢٠.

<sup>٣٧٥</sup> (٢) انظر الاكمال المخطوط. و انظر الخرائج و الجرائح ص ١٨٦.

ادعاؤه انه الوريث الشرعى لتركه الامام العسكري (ع):

و قد انطلق جعفر بن على فى ادعائه هذا من فكرتين ادعائيتين أيضا:

احدهما: عدم وجود ولد للامام العسكري (ع)، ليكون هو الوريث الشرعى. و من هنا كان هو الوريث، باعتباره أخا للموروث.

ثانيتهما: كونه الامام بعد اخيه. اذن فهو - على أقل تقدير - المشرف الأساسى و الولى الأعلى على هذه الأموال الموروثة.

ص: ٣١١

و كلا هذين الأمرين، قد علمنا زيفهما بكل وضوح، بعد وجود الحجة المهدى (ع) ولدا للامام العسكري (ع) و كونه هو الامام بعده، دون عمه.

و لكن جعفر انطلق من هذه المدعيات إلى الحجز على ميراث الامام (ع) كله، و الاستيلاء عليه و منع سائر الورثة منه. و ساعدته السلطات على ذلك، فانها بعد ان بحثت و بذلت جهدها فى الفحص و المطاردة، و لم تقع للمهدى على أثر، لم تجد وريثا غير جعفر. و لم تجد فى دعوى جعفر للورثة الشرعية كذبا واضحا - فى مرتبة الاثبات القانونى على الأقل - فسمحت له بالاستيلاء على مجموع التركة.

و لئن كانت عاجزة عن تنفيذ مطلبه الأول، حتى لقد انصرفت عنه و هى آسفة .. فمطلبه هذا على أى حال ممكن التنفيذ، و تمكنه من التصرف فى الأموال أمر ميسور.

و هذا هو الذى يشير إليه عثمان بن سعيد فى بعض مجالسه مع أصحابه - على ما سمعنا - قائلا: فان الأمر عند السلطان ان ابا محمد عليه السلام مضى و لم يخلف ولدا و قسم ميراثه، و اخذه من لا حق له. و صبر على ذلك.

و هو ذا عياله يجولون و ليس أحد يجسر أن يتعرف عليهم أو ينيلهم شيئا<sup>٣٧٦</sup>.

انظر إلى الأثر الاجتماعى التخريبى الذى انتجه مخطط جعفر، فانه و ان فشل فى الامامة، إلا انه لم يفشل فى الاستيلاء على الميراث.

ص: ٣١٢

و لم يكنف بحصته من الإرث، بحسب ما هو المشروع فى الاسلام، لو كان وارثا .. بل استولى على المجموع. فنتج عن ذلك بطبيعة الحال، ان أفراد العائلة الآخرين لم يبق لهم مأوى و لا ملبس و لا مطعم. فبقوا يجولون فى الطرقات .. لا يستطيع أحد أن يلتفت إليهم أو يدعى معرفته بهم أو يمددهم بشيء من الخير، لأنه بذلك يعرض نفسه للتنكيل من قبل الدولة.

<sup>٣٧٦</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٤٧ ص ٢١٩.

يبقى اعتراض واحد قد يخطر على الذهن، و هو: ان المهدي (ع) نفسه كان يتمكن من أن يظهر و يسيطر على العالم، و يمد عائلته بما تحتاج إليه من أسباب المعاش. فلما ذا لم يفعل؟.

و جواب ذلك واضح كل الوضوح، و هو: انه لو كان يظهر في ذلك الحين، لكان يقتل لا محالة، بعد ما عرفنا و سنعرف الجهود المضنية التي تبذلها الدولة في البحث عنه، و لفشل مخططه في هداية العالم و السيطرة عليه، إذ لا يطيعه يومئذ و لا يسير في امرته إلا أقل القليل من أصحابه ممن لا يغنى لفتح شبر من الأرض، فضلا عن البسيطة كلها. و أما المجتمع المنحرف فلن يستمع إلى ندائه، و سيكون عوناً للدولة عليه.

و انما أعد الله تعالى ظهوره عند وجود عدد مهم من ذوى النفوس القوية و القلوب المؤمنة و العقول الواعية، بحيث يستطيع أن يفتح بهم العالم، كما سوف يأتي برهانه في الكتاب الثانى من هذه الموسوعة. و حيث لا يكون الوقت ملائماً للظهور، و كانت هداية العالم لا تتحقق إلا

ص: ٣١٣

بالتأخير، اذن فمن المنطقى جدا بل الضرورى حقيقه، التضحية بمصالح عائلته الخاصة فى سبيل ذلك الهدف الالهى الأعلى.

و ربما يعترض هنا فيقال: انه و ان لم يمكنه الظهور، إلا انه يمكنه مساعدة أهله حال غيبته. فانه يمكن ارسال الأموال إليهم بالطريق الذى كانت تخرج به التوقيعات و المراسلات عنه عليه السلام.

و جوابه أيضا واضح، بعد العلم ان التوقيعات و المراسلات. انما كانت تصدر عن المهدي (ع) فى النطاق السرى الخاص الذى لا يتجاوز مواليه، إلى أى شخص يشك بارتباطه بالسلطة أو ضعفه تجاهها، إذ من الواضح ان السلطة لو كانت تطلع على هذه المراسلات، لكانت المستمسك الرئيسى الذى تأخذ به ضده عليه السلام.

إذا عرفنا ذلك نعلم ان دفع المهدي (ع) للأموال إلى عائلته بشكل يغنيهم و يبسر حالهم، يكون ملفتا للنظر و مشيرا للتساؤل فى ذهن السلطة، و خاصة و ان هذه العائلة لا زالت تحت المراقبة و التركيز ..

فيكون له من المضاعفات ما لا يخفى. و أما مواصلتهم سرا بالمال اليسير عن طريق سفرائه .. فهو أمر محتمل، لا يمكن نفيه.

و قبل ان ننطلق إلى النشاط الثالث لجعفر بن على، يحسن بنا أن نتميز بوضوح موقف الامام المهدي عليه السلام من عمه تجاه ذلك، بحسب ما هو المروى فى تاريخنا الخاص.

حيث نجد الامام عليه السلام، يقف أمام عمه و جها لوجه،

ص: ٣١٤

و يصارحه بالحق، توخيا إلى كفكفة اندفاعه و التخفيف من النتائج المؤسفة التي ترتبت على أعماله .. لو كان جعفر. ممن يمكن أن يؤثر فيه النصح و التوجيه.

فتراه عليه السلام، حينما ينازع جعفر أهله في الميراث، و يحاول الاستيلاء عليه، يخرج عليه السلام على عمه من موضع لم يعلم به و يجابهه بالقول: يا جعفر مالك تعرّض في حقوقي. ثم يغيب عنه، و يذهب (ع) إلى حيث لا يعلم به عمه. فيتحير جعفر و يبتهت، و يطلبه بعد ذلك في الناس و يحاول ان يقع له على أثر فلم يستطع.

و في حادثة اخرى بعد ذلك، نجد المهدي عليه السلام يقف من عمه مثل هذا الموقف الحاسم. و ذلك: ان الجدة أم الامام العسكري عليه السلام، توفيت، و كانت قد أوصت ان تدفن في الدار .. إلى جنب زوجها و ولدها الامامين العسكريين عليهما السلام. و نازع جعفر، محتجا بمزاعمه القديمة و قال: هي داري لا تدفن فيها.

و هنا .. تكتسب القضية شأنًا أكبر من الميراث .. انه ضرورة احترام هذه الجدة المقدسة، و تنفيذ وصيتها، طبقا لتعاليم القرآن الكريم. و الدار و ان كانت لجعفر، بحسب قانون السلطات الحاكمة، و لكنها في الواقع، ملك للوارث الشرعى الحقيقى، و هو الولد، و ليس للاخ أى حصة من المال مع وجود الولد، فى قانون الاسلام.

و من لا يملك ليس له حق فى أن يأذن و ان يتصرف.

و من هنا بادر الامام المهدي عليه السلام، إلى مجابهة عمه بالقول

ص: ٣١٥

- بنحو الاستفهام الاستنكارى -: يا جعفر، دارك هي؟. ثم لم يستطع جعفر أن يراه بعد ذلك<sup>٣٧٧</sup>.

و سنبقى جاهلين - باعتبار غموض النقل التاريخى - بما إذا كان لهذا القول أثره فى نفس جعفر و ضميره، فسمح بدفن الجدة فى الدار ..

أو لم يسمح .. و كان سبيل هذا القول هو سبيل القول الأول، و هو التسامح به و العصيان له.

و على أى حال، يكون المهدي (ع) قد أدى ما يشعر به من المسؤولية تجاه اعمال جعفر، من ضرورة افحامه فى دعاواه الباطلة و التوصل - جهد الامكان - إلى التخفيف من نتائجها السيئة.

كشفه ما أوجب الله تعالى عليه ستره:

<sup>٣٧٧</sup> (١) انظر كلا الحادثتين فى اكمال الدين (المخطوط).

و هو الافصاح عن وجود المهدي عليه السلام، بنحو أو بآخر، أمام السلطة، مما أوجب شدتها في المراقبة و المطاردة.

و نحن فى هذا الصدد، لا بد أن نعود بالكلام عن تاريخ الامام عليه السلام، من حيث تركناه، لنعرف - بالتفصيل - الترابط بين الحوادث التاريخية التى انتجت أن يقوم جعفر بمنثل هذا العمل.

تركنا جثمان الامام العسكرى مسجى فى الدار و قد انتهى ولده المهدي (ع) من الصلاة عليه .. بعد أن سحب عمه عنها فتأخر و قد علا وجهه الاصرار. و لكننا نجد مع ذلك، لا يترك موقفه، بل يبقى مستمرا فى مخططه ممثلا دور الامام بعد اخيه.

ص: ٣١٤

و إذ ينتهى الامام المهدي عليه السلام من الصلاة، و يذهب، و قد اتضح لجميع الحاضرين وجه الحق .. يتوجه أحدهم إلى جعفر بالسؤال عن هذا الصبى الذى أقام الصلاة، لكى يقيم الحجة على جعفر و يفهم ما إذا بقى مستمرا على مخططه بعد اتضاح الحق أولا. فيقول له: يا سيدى من الصبى؟. فيجيب جعفر: و الله ما رأيته قط و لا أعرفه.

و لعله صادق فى انه لم يره، فانه - بفسقه - لم يكن أهلا لأن يريه الامام العسكرى (ع) إياه. و لكنه كاذب فى نفى معرفته، بعد ان سمع هذا الصبى يقول: تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبى. و هلا لو كان قد بقى جاهلا بمعرفته، ان يصمد على موقفه و يكذب الصبى فى دعواه .. أو يعيد الصلاة مرة ثانية .. مع ان شيئا من هذا لم يحدث.

مما يدل على اتضاح الحق لكل الحاضرين، و تسالمهم على انه هو الامام المهدي (ع).

و بعد فترة من الوقت، يرد وفد من الوفود التى كانت تتواتر على الامام العسكرى (ع) من أطراف العالم الاسلامى، فتصل إليه و تسلمه ما تحمله من الأموال من مختلف من دفعوا الحقوق الاسلامية فى تلك البلاد. و تسأله ما تشاء من المسائل الشخصية و الاجتماعية، فتنهل منه مختلف التعاليم و التوجيهات.

و يكون هذا الوفد من قم، يدخل سامراء و هو لا يعلم بوفاة الامام العسكرى (ع) .. فيسأل عنه الناس فيقول لهم الناس: انه قد فقد.

قالوا: فمن وارثه؟ .. فيشير الناس إلى أخيه جعفر بن على. فيسأل

ص: ٣١٧

الوفد عنه، فيقال لهم: انه خرج متنزها و ركب زورقا فى دجلة يشرب و معه المغنون. فيتشاور الوفد فيما بينهم و يقولون: هذه ليست من صفة الامام .. و قال بعضهم: امضوا بنا حتى نردّ هذه الأموال على أصحابها. ثم يقررون مقابلته و اختباره.

فانتظروا رجوعه من نزته، و دخلوا عليه و حيوه و عزوه و هنوه.

و قالوا له: يا سيدنا نحن قوم من أهل قم، و معنا جماعة من الشيعة و غيرها. و كنا نحمل إلى سيدنا ابى محمد الحسن بن على الأموال. فقال:

اين هي؟ .. قالوا: معنا! .. قال: احملوها إلى! .. و إلى هنا يرى جعفر ان احدى امنياته فى استيلائه على الامامة قد تحقق، و قد كسب الربح الأول فى اليوم الأول.

و لكن يقف دون ذلك حجر عثرة و عائق صعب، لم يستطع اقتحامه. و ذلك انهم قالوا له: إلا ان لهذه الأموال خبرا طريفا، فقال: و ما هو؟ .. قالوا: ان هذه الأموال لجمع - أى: لعدد من الناس - و يكون فيها من عامة الشيعة الدينار و الديناران. ثم يجعلونها فى كيس و يختمون عليه. و كنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبى محمد عليه السلام، يقول: جملة المال كذا و كذا ديناراً. من عند فلان كذا و كذا و من عند فلان كذا و كذا. حتى يأتى على اسماء الناس كلهم، و يقول ما على الخواتيم من نقش.

انظر إلى أسلوبهم الذى استطاعوا به (اصطياد) جعفر و افحامه ..

انهم و لا شك، لم يكونوا بحاجة لأن يسمعوا كل هذه التفاصيل من

ص: ٣١٨

الامام العسكري (ع) فى كل مرة يغدون عليه. و انما كان هذا هو الأسلوب الأساسى الذى يعرفون به امامة الامام الجديد إذا تولى هذا المنصب العظيم بعد ابيه. لاجل أن يتأكدوا ان الأموال قد دفعت إلى وليها الحقيقى و الامام الصادق الذى استطاع اقامة الحجّة.

فكان الوفد، يطلب اقامة الحجّة من الامام الجديد عن هذا الطريق ..

و على هذا الاساس طلبوا من جعفر ذكر التفاصيل، فان اجاب علموا انه هو الامام، و دفعوا إليه عن طيب خاطر و رضاء ضمير. و ان لم يجب .. فهو ليس بامام، و ليس له الصلاحية لقبض هذه الأموال فى الشريعة الاسلامية.

و لكن جعفر يحاول أن يجد فى كلامهم نقطة للمناقشة ليحاول النفوذ منها .. فيقول لهم: كذبتهم. تقولون على أخى ما لا يفعله. هذا علم الغيب .. متغافلا عن قوله تعالى: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ». و انه يمكن لكل شخص أن يعلم ما يعلمه الله تعالى إياه. فليس مستبعداً أن يكون الامام، و هو الوجود الثانى للقيادة الاسلامية بعد الرسول (ص) و الامتداد الطبيعى لرسالته العالمية ..

ان يكون ملهما من قبل الله عز و جل بعض الحقائق ليستعملها فى شؤون قيادته و اقامة الحجّة بها على امامته، عند اقتضاء المصلحة لذلك.

فلما سمع القوم كلام جعفر، جعل بعضهم ينظر إلى بعض .. ان هذا ليس هو الامام، و ليس فى الامكان دفع المال إليه .. و قد فشل فى نتيجة الاختبار. فقال لهم جعفر: احملوا هذا المال إلى. قالوا: أنا

قوم مستأجرون، وكلاء لأرباب المال. لا نسلم المال إلا بالعلامات التي نعرفها من سيدنا ابي محمد الحسن بن علي عليهما السلام. فان كنت الامام فبرهن لنا. و إلا رددنا الأموال على أصحابها يرون فيها رأيهم.

انه تحد صارخ لجعفر .. و هو تحد لا يستطيع إلا الامام الحق أن يخرج من مأزقه. أما صاحب المخطط التخريبي فلم يعلمه الله تعالى شيئاً ليقوله لأحد. و أحسّ جعفر بالانهيار و الضعف مرة اخرى، بعد تنحيته عن الصلاة على اخيه .. ان للامامة مسئوليات لا يستطيع ظهره أن ينوء بها .. و لكنه لا يستطيع ان يتنازل أو يتخاذل ..

لا بد ان يقف صامدا على مخططه إلى آخر الخط. فانه إذا فشل في المحاولة الأولى بالحصول على المال، فسوف يفشل في المحاولات التالية ..

امام الوفود الاخرى. ان أقرب طريق و أقوى ضمان للاستيلاء على هذه الأموال هو التوسط لدى السلطات، لأجل الزام هؤلاء القوم بدفعها.

و من هنا يبادر جعفر بالذهاب إلى المعتمد، و هو يمثل أعلى سلطة في البلاد- من الناحية القانونية على الأقل- لكي يتملق له و يشكو عنده هذا الوفد ليساعده في ابتزاز ما عندهم من المال.

و إذ يسمع المعتمد الشكوى يأمر باحضار الوفد، فيحضرون و تدور بينهم و بينه، المحاوراة التالية:

قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر.

قال الوفد: اصلح الله أمير المؤمنين. انا قوم مستأجرون، وكلاء

لأرباب هذه الأموال، و هي وداعة جماعة. و أمرونا ان لا نسلمها إلا بعلامة و دلالة. و قد جرت بهذا العادة مع ابي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

فقال الخليفة: و ما كانت العلامة؟

قال الوفد: كان يصف الدنانير و أصحابها، و الأموال و كم هي. فاذا فعل ذلك سلمناها إليه. و قد وفدنا عليه مرارا، فكانت هذه علامتنا معه و دلالتنا. و قد مات. فان يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر- يعني الامامة- فليقم لنا بما كان يقيمه لنا اخوه، و إلا رددناها على أصحابها.

و هنا بدر جعفر فقال: يا أمير المؤمنين، ان هؤلاء قوم كذابون على أخى .. و هذا علم الغيب.



نفس الاستدلال من القوم، و نفس الجواب من جعفر. يريد به افحام القوم أمام المعتمد، لأجل أن يكسب مساعدته ضدهم. و هم و ان لم يوافقوه على اعتراضه، باعتبار اعتقادهم بالامامة، و اعتبروا ذلك دليلا على عدم امامته. إلا ان المفروض فى المعتمد، و هو يمثل خطأ لا لا يؤمن بالامامة، أن يوافق على هذا الاعتراض و يلزم القوم بما لا يعتقدون. إلا انه يشاء الله تعالى .. و يريد المعتمد ان ينصر الحق أمام جعفر، على طول الخط .. لبيوء مخططه بالفشل. ان المعتمد غير مطلع على نوايا جعفر و اهدافه بالتفصيل .. إلى حد الآن، و لكنه يعلم انه خائن لمسلك ابيه و اخيه. و الخائن يجب ترك نصرته و الوقوف

ص: ٣٢١

إلى جانبه .. ان المعتمد لا ينطلق فى جوابه من حيث انطلق جعفر فى اعتراضه .. و انما ينطلق من منطلق الوفد نفسه .. من الحقيقة الواضحة بان الوكيل لا يستطيع التصرف إلا فى حدود إذن موكله. و حيث ذكر هؤلاء انهم غير مأذونين بتسليم المال إلا بعد الدلالة و إقامة الحجة.

اذن فلا باس بعدم تسليمهم للمال.

و من هنا قال المعتمد: القوم رسل، و ما على الرسل إلا البلاغ المبين. فبهت جعفر و لم يرد جوابا. أنه يسمع من المعتمد لأول مرة ما لم يكن يتوقع .. أنه قول منصف، إلا ان جعفر ليأسف أن يكون قول المنصف دائما، ضد مخططه.

ثم يطلب القوم من الخليفة أن يأمر لهم شخصا يدلهم على الطريق، حتى يخرجون من البلدة. فأمر لهم بنقيب فاخرجهم منها.

و إذ يصبحون فى خارج البلدة، يحدث ما لم يكن بالحسبان ..

انهم جاءوا إلى هذه البلدة يحملون الأموال إلى الامام عليه السلام ..

و من غير المنطقى ان يرجعوا إلى بلدهم آيسين و يعلنوا عدم وجود الامام، فتبقى الامة فى حيرة و ضلال. مع ان الحجة المهدي موجود و قادر على الاتصال بهم و افهامهم ما هو الحق. ان ذلك لن يكون بادرة حسنة فى منطق الدعوة الالهية. اذن فلا بد من الاتصال بهذا الوفد، و اقامة الحجة عليه و افهامه وجود إمامه .. على الطريقة المتبعة مع سائر الموالين .. ليكون هذا الوفد لسانا للحق فى بلاده و نقطة انطلاق إلى القواعد الشعبية الموالية. و ستكون مقابلة هذا الوفد للامام المهدي

ص: ٣٢٢

(ع) ثانى اتصال له بالناس فى يوم وفاة ابيه .. و كان الأول هو صلاته عليه سلام الله عليهما.

يرسل المهدي (ع) خادمه، إلى خارج البلدة، و يعطيه المفتاح الرئيسى لافهام هذا الوفد الحائر، ما هو الحق. فيأمره بأن يتبعهم و يناديهم باسمائهم و اسماء آبائهم .. و يلقتها اياه و يخرج الخادم خارج البلد، و يصيح بهم باسمائهم، قائلا لهم: اجيبوا مولاكم.

و هنا يجد القوم ان هذا الخادم قد علم الغيب!! فيخطر لهم احتمال انه هو الامام .. غافلين عن امكان التعلم لأى أحد إذا وجد الفرصة المناسبة. فيبدرونه قائلين: أنت مولانا؟. فقال الخادم: معاذ الله، أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه. و استصحبهم معه حتى وصلوا إلى دار الامام العسكري عليه السلام، فدخلوا. فوجدوا الامام المهدي عليه السلام قاعدا على سرير كأنه قمر، عليه ثياب خضر. فسلموا عليه فرد عليهم السلام. ثم قال عليه السلام: جملة المال كذا و كذا ديناراً.

حمل فلان كذا و حمل فلان كذا. و لم يزل يصف، حتى وصف الجميع ثم وصف ثيابهم و رحالهم و ما كان معهم من الدواب. فخرروا سجداً لله عز و جل شكراً لما عرفهم، و قبلوا الأرض بين يديه، و سألوه عما ارادوا. فاجابهم، فحملوا إليه الأموال.

و هنا، و أمام ذلك الوفد القمى، يفتح الامام المهدي عليه السلام، باب التاريخ الجديد. تاريخ الغيبة الصغرى .. تاريخ الوكالة و السفارة، و هو تاريخ سوف يعيشه الناس سبعين عاماً من الدهر، على ما سنسمع ..

ص: ٣٢٣

فيأمر الوفد ان لا يحمل إلى سر من رأى بعدها شيئاً من المال. و انه ينصب لهم ببغداد رجلاً تحمل إليه الأموال و تخرج منه التوقيعات ..

و يخرج الوفد<sup>٣٧٨</sup>.

و بقى جعفر يجتر حقه .. انه يعلم من هو المقصود بهذه الأموال، فما هو بالبعيد عن بيانات ابيه و أخيه، و قد رأى المهدي (ع) فى هذا اليوم و هو يدفعه عن الصلاة .. اذن فهو المقصود بالاموال، و ستصل إليه حين يشاء.

و ما دام المعتمد، معتمده من أول الأمر، بعد ان باع ضميره للسلطات و تمرغ فى أو حال الانحراف .. فمن المنطقي فى نظره أن يشكو وفد القميين مره اخرى، إلى الخليفة .. انه سيقول له: انهم دفعوا المال إلى المهدي. و سوف لن تكون هذه الشكوى ضد الوفد نفسه، بعد ان وقف المعتمد إلى جانبهم، بل ستكون ضد المهدي نفسه، و تتضمن بكل صراحة تأليباً للسلطات عليه.

و تجد السلطات بغيتها القسوى و هدفها الأعلى الذى كانت و لا تزال تجد فى طلبه فلا تقع عليه. انه الآن رهن يديها و قريب المتناول منها ..

أ ليس عمه الآن يعرب عن وجوده و يدل على نشاطه .. انها ستقبض عليه، و بذلك تستطيع ان تتخلص من الوجود الرهيب الذى يقض مضاجعها و يملؤها رعباً و فرقا. لأنه سوف يبدل ظلمها عدلاً و يحول جورها قسطاً.

ص: ٣٢٤

يفكر المعتمد بذلك بمنطق المصلحة العليا و المهمة التي يملئها عليه الملك و الجانب الاجتماعى و السياسى و الاقتصادى فى دولته، و يملئها عليه هذا العدد الضخم من القواد و الوزراء و القضاة و العاملين فى الدولة، و يملئها عليه سائر المحسوبين و المنسوبين إلى الدولة، و الموالين لها، و السائرين فى خطها بشكل و آخر. فباتى كل ذلك فى ذهنه ضخما مجللا مهما لا يمكنه التخلى عنه بحال من الأحوال .. و أى فشل ذريع و فضيحة كبرى سوف تناله و تنال دولته لو حصل ذلك .. و لا يمكن ان يحول احترامه للإمام العسكرى (ع) و الايمان بعدالة قضيته، دون ذلك، و دون المبادرة إليه بكل حزم و شدة.

و من هنا نرى المعتمد حين يستمع لكلام جعفر، و وشايتته بالمهدى (ع)، يرسل الخيل و الرجال إلى دار الامام الحسن العسكرى (ع).

فيكبسونه، و يفحصون فى كل غرفه و دهاليزه، فلا يجدون شيئا، وليتهم يكتفون بذلك، و انما اشتغلوا بالنهب و السلب و الغارة على ما رأوا من متاع الدار.

و بينما هم منشغلون بالنهب، يتحين الامام المهدى (ع) فرصة غفلتهم، و يخرج من الباب، تقول الرواية: و هو يومئذ ابن ست سنين - و قد عرفنا أنه ابن خمس سنين - فلم يره أحد منهم حتى غاب<sup>٣٧٩</sup> ..

انهم لا يعرفون بالتحديد عنم يبحثون و أى شخص سوف يجدون، فالفكرة غامضة فى اذهانهم بعيدة عن مخيلتهم .. فلم يكن من البعيد،

ص: ٣٢٥

ان لا يلتفتوا و هم فى نشوة النهب و السلب، إلى وجود صبى يخرج من بين ايديهم، بكل بساطة و بلا ضواء.

و لا يجد هؤلاء الرجال فى الدار، بعد ان تبعثر أصحابها و تشتت شملها إلا الجارية صقيل أم المهدى عليه السلام، فيقبضون عليها و يرفعونها إلى الجهات الحاكمة.

و من هنا تبدأ المحنة الاساسية لهذه الجارية الصابرة المجاهدة، تلك المحنة التي واجهتها، بكل صمود و اخلاص و ايمان. و استطاعت برغم الضغط الحكومى ان تخرج ظافرة فى المعركة، و ان لا تبوح بالسر العزيز الذى باح به جعفر، و قد أوجب الله تعالى عليه كتمانها .. و ابقت ولدها محجوبا مصونا من الاعتداء.

انهم - أولا - طالبوها بالصبى، فانكرته. و معناه انها ادعت انها لم تلد، و انه لا وجود لهذا الصبى على وجه الأرض .. انها تخبر بما لا تعتقد .. و لكنه كذب جائز بل واجب فى الشريعة الاسلامية. فاننا نعرف ان الكذب يكون جائزا فى ما إذا كان سببا فى اصلاح ذات البين، و يكون واجبا فيما إذا توقف عليه انقاذ نفس محترمه من الموت أو ما دونه من أنواع التنكيل الشديد .. و هو

الآن كذلك بالنسبة إلى ولدها المهدي (ع). فكيف إذا توقف على هذا الكذب البسيط مستقبل الاسلام و سعادة البشرية و قيام المهدي بدولة الحق.

و تزيد الوالدة الصابرة الممتحنة في إخفاء ولدها، و تأخذ الحيلة له .. فتدعى ان بها حملا. و يقع كلامها في ذهن الحكام موقعا محتملا.

ص: ٣٢٤

فاننا عرفنا ان الدولة كانت تنتظر ولادة المهدي عليه السلام من الامام العسكري عليه السلام. و ها قد انتهت حياته و لم تر له ولدا. فهو اذن اما موجود في الخارج أو محمول في الارحام. و حيث لا تكون الدولة مسبوقة بوجوده في الخارج، و هي قد جردت حملة التفتيش و لم تجده ..

اذن فهو حمل .. و من المحتمل ان يكون هذا الحمل الذي تدعيه هو المهدي المطلوب. فحسبهم أن يراقبوا هذه الجارية إلى حين ولادتها، ليحصلوا على الغاية المتوخاة و يقبضوا على المهدي حين ولادته.

و من هنا وقعت هذه الجارية تحت المراقبة الشديدة المستمرة ..

حيث جعلوها بين نساء المعتمد و نساء الموفق و نساء القاضي ابن ابي الشوارب .. و هن نساء أعلى رجال الدولة. و لا زالوا يتعاهدون أمرها في كل وقت و يراعونها و طالت المدة و لم يحصلوا على شيء.

و بقيت الجارية على هذه الحال حتى واجهت الدولة مشكلات أساسية في المجتمع، و اضطرت إلى خوض الحروب في عدة جهات، فاشتغلوا بذلك عن هذه الجارية، فخرجت عن أيديهم، و الحمد لله رب العالمين.

و تعد الرواية أربع حوادث رئيسية شغلت الدولة<sup>٣٨٠</sup>، و كلها حقائق راهنة نسمعها في التاريخ العام:

احداها: اقتراب يعقوب بن الليث الصفار من العاصمة بعد ان

ص: ٣٢٧

كان يمارس نشاطه في الأطراف. فانه بعد ان استولى على بلاد فارس و نازل الحسن بن زيد العلوي فيها في وقعات عديدة شعر المعتمد في سنة ٢٤٢ بالعجز عن يعقوب بن الليث، فكتب إليه بولاية خراسان و جرجان. فابى يعقوب ذلك حتى يوافي باب الخليفة. فخاف المعتمد.

<sup>٣٨٠</sup> (١) قالت الرواية: إلى ان دهمهم أمر الصغار، و موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان بغته، و خروجهم من سر من رأى، و أمر صاحب الزنج بالبصرة، و غير ذلك.

انظر اكمال الدين، (المخطوط)، مع سائر تفاصيل القبض على أم المهدي عليه السلام.

فتحول من سامراء إلى بغداد. و جمع أطرافه و تهيأ للملتقى. و بذلك تحولت جبهة القتال من فارس إلى بغداد. و تحول معاندوا الصفار من الحسن بن زيد و غيره من حكام الاطراف، إلى الخليفة نفسه.

و جاء يعقوب فى سبعين الف فارس، فنزل واسط، فتقدم المعتمد و قصده يعقوب. فقدم المعتمد اخاه الموفق بجمهرة الجيش و استطاع الموفق ان يهزم الصفار. فاستبيح عسكره و كسب أصحاب الخليفة ما لا تحد و لا يوصف. و عاد الصفار بنفسه منهزما إلى فارس<sup>٣٨١</sup>.

و بالرغم من ان المعتمد كان قد عقد للموفق لحرب صاحب الزنج منذ عام ٢٥٨، و خرج بنفسه لتشجيعه، كما سمعنا، إلا اننا نرى الموفق إلى حين منازلته للصفار، لم ينازل الزنج منازلته فعالة، و انما كانت تلك المهمة ملقاة على عاتق قواد آخرين فى الدولة، و لم ينازله الموفق، إلا بعد ان ظهر عجز الآخرين و اندحارهم، فى زمن متأخر جدا.

ثانيهما: خروج هؤلاء الحكام: المعتمد و الموفق، من سامراء إلى بغداد .. كما سمعنا.

ثالثهما: موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الوزير، الذى استوزره

ص: ٣٢٨

المعتمد من حين تسلمه للحكم عام ٢٥٦. و كان له مع الامام العسكرى عليه السلام و اخيه جعفر موقفا محمودا. فقد حصل موته فجأة بسبب سقوطه عن دابته فى الميدان، فسال دماغه من منخرية و اذنه، فمات لوقته. و ذلك عام ٢٦٣<sup>٣٨٢</sup>.

رابعهما: مشاكل صاحب الزنج، و قد حملنا عنه فى الفصل الأول فكرة مفصلة و قد كان إلى ذلك الحين، يحاول سبق الزمن فى التخريب و القتل و الاحراق، و ابادة الجيوش التى تنازله و استباحة الأموال و النساء، على ما عرفنا.

و لعلنا نستطيع ان نضع يدنا على سبب آخر، لانشغال الدولة عن أم المهدي عليه السلام، هو موت ابن ابى الشوارب، قاضى القضاة عام ٢٦١<sup>٣٨٣</sup>. الذى عرفنا انها سلمت إلى نسائه.

و على أى حال، فنفهم من ذلك ان أم المهدي (ع)، بقيت تحت رقابة الدولة أكثر من عام، بل أكثر من عامين. لأننا عرفنا ان القاء القبض عليها كان بعد وفاة الامام العسكرى عليه السلام، بمدة غير طويلة، نتيجة لوشاية جعفر .. اذن فقد تم ذلك خلال شهر ربيع الأول من عام ٢٦٠.

على حين أن هذه الحوادث التى دهمت الدولة، وقع أولها و هو موت ابن ابى الشوارب عام ٢٦١، و كانت واقعة الصفار عام ٢٦٢

<sup>٣٨١</sup> (١) انظر الكامل ج ٦ ص ٧ و ٨. و العبر فى خبر من غير ج ٢ ص ٢٤.

<sup>٣٨٢</sup> (١) انظر الكامل ج ٦ ص ١٥. و انظر الطبرى أيضا.

<sup>٣٨٣</sup> (٢) الكامل ج ٦ ص ٢١.

و موت الوزير عام ٢٦٣. و المظنون ان حادثة الصفار بما اوجبته من خروج المعتمد و الموفق من سامراء، كانت هي السبب الرئيسي في خروجها من الاسر. و قد وقعت بالتحديد خلال شهر جمادى الثانية من عام ٢٦٢<sup>٢٨٤</sup>. فتكون أم المهدي عليه السلام، قد بقيت في الاسر عامين و ما يزيد على الشهرين.

و من هنا تعرف، ان المقصود الاساسى من حجزها و مراقبتها ليس هو البحث عن جنينها أو انتظار ولادتها، و إلا كان يكفى للتأكد من ذلك ان تمضى عدة أشهر فقط. و انما المقصود هو اضطهادها و عزلها عن مجتمعها أولاً، و احتمال اتصال ولدها بها خلال هذه المدة، لو كان موجودا .. ثانياً. إلا ان مخططهم باء بالفشل الذريع.

### تعليق على الاحداث:

أود فى ختام هذا الفصل ان أشير إلى عدة نقاط مهمة، عسى أن تتجلى بعض جوانب الغموض فيما عرفنا من التاريخ.

النقطة الأولى: ان غيبة الامام المهدي عليه السلام، ليس لها مبدأ معين نستطيع ان نشير إليه. و انما الأمر هو الذى عرفناه من وجود الامام عليه السلام من حين ولادته، فى جو من الكتمان و الحذر و الاحتجاب، و حرص والده عليه السلام على المحافظة البالغة عليه و عدم وصول خبره إلى السلطة أو من يدور فى فلكها أو من يلين أمامها، و لم يكن يعرض ولده إلا على الخاصة من أصحابه كما عرفنا.

و بقى نفس هذا المعنى سارى المفعول، بعد وفاته عليه السلام، متمثلاً فى حرص الامام المهدي (ع) نفسه و حرص سفرائه و أصحابه فى الكتمان و الحذر. و من الملاحظ فى سيرة الامام المهدي (ع) انه كلما كان الزمان يمن كان يحجب نفسه عن أصحابه أكثر، فانهم كلما اعتادوا على مقدار من الاحتجاب زادهم عليه شيئاً قليلاً .. و هكذا. و هذا هو الملاحظ من حين ولادته فى زمان ابيه إلى آخر غيبته الصغرى حين بدأت الغيبة الكبرى، و بدأ الاحتجاب التام إلا باذن الله عز و جل.

و سوف نناقش فى مستقبل البحث، الخرافة القائلة بأن بدأ الغيبة كان من حين نزول المهدي عليه السلام إلى السرداب، تلك الخرافة التى نفخ فيها جملة من المفكرين و ضخمها عدد من المؤرخين، و اعتبروها من المآخذ على عقيدة الامامية فى المهدي. و سنرى ان رواية واحدة مجهولة السند واردة فى ذلك. على اننا لو اعتبرناها اثباتاً تاريخياً، فهى تنص على انه خرج من السرداب امام الجلاوزة الذين كبسوا على الدار ..

على ما سنسمع.

مضافا إلى ان الاعتقاد بذلك منضمّن لمفهوم خاطيء كاذب .. و هو ان المهدي (ع) و قبل نزوله إلى السرداب لم يكن محتجبا و كان من المتيسر لكل الناس أن يروه. و كانت حادثة السرداب هي الحد الفاصل بين الظهور و الاحتجاب. و قد عرفنا بكل وضوح و تفصيل بطلان ذلك و عدم قيامه على أساس، و قد حملنا فكرة كافية عن حرص والده على حجبه و اخفائه، فلم يكن لحادثة السرداب أى أثر.

ص: ٣٣١

على اننا سنعرف ان هذه الحادثة لا تصلح، من حيث وجودها التاريخي - لو صحت - أن تكون مبدأ للغيبة، فاننا سنعرف انها وقعت بفعل المعتضد العباسي، و قد استخلف عام ٢٧٩ أى بعد وفاة الامام العسكري (ع) و بدأ عصر الغيبة الصغرى .. عصر امامة المهدي (ع) و قيادته للمجتمع بواسطة السفراء .. بتسعة عشر عاما.

فاسمع و اعجب!! النقطة الثانية: ان الامام المهدي عليه السلام، بدأ بنفسه عصر سفارته و وكالته، المسمى بعصر الغيبة الصغرى .. حيث استطاع ان يتصل بالمجتمع، متمثلا بوفد القميين، و يصرح لهم شفويا بتنصيبه للسفير. حتى يكون الناس على بينه من أمرهم فى نشاطهم و تصرفاتهم و أموالهم، و تكون الحجة قائمة، فى هذا النص القانوني، على صدق السفارة و السفير.

و لم يكن أمر السفارة غريبا على اذهان الجماهير الموالية، بعد أن كان نظام الامامين العسكريين عليهما السلام قائما على ذلك، و قد اعتاد الناس عليه و ألفوه. و قد عرفنا المخطط الذى سار عليه هذان الامامان (ع) لتعويد الناس و تأليفهم على هذا النظام.

إلا انه من الملاحظ ان الامام المهدي عليه السلام، إذ يوعز إلى الوفد بحمل المال إلى وكيله فى بغداد .. لا يسمى لهم شخصا معيناً يكون هو الوكيل. و ذلك لعدم حاجتهم إليه. باعتبار إن هذا المال الذى كانوا يحملونه قد وصل إلى الامام نفسه، و سوف لن يحملوا مالا

ص: ٣٣٢

آخر قبل مضى عام من الزمن تقريبا، فان الوفد من كل بلد يكون عادة فى كل عام مرة. فإذا جاءوا حينئذ فسوف يستطيعون التعرف عليه و السؤال عن اسمه، و سوف يدلهم الكثيرون عليه.

إذن فغاية ما يستطيع هذا الوفد ان يبلغه الآن إلى جماهير الموالين فى سامراء و قم و غيرها من المدن، هو ان يعطيهم أصل فكرة الوكالة، و ضرورة الرجوع إلى الوكيل فى بغداد، و عدم لزوم البحث عن مقابلة المهدي (ع) بنفسه.

و أما اسم الوكيل، و تعيينه فى عثمان بن سعيد العمري، فهذا ما يحتاج إلى بيان آخر، و فى الحق انه قد صدرت فيه عدة بيانات بعضها من الامام العسكري (ع) و بعضها من المهدي (ع) نفسه، على ما سنسمع فى القسم الثانى من هذا التاريخ.

النقطة الثالثة: ان مركز النقل و الادارة الاساسية للقواعد الشعبية الموالية اجتماعيا و اقتصاديا، ستنتقل بايعاز من الامام المهدي عليه السلام من سامراء إلى بغداد. بالرغم من بقاء سامراء عاصمة للخلافة العباسية ما دام المعتمد فى الحياة، تسعة عشر عاما

أخرى، و تنتهي بانتهاء حياته عام ٢٧٩. ثم ينتقل مركز الثقل في الخلافة أيضا إلى بغداد، مع بدأ خلافة المعتضد بن الموفق بن المتوكل، في ذلك العام.

ان الوكيل منذ الآن، سيمارس نشاطه في بغداد، و ستحمل الأموال إليه هناك، و تخرج التوقعات منه. و في ذلك ما لا يخفى من البعد عن الرقابة المباشرة للسلطات و عن الاحتكاك الدائم بالطبقة الارستقراطية

ص: ٣٣٣

في العاصمة، من القواد الاتراك و غيرهم ممن يمثل خط الدولة على طوله.

و لئن كان الامامان العسكريان قد فرضت عليهما الإقامة الجبرية في سامراء و سياسة التقريب من البلاط و الدمج في حاشية الخليفة .. و كان الامامان لا يريدان اعلان الاحتجاج و اثاره النزاع .. لئن كان ذلك فهو أمر خاص بحياتهما .. و اما بعد ان ذهبنا إلى ربهما العظيم صامدين صابرين، و آلت الامامة إلى المهدي عليه السلام، و هو النائر على الظلم و الطغيان .. فقد آن لهذه السياسات المنحرفة ان تنتهي، و لهذا المخطط الحكومي أن يقف عند حده. ينبغي لوكلاء المهدي عليه السلام ان يواجهوا الجمهور متخلصين من هذا العبء متحررين من هذا الاضطهاد ..

حتى يستطيعوا أن يمارسوا عملهم بشكل أفضل و بحرية أوسع. و بخاصه و ان موقفهم - بصفتهم وكلاء عن المهدي الغائب (ع) - تجعل موقفهم دقيقا و حرجا تجاه السلطة، و يزيد حرجا فيما إذا كانوا يمارسون عملهم في سامراء.

على اننا ينبغي أن لا نبالغ في الحرية التي سيكتسبها عند البعد عن العاصمة ... انها حرية نسبية، بمعنى ان حالهم في بغداد أحسن بقليل و إخفاء نشاطهم أسهل. و لكن الخط العام الذي كانت و لا زالت تمشى عليه الحكومة، موجود أيضا و هو مطاردة الجمهور الموالي و مراقبته و إبعاده عن الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية. فالحجز و الضيق بمعناه العام، لا تختلف فيه بغداد عن سامراء شيء.

و هذه الحرية النسبية التي سيكتسبها الوكلاء في بغداد، ستبقى

ص: ٣٣٤

سارية المفعول ما دامت بغداد بعيدة عن العاصمة .. ان تسعة عشر عاما يمر على ذلك كفيل بترسخ الوكلاء اجتماعيا و التناف الجماهير الموالية حولهم ..

بحيث لن يكون لانتقال العاصمة إلى بغداد، تارة أخرى، أهمية ضد نشاطهم، كالأهمية التي ستكون فيما لو انتقلت العاصمة مع بدأ عصر الوكالة، أو وجدت الوكالة في قلب العاصمة.



و هذا كله يجرى فى النطاق الخاص، و أما السلطات الحاكمة، فسوف لن تكون مسبوقه بذلك، لما يحيط كل نشاط يقوم به الوكلاء من السرية و الرمزية، بشكل يشبه من بعض الوجوه ما رأيناه من الامامين العسكريين عليهما السلام. على انه من المستطاع القول بان الوكلاء أضيق من الامامين (ع) نشاطا و أقل منهما رمزية، و إن كانوا أكثر منهما سرية و تسترا. و قد أوجبت هذه السرية تعذر تطبيق تلك السياسة القديمة على الوكلاء، من قبل السلطات، بطبيعة الحال.

و أما على المستوى الحكومى، فالحملة ضد المهدي عليه السلام و محاولة العثور عليه، ستبقى سارية المفعول عشرين عاما على أقل تقدير، حتى بعد الانتقال إلى بغداد. و لا تسأم الحكومة، من ذلك و لا تيأس ..

و ان اسقطت وجوده القانونى و ميراثه عن نظر الاعتبار. و بالطبع، فانه مما يجدد عزمها و يثيرها، ما يبلغها، بشكل غير مباشر عن نشاط الوكلاء و ما ترى من اعتقاد الجمهور الموالى بوجود المهدي عليه السلام و غيبته، و نيابه هؤلاء السفراء عنه عليه السلام .. و لكنها لن تستطيع النجاح .. و سيحالفها الفشل .. إلى آخر الخط.

ص: ٣٣٥

النقطة الرابعة: اننا سبق ان عرفنا عدة حوادث و لم نعرف تاريخها المحدد. منها: توسل جعفر بن على بالوزير عبيد الله بن خاقان، على ان يجعل له مرتبة اخيه عليه السلام، و منها توسله بالمعتمد لتنفيذ نفس الغرض.

و منها وقوف المهدي عليه السلام تجاه اطماع جعفر حين مطالبته بالارث، و منها: وقوفه عليه السلام مطالبا بتنفيذ وصية جدته. و من المؤسف اننا لا نستطيع الوصول إلى التحديد المنضبط لهذه الأمور، فانه من مناطق الفراغ فى التاريخ على أى حال. و انما غاية ما نتوخاه هو الالتفات، إلى ما تقتضيه طبيعة الأشياء فى ترتيب هذه الحوادث.

المظنون ان أولى هذه الحوادث وقوعا، هو مطالبة جعفر بن على بالارث، فان مناقشات الارث تقع عادة فى غضون الايام الأولى من وفاة المورث، و خاصة إذا كان أحدهم حريصا و مستعدا للمناقشة و الجدل، كجعفر نفسه.

و أما توسله إلى السلطات، فقد كان بعد ان مضت مدة كافية ثبت فيها بالتجربة، عند جعفر، بان مخططه قد فشل و ان امامته قد رفضت لدى كل من اتصل به من جماهير الموالىين و شيوخهم. و هذا ما يحتاج إلى بعض الزمان، حتى يتمخض الجدل الذى قام بين الموالىين حول اثبات ذلك أو رفضه، و نشر الموقف الذى اتخذه المهدي عليه السلام تجاه عمه، بينهم.

و حيث كانت السلطات هى الركيزة الاساسية لجعفر فى مخططه،

ص: ٣٣٦

فقد لجأ إليها، مبتدئا بالوزير و منتهيا بالخليفة، لعلها تستطيع أن يفرض جعفرا على الموالىين فرضا. و قد عرفنا ما واجهه من عجز السلطات و رفضها لطلبه.

و على أى حال فمن المستطاع القول ان هذه الحوادث الثلاث جميعا، قد حدثت خلال الأشهر الأولى المتعقبة لوفاة الامام العسكري عليه السلام فى نفس عام ٢٦٠.

و أما وفاة الجدة رضى الله عنها، فهو متأخر عن مطالبته بالارث، كما تدل عليه الرواية نفسها<sup>٣٨٥</sup>. ولكنه على أى حال غير محدد الموعد فلعله كان فى نفس السنة و لعله كان فى العام الذى يليه. و على أى حال، فقد حصلت وفاتها فى غضون ممارسة جعفر لنشاطه و اصراره على دعاواه، قبل أن يبأس من تنفيذ مخططه و يرفع يده عنه و يتوب.

النقطة الخامسة: انه لا بد لنا من اجل حفظ الحقيقة و الموضوعية فى البحث، أن نذكر ما أشرنا إليه قبل قليل، و هو أن جعفر، بعد ان مضى عليه زمان يمارس النشاط العدائى للامام المهدي و عائلته، و المماليك للسلطات الحاكمة، أيس من نجاحه و سيطر عليه الحق، فكبح جماح نفسه و ترك عمله و رفع اليد عن سلوكه المنحرف، و تاب إلى الله تعالى من ذنوبه.

و عندئذ يخرج التوقيع من الامام المهدي عليه السلام فى العفو عنه و التجاوز عن تقصيره، تطبيقا لقوله تعالى: فمن تاب من بعد ظلمه

ص: ٣٣٧

و اصلح فان الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم<sup>٣٨٦</sup>. و قوله تعالى:

و انى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى<sup>٣٨٧</sup>.

يخرج هذا التوقيع بواسطة السفير الثانى: محمد بن عثمان بن سعيد العمري، جوابا على سؤال فى ضمن عدة استفتاءات تقدم بها: اسحاق بن يعقوب إلى الامام المهدي عليه السلام بواسطة هذا السفير. و كتب الامام عليه السلام فيما يخص جعفر قائلا: و أما سبيل عمى جعفر و ولده، فسبيل اخوة يوسف عليه السلام<sup>٣٨٨</sup>. يشير بذلك إلى عفو الله تعالى عن أخوة يوسف عليه السلام، بعد ان كانوا قد ناصبوه العدا و غرروا به، على ما تحدث عنه القرآن. ثم عفا عنهم حين اعتذروا و «قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا و ان كنا لخاطئين. قال: لا تتريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم. و هو أرحم الراحمين<sup>٣٨٩</sup>».

<sup>٣٨٥</sup> (١) انظر الاكمال الدين (المخطوط).

<sup>٣٨٦</sup> (١) ٣٩ / ٥.

<sup>٣٨٧</sup> (٢) ٨٢ / ٢٠.

<sup>٣٨٨</sup> (٣) انظر الاكمال المخطوط. و تاريخ سامراء ج ٢ ص ٢٤٩ عن الاحتجاج. و فى الاحتجاج ص ٢٨٣ ج ٢ ط النجف عام ١٣٨٦ قال: و سبيل ابن عمى جعفر. و هو خطأ تورطت فيه المطبعة.

<sup>٣٨٩</sup> (٤) ٩٢ / ١٢ - ٩١.

و هذا البيان من الامام المهدي عليه السلام، يدل على العفو عن جعفر، لنفس السبب الذي عفى به عن اخوة يوسف، و هو اعتذارهم و رجوعهم إلى الحق و توبتهم عما فعلوه.

و من المؤسف ان لا يكون تاريخ هذا البيان معروفا بالتحديد و انما غاية ما نعرفه هو خروجه بواسطة الوكيل الثاني للامام المهدي عليه

ص: ٣٣٨

السلام: محمد بن عثمان العمري المتوفى عام ٣٠٥ هـ. و أما تاريخ توليه الوكالة بعد ابيه فمجهول لجهالة تاريخ وفاة ابيه عثمان بن سعيد على ما سنسمع. و من هنا لا نستطيع ان نحدد مقدار الزمان الذي استمر جعفر يمارس فيه نشاطه و لا الزمان الذي تاب فيه و صدر عنه العفو. غير انه كان قبل سنه ٣٠٥. و هو تاريخ مديد غير محدد. و هذا من فجوات التاريخ المؤسفة. و على الله قصد السبيل.

خاتمة هذا القسم:

استطعنا في هذا القسم الأول، ان نحيط بالمهم من الظروف و الملابس التي اكتنفت حياة الامامين العسكريين عليهما السلام تلك الظروف التي انبتت فيها الغيبة الصغرى. كما احطنا بالمهم من تاريخ الامام المهدي عليه السلام، بحسب ما ورد في تاريخنا الخاص، في ولادته و نشأته في زمان ابيه، و ما نتج عن ذلك بشكل مباشر بعد وفاة ابيه.

و بذلك ينتهى القسم الأول من هذا التاريخ، و هو في واقعه قسم تمهيدى، لما كرس له هذا التاريخ من ذكر الغيبة الصغرى و الاحاطة بخطوطها العامة و أساليب الامام عليه السلام في تدبير أمور مواليه و قيادتهم و هذا ما نتعرض له خلال القسم الثاني.

ص: ٣٣٩

القسم الثاني تاريخ الغيبة الصغرى من عام ٢٦٠ إلى عام ٣٢٩

ص: ٣٤١

تمهيد في تحديد الغيبة الصغرى:

تبدأ الغيبة الصغرى من حين وفاة الامام العسكري عليه السلام و تولى الامام المهدي عليه السلام الامامة. و قد بدأها عليه السلام بالاياعاز بنصب وكيله الأول، حين قابله وفد القميين كما سمعنا.

ولذا نجد ان الأمر لا يخلو من المسامحة إذا قلنا ان الغيبة الصغرى بدأت باصدار هذا البيان، لا بساعة وفاة ابيه عليه السلام. على ان الأمر ليس مهما، بعد اتحاد تاريخها، فى نفس اليوم الواحد، بل الصباح الواحد، حيث توفى الامام العسكرى عليه السلام بعد الفجر من اليوم الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠، وقابل وفد القميين الامام المهدي عليه السلام قبل الظهر فى نفس اليوم.

و من المستطاع القول بان المميزات الرئيسية لهذه الفترة ثلاثة:

الميزة الاولى: كونها مبدأ تولى الامام المهدي عليه السلام، للمنصب الالهى الكبير فى امامة المسلمين بعد ابيه الراحل عليه السلام.  
لكى

ص: ٣٤٢

يتولى مسئوليته الكبرى فى قيادة قواعده الشعبية خاصة و البشرية كلها عامة، إلى قواعد السعادة و السلام.

الميزة الثانية: عدم الاستتار الكلى للمهدى عليه السلام. و انما كان يتصل بعدد مهم من الخاصة، لأجل مصالح كبرى سنعرفها فيما بعد. على حين بدأ الاستتار الكلى - إلا فىمن شاء الله عز و جل - بانتهاء هذه الفترة.

الميزة الثالثة: وجود السفراء الأربعة، الموكلين بتبليغ تعاليم الامام المهدي (ع) إلى الناس من قواعده الشعبية بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي (ع) نفسه أو من قبل آباءه عليهم السلام. و كان الأسلوب الرئيسى للمهدى (ع) فى قيادة قواعده الشعبية و اصدار التعليمات و قبض الأموال، هو ما يكون بتوسط هؤلاء السفراء و ما يتسنى لهم القيام به من قول أو عمل.

و قد خسرت الامة الاسلامية هذه الوكالة الخاصة، بوفاة السفير الرابع. و انتقل التكليف الاسلامى، بعده إلى الاتكال على الوكالة العامة، النابتة فى الكتاب و السنة، كما هو المعروف فى محله من كتب البحوث و الاحكام الاسلامية.

و لم تخل هذه الفترة، من تشاويش و صعوبات، عاناها السفراء و المهدي عليه السلام- و هو فى غيبته- من اجل ادعاء أفراد متعددين للوكالة الخاصة زورا، و معارضتهم للسفراء الحقيقيين، و اغرائهم للناس بالجهل. غير انه كانت تكتب لهم الخيبة و الفشل، نتيجة للجهود

ص: ٣٤٣

الواسعة التى يبذلها السفراء فى تكذيبهم و عزل الناس عنهم، استشهادا بأقوال الامام المهدي عليه السلام و بياناته فيهم.

و اهم هؤلاء المدعين، و أكبرهم تأثيرا فى جماعات من الناس، هو الشلمغانى ابن ابى العزاقر. و سيأتى التعرض إلى موقفه و موقف المهدي عليه السلام منه تفصيلا.

كما ان هذه الفترة، لم تخل من مصاعب بلحاظ المطاردة الحادة التي كانت السلطات توجهها إلى الامام المهدي عليه السلام بالخصوص، و قواعد الشعبية على وجه العموم. و بلحاظ المناقشات و انحاء الكلام و الطعن الذي كان يصدر من القواعد الشعبية غير الموالية للأئمة عليهم السلام، و خاصة اولئك المتملقين للدولة، و المستأكلين على مائدتها و المنتفعين بسياستها.

و لعل الثغرة التي كان يمكن لهؤلاء أن يصلوا إليها في مناقشاتهم كانت أوسع بعض الشيء مما كانت عليه مناقشات امثالهم في زمان ظهور الأئمة عليهم السلام. فان القواعد الشعبية الموالية، كانت في هذه الفترة فاقدة للاتصال المباشر بشخصية الامام عليه السلام، تلك الشخصية الفذة النيرة التي تعطى من توجيهها و تدبيرها في نقض الشبهات و حل المشكلات، الشيء الكثير، مما يصعب على الوكلاء و السفراء القيام به إلا بشكل يكون أضيق دائرة و اقل درجة.

على ان الامام المهدي (ع) في بياناته و مقابلاته للآخرين، لم يكن يأل جهدا في المناقشة و التوجيه و التدبير، على ما سنذكر في مستقبل

ص: ٣٤٤

البحث بتوفيق الله عز و جل.

مضافا إلى ان فكرة غيبة المهدي (ع) و طول عمره و ما يترتب على ذلك من فائدة، و نحوها من الاسئلة التي أصبحت تثار من قبل المناقشين، لم يكن لها أى موضوع أو مجال في زمان ظهور الأئمة عليهم السلام.

و هذا بنفسه يكلف السفراء، و من ثم الامام المهدي (ع) نفسه إلى مناقشة مثل هذه الشبهات و تدليل هذه المشكلات بنحو منطقي مقنع.

و الآن يمكننا ان نستعرض تاريخ الغيبة الصغرى، معتمدين عدة فصول:

ص: ٣٤٥

### الفصل الأول في التاريخ العام لهذه الفترة

تبدأ هذه الفترة التي نورخها: عصر الغيبة الصغرى، بوفات الامام العسكري عليه السلام، في الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٤٠، كما قلنا، و تنتهى بوفاة السفير الرابع ابي الحسن على بن محمد السمرى في النصف من شعبان، عام ٣٢٩٣٩١.

و هى سبعون عاما حافلة بالاحداث الجسام و التقلبات العظام انتقل فيها عمر التاريخ الاسلامى من عقده الثالث إلى عقده الرابع.

وانتقلت الوكالة الخاصة أو السفارة عن الامام المهدي عليه السلام بين أربعة من خيار خلق الله و خاصته، هم عثمان بن سعيد العمري و ابنه محمد بن عثمان، و الحسين بن روح، و على بن محمد السمرى، رضى الله عنهم و انتقلت الخلافة بين ستة من خلفاء بنى العباس، بينهم المعتمد الذى عاصر وفاة الامام العسكري عليه السلام، و مبدأ الغيبة الصغرى ..

ص: ٣٤٤

حتى عام ٢٧٩، حيث آلت الخلافة إلى المعتضد إلى عام ٢٨٩، فاستخلف المكتفى إلى عام ٢٩٥، و بعده المقتدر إلى عام ٣٢٠، ثم القاهر بالله حتى سنة ٣٢٢، ثم الراضى بالله حتى عام ٣٢٩ و هو عام وفات النائب الرابع السمرى عليه الرحمة. و نهاية العهد الذى نؤرخ له.

و الخطوط العامة للمجتمع، هى ذاتها التى عرفناها فى التاريخ العام السابق الذى عرفناه .. فضعف الخلافة يتفاقم بمضى الاعوام، و لئن كان سيطرة الموالى و الأتراك على دفة الحكم، و تأثيرهم فى نصب الخليفة و عزله، فى الفترة السابقة، ملفتا للنظر، باعتبار كونهم جديدا عهد بمثل هذا العمل. فقد أصبح تأثيرهم فى هذا التاريخ طبيعيا و أمرا حتميا، فهم القواد و المحاربون و المالكون للأطراف و المتصرفون بشئون الدولة، و خاصة الخلفاء حيننا و اعداءهم أحيانا، و المؤثرون فى عزل الخليفة و نصبه بكل بساطة و وضوح. بل من المستطاع القول .. بانهم بالرغم من كونهم شجى فى حلق الخلافة، إلا انهم الساعد الايمن لها و المستفيد منها، و المتاجر باسمها فى طول البلاد و عرضها.

و قلما يموت الخليفة حتف انفه. فالمعتمد يكثر من الأكل فى عشاء على الشط ببغداد، فيموت مبوطنا<sup>٣٩٢</sup>. و المعتضد يموت مسموما من قبل إحدى جواريه أو غيرها<sup>٣٩٣</sup>. و المقتدر يموت بشر قتله من قبل قوم من المغاربة و البربر، و كان منفردا منقطعا عن أصحابه، فشهروا

ص: ٣٤٧

سيوفهم فى وجهه، فقال لهم: و يحكم انا الخليفة! فقالوا: قد عرفناك يا سفلة .. أنت خليفة ابليس .. و قتلوه و اخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، و تركوه مكشوف العورة إلى ان مر به رجل من الاكرة فستره بحشيش ثم حفر له موضعه و دفن و عفى قبره<sup>٣٩٤</sup>.

و القاهر ثار عليه جماعة من القواد الساجية و الحجرية، و اقتحموا عليه قصره، فلما سمع القاهر الأصوات و الجلبة، استيقظ مخمورا و طلب بابا يهرب منه .. و لا زال يماطلهم منفردا حتى أدركوه و قتلوه<sup>٣٩٥</sup>.

<sup>٣٩٢</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٧٣.

<sup>٣٩٣</sup> (٢) المروج ج ٤ ص ١٨٤.

<sup>٣٩٤</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٢٢١.

<sup>٣٩٥</sup> (٢) المصدر ص ٢٣٧.

و هذا القاهر، هو الذى ذاق طعم الخلافة لمدة يومين فى غضون أيام سلفه، حيث خلع المقتدر و شهد جماعة على خلع، و ذلك بايدى بعض القواد الموالى و الوزراء. و لكن القاهر حين رأى المقتدر راجعا إلى دست الخلافة قائلا له: يا أخى قد علمت انه لا ذنب لك، و انك قهرت .. و لو لقبوك بالمقهور لكان أولى من القاهر. بكى القاهر و قال:

يا أمير المؤمنين نفسى نفسى .. اذكر الرحم التى بينى و بينك<sup>٣٩٦</sup>.

و أما حال الوزارة و الوزراء، الذين يتناوبون على دست الحكم، و سرعان ما يبدو فشلهم فى معاملة الناس و فى توزيع الأموال و تدبير الشؤون السياسية، فيعزلون. و قد يذوقون بعد العزل صنوف العذاب و السجن و نهب الأموال .. فحدث عن هذه الحال و لا

ص: ٣٤٨

حرج .. بما يطول المقام فى ذكر تفاصيله.

و الصعوبات و الحروب المتكررة التى تتكبدها الدولة من الخوارج كثيرا، و من الاكراد<sup>٣٩٧</sup> و الاعراب<sup>٣٩٨</sup> أحيانا، و من الخارجين عليها الطامعين فى الملك و الغلبة على الأطراف دائما .. قائمة باستمرار على قدم و ساق.

و الفتح الاسلامى، لا زال تجاريا لا يقصد به إلا السلب و النهب و الغارة. و يعتبر بالنسبة إلى الدولة موردا ضخما، يصرف اكثره فى الخلافات الداخلية و المصالح الشخصية. و لم يكن الفتح محل عناية الدولة أكثر من ذلك، إلى حد أصبحنا نسمع انه ضعفت النغور الجزرية فى أيام المقتدر عن دفع الروم عنهم: كملطية و ميفارقين و آمد و ارزن و غيرها، و عزموا على طاعة ملك الروم و التسليم إليه لعجز الخليفة عن نصرهم، و أرسلوا إلى بغداد يستأذنون فى التسليم و يذكرون عجزهم و يستمدون العساكر لتمنع عنهم .. فلم يصغ إليهم أحد. فعادوا خائبين<sup>٣٩٩</sup>. لأن العاصمة علمت ان هذا الموقف لن يكون تجاريا، و انما هو لاجل انقاذ حقيقى لمنطقة اسلامية من برائن الاستعمار الكافر.

و الحروب فى أطراف الدولة الاسلامية، بين الطامعين و المترأسين، قائمة على قدم و ساق بنحو خارج عن اختيار العاصمة و أمرها، على الأغلب، و تكون هذه الحروب هى الحكم الفصل فى ابراز أمير و فشل

ص: ٣٤٩

<sup>٣٩٦</sup> (٣) المصدر ص ٢٠٢.

<sup>٣٩٧</sup> (١) المصدر ج ٦ ص ١١٣.

<sup>٣٩٨</sup> (٢) المصدر ج ٤ ص ١٧٥.

<sup>٣٩٩</sup> (٣) الكامل ج ٦ ص ٢٠٦.

أمير. يكفيك ما كان يقوم به يعقوب بن الليث الصفار في بلاد فارس و الأهواز إلى ان مات عام ٢٦٥ فآلت قيادة الحروب إلى أخيه عمرو<sup>٤٠٠</sup> و ما يقوم به الخجستاني و خلفه رافع بن هرثمة في هراة حتى قتل عام ٤٠١٢٧٩. و ما عمله الخلنجي بمصر<sup>٤٠٢</sup> عام ٢٩٢ و ما بعده، و الحسين بن حمدان عام ٤٠٣٣٠٣. و الحروب الطاحنة التي عملها مرداويج في فارس، حتى ملك طول البلاد و عرضها و هتك المحارم و طغى و عمل له سريرا من ذهب يجلس عليه، و سريرا من فضة يجلس عليه أكابر قواده، و خافه الناس خوفا شديدا<sup>٤٠٤</sup>. حتى قتله خدمه في الحمام عام ٤٠٥٣٢٣.

اذن فالخطوط العامة الرئيسية هي بذاتها موجودة، و الناس هم الناس، و انما المهم ان نتعرض لبعض التفاصيل التاريخية التي يختص بها هذا العصر. و هي عدة أمور:

الأمر الأول: انتقال الخلافة إلى بغداد، و إعراضها عن سامراء إعراضا تاما. حيث بويج للمعتضد ابي العباس بن الموفق في بغداد عام ٤٠٦٢٧٩ و بقيت سامراء لقمة سائغة للاضمحلال و الفناء. و قد حاول

ص: ٣٥٠

المكتفى عام ٢٩٠ الرجوع إليها، فصرفه وزيره عن ذلك لجسامة الأموال التي يجب أن تصرف فيها قبل انتقاله. فبقيت سامراء على الخواء و التخلف.

الأمر الثاني: شهد هذا العصر، نهاية صاحب الزنج، على بن محمد بعد ان عاث في البلاد الفساد و قتل و أحرق و استعبد الشيء الكثير حيث قتل عام ٤٠٧٢٧٠. و قد خلف قتله الشعور بالسرور و البهجة في المجتمع، و قيلت في ذلك الأشعار<sup>٤٠٨</sup>.

و كان أعظم من بلى في قتاله بلاء حسنا طلحة بن المتوكل الموفق و ابنه المعتضد بالله و لؤلؤ غلام أحمد بن طولون الذي انشق على مولاة.

---

<sup>٤٠٠</sup> (١) المصدر ص ٢١.

<sup>٤٠١</sup> (٢) المصدر ص ٧٤.

<sup>٤٠٢</sup> (٣) المصدر ص ١١١.

<sup>٤٠٣</sup> (٤) المصدر ص ١٥٠.

<sup>٤٠٤</sup> (٥) الكامل ج ٦ ص ١٩٨.

<sup>٤٠٥</sup> (٦) المصدر ص ٢٤٤ و ما بعدها.

<sup>٤٠٦</sup> (٧) المصدر ص ٧٣ و ما بعدها.

<sup>٤٠٧</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٥١ و ما بعدها.

<sup>٤٠٨</sup> (٢) المصدر ص ٥٣ و ما بعدها.



و قد سبق ان ذكرنا ان الحروب التي قام بها المعتضد في هذا المضمار اهلتة للخبرة و القوة و الالتفات إلى السياسات العامة، و الادارة التي طبقتها في اثناء خلافته.

و من طريف ما ينقل عن المعتضد انه بالرغم من قسوته المظلمة و استهانتته بالدماء، و آلام التعذيب خلال خلافته<sup>٤٠٩</sup>، كان متسامحا مع العلويين، حتى انه ورد من محمد بن زيد من بلاد طبرستان مال ليفرق في آل ابي طالب سرا، فغمز بذلك إلى المعتضد، فاحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم، فانكر عليه اخفاء ذلك، و امره باظهاره

ص: ٣٥١

و قرب آل ابي طالب<sup>٤١٠</sup>.

و انما كان ذلك بسبب رؤيته في المنام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث بشره بمصير الخلافة إليه، و اوصاه بولده خيرا، فقال له المعتضد:

السمع و الطاعة يا أمير المؤمنين<sup>٤١١</sup>.

و هو الذي عزم على لعن معاوية بن ابي سفيان على المنابر، و أمر بانشاء كتاب يقرأ على الناس<sup>٤١٢</sup> يذكر فيه الشيء الكثير من مثالب بنى أمية، و الأحاديث النبوية، و الآيات القرآنية في الطعن فيهم، و وجوب البراءة منهم. و بقي مصرا على كلامه، حتى قال له القاضي يوسف بن يعقوب: فما نضنع بالطالبيين الذين يخرجون من كل ناحية و يميل إليهم خلق كثير من الناس لقرابتهم من رسول الله (ص). فاذا سمع الناس ما في هذا الكتاب من إطرائهم كانوا إليهم اميل و كانوا هم أبسط السنة و أظهر حجة منهم اليوم. فامسك المعتضد و لم يأمر في الكتاب بعد ذلك بشيء<sup>٤١٣</sup>.

و من طريف ما ينقل عن المعتضد<sup>٤١٤</sup> انه في عام ٢٨٤ ظهر له شخص في صور مختلفة في داره. فكان تارة يظهر في صورة راهب ذى لحية بيضاء و عليه لباس الرهبان، و تارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية

ص: ٣٥٢

سوداء بغير تلك البزة. و تارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة التجار.

<sup>٤٠٩</sup> (٣) انظر المروج ج ٤ ص ١٤٤ و ص ١٥٩.

<sup>٤١٠</sup> (١) انظر المروج ج ٤ ص ١٨١.

<sup>٤١١</sup> (٢) نفس المصدر و الصفحة.

<sup>٤١٢</sup> (٣) انظره في هامش الكامل ج ٦ ص ٨٥. نقلا عن الطبرى.

<sup>٤١٣</sup> (٤) الكامل ج ٦ ص ٨٧.

<sup>٤١٤</sup> (٥) انظر المروج ج ٤ ص ١٧١.

و تارة يظهر بيده سيف مسلول و ضرب بعض الخدم فقتله!! فكانت الأبواب تؤخذ و تغلق، فيظهر له أين كان فى بيت أو صحن أو غيره.

و كان يظهر له فى أعلى الدار التى بناها. فأكثر الناس القول فى ذلك و استفاض الأمر و اشتهر فى خواص الناس و عوامهم، و سارت به الركبان، و انتشرت به الأخبار، و القول فى ذلك على حسب ما كان يقع فى ذهن واحد منهم.

و المظنون ان هذه الظاهرة، ليست من الجن، و لا الشياطين، و لا من اختلال فى العقل، و انما هو نتيجة للاحاساس بوخز الضمير نتيجة للظلم و القسوة التى كان يستعملها تجاه الناس. بنحو كان يشعر انها من مقومات شخصيته و ملكه و لا يمكنه التخلي عنه، اذن فهو مضطر إلى عصيان صوت الضمير و تحمل و خزه فى كل وقت. و اذا تفاقم الشعور بالاثم فقد يصل إلى مثل هذا الخيال. إذ قد يتجسد له بعض الذين قتلهم بين يديه تحت التعذيب، حتى ليحسبهم حقيقة واقعة.

و من المعلوم ان هذا الوهم يتبع شخص المعتضد حيث وجد و لا تحول دونه الأبواب و الأقفال و الحراسة المشددة. و من أجل ذلك كانت تختلف ازياء هذا الشيخ و أحواله، بحسب اختلاف اتجاه تفكير المعتضد فى خلوته.

و أما أن هذا الشيخ قد قتل أحد الخدم بسيفه، فهذا مما لا يمكن تصديقه، و انما هو من النسج الذى اضيف إليه من قبل الناس، حينما

ص: ٣٥٣

تداولوا هذه الحادثة و سارت بها الركبان.

الأمر الثالث: مما اختص به هذا العصر:

انه شهد نهاية الدولة الطولونية فى مصر. فانها كانت قد بدأت عام ٢٥٤ فى عهد المعتز باحمد بن طولون التركى، حيث ولاه عليها بايكبال التركى، من قبل الخلافة العباسية، على ما سبق. و بقى مالكا لمصر و سوريا، متحديا للعاصمة أحيانا<sup>٤١٥</sup> حتى مات مبطونا عام ٤١٦٢٧٠.

فخلفه ابنه خمارويه<sup>٤١٧</sup> الذى اصهر إليه المعتضد عام ٤١٨٢٧٩. و بقى مستمرا على ملك ابيه إلى أن قتله مخمورا بعض خدمه، و منهم من شرح لحمه من افخاذه و عجيزته، و أكله السودان من مماليكه<sup>٤١٩</sup>.

<sup>٤١٥</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ١٣.

<sup>٤١٦</sup> (٢) الكامل ج ٦ ص ٥٥.

<sup>٤١٧</sup> (٣) الكامل ج ٦ ص ٥٥.

<sup>٤١٨</sup> (٤) المروج ج ٤ ص ١٤٥.

<sup>٤١٩</sup> (٥) مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨.

و بقيت الدولة الطولونية حتى عام ٢٩٢ حيث استولى الخليفة المكتفى على دولتهم و أموالهم، و ولى على مصر عيسى النوشري<sup>٤٢٠</sup>، و انقرضت بذلك دولتهم و زال ملكهم بعد أن لعبت دورا فى التاريخ حوالى الأربعين عاما.

الأمر الرابع: ظهور شخص فى شمال افريقيا يدعى انه هو المهدي، و أنه من ذرية اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق (ع)، و هو جد الفاطميين فى مصر، و قد استولى على دولة واسعة الارحاء عام

ص: ٣٥٤

٢١٢٩٦، بعد ان مهد له أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى، من أهل صنعاء و قضى على دولة آل الأغلب فى تلك المنطقة، و طرد آخر امرائها زيادة الله بن محمد<sup>٤٢٢</sup> و ملك قسما كبيرا من الشمال الافريقى بما يقابل ليبيا و تونس و الجزائر من الدول الحاضرة.

و بعد ان استتب له الأمور و خافته القبائل، اخرج رجلا يدعى بعبيد الله بن الحسن من سجنه فى سجلماسة، و اعلنه مهديا و تبرع له بكل ملكه، فاستقامت له البلاد و دانت له العباد، و باشر الأمور بنفسه و كف يد ابى عبد الله الشيعى مما كان عليه، و يد اخيه ابى العباس فسعى أبو العباس إلى التشكيك فى مهديته، قائلا: ان هذا ليس الذى كنا نعتقد طاعته و ندعو إليه، لأن المهدي يختم بالحجة و يأتى بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم انسان من كتامة يقال له: شيخ المشايخ، فواجه المهدي بذلك و قال: ان كنت المهدي فإظهر لنا آية فقد شككنا فيك. فلم يكن من هذا المهدي!! إلا ان قتله<sup>٤٢٣</sup>. و على أى حال فقد باشر الفتح الاسلامى مستقلا عن سلطات بغداد، و حاول احتلال مصر مرتين، فلم يفلح، نتيجة لما كانت تبذله الخلافة العباسية فى دفعه. كانت اولاهما عام ٣٠١<sup>٤٢٤</sup>، و ثانيتهما عام

ص: ٣٥٥

٤٢٥٣٠٧. و احتل قسما من المغرب عام ٣١٥<sup>٤٢٦</sup>. و بنى مدينة محصنة سماها المهديّة، و جعلها عاصمة لملكه، و جعل لها سورا محكما و ابوابا عظيمة، و زن كل مصراع مائة قنطار. و كان ابتداء بنائها يوم السبت الخامس من ذى القعدة سنة ٣٠٣<sup>٤٢٧</sup>. و بقى

٤٢٠ (٤) الكامل ج ٦ ص ١١١.

٤٢١ (١) المصدر ص ١٣٣.

٤٢٢ (٢) المصدر ص ١٣٠.

٤٢٣ (٣) الكامل ج ٦ ص ١٣٤.

٤٢٤ (٤) المصدر ص ٤٧.

٤٢٥ (١) المصدر ص ١٦١.

٤٢٦ (٢) المصدر ص ١٩٠.

٤٢٧ (٣) المصدر ص ١٥١.

على ذلك إلى ان توفى عام ٢٢٨٣٢٢. و خلفه ولده محمد الملقب بالقائم إلى ان توفى عام ٢٢٩٣٣٣ بعد أن قاتل أبا يزيد الخارجي قتالا مريرا<sup>٢٣٠</sup>.

و من الطريف ان تقع دولة هذا المهدي المدعى فى غضون الغيبة الصغرى للمهدى المنتظر عليه السلام. و قد سبق ان أشرنا فى بعض ابحاثنا إلى ان هذه الدعوى للمهدوية، و امثالها مما كانت على مدى التاريخ، انما هى استغلال منحرف لايمان الامة بالمهدى الذى بشر به النبى (ص). و لسنا الآن و نحن فى مقام العرض التاريخى، بصدد مناقشة هذه الدعوى و انما نحيلها إلى ابحاثنا الأخرى.

و انما نقتصر فى المقام على القول: اننا لا نعنى بالمهدى إلا ذلك القائد الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا و يحكم البشرية جمعاء بالعدل الاسلامى فكل مدع للمهدوية إذا انقضت حياته و لم يتوفق لهذا الهدف، فليس هو المهدي المقصود.

ص: ٣٥٦

الأمر الخامس: ظهور القرامطة، بما كبدوا الشعب المسلم من انحراف و دماء، و ما كبدوا الدولة العباسية من أموال و نفوس. و يحسن الآن التكلم مجملا فى عقائدهم أولا و فى أعمالهم ثانيا، لنكون على خبرة كافية عنهم، نتفعنا فى مستقبل البحث. أما عقائدهم: فالذى يظهر من كتب الفرق كالنوبختى، و سعد بن عبد الله الأشعري، انهم فرقة من الاسماعيلية يؤمنون بسبعة أئمة هم:

على بن ابى طالب، و الحسن، و الحسين، و على بن الحسين، و محمد بن على و جعفر بن محمد، و محمد بن اسماعيل بن جعفر. و هو الامام القائم المهدي و هو رسول. و هو حى لم يميت و انه فى بلاد الروم و معنى القائم عندهم انه يبعث بالرسالة و بشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد (ص). و ان محمد بن اسماعيل من أولى العزم من الأنبياء. و هم - عندهم - نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد و محمد بن اسماعيل.

و زعموا ان محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين الذى حكاه الله عز و جل فى كتابه، و ان الدنيا اثنا عشر جزيرة، فى كل جزيرة حجة و ان الحجج اثنا عشر و لكل حجة داعية و لكل داعية (يد). يعنون بذلك ان اليد رجل له دلائل و براهين يقيمها. و يسمى الحجة الأب و الداعية الأم، و اليد الابن. يضاھون قول النصارى فى ثالث ثلاث.

<sup>٢٢٨</sup> (٤) المصدر ص ٢٣٨.

<sup>٢٢٩</sup> (٥) المصدر ص ٣٣٣.

<sup>٢٣٠</sup> (٦) المصدر ص ٣٠٥ و ما بعدها.

و هم من الباطنية القائلين بأن جميع الأشياء التى فرضها الله تعالى على عباده و سنها نبيه (ص) و أمر بها، فلها ظاهر و باطن. و ان

ص: ٣٥٧

جميع ما استعبد الله به العباد فى الظاهر فامثال مضرورية و تحتها معان هى بطونها، و عليها العمل و فيها النجاة. و ان ما ظهر منها ففى استعماله الهلاك و الشقاء.

قالت المصادر: و هذا أيضا مذهب عامة أصحاب ابى الخطاب و استحلوا اعراض الناس بالسيف و قتلهم .. و اعتلوا فى ذلك بقول الله عز و جل: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. و رأوا سبى النساء و قتل الأطفال، و اعتلوا فى ذلك بقول الله تبارك و تعالى: لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. و زعموا انه يجب عليهم أن يبدءوا بقتل من قال بالامامة من ليس على قولهم، و خاصة من قال بامامة موسى بن جعفر و ولده من بعده. و تأولوا فى ذلك قول الله تعالى: قاتلوا الذين يلونكم من الكفار<sup>٤٣١</sup>.

و ذكر بروكلمان: انهم يؤمنون بالشركة بالأموال، و بالتأويل الباطنى للشريعة، و يعدون المرید إعدادا ليأخذ اخيرا بالطاعة العمياء للجماعة و لرؤسائه، و حرر من جميع القيود العقائدية، و من جميع اغلال القانون فى وقت واحد<sup>٤٣٢</sup>.

و ذكر لهم ابن الأثير صلاة خاصة تختلف عن صلاة سائر المسلمين، و آذانا يختلف عن آذانهم، يذكرون فيه الأنبياء من اولى العزم واحدا واحدا

ص: ٣٥٨

و ذكر ان قبلتهم بيت المقدس و عطلتهم يوم الاثنين<sup>٤٣٣</sup> و لكنه ينقل فى موضع آخر<sup>٤٣٤</sup> عن رجل منهم أعرب عن عقيدته أمام السلطات، فذكر انه لا بد لله من حجة فى أرضه، و ان إمامهم هو المهدي المقيم ببلاد المغرب. و هو عبید الله بن الحسن الذى أشرنا إليه فيما سبق. و قد كان معاصرا لهم فى ذلك الحين. إلا ان حركة القرامطة أسبق من حركة هذا المهدي المدعى، فان حركته كانت عام ٢٩٦ كما عرفنا. فى حين ان ظهور القرامطة فى ابتداء أمرهم بسواد الكوفة، كان قبل ذلك بثمانية عشر سنة، عام ٤٣٥٢٧٨.

<sup>٤٣١</sup> (١) انظر التوبختى ص ٧٤ و ما بعدها و الأشعري ص ٢٦ و ما بعدها، بلفظ واحد فى المصدرين تقريبا.

<sup>٤٣٢</sup> (٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٧٣ و ما بعدها.

<sup>٤٣٣</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٧٠.

<sup>٤٣٤</sup> (٢) المصدر ص ١٨٨.

<sup>٤٣٥</sup> (٣) انظر الكامل ج ٦ ص ٦٧.

و يدل على اعتقادهم أيضا بامامة عبيد الله بن الحسن، ما سنسمعه من تعنيفه للقرامطة على قلعهم للحجر الأسود من الكعبة، بحيث أوجب ارجاعهم له على أثر ذلك. و قد ينافى فى اعتقادهم هذا ما عرفناه من ايمانهم بكون محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد، هو المهدي. مع العلم انه لا يحتمل وجود مهديين فى العالم، و يبعد جدا اعتقادهم بذلك .. و الله العالم بحقائق الامور.

و اما اعمالهم: فانه لم يكد المجتمع المسلم يشعر بالراحة، بعد القضاء على صاحب الزنج، عام ٢٧٠ كما عرفنا، حتى ابتلى من جديد بحركة القرامطة بعد ثمانية سنوات من هذا التاريخ.

ص: ٣٥٩

و كانوا يتصفون بالصرامة و الشدة و الاستهانة بالدماء، إلى حد لم يكن ليقف أمامهم جيش مقاتل، أو تصمد أمامهم مدينة محاربة. و كان مجرد احتمال مهاجمة القرامطة لبعض المناطق يوجب بث الرعب فى الناس، و انهيار معنوياتهم إلى حد كبير.

و قد كبدوا العراق و سوريا و البحرين، تضحيات جلييلة. إلى ان قتل قائدهم (صاحب الشامة) بعد القبض عليه و تعذيبه عام ٢٩١م و شيخهم زكرويه بن مهرويه عام ٢٩٤م<sup>٤٣٧</sup>. و كبيرهم فى البحرين أبو سعيد الجنابى عام ٣٠١م<sup>٤٣٨</sup>. و معنى ذلك ان صاحب الشامة و زكرويه قتلا قبل حركة المهدي المغربى عام ٢٩٤م.

و لكن ذلك لم يفل من عزمهم، إذ شهد عام ٣١١ مأساة البصرة التى أحدثوها بقيادة ابى طاهر سليمان بن ابى سعيد الهجرى القرمطى فقد وضع السيف فى أهل البصرة و قتل خلقا كثيرا و طرح الناس انفسهم فى الماء فغرق أكثرهم. و أقام أبو طاهر سبعة عشر يوما يحمل ما يقدر عليه من المال و الامتعة و النساء و الصبيان<sup>٤٣٩</sup> ثم هاجم الكوفة هجوما مميتا عام ٣١٥م<sup>٤٤٠</sup>.

و أما هجومهم على قوافل الحجاج و ابادتهم لهم، أعواما متعددة

ص: ٣٦٠

فحدث عنه و لا حرج. بدأت عام ٢٩٤م بقيادة زكرويه، حيث غدروا بقافلة خراسانية للحجاج و قتلوهم عن آخرهم. و بقى يقاتل القوافل حتى جمع القتلى كالتل. و أرسل خلف المنهزمين من يبذل لهم الامان فلما رجعوا قتلهم و غنموا مليونى دينار. و كان فى جملة ما أخذوا فيها أموال الطولونية و انشابههم<sup>٤٤١</sup>. و تكرر عام ٣١٢م حين نهب أبو طاهر القرمطى قوافل الحجاج، و أخذ جمال

<sup>٤٣٦</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ١٠٨.

<sup>٤٣٧</sup> (٢) المصدر ص ١١٦.

<sup>٤٣٨</sup> (٣) المصدر ص ١٤٧.

<sup>٤٣٩</sup> (٤) الكامل ج ٦ ص ١٧٥.

<sup>٤٤٠</sup> (٥) المصدر ص ١٨٦.

<sup>٤٤١</sup> (١) المصدر ص ١١٦.

الحجاج جميعها و ما أراد من الامتعة و الأموال و النساء و الصبيان، و عاد إلى هجر. و ترك الحجاج في مواضعهم، فمات أكثرهم جوعا و عطشا من حر الشمس<sup>٤٤٢</sup>.

فتسببوا في هذا العام إلى أن لا يحج من الناس أحد<sup>٤٤٣</sup>. و في العام الذي يليه ٣١٣، جبي القرامطة ضريبة من الحجاج و كفوا عنهم فساروا إلى مكة<sup>٤٤٤</sup>.

و تكللت هذه الجرائم عام ٣١٧، بالهجوم المباشر على مكة المكرمة و قتل الحجاج و نهبهم، و سفك الدماء في المسجد الحرام و طرح القتلى في بئر زمزم، و أخذ أبو طاهر كسوة البيت فقسمها بين أصحابه و نهب دور أهل مكة، و قلع الحجر الأسود و انفضه إلى هجر<sup>٤٤٥</sup> حيث بقي ثلاثين سنة<sup>٤٤٦</sup>.

ص: ٣٤١

قالوا: فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بافريقية كتب إليه ينكر ذلك و يلومه و يلعنه و يقيم عليه القيامة! و يقول: قد حققت على شيعتنا و دعاة دولتنا اسم الكفر و الالحاد بما فعلت و ان لم ترد على أهل مكة و على الحجاج و غيرهم ما أخذت منهم و ترد الحجر الأسود إلى مكانه و ترد كسوة الكعبة، فأنا برىء منك في الدنيا و الآخرة.

فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود، و استعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فرده. و قال: ان الناس اقتسموا كسوة الكعبة و أموال الحجاج و لا أقدر على منعهم<sup>٤٤٧</sup>.

و في هذا دلالة واضحة على تبعية القرامطة للمهدي الافريقي و كونهم القائمين بنشر دعوته و قتل مخالفه في الشرق. و من ثم صح له ان ينصب من نفسه قيما على أعمالهم و مشرفا على تصرفاتهم. و كأنه لم يجد من أعمالهم شيئا منكرا إلا قلع الحجر الأسود. و لله في خلقه شئون.

و على أي حال، فمن المستطاع القول، ان أكثر هذه الفترة التي تؤرخ لها، كانت مسرحا لعبث القرامطة بين مد و جزر.

الأمر السادس: من خصائص هذا العصر، انه شهد ميلاد الدولة البويهية، عام ٤٨٣٢١، حيث اتسعت قيادة و سيطرة عماد الدولة على بن بويه في فارس، و توسع ملك الدولة البويهية نتيجة لذلك، في ظروف

<sup>٤٤٢</sup> (٢) الكامل ج ٦ ص ١٧٧.

<sup>٤٤٣</sup> (٣) المصدر ص ١٨٠.

<sup>٤٤٤</sup> (٤) المصدر ص ١٨٢.

<sup>٤٤٥</sup> (٥) المصدر ص ٢٠٤.

<sup>٤٤٦</sup> (٦) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٧٥.

<sup>٤٤٧</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٢٠٤ و ما بعدها.

<sup>٤٤٨</sup> (٢) المصدر ص ٢٣٠.

لسنا الآن بصدد تفصيلها.

الأمر السابع: قلة عدد الثوار العلويين في هذه الفترة، التاريخية فاننا قد لا حظنا في الفترة السابقة كثرة عدد الثوار منهم، حيث قارب عدد القائمين بالسيف، ممن وصلنا ذكره منهم: العشرون ثائرا في أقل من نصف قرن. بينما نرى ان السبعين سنة التالية، و هي الفترة التي نؤرخ لها الآن، تكاد تكون خالية من ذلك إلا في حدود الأفراد القلائل.

و أبو الفرج الاصبهاني، و ان ذكر في المقاتل لهذه الفترة عددا من المقتولين، إلا ان من باشر الحرب منهم لا يزيد على اثنين أو ثلاثة.

و الباقر كلهم بين ميت في السجن و بين مقتول بسيف القرامطة أو بسيف الدولة العباسية بدون حرب<sup>٤٤٩</sup>.

و يعود السبب في ذلك إلى امرين:

الأمر الأول: استغراق أكثر هذه الفترة بحروب القرامطة و تحركاتهم ضد الدولة. و من الواضح ان كل ثورة تحدث في معارضة الدولة في ذلك العصر، فانها تنسب من قبل دعايات الدولة إلى تأييد القرامطة و ممالاتهم و الاشتراك معهم ضد الجهاز الحاكم. و هذا ما لا يريده الثوار لأنفسهم .. كيف لا، و هم يعلمون ان القرامطة مختلفون معهم في العقيدة، و يستحلون دمائهم، بل يبدهون بقتلهم قبل غيرهم، لما عرفنا من تأولهم لقوله تعالى: قاتلوا الذين يلونكم من الكفار. و قد

قتلوا بعضا منهم في طريق مكة<sup>٤٥٠</sup>. فاتهامهم بتبعية القرامطة، كما حدث لاثنتين منهم<sup>٤٥١</sup> أمر غير صحيح.

الأمر الثاني: و هو - بكل تأكيد- أهم من السبب الأول. و هو انتهاء زمن ظهور الأئمة المعصومين عليهم السلام و انقطاع اتصالهم بالناس، بأول يوم من وفاة الامام العسكري عليه السلام و ابتداء الغيبة الصغرى التي نعرض الآن لتاريخها.

و قد عرفنا في تاريخ الفترة السابقة، مدى تأثير وجود الأئمة عليهم السلام و توجيههم المباشر و غير المباشر للثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد (ص) .. بنحو استطاع الأئمة (ع) ان يخفوه عن السلطات تماما، و من المعلوم ما للأئمة عليهم السلام من مكانة في المجتمع الاسلامي و تأثير معنوي في النفوس. و تأريخ جليل حافل بجلائل الأعمال، مما يوفر لكلامهم و توجيههم و خاصة في نفوس الثائرين الغاضبين على الظلم و العصيان، طريقا مهيجا للاندفاع و التأثير.

<sup>٤٤٩</sup> (١) المقاتل ج ٣ ص ٢٩٥ و ما بعدها.

<sup>٤٥٠</sup> (١) المصدر ص ٥٠٠.

<sup>٤٥١</sup> (٢) المصدر ص ٢٩٩.



و أما فى هذه الفترة، و بعد ان غاب آخر الأئمة المهدي عليه السلام و انقطع عن الاتصال بالناس و الاحتكاك بقواعده الشعبية .. فقد تضائل ذلك الدافع الثورى و التوجيه القوى إلى التمرد و القيام بالسيف.

و أما الوكلاء الأربعة، الذين امسكوا بازمة الأمور فى هذه الفترة

ص: ٣٤٤

و كانوا همزة الوصل بين الامام و قواعده الشعبية، فهم و ان كانوا فى غاية الورع و الصلاح، إلا انهم على أى حال لا يتمتعون بمثل مكانة الأئمة عليهم السلام فى قلوب المجتمع المسلم. على انه لم يكن من المصلحة على الاطلاق ان يصدر منهم الأمر بالتمرد و توجيه الثورات و لو بشكل سرى و غير مباشر. و ذلك: لأجل المحافظة على المصالح التى كانوا يقومون بها بين قواعدهم الشعبية، و هم يعلمون- فى حدود الظروف المعاشة يومئذ- ان هذه الثورات لن تكون أحسن حالا من سوابقها التى باءت بالفشل و أخطت فى مهدها. اذن فالتعرض للثورة أو التحريض عليها، لن ينتج إلا التغيير بحياة الوكلاء، و التضحية بخيط الاتصال بالامام الغائب (ع)، و التغيير بمصالح القواعد الشعبية الموسعة التى أوكلت إليهم قيادتها، و هى مهام جسام لا تعادل التحريض على ثورة معلومة الفشل و الخسران.

مضافا إلى ان استقلال الوكلاء عن المهدي (ع) بالتحريض امر غير صحيح بطبيعة الحال، و مناف لوظيفتهم الاجتماعية الاسلامية.

و أما تحريضهم على الثورة بأمر من المهدي عليه السلام، فهو مما لا يحدث، فان المهدي (ع) لن يقوم إلا بثورته الكبرى حين يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا. و لن تكون التمردات الصغرى مهمة فى نظره و لا دخيلة فى وظيفته الاسلامية.

و على أى حال، فالذى أشعر به مليا، أن نوع الثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد، قد انقطع بانقطاع عهد الظهور، عهد اتصال

ص: ٣٤٥

الأئمة عليهم السلام بالناس. و كل الثورات اللاحقة لذلك فى التاريخ الاسلامى إلى عصرنا الحاضر، انما هو انعكاس صحيح أو منحرف أو تأثر بقليل أو بكثير بتلك الثورات الجليلة المخلصة، التى بدأت بثورة الحسين عليه السلام، و انتهت بانتهاء عصر الظهور.

ص: ٣٤٧

### الفصل الثانى الاتجاهات العامة فى هذه الفترة

و يتدرج فى ذلك الاتجاه العام للامام المهدي عليه السلام نفسه، خلال هذه الفترة التى تمثل غيبته الصغرى. كما يتدرج فيه الاتجاهات العامة لمواليه المعتقدين بامامته و لنظرائه الذين يمارسون قيادة المجتمع بالوكالة عنه و للدولة بما فيها من حكام و سلطات و تتكلم فى ذلك ضمن عدة أقسام:

التقسيم الأول: الاتجاه العام للامام المهدي (ع).

كان الاتجاه العام لسياسة الامام المهدي عليه السلام، في اتصاله بقواعده الشعبية، و قيادته لهم، على ما يدلنا عليه تاريخنا الخاص

..

مندرجا في عدة نقاط.

النقطة الأولى: اقامة الحججة على وجوده بشكل حسي واضح، لكي يكون مستمسكا واضحا أكيدا لدحض ما قد يثار من الشبهات و الاسئلة حول ولادته و وجوده.

ص: ٣٦٨

و كانت هذه النقطة مما سار عليه والده الامام العسكري عليه السلام، كما عرفنا في تاريخ الفترة السابقة، حيث رأيناه يعرض ولده المهدي (ع) على الخاصة من أصحابه، و ينص على امامته بعده، و انه هو الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا.

و استمر المهدي عليه السلام سائرا على ما سار عليه أبوه في ذلك لاستمرار الاسئلة و الإشكال عن قصد أو غير قصد، خاصة مع اختفاء الامام و غموض مكانه. و وجود الانحرافات بين أصحابه، كالذي عرفناه من عمه جعفر، و سمعناه و تسمعه عن الشلمغاني و غيره.

و كان للمهدي (ع) لاثبات وجوده بالطريق الحسي الواضح عدة طرق:

الطريق الاول: تمكين عدد من الخاصة من مشاهدته عيانا و ايصاؤهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس، و خاصة القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام. مع ايصائهم بكتمان المكان و غيره من الخصوصيات التي قد تدل عليه و تيسر للسلطات طريق الوصول إليه.

الطريق الثاني: اقامة المعجزة بطريق غير مباشر لبعض الأشخاص ممن لا يواجهه مباشرة. بارسال رسالة شفوية إليه عن طريق خادم أو غيره تتضمن اسم الشخص «أن كان مما ينبغي عادة ان يكون مجهولا» و وصفه للمال الذي يحمله و البلد الذي جاء منه و نحو ذلك، مما لا يمكن ان يصدر إلا عن حجة الله تعالى على خلقه.

الطريق الثالث: الاجوبة على المسائل و حل المشكلات و قضاء الحاجات

ص: ٣٦٩

عن طريق و دركه بطريق منطقي حكيم منجسم مع اسلوب آباءه عليهم السلام في مثل هذه المواقف، بنحو يعلم بعدم تمكن السفير من أن يأتي بمثله أو ان يخطر على باله. و خاصة إذا اقترب ذلك بأمر يجهله السفير أساسا، مما قد اثبتته المهدي عليه السلام في توقيعه.

الطريق الرابع: التزام نحو معين من الخط، الذي كان يعرفه الخاصة من مواليه، و موالى ابيه عليهما السلام. فان اختلاف الخطوط باختلاف الأشخاص من أوضح الواضحات. و هو يستخدم على التعرف على صاحبه فى مختلف المجالات، القانونية و الفقهية و غيرها.

فكان لخط الامام المهدي عليه السلام، مميزاته الخاصة التى يعرفها الخاصة، و التى لا يمكن تقليدها، كخط أى شخص آخر، حتى للسفير نفسه، على انها كانت محفوظة بذاتها و متشاكله على أيدى السفراء الأربعة، على اختلاف خطوطهم الشخصية و طبائعهم النفسية<sup>٤٥٢</sup>.

فهذه هى العناوين العامة لهذه الطرق، و سيأتى التعرض للتفاصيل التاريخية فى مستقبل البحث.

النقطة الثانية: الاختفاء عن السلطات اختفاء تاما، بحيث يتعذر وصولهم إليه، مهما كلفهم الأمر. و يتم ذلك بعدة طرق:

الطريق الاول: عدم تمكين المشاهدة، إلا ممن يحرز فيه عمق الاخلاص و عدم افشاء السر الذى قد يؤدى إلى الخطر.

الطريق الثانى: اىءاء الشخص المشاهد - تأكيداً لذلك - بعدم

ص: ٣٧٠

الافشاء و الاحتياط من هذه الناحية على إمامه. بحيث يكون الفرد ذو مهمة مزدوجة، فهو يجب عليه التبليغ عن مشاهدة الامام عليه السلام كما يجب عليه الالتزام فى إخباره و تبليغه بان لا يزلق إلى ما لا يحمد عقباه.

الطريق الثالث: تحريم التصريح بالاسم، و منعه منعاً تاماً، إلى حد يمكن أن يقال: انه كان مجهولاً عن الكثير من الخاصة الموالية، فضلا عن سائر المسلمين، و خاصة من يمت إلى السلطات بصلة.

و من هنا كان يعبر عنه الخاصة - عند الحاجة - بتعبيرات مختلفة تشير إليه اجمالاً، و لا تعينه شخصياً .. كلقائهم، و الغريم، و الحجة، و الناحية و صاحب الزمان و نحو ذلك، و يتجنبون بالكلية التعرض لاسمه الصريح. فانهم «ان وقفوا على الاسم اذاعوه و ان وقفوا على المكان دلوا عليه»<sup>٤٥٣</sup>.

الطريق الرابع: الاختفاء التام عن السلطات، و عن كل من لا يواليه .. اختفاء تاماً مطلقاً. فلئن كان عليه السلام فى غضون الغيبة الصغرى، قد يجتمع ببعض المواليين، فانه لا يجتمع بمن سواهم على الاطلاق .. إلا ما كان لاقامة الحجة، و إظهار التحدى للسلطات مع عدم امكان اللقاء القبض عليه، كما حدث لرشيق صاحب المادراى حين أرسلته السلطات للكيس على دار المهدي عليه السلام فى سامراء على ما سوف نسمع.

<sup>٤٥٢</sup> (١) انظر للنموذج البحار ج ١٣ ص ٩٥ و غيبة الشيخ الطوسى ٢١٦ و ص ٢٢٠.

<sup>٤٥٣</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٢٢.

الطريق الخامس: تحويل مكانه بين آونة و أخرى، بنحو غير ملفت للانظار.

و هذا هو المستنتج من مجموع الروايات الدالة على مكانه فى الجملة.

حيث تدل بعضها على وجوده فى مكان، و تدل بعضها على وجوده فى مكان ثان أو ثالث و هكذا .. و هذا صحيح باختلاف الازمات و تعدد الأيام و السنين خلال الغيبة الصغرى .. و سنسمع تفصيل ذلك فى فصل آت من هذا التاريخ.

الطريق السادس: السكوت التام .. و من ثم الغموض المطلق، بل الجهل الكامل بطريقة اتصال الوكيل الخاص بالمهدى عليه السلام. هل هو بطريق المواجهة، أو بطريق آخر، و أين تحدث المواجهة و كيف؟.

و لو لم تحدث المواجهة فكيف تصل اجوبة المسائل و حلول المشكلات.

كل ذلك كان مجهولا تماما لدى كل انسان مهما كان خاصا و مقربا، ما عدا السفير نفسه، الذى يضطلع بهذه المهمة.

و من الممكن القول بان السفير كان منهييا عن التصريح به أساسا لكل أحد، و من ثم كان الشخص يقدم السؤال ثم يأتى بعد يومين أو أكثر ليأخذ جواب سؤاله. و لم يرد فى الروايات أى اشارة لطريقة استحصال الجواب من الامام عليه السلام.

الطريق السابع: إيكال الوكالة الخاصة، أو السفارة، إلى اشخاص يتصفون بدرجة من الاخلاص عظيمة، بحيث يكون من المستحيل عادة ان يشوا بالامام المهدى (ع)، أو ان يخبروا بما يكون خطرا

عليه و لو مزق لحمهم و دق عظمهم. و لا يتوخى بعد ذلك أن يكون السفير هو الاعمق فقها، أو الأوسع ثقافة. فان السفارة عن الامام عليه السلام لا تعنى إلا التوسط بينه و بين الآخرين، و لا دخل للافضلية الثقافية فيه. و من هنا قد تسند الوكالة الخاصة إلى المفضل من هذه الجهة، توخيا لتلك الدرجة من الاخلاص.

و هذا هو الذى ذكر فى بعض الروايات، حيث اعترضوا على ابى سهل التوبختى، فقيل له: كيف صار هذا الأمر «أى السفارة» إلى الشيخ ابى القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم و ما اختاروه.

و لكن أنا رجل القى الخصوم و اناظرهم، و لو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم، و ضغطتنى الحجة، لعلى كنت أدل على مكانه و أبو القاسم، فلو كان الحجة تحت ذيله و قرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه<sup>٤٥٤</sup>.

النقطة الثالثة: قبض المال و توزيعه بواسطة سفرائه أو غيرهم.

و المال المقبوض يكون عادة من الحقوق الشرعية التي يعطيها أصحابها من الموالين للامام عليه السلام، في مختلف البلاد الاسلامية فكان إذا اجتمع عند قوم أموال من هذه الحقوق، أرسلوها بيد أحد امنائهم إلى الناحية.

و قد يكون المال المقبوض هبة شخصية للامام عليه السلام، من قبل أحد مواليه، عينا أو ثوبا أو غير ذلك. و قد يكون المال موصى به من قبل أحد الأشخاص للايصال إلى الامام (ع) بعد موته، أو غير

ص: ٣٧٣

ذلك من الوجوه.

و هذه الأموال منها ما يصل إلى الامام مباشرة، و منها ما يبقى في يد الوكيل، يوزعه بحسب نظر الامام و قواعد الاسلام.

كما ان حامل الأموال إلى الامام، قد يوفق إلى دفعها إلى السفير مباشرة. و قد لا يستطيع حتى ذلك، بل يؤمر بوضع المال في مكان معين، يذهب بعده إلى حال سبيله. و ذلك بحسب اختلاف الظروف و الأحوال التي يعيشها السفراء بشكل خاص و القواعد الشعبية الموالية بشكل عام. على ما سوف نشير إليه في مستقبل البحث.

النقطة الرابعة: اجوبته عليه السلام على الاسئلة التي كان ايصالها إلى الامام (ع) من أهم مهام السفراء. و التي كانت تجتمع عند السفير بكثرة من مختلف طبقات الموالين.

و الجواب قد يكون توقيعا أى جملة مختصرة مكونة من بعض كلمات، و قد يكون مطولا مسهبا، بحسب ما يراه المهدي (ع) من مصلحة السائل و المجتمع.

تندرج في ذلك الاسئلة الفقهية و العقائدية التي كانت توجه إليه و الطلبات الشخصية كاستئذان بالحج و سؤاله عن ميلاد الولد أو التوفيق بين زوجين متشاكين. كما يندرج في ذلك مناقشاته للشبهات التي كانت قد تنجم بين الموالين، و للدعوى الكاذبة بالسفارة عنه عليه السلام و لعن المدعى و كشف اتجاهاته المنحرفة.

كما يندرج في ذلك، ما خرج عنه عليه السلام، من الترحم على

ص: ٣٧٤

السفير الأول و تعزية ولده السفير الثاني. و ما خرج في بيان انقطاع السفارة بعد السمرى السفير الرابع .. و غير ذلك من التوقيعات .. كما سيأتي التعرض لكل ذلك تفصيلا ان شاء الله تعالى.

النقطة الخامسة: قضاؤه عليه السلام لحوائج الناس من قواعده الشعبية، من الناحية الشخصية.

يندرج فى ذلك المال الذى يأخذه بعضهم من المهدي (ع) مباشرة إذا وفقوا للقائه. و المال الذى يأخذه الآخرون من السفراء أو غيرهم فمن يمت إلى الامام بصلة، و هى بمجموعها، أموال مهمة لا يستهان بها.

كما يندرج فى ذلك نصحه عليه السلام لمستنصحيه، بالقيام بعمل معين، كالحج أو غيره، أو الامتناع عنه؛ بحسب ما يرى من المصلحة التى يتضح بعد ذلك للمسائل مطابقتها لمقتضى الحال. كما يندرج فى ذلك، الاكفان و الحنوط و الأثواب التى كان يعطيها لبعض الخاصة مع الطلب أو بدونه. و ذلك قبل موت ذلك الشخص بقليل و سيأتى التعرض لتفاصيل ذلك فيما يلى من البحث.

النقطة السادسة: عدم التعرض فى كلام المهدي عليه السلام، إلى شىء من الحوادث العامة فى المجتمع أو فى الدولة أو فى الخارج، و ما يقوم به الخلفاء أو الوزراء أو الامراء أو القواد أو القضاة، أو غيرهم ممن له شأن أو ممن ليس له شأن.

فانه بالرغم مما عرفناه من وجود الحوادث المهمة فى التاريخ العام ..

تلك الحوادث التى أفلقت الدولة و كلفت المجتمع الشىء الكبير .. و منها

ص: ٣٧٥

ما حرك ضمير المسلمين، كقلع القرامطة للحجر الأسود و نقله إلى هجر.

بالرغم من ذلك، لا نجد فى كلامه و توقيعاته و توجيهاته عليه السلام، أى تعرض لهذه الحوادث على الاطلاق أو أى تعليق عليها.

و ذلك لمبررات ثلاثة مجتمعة أو متفرقة:

المبرر الأول: ان هذا الإعراض الكامل، يشكل احتجاجا صامتا و شجبا سلبيا، لمجموع الخط الذى يسير عليه الناس المنحرفون و ذوو المصالح الشخصية الصانعين لتلك الحوادث الممثلين لها على مسرح التاريخ ابتداء من الدولة و انتهاء بقواعدها الشعبية .. ذلك الخط المنفصل عن خطه عليه السلام، و المنهج المغاير لمنهجه .. ذلك الخط الذى تشترك الدولة و اعداؤها بالسير عليه و الانتفاع به، فانهم مهما اختلفوا فى شىء فهم لا يختلفون فى معادات الامام عليه السلام و انكار وجوده، و مطاردة قواعده الشعبية.

و المهم لديه، و هو المؤمل لإقامة الحق المطلق فى الأرض، أن يهمل هذا الانحراف اهمالا تاما، و يتسامى عن مسيرته أو القول فيه أو التعليق عليه جملة و تفصيلا، حتى كأن شيئا لم يحدث، و كأن الموجود فى الأرض ليس إلا حقه المطلوب و اهدافه المنشودة.

المبرر الثانى: ان ديدن المهدي فى بياناته و توقيعاته كان فى الغالب مكرسا على اجوبة الاسئلة التى كانت ترفع إليه من مواليه بواسطة سفرائه، و لم يخرج منه توقيع ابتدائى بدون سؤال، إلا نادرا فيما

يخص حال سفرائه، كالتعزية بسفيره الأول، و الاعلان عن انقطاع السفارة بموت الرابع.

و من هنا يصبح من المنطقي، ان لا نتوقع من المهدي عليه السلام تعليقا على أحد الحوادث العامة، إلا إذا سأله عنه بعض الموالين أو طلب منه التعليق عليه. و هذا مما لم ينقل في رواياتنا حدوثة.

و السبب في اهمال السؤال عن هذه الأمور، هو: ان القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام تنقسم إلى قسمين:

القسم الاول: و هم الأكثر و الأغلب .. اناس يقل وعيهم و يتضاءل فهمهم الاجتماعى إلى حد كبير. فهم و ان اطلعوا على أحكامهم الدينية من الناحية الشخصية، على مذهب أهل البيت عليهم السلام. إلا انهم لم يكونوا مدركين بوضوح، الاتجاه الاجتماعى و السياسى لأئمتهم عليهم السلام خاصة و لاحكام الاسلام عامة.

و خاصة، و ان التاريخ القريب الذى عاشوه، كان يذكى أوار الجهل و يؤكد هذا التخلف فيهم. و ذلك لما عرفناه من السياسة العباسية فى عزل الأئمة عليهم السلام عن قواعدهم الشعبية، و حجزهم فى العاصمة و تقريبهم إلى البلاط .. لأجل الأغراض التى عرفناها و فصلناها .. مما سبب نمو جيل من الشعب الموالى منفصل عن قاداته و موجهيه، محروم من علومهم و وعيهم و ثقافتهم.

و قد أصبح هذا الجيل، خلال الغيبة الصغرى هو الجيل السائد الذى يمثل الأغلبية الكاثرة، الجاهلة .. و من ثم لا ينبغى ان نتوقع من

مثل هذا الجيل أن يسأل عن رأى الامام عليه السلام أو فتوى الاسلام فى أى شىء من الحوادث الاجتماعية أو الدولية.

القسم الثانى: و هم الأقل .. واعون مثقفون بتعاليم الأئمة السابقين عليهم السلام، و هم العارفون لاتجاهاتهم و طرق تفكيرهم و تدبيرهم ..

فمثل هؤلاء .. أما أن يكونوا عالمين برأى الامام عليه السلام سلفا بدون حاجة إلى سؤال، و ذلك لوضوح اتحاد اتجاهه عليه السلام مع اتجاه آباءه. و هم يعرفون القواعد الاسلامية العامة التى يقيسون بها الأحداث الاجتماعية و الدولية، فالفرد منهم يسأل نفسه عن تفسير الاحداث و يجيبها، و يتخذ اتجاهها مسلكا موزونا بميزان وعيه و فهمه الاسلامى الذى تلقاه عن أئمة عليهم السلام، من دون حاجة إلى تجشم مؤونة السؤال.

و أما أن لا يكون الفرد من هؤلاء الخاصة عالما بالرأى الاسلامى فى حادثة أو عدة حوادث .. و لكنه مع ذلك لا يمكنه السؤال عنها، لأن هؤلاء الخاصة معروفون للدولة، تراقب أعمالهم، و تحسب عليهم أقوالهم ..

و هذا يكون من أكبر الموانع عن السؤال عن مثل تلك الأمور.

المبرر الثالث: خوف الامام المهدي (ع) على قواعده الشعبية من عسف الدولة و ضيق الخناق، إذا وجد لديهم رأى الامام فى أمر سياسى أو حادث اجتماعى. و ذلك باحد اعتبارين:

احدهما: ان التعليق إذا كان على ما يمس الدولة من قريب أو بعيد، أو على ما تؤيده من أشخاص أو احداث .. كان ذلك إعلاناً صريحاً

ص: ٣٧٨

للخلاف على الدولة .. الأمر الذى لا يعرض الفرد الذى وجد عنده أو سمع منه ذلك، للخطر فقط .. بل يعرض جماعة كبيرة من متعلقيه بل سائر أفراد الشعب الموالى للامام عليه السلام، إلى انحاء من الخطر و أنواع من التهديد هم فى غنى عنه لو لا ذلك، و هو مما لا يريده لهم الامام المهدي عليه السلام، كما لم يكن يريده لهم أبأوه عليهم السلام.

ثانيهما: ان تعليق الامام على الأحداث سواء كان مما يوافق الدولة أو يخالفها، يدل على وعى من وجد عنده أو سمع منه، بل يدل على وعى جماعة ممن يكون بمستواه الثقافى، و الفكرى، و هذا معناه- كما تدركه الدولة بوضوح- كون الفرد و الجماعة على مستوى الأحداث، و على مستوى تحمل المسؤولية، و اجابة نداء الحق و اطاعة تعاليم الامام المهدي (ع) على أى مستوى من المستويات.

و هذا ما تخافه الدولة و تخشاه، بكل كيانها و طبقاتها، و تقف دونه بكل قواها. فإذا عطفنا على ذلك احساس الدولة بما يصدر عنها من ظلم و جهلها بقله الواعين المخلصين، استطعنا ان نشعر بعظم الخطر و تفاقم الخطب.

و من ثم كان المهدي (ع) يرى ضرورة التخلص من هذا الاحساس أساساً، و ذلك: بعدم إشعار الدولة بوعى الواعين من مواليه، تجنيباً لهم عن الاخطار، و تمكيناً لهم بالاتصال بالناس بشكل أوسع، من أجل حفظ المصالح الكبرى التى يتوخاها الامام المهدي (ع) فى المجتمع.

ص: ٣٧٩

و ان من أسهل الطرق لذلك، هو ان لا يوجد بينهم أو على السنتهم أى تعليق «رسمى» على أى حادث اجتماعى أو سياسى، و إذا وجد شيء من ذلك فلا بد أن يبقى منحصر فى النطاق الخاص، محروساً عن الوصول إلى الدولة أو إلى أى عميل من عملائها، و من ثم نسمع أنه حين كان جماعة من الخاصة فى مجلس السفير الثانى محمد بن عثمان العمرى يتذكرون شيئاً من الروايات و ما قاله الصادقون عليهم السلام، حتى أقبل أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادى، ابن أخى أبى جعفر العمرى (رض). فلما بصر به أبو جعفر، قال للجماعة:



امسكوا فإن هذا الجائي ليس من أصحابكم<sup>٤٥٥</sup>.

والذي أود الالماع إليه في المقام مختصراً، هو ان ندرة التعليق الاجتماعي الواعي، من الامام المهدي عليه السلام، انما يدل على وجود مثل هذه المصالح، و لا يدل على كون الامام المهدي عليه السلام بعيداً عن الأحداث منصرفاً عن تطورات المجتمع.

و لا نريد في المقام، ان نستشهد، بما نعتقده في الامام من العصمة و التعليم الإلهي، و انه متى ما شاء أن يعلم فانه يعلم، كما لا نريد أن نقول بأن نفس فكرة السفارة و ما يترتب على ذلك من المصالح لا كبر دليل على استيعاب المهدي للأحداث، و وعيه الكامل للمشاكل و حلولها الاسلامية على المستوى القيادي لا على المستوى الاعتيادي.

بل غاية ما نذكره هو الاشارة إلى الروايات المتعددة الواردة في

ص: ٣٨٠

تاريخنا الخاص، الدالة بكل وضوح على ذلك. كتركه عليه السلام للجواب على سؤال شخص كان قد أصبح قرمطياً<sup>٤٥٦</sup>. و كالذي قاله لعلي بن مهزيار الأهوازي في شأن أهل العراق<sup>٤٥٧</sup> و كالبيان الذي صدر منه عليه السلام للشيخ المفيد عليه الرحمة، و قد تضمن جملة من الاخبار و الافكار<sup>٤٥٨</sup> و قصة شقة لثوب المرجى<sup>٤٥٩</sup> و غير ذلك من الروايات الدالة على استعراض الامام المهدي عليه السلام للأحداث و متابعتها للمشاكل الاجتماعية، و سيأتي تفصيل ذلك بما يزيده وضوحاً و رسوخاً.

فهذه هي النقاط الرئيسية للاتجاه العام الذي كان يلتزمه الامام المهدي عليه السلام ابان غيبته الصغرى. استعرضناه بنحو الاختصار، و سيأتي تفصيل الحوادث المشار إليها، في الفصول الآتية من الكتاب.

القسم الثاني: الاتجاه العام للشعب الموالي.

كان الاتجاه العام للشعب الموالي لخط الامام عليه السلام، خلال الغيبة الصغرى مركزاً حول عدة نقاط، تكاد تكون مترابطة:

النقطة الأولى: الاعتماد التام و التوثق الكامل من السفراء و حسن الظن بهم بافضل أشكاله .. بما هم أهل لذلك. لما هو معروف عند الشعب الموالي من نصوص أئمتهم الماضين عليهم السلام في توثيق و تجليل

ص: ٣٨١

<sup>٤٥٥</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢٥٦.

<sup>٤٥٦</sup> (١) الارشاد ص ٣٣٢

<sup>٤٥٧</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٦١.

<sup>٤٥٨</sup> (٣) انظر الاحتجاج ص ٣٢٢.

<sup>٤٥٩</sup> (٤) انظر منتخب الاثر ص ٣٨٦. و غيره.

و مدح السفيرين الاولين، على ما سوف نعرضه فى ترجمتها. مضافا إلى التجربة الفعلية، و المعاشرة من قريب أو من بعيد .. التى عاشها الناس مع السفراء الاربعة، قبل سفارتهم و بعدها، فعرفوا بالاخلاص و الايمان و الصدق و التقوى، بنحو يجعلهم فى السنام الاعلى من خاصة الشعب الموالى.

فكانوا لا يشكون، باى حال من الاحوال، بما ينقله أحد السفراء إليهم شفويا أو كتبيا عن المهدي (ع). مضافا إلى ما عرفناه من استدلالهم على صدق الرسالة من خطها، و من مضمونها، و من أسلوب تبليغها.

النقطة الثانية: الرجوع فى مشكلات الامور العقائدية و الفقهية و الشخصية إلى الامام عليه السلام، عن طريق سفرائه، لكى يذلها لهم برأيه و حكمته .. على ما سوف يأتى تفصيله فى مستقبل البحث.

و بذلك، يكون المهدي (ع) و هو فى غيبته قد اخذ زمام الادارة لقواعده الشعبية و مواليه، و تدبير امورهم، و ارشادهم، فيما ينبغى ان يفعلوا او ان يتركوا.

النقطة الثالثة: الاعتماد على التسالم على امر من الامور الموجودة بين افراد الشعب الموالى او الرأى العام الذى يوجد لديه، تجاه اى مسألة أو مشكلة.

فكان الفرد منهم، يرجع - فيما يرجع إليه من قواعد شريعته - الى ما تسالم عليه اخوانه فى العقيدة تجاه الامر الذى يفكر فيه، لو كان

ص: ٣٨٢

امرا متسالما عليه. كما هو الحال فى عدد من الامور و الافكار .. التى لا يستطيع الفرد مخالفتها الا باعلان مخالفته مع الشريعة نفسها، و الكشف عن انحرافه و فساد عقيدته او سلوكه.

و هذا التسالم، تستقيه القواعد الشعبية من خاصتها و موجهيها و علمائها على وجه العموم، و من السفراء على وجه الخصوص. و اما هؤلاء الخاصة فيتسالمون على الامر نتيجة للقواعد الاسلامية التى يعرفونها أو باعتبار صدور نص فيها من قبل الامام المهدي (ع) على يد احد سفرائه، أو باعتبار تجربة حسية عاشوها مع سلوك الفرد الذى تسالموا على وثاقته أو الذى تسالموا على انحرافه.

و ذلك كالتسالم على وثيقة السفيرين الاولين<sup>٤٦٠</sup>، و على وثيقة السفير الثالث الحسين بن روح<sup>٤٦١</sup> بل على وثيقة السفراء الاربعة جميعهم. و كالتسالم على انحراف و لعن الشلمغانى ابن ابى العزاق<sup>٤٦٢</sup> و التسالم بان كل من ادعى السفارة بعد السمرى فهو كافر ضال مضل<sup>٤٦٣</sup>.

فكانت هذه الامور و امثالها، من الامور الواضحة، غير القابلة للمناقشة، يتلقاها الخلف عن السلف و الجاهل عن العالم و العامة عن الخاصة. و تعتبر جزءا من معالم الدين.

فهذه هى النقاط الرئيسية، لما كانت تتوخاه القواعد الشعبية الموالية

ص: ٣٨٣

فى علاقتهم مع امامهم المهدي و سفرائه.

القسم الثالث: الاتجاه العام للسفراء.

يتلخص الاتجاه العام للسفراء الاربعة، فى حياتهم الاجتماعيه الاسلاميه، فى عدة نقاط:

النقطة الاولى: الاضطلاع بقيادة قواعدهم الشعبية الموالية للإمام المهدي عليه السلام، من الناحية الفكرية و السلوكية، طبقا لاوامره عليه السلام، أو بتعبير آخر: التوسط فى قيادة المهدي (ع) للمجتمع و تطبيق تعاليمه فيه، طبقا للمصالح التى يراها و يتوخاها.

النقطة الثانية: الاخلاص فى السفارة عن المهدي عليه السلام، و فى خدمه قواعدهم الشعبية المفتقرة الى قيادتهم و سفارتهم كل الافتقار ..

و التضحية فى سبيل ذلك بالعالى و النفس.

النقطة الثالثة: ان لا يكون عملهم ملفتا للنظر، و أن تكون حياتهم و تجاراتهم طبيعية جدا، غير مثير لأى تساؤل أمام الدولة و عملائها و قواعدها الشعبية.

<sup>٤٦٠</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢١٥.

<sup>٤٦١</sup> (٢) المصدر ص ٢٢٧.

<sup>٤٦٢</sup> (٣) المصدر ص ٢٥٠.

<sup>٤٦٣</sup> (٤) المصدر ص ٢٥٥.

فقد سمعنا كيف ان عثمان بن سعيد العمري السفير الأول، كان يوصل الأموال إلى الامام العسكري عليه السلام في جراب الدهن الذي كان يتاجر به. و لم يتغير الخط الاساسى الذى كانت تسيير عليه الدولة بعد وفات الامام العسكري (ع) و بدء الغيبة الصغرى .. فنعلم من ذلك استمرار العمري على أمثال هذا الاسلوب عند سفارته عن المهدي (ع)

ص: ٣٨٤

خلال هذه الفترة.

كما اننا نسمع ان الحسين بن روح السفير الثالث، لم يكن له خدم و لم يكن حوله جماعة، على حين كان لمدعى السفارة زورا خدم و جماعة<sup>٤٦٤</sup>.

على ان هذا المسلك لم يكن خاصا بالسفراء، بل شاملا لسائر الخاصة ممن كان ينتهج النهج الصحيح المتفق عليه. فمن ذلك انه كان على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى، مستمرا فى تجارته، يجلس كل يوم و يخرج حسابه و دواته كما يكون التجار<sup>٤٦٥</sup>. إلا ان ذلك لا ينافى قيامه بالواجب، و إيفاءه لحق العقيدة الحقة .. إذ يأمر بجر الحسين بن منصور الحلاج من رجله و اخراجه من محل تجارته، باعتبار ادعائه السفارة كذبا و زورا<sup>٤٦٦</sup>.

النقطة الرابعة: التزامهم بمسلك التقية: مهما احوجهم الامر إلى ذلك .. يجعلونه طريقا لتهدئة الخواطر عليهم و إبعاد النظر عنهم لكى تنفسح لهم فرصة أوسع و مجال أكبر للعمل، مما اذا كانوا مراقبين و مطاردين بشكل مستمر أكيد.

فمن ذلك: ان أبا القاسم الحسين بن روح عليه الرحمة، كان يحضر مجالس العامة غير الموالين للأئمة عليهم السلام. فصادف فى بعض

ص: ٣٨٥

المجالس ان تناظر اثنان، فادعى احدهما: ان ابا بكر أفضل الناس بعد رسول الله (ص)، ثم عمر ثم على. و قال الآخر: بل على أفضل من عمر. فزاد الكلام بينهما. فقال أبو القاسم رضى الله عنه الذى اجتمعت الصحابة عليه، هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم الوصى. و أصحاب الحديث على ذلك، و هو الصحيح عندنا. فبقى من حضر المجلس متعجبا من هذا القول. و كان العامة الحضور يرفعونه على رءوسهم و كثر الدعاء له، و الطعن على من يرميه بالرفض!!<sup>٤٦٧</sup>. هذا و هو قائد الرافضة و سفير امامهم.

<sup>٤٦٤</sup> (١) البحار ج ٦٣ ص ٧٩.

<sup>٤٦٥</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٤٨.

<sup>٤٦٦</sup> (٣) المصدر و الصفحة.

<sup>٤٦٧</sup> (١) انظر الغيبة ص ٢٣٧.

فقد ظهر أبو القاسم رحمه الله في قوله هذا أشد تطرفا من كلا المتناظرين. فانهما كانا متفقين على تقديم ابي بكر بالافضلية على الجميع كما كانا متفقين على تأخير عثمان عن الجميع .. و اختلفا في افضلية عمر و علي. أما أبو القاسم فقد اظهر ان عليا هو الرابع في الأفضلية و المتأخر عن الجميع .. و لله في خلقه شئون .. إلى حوادث اخرى من هذا القبيل، لعلنا نستعرضها في الفصل الآتى.

و على أى حال، فمن المحرز المتيقن ان هذا الاتجاه الذى كان يسير عليه السفراء، قد استقوا خطوطه العامة من المهدي عليه السلام بحسب ما يرى من المصالح فى ذلك الحين و الظروف التى كانت تعيشها قواعده الشعبية تجاه الدولة و الآخرين. و كان كل سفير منهم يطبقه بمقدار ظروفه و شكل تطور الحوادث فى زمنه.

ص: ٣٨٤

و أما بحسب ما هو المعلوم من درجة ايمانهم و اخلاصهم، تلك الدرجة التى اهلتهم لنيل السفارة الخاصة دون غيرهم من الخاصة، فهم كانوا على استعداد لأكبر التضحيات و أوضحها، لو أخذوا التعاليم بالقيام بشيء منها من المهدي (ع)، أو اقتضتها المصالح الاسلامية العليا كيف و قد سمعنا شهادة أحد الخاصة العظماء فى حق الحسين بن روح رحمه الله، انه لو كان الحجة تحت ذيله و قرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.

و لكن كلما كان الموقف أدق و النشاط المفترق إليه فى قيادة القواعد الشعبية الموسعة، أكبر، و المصالح المتوخاة تطبيقها فيهم أعظم، كانت الحاجة إلى صرف نظر الدولة و من يسير على خطها عن هذا النشاط و تلك المصالح .. أشد و أكثر. و قد استطاع السفراء كما قد استطاع الأئمة (ع) قبلهم، ان ينالوا بمسلك التقية أو السلبية من المصالح العامة فى قيادة قواعدهم الشعبية و هدايتها و المحافظة عليها، أضعاف، ما كان فى الامكان أن ينالوا من الحركات الانتحارية العشوائية و التمردات الصغيرة .. لو كان فيها شيء من الخير!! القسم الرابع: الاتجاه العام للدولة.

و نريد بالدولة .. الجهاز الحاكم .. خليفة و وزراء و قضاة و قواد و محسوبيين .. يعطف على ذلك من يسير فى ركاب الدولة عقيدة و مصلحه بنحو من الانحاء .. من أفراد الشعب المسلم .. الذى يمثل مع الدولة

ص: ٣٨٧

خطا و اتجاها واحدا محفوظا على ترتب الأجيال و تطاول السنين.

و هذا الخط التاريخى الطويل، لا شك انه كان موجودا فى هذه الفترة بأوضح صورته، شأنه فى ذلك شأن الفترة السابقة. حيث أشرنا إلى ان ضعف الخلافة فى السياسة العامة، لا يعنى بحال تخفيف الوطأة على خط الأئمة عليهم السلام، لما قلناه من ان اتجاه الدولة العام ليس بيد الخليفة وحده، بل بيد مجموع الجهاز الحاكم.

الا ان الشيء الذى يظهر من التاريخ الاسلامى العام، و تؤيده بعض القرائن التاريخية، هو أن الخلافة فى هذه الفترة بالذات .. كانت متسامحة إلى حد ما، و غاضة للنظر عن الشعب المسلم الممثل لخط الأئمة عليهم السلام.

فالمعتضد، و هو أقوى خلفاء هذه الفترة، و أكثرهم غلظة و سيطرة و قد تولى الحكم فى أوائل هذه الفترة، بعد تسع سنين من وفاة الامام الحسن العسكرى عليه السلام .. و الجرح لما يندمل و العواطف لما تهدأ فكانت فترة خلافته من اعقد الفترات فى الغيبة الصغرى.

و لكن المعتضد، مع ذلك، لم يكن- كما سمعنا فى الفصل الأول من هذا القسم- شديدا تجاه العلويين، و بالتالى تجاه سائر الخط الذى يمثله الشعب الامامى. فهو الذى رأيناه يعمم كتابا على الناس فى الطعن على بنى أمية، حتى قال له بعض القضاة ما قال .. و يسمح بتقسيم المال الذى ورد من محمد بن زيد العلوى فى بلاد طبرستان، ليوزع على آل ابى طالب سرا .. فانكر المعتضد ذلك، و أمر الرجل باظهار

ص: ٣٨٨

ذلك، و قرب آل ابى طالب.

و قد يدل على هذا الاتجاه، ان المعتضد و من لحقه من الخلفاء فى هذه الفترة و من يحف بهم من القواد، كانوا يحاربون العدو المشترك بينهم و بين خط الأئمة عليهم السلام .. و هو كل من القرامطة الذين سمعنا من عقائدهم عزمهم على قتل كل من يخالف رأيهم فى الامامة، أيا كان مذهبه. و هم- فى حدود تلك الفترة- العامل الاشد وطأ على الدولة و أقسى ضراوة على المجتمع. و الخوارج، و هم أطول مدى و أعمق تاريخا و أرسخ تأثيرا على المدى البعيد، و كانوا يكيّدون الدولة إلى جانب القرامطة، الشيء الكثير.

إلا ان الدولة- بالطبع- لم تكن نشعر بحال، عند منازلتها لهؤلاء الأعداء، انهم العدو المشترك بهذا المعنى، و لا يهمهما أن يكونوا كذلك أو لا يكونوا. بل لعل الاتجاه العام للدولة، من هذه الناحية، مركز حول كونها العدو المشترك للقرامطة و الخوارج من ناحية و لخط الأئمة عليهم السلام من ناحية اخرى، و أقصى ما تدرك الدولة من الفرق بينهما، هو ان القرامطة و الخوارج حاقدون دائما، و مستحلون لقتل المسلمين على طول الخط. فى حين ان لخط الأئمة رؤية و حكمة و تقية .. لا ينافيها قيام الثورات منهم بين آن و آخر فى مختلف البقاع الاسلامية.

على ان الدولة تعرف بوضوح قرب خط الأئمة عليهم السلام إلى قلوب المسلمين، و إلى واقع التشريع الاسلامى. كما يبدو واضحا من تصريح القاضى يوسف بن يعقوب السابق. و قد دلت عليه القرائن

ص: ٣٨٩

التاريخية الكثيرة كما سمعنا فى غضون البحوث السابقة. على حين أن القرامطة و الخوارج، بعيدون عن الضمير الاسلامى و عن قناعة الجماهير المسلمة بفكرتهم و صواب رأيهم.

و لكن الدولة، على أى حال، تدرك بشكل أو بآخر، قيامها بعمل مشترك مع خط الائمة عليهم السلام أحيانا. و ذلك: عند رفضها لعمالة جعفر بن على، كما سق أن سمعنا. و عند قتلها لابن ابى العزاقر على يد الخليفة الراضى عام ٤٦٨٣٢٢، و عند قتلها للحسين بن منصور الحلاج على يد المقتدر عام ٤٦٩٣٠٩. و كلا هذين الاخيرين قد ادعيا السفارة عن المهدي (ع) زورا. و كان لابن ابى العزاقر موقف عدائى كبير، على ما سنسمعه.

هذا هو الخط العام لاتجاه الدولة، كما ترسمه هذه القرائن التاريخية. و لكننا يجب ان لا نتناسى فى هذا الصدد عدة أمور، لا بد أن تدخل فى نظر الاعتبار فقد يتغير الميزان حينئذ.

الأمر الأول: تصريح رواياتنا بان الامر كان حادا جدا فى زمان المعتضد، و السيف يقطر دما- كما يقال- ٤٧٠ و ان سنوات تلك الفترة على وجه العموم (مليئة بالظلم و الجور و سفك الدماء) كما صرح به المستشرق رونلدىسن<sup>٤٧١</sup>.

ص: ٣٩٠

الامر الثانى: جو التكتم المكهرب الذى كان يعيشه الشعب الامامى بشكل عام، و الخاصة منهم بشكل خاص، و السفراء الاربعة بنحو اخص.

اذ كانت السفارة سرا بين الخاص من اهل هذا الشأن، و كان ما يحمل الى ابى جعفر- السفير الثانى- لا يقف من يحمله على خبره و لا حاله و انما يقال: امض الى موضع كذا و كذا فسلم ما معك من غير ان يشعر بشىء. و لا يدفع إليه كتاب الوصول لثلا يتسرب الى الدولة شىء من ذلك<sup>٤٧٢</sup>.

و قد سمعنا مقدار الخلفاء و التكتم الذى كان يلتزمه السفير الاول عثمان بن سعيد، حين كان ينقل المال فى جراب الدهن .. و مقدار التقيه التى كان يسير عليها السفير الثالث ابن روح، فى حياته العامة.

و سيأتى التعرض لتفاصيل هذا المسلك فيما يلى من البحث و الذى نريد التوصل إليه الآن، هو ان هذا المسلك يدل لا محالة على سببه. فان هؤلاء السفراء لو كانوا يشعرون بنسيم من الحرية او غض النظر من الدولة، فى اى يوم من ايامهم لم تصل الحال الى هذا التكتم الشديد و الاخفاء المضاعف العميق. فهذا المسلك بنفسه، يدل بكل وضوح على ما كان يشعر به هؤلاء من الضغط و المطاردة و المراقبة و من العقاب الصارم و النتائج الوخيمة لو ظهر منهم امر او حصلت الدولة تجاههم على مستمسك خطير.

<sup>٤٦٨</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٢٤١.

<sup>٤٦٩</sup> (٢) المصدر ص ١٦٧.

<sup>٤٧٠</sup> (٣) انظر الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٧٩ و البحار ج ١٣ ص ٨٤.

<sup>٤٧١</sup> (٤) عقيدة الشيعة ص ٢٥٧.

<sup>٤٧٢</sup> (١) البحار ج ٨٣ ص ٨٢. و غيره من المصادر.

الأمر الثالث: مظاهر الاضطهاد الواسع للقواعد الشعبية الامامية

ص: ٣٩١

و لعدد من كبرائهم أيضا، يكفينا في ذلك العدد الضخم الذى ضبطه أبو الفرج فى المقاتل<sup>٤٧٣</sup> ممن قضت عليه الدولة من العلويين، وفيهم العظماء و الفقهاء. و نحن و ان ذكرنا قلة وجود الثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد خلال هذه الفترة، إلا ان المصروعين تحت يد الدولة، مما لا يمكن احصاؤه.

الأمر الرابع: المطاردة الجادة للامام المهدي عليه السلام، و محاولة القاء القبض عليه مهما كلفها الأمر. و الدولة و ان اعتبرته فى ظاهر قانونها شخصا غير معترف بوجوده، إلا انها تعرف بوضوح - متمثلة بشخص الخليفة و بعض خاصته - كون المهدي عليه السلام هو الممثل الحقيقى للحق و العدل الاسلامى المطلق، الذى بهز كيانه المنحرف من الصميم.

و من ثم كانت الدولة تجرد بين الحين و الحين، حملة لكبس داره و تفتيشها، و لم تكن تفلح فى أى منها بالوصول إلى غرضها المطلوب.

و قد ورد فى تاريخنا الخاص ثلاث حملات للكبس، نذكرها فى مستقبل البحث إن شاء الله تعالى، مضافا إلى الانتباه المتواصل، و الاصغاء الدائم إلى كل كلمة و كل عمل يشير إليه أو يدل عليه من قريب أو من بعيد.

فإذا كان رأى الدولة و مسلكها تجاه الامام القائد هو ذلك، فكيف رأيتها و مسلكها تجاه قواعده الشعبية؟. و كم ستشعر هذه القواعد بالضغط و المطاردة، بمجرد ان تعرف - و هى دائما ملتفتة عارفة -

ص: ٣٩٢

بمطاردة امامها و غيبة قائدها خوفا و تكتما من السلطات.

فهذه الامور تبرهن بكل وضوح، على الجو المكهرب الذى كان يعيشه الشعب الموالى للامام عليه السلام، بالرغم من الهدوء و التسامح الظاهرى الذى يعكسه التاريخ العام عن الدولة فى تلك الفترة.

و من المستطاع القول، ان الدولة انما لم تنكل بهم، و تذيبهم ظلمة السجن و حر السيف بوضوح .. لأنهم كانوا أبرع منها فى تدبير أمورهم و اخفاء نشاطهم، إلى حد لم تستطع عيون الدولة ان تصل إلى شىء صادر منهم يعد خطرا على الدولة أو يدل من قريب أو بعيد على وجود المهدي (ع).



و الدولة إذ تعدم ذلك، تكون بطبيعة الحال، أهذا بالا، مما إذا عثرت على شىء من ذاك القبيل. و من ثم استطاعت الدولة ان تحافظ على هدونها النسبى الظاهرى خلال فترة الغيبة الصغرى، بفضل جهود السفراء و خواصهم بالاخفاء و التكتم، بحيث لا يظهر منهم ما يشيرها أو ينفرها.

و بعد هذه الجولة الموجزة فى الاتجاهات العامة السائدة فى المجتمع خلال هذه الفترة .. لا بد لنا من الدخول فى تفاصيل تاريخ الغيبة الصغرى. فنتكلم أولا عن الوكلاء الأربعة فى حياتهم الشخصية و وكالتهم و أسلوب نشاطهم، و نحو ذلك من الأمور. ثم نتكلم عن ظاهرة الوكالة المزورة التى أدها عدة أشخاص فى تلك الفترة، مع الالمام إلى اساليبهم

ص: ٣٩٣

و طرق دفعهم و محاربتهم من قبل المهدي عليه السلام من ناحية، و من قبل الدولة من ناحية اخرى. ثم نبدأ بالتكلم عن المهدي عليه السلام بشخصه، لنتعرف على حياته و نشاطه و توجهاته، خلال هذه الفترة.

و هذا ما نعتمده خلال الفصول الآتية.

ص: ٣٩٥

### الفصل الثالث السفراء الأربعة حياتهم و نشاطهم

عرفنا ان السفراء الأربعة، الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الامام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى هم كل من: عثمان بن سعيد العمرى، و ابنه محمد بن عثمان العمرى، و الحسين بن روح النوبختى، و على بن محمد السمرى. و وجودهم يشكل فى الواقع المزية الرئيسية لهذه الفترة، و بانتهائهم انتهى عهد الغيبة الصغرى.

و ضبط السفراء بهذا الشكل من ضروريات المذهب لدى المعتقدين بغيبة الامام المهدي عليه السلام، و من واضحات تاريخهم الخاص، فلا حاجة إلى تجشم العناء فى اثباته.

و انما المهم هو التكلم أولا فى حياتهم الشخصية و ترجمة كل واحد منهم و سرد ما ورد فى شأنهم من نصوص. ثم التكلم ثانيا عن أساليبهم فى التبليغ و طرقهم فى الاتصال بالناس. و من ثم نقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين:

ص: ٣٩٦

### القسم الاول فى تراجم السفراء الأربعة

ان التعرض إلى حياة السفراء الأربعة الخاصة و العامة، سيكون فى حدود ما وصل إلينا من تاريخهم.

السفير الأول:

هو الشيخ الموثوق محمد بن عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو الأسدي. و انما سمي العمري نسبة إلى جده. و قد قال قوم من الشيعة: ان أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: لا يجمع على امرئ بين عثمان، و أبو عمر، و أمر بكسر كنيته فقليل: العمري<sup>٤٧٤</sup> بفتح العين و سكون الميم.

و يقال له العسكري أيضا، لأنه كان من عسكر و هي سامراء و يقال له: السمان لأنه كان يتجر بالسمن تغطية على الأمر. و كان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال

ص: ٣٩٧

انفذوا إلى أبي عمرو، فيجعله في جراب السمن و زقاقه، و يحمله إلى أبي محمد (ع) تقيّة و خوفا<sup>٤٧٥</sup>.

له من الأولاد: محمد و هو السفير الثاني، و احمد<sup>٤٧٦</sup>.

لم يرد في المصادر التاريخية تحديد عام ولادته، و لا عام وفاته. و انما يرد أسمه أول ما يرد كوكيل خاص للامام الهادي عليه السلام<sup>٤٧٧</sup> و كان يستوثقه و يمدحه بمثل قوله: هذا أبو عمر الثقة الأمين. ما قاله لكم فعنى يقوله، و ما أداه إليكم فعنى يؤديه<sup>٤٧٨</sup>.

و هذا النص بنفسه، يدل على سنخ النشاط الذي كان يقوم به ابو عمرو، و هو نقل المال و المقال من الامام الهادي (ع)، و إليه فكان يمثل مع جماعة آخرين دور الوساطة بينه و بين قواعده الشعبية، في الفترة التي عرفنا ان الامام (ع) بدأ بتطبيق مسلك الاحتجاب عن مواليه تعويدا لهم على الغيبة التي سوف يواجهونها في حفيده المهدي (ع).

و حين يلقي الامام الهادي عليه السلام ربه عام ٢٥٤، يصبح ابو عمرو وكيلا خاصا موثوقا للامام العسكري عليه السلام، ذا نشاط ملحوظ و براءة في العمل. فقد سمعنا كيف كان يحمل المال في زقاق السمن، و يسير على المسلك الذي يخطه له الامام في الاخفاء و التكنم. و يظهر امام الناس كتاجر اعتيادي بالسمن، تغطية على حاله و مسلكه و عقيدته.

ص: ٣٩٨

و كان الامام العسكري عليه السلام يكثر من مدحه و الثناء عليه في مناسبات مختلفة، و امام اناس كثيرين.

<sup>٤٧٤</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٤.

<sup>٤٧٥</sup> (١) المصدر السابق ص ٢١٤.

<sup>٤٧٦</sup> (٢) نفس المصدر ص ٢٥٦.

<sup>٤٧٧</sup> (٣) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ٢١٥ و رجاله ص.

<sup>٤٧٨</sup> (٤) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢١٥.

فمن ذلك انه (ع) قال: هذا ابو عمرو الثقة الامين. ثقة الماضى و ثقتى فى المحيا و الممات. فما قاله لكم فعنى يقوله، و ما ادى إليكم فعنى يؤدى<sup>٤٧٩</sup>. و قال امام وفد من اليمن: امض يا عثمان، فانك الوكيل و الثقة المأمون على مال الله ..<sup>٤٨٠</sup>.

حتى اشتهر حاله و جلالة شأنه بين الشعب الموالى. قال ابو العباس الحميرى: فكنا كثيرا ما نتذاكر هذا القول، و يعنى مدح الامام العسكرى له، و نتواصف جلالة محل ابى عمرو<sup>٤٨١</sup> و قال وفد اليمن حين سمع من الامام مدحه: يا سيدنا ان عثمان لمن خيار شيعتك، و لقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك و انه وكيلك و ثقتك على مال الله تعالى<sup>٤٨٢</sup>. فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالته<sup>٤٨٣</sup> و تتسالم على وثاقته و جلالة قدره.

و حين يولد للامام العسكرى عليه السلام ولده المهدي يبعث الى ابى عمرو يأمره بان يشتري عشرة آلاف رطل خبز و عشرة آلاف رطل لحم و يفرقه على بنى هاشم، و ان يعق بكذا و كذا شاة<sup>٤٨٤</sup>.

ص: ٣٩٩

و ينص الامام العسكرى (ع) فى مجلس حافل بالخاصة، يعدون باربعين رجلا، عرض فيه ولده المهدي عليه السلام و نص فيه على امامته و غيبته .. ينص على وكالة عثمان بن سعيد عن المهدي (ع) و سفارته له قائلا: فاقبلوا من عثمان ما يقوله، و انتهوا الى امره، او اقبلوا قوله فهو خليفة امامكم و الامر إليه<sup>٤٨٥</sup>.

و حين يلقي الامام العسكرى عليه السلام ربه، عام ٢٦٠، يحضر ابو عمرو عثمان بن سعيد تغسيله، و يتولى جميع امره فى تكفينه و تحنيطه و اقباره<sup>٤٨٦</sup>. و برر الشيخ الطوسى ذلك بانه كان «مأمورا بذلك للظاهر من الحال التى لا يمكن جحدها و لا دفعها الا بدفع حقائق الاشياء فى ظواهرها»<sup>٤٨٧</sup>. يشير الى اختفاء المهدي عليه السلام، و عدم تمكنه من القيام بتغسيل والده و القيام بامره. و لكننا- على اى حال- سبق ان سمعنا كيف ان الامام المهدي عليه السلام، اقام الصلاة على ابيه بنفسه، و دفع عن ذلك عمه جعفر امام جماعة من الناس، منهم عثمان بن سعيد السمان نفسه. و من ثم يمكن القول: بانه يمكن للامام المهدي عليه السلام، ان يغسل اياه فى داره سرا، قبل ان ينقل جثمانه امام الجمهور. و ظاهر عبارة الشيخ قيامه عليه السلام بالتغسيل بحضور ابى عمرو. ثم قيام ابى عمرو بنفسه بباقي شئونه من تكفين و تحنيط و اقبال. و الله العالم بحقائق الامور.

<sup>٤٧٩</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢١٥.

<sup>٤٨٠</sup> (٢) نفس المصدر ص ٢١٦.

<sup>٤٨١</sup> (٣) نفس المصدر ص ٢١٥.

<sup>٤٨٢</sup> (٤) المصدر نفسه ص ٢١٦.

<sup>٤٨٣</sup> (٥) المصدر و الصفحة.

<sup>٤٨٤</sup> (٦) الاكمال المخطوط.

<sup>٤٨٥</sup> (١) غيبة الشيخ ص ٢١٧.

<sup>٤٨٦</sup> (٢) المصدر ٢١٦.

<sup>٤٨٧</sup> (٣) المصدر و الصفحة.

و على اى حال، فهو يصبح من ذلك الحين السفير الاول للمهدى عليه السلام، بنص الامام العسكرى عليه السلام، كما سمعنا، و نص الامام المهدي عليه السلام امام وفد القميين، كما سبق فى القسم الاول من هذا الكتاب .. فيضطلع بالمهمة العظمى فى ربط الامام بقواعده الشعبية و تبليغ توجيهاته و تعاليمه و انحاء تدبيره و ادارته إليهم. و ايصال اسئلتهم و مشاكلهم و اموالهم إليه و تنفيذ اوامر الامام و توجيهاته فيهم.

و يبقى ابو عمرو مضطلعا بمهام السفارة، و قائما بها خير قيام، الى ان يوافيه الاجل. فيقوم ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان بتغسيله و تجهيزه<sup>٤٨٨</sup>. و يدفن - كما قال ابو نصر هبة الله بن محمد- فى الجانب الغربى من بغداد، فى شارع الميدان فى اول الموضع المعروف بدرج جبله فى مسجد الدرب، يمناة الداخل إليه، و القبر فى نفس قبلة المسجد.

قال الشيخ الطوسى: رأيت قبره فى الموضع الذى ذكره، و كان بنى فى وجهه حائط، به محراب المسجد، و الى جنبه باب يدخل الى موضع القبر فى بيت ضيق مظلم. فكنا ندخل إليه و نزور مشاهرة.

قال: و كذلك من وقت دخولى الى بغداد و هى سنة ثمان و اربعمائة الى سنة نيف و ثلاثين و اربعمائة.

ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج، و ابرز القبر إلى برأ- أى إلى الخارج- و عمل عليه صندوقا، و هو تحت سقف يدخل إليه من اراده و يزوره.

قال الشيخ: و يتبرك جيران المحلة بزيارته، و يقولون: هو رجل صالح، و ربما قالوا: هو ابن داية الحسين (ع). و لا يعرفون حقيقة الحال فيه. و هو إلى يومنا هذا- و ذلك سنة سبع و اربعين و اربعمائة- على ما هو عليه<sup>٤٨٩</sup>.

أقول: و قبره الآن مشيد معروف ببغداد، يزار و يتبرك به.

و نستطيع ان نعرف من جهالة الناس لحقيقة قبره فى زمان الشيخ الطوسى «قده» مقدار الغموض و الكتمان الذى كان يحيط السفارة المهدوية، فى حياة السفير و بعد مماته، بل بعد ما يزيد على مائتى سنة على دفنه.

و لم يفت أبو عمرو قبل وفاته، أن يبلغ أصحابه و قواعده الشعبية، ما هو مأمور به من قبل المهدي عليه السلام، من ايكال السفارة بعده إلى ابنه محمد بن عثمان، و جعل الأمر كله مردودا إليه<sup>٤٩٠</sup> و يكون لوفاته رنة اسى فى قلوب عار فى فضله و مقدرى منزلته

<sup>٤٨٨</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٢١.

<sup>٤٨٩</sup> (١) المصدر ص ٢١٨.

<sup>٤٩٠</sup> (٢) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢١.

و خاصة الامام المهدي (ع) نفسه، فنراه يكتب إلى ابنه السفير الثاني يعزيه بابيه قائلاً: انا لله و انا إليه راجعون. تسليماً لأمره و رضاً بقضائه. عاش أبوك سعيداً و مات حميداً، فرحمه الله و الحقه بأوليائه و مواليه عليهم السلام. فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز و جل و إليهم. نضر الله وجهه و أقال عشرته.

ص: ٤٠٢

و في فصل آخر من كتابه إليه يقول عليه السلام: اجزل الله لك الثواب و أحسن لك العزاء، رزيت و رزينا و أوحشك فراقه و أوحشنا فسرّه الله في منقلبه. كان من كمال سعادته ان رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، و يقوم مقامه بامرّه، و يترحم عليه. و أقول:

الحمد لله. فإن النفس طيبة بمكانك و ما جعله الله تعالى فيك و عندك.

اعانك الله و قواك و عضدك و وقفك، و كان لك ولياً و حافظاً و راعياً و كافياً<sup>٤٩١</sup>.

و في هذين النصين، من المعاني الاسلامية السامية، في أسلوب الترحم على المؤمن و الدعاء له و الثناء عليه، ما فيه بصيرة لمن التقى السمع و هو شهيد.

#### السفير الثاني:

هو الشيخ الجليل محمد بن عثمان بن سعيد العمري، تولى السفارة بعد ابيه، بنص من الامام العسكري عليه السلام، حيث قال عليه السلام لوفد اليمن الذي أشرنا إليه: و اشهدوا علىّ ان عثمان بن سعيد و كيلى، و ان ابنه محمد و كيل ابنى مهديكم<sup>٤٩٢</sup>. و بنص ابيه على سفارته بأمر من المهدي (ع)<sup>٤٩٣</sup>.

و كانت قواعده الشعبية مجتمعة على عدالته و ثقته و امانته، لا يختلف في ذلك اثنان من الامامية. و كيف لا و فيه و في ابيه، قال الامام

ص: ٤٠٣

الحسن العسكري عليه السلام، لبعض أصحابه: العمري و ابنه تقنان فما اديا فعنى يؤديان، و ما قالاً لك فعنى يقولان، فاسمع لهما و اطعهما فانهما الثقتان المأمونان<sup>٤٩٤</sup>.

<sup>٤٩١</sup> (١) المصدر ص ٢٢٠ و ما بعدها.

<sup>٤٩٢</sup> (٢) المصدر ص ٢١٦.

<sup>٤٩٣</sup> (٣) المصدر ص ٢١٨ و ص ٢٢١.

<sup>٤٩٤</sup> (١) الغيبة ص ٢١٩.

و كلمات الامام المهدي عليه السلام فيه، متظافرة و متواترة، فقد سمعناه يعزیه بوفاة ابيه و يثنى عليه الثناء العاطر، و يشجعه و هو فى أول أيام اضطلاعه بمهمته الكبرى. و قال فى حقه: لم يزل نقتنا فى حياة الأب- رضى الله عنه و أرضاه و انضر وجهه- يجرى عندنا مجراه و يسد مسده، و عن أمرنا يأمر الابن و به يعمل<sup>٤٩٥</sup>. و غير ذلك من عظيم الاجلال و الأکبار<sup>٤٩٦</sup>.

و التوقيعات كانت تخرج على يده من الامام المهدي (ع) فى المهمات، طول حياته، بالخط الذى كانت تخرج فى حياة ابيه عثمان. لا يعرف الشيعة فى هذا الأمر غيره و لا يرجع إلى أحد سواه. و قد نقلت عنه دلائل كثيرة، و معجزات الامام ظهرت على يده، و أمور أخبرهم بها عنه زادتهم فى هذا الأمر بصيرة<sup>٤٩٧</sup>.

و بقى مضطعا بمسئولية السفارة نحو من خمسين سنة<sup>٤٩٨</sup>. حتى لقي ربه العظيم فى جمادى الأولى سنة خمس و ثلاثمائة<sup>٤٩٩</sup> أو أربع

ص: ٤٠٤

و ثلاثمائة<sup>٥٠٠</sup>. و معنى ذلك انه توفى بعد وفاة الامام العسكرى عليه السلام بخمس و اربعين سنة، و حيث ان والده رضى الله عنه، قد اضطلع بالسفارة عدة أعوام فالأولى أن يقال: ان سفارته امتدت حوالى الاربعين عاما، لا نحو من الخمسين، كما قال الشيخ فى الغيبة.

و إذ يكون تاريخ وفاة ابيه مجهولا، مع الأسف، يكون مبدأ توليه للسفارة مجهولا أيضا، غير اننا نعرف انه كان سفيرا قبل عام ٢٤٧ لأن ابن هلال الكرخى طعن فى سفارته، و كان أحد المنحرفين عن خطه على ما سنسمع فى الفصل الآتى، و كانت وفاة ابن هلال عام ٥٠١٢٤٧ أى بعد وفاة الامام العسكرى بسبع سنين، و بذلك يمكن القول على وجه التقريب: ان الشيخ عثمان بن سعيد تولى السفارة خمس سنوات و تولاهها ابنه أربعين سنة.

و بهذا التحديد لمدة سفارته، نستطيع أن نعرف، انه رضى الله عنه، أطول السفراء بقاء فى السفارة، و من ثم يكون أكثرهم توفيقا فى تلقى التعاليم من الامام المهدي (ع)، و أوسعهم تأثيرا فى الوسط الذى عاش فيه، و الذى كان مأمورا بقيادته و تدبير شؤنه.

<sup>٤٩٥</sup> (٢) المصدر ص ٢٢٠.

<sup>٤٩٦</sup> (٣) نفس المصدر و الصفحة.

<sup>٤٩٧</sup> (٤) نفس المصدر ص ٢٢١.

<sup>٤٩٨</sup> (٥) نفس المصدر ص ٢٢٣.

<sup>٤٩٩</sup> (٦) انظر الغيبة ص ٢٢٣ و الكامل ج ٦ ص ١٥٩ و ابن الوردي ج ١ ص ٢٥٥.

<sup>٥٠٠</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢٣ و اعلام الورى ص ٤١٦.

<sup>٥٠١</sup> (٢) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٥ و رجال النجاشى ص ٦٥.

وكان لابي جعفر العمري، كتب مصنفه في الفقه، مما سمعه من ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام، و من الصاحب «المهدي» (ع) و من ابيه عثمان بن سعيد عن ابي محمد و عن ابيه علي بن محمد «الامام

ص: ٤٠٥

الهادي» عليهما السلام. فيها كتب ترجمتها: كتب الاشرية.

ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت ابي جعفر انها وصلت إلى ابي القاسم الحسين بن روح - رضی اللہ عنہ - عند الوصية إليه، و كانت في يده قال أبو نصر: و اظنها قالت: وصلت بعد ذلك إلى ابي الحسن السمرى - رضی اللہ عنہ و ارضاه<sup>٥٠٢</sup>.

كان يعلم - بارشاد من الامام المهدي عليه السلام - بزمان موته، اذ حفر لنفسه قبرا و سواه بالساج. يقول الراوى: فسألته عن ذلك، فقال:

للناس اسباب. و سألته عن ذلك، فقال: قد امرت ان اجمع امرى فمات بعد ذلك بشهرين.

و كان قد اعد لنفسه ساجة نقش النقاش آيات من القرآن الكريم و اسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها. قال الراوى: فقلت له:

يا سيدى ما هذه الساجة؟ فقال لى: هذه لقبرى تكون فيه أوضع عليها «أو قال: اسند عليها». و قد عرفت عنه. و انا فى كل يوم انزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه و أصعد. و أظنه قال: فأخذ بيدي و أرانيه.

فإذا كان يوم كذا و كذا من شهر كذا و كذا من سنة كذا و كذا صرت إلى اللہ عز و جل، و دفنت فيه و هذه الساجة معى. قال الراوى:

فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره، و لم أزل مترقبا به ذلك، فما تأخير الأمر، حتى اعتل أبو جعفر، فمات فى اليوم الذى ذكره من الشهر الذى قاله من السنة التى ذكرها<sup>٥٠٣</sup>.

ص: ٤٠٦

و لم يفت أبو جعفر العمري رضی اللہ عنہ، ان يوصى إلى خلفه السفير الثالث: الحسين بن روح، بامر من الحجة المهدي (ع). و سنعرف تفاصيل ذلك فيما يلى.

<sup>٥٠٢</sup> (١) الغيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢١.

<sup>٥٠٣</sup> (٢) الغيبة ص ٢٢٢، انظر كل هذه التفاصيل.

و عند ما توفي أبو جعفر العمري، دفن عند والدته، في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره و منازلها فيه. قال الراوي:  
و هو الآن في وسط الصحراء. أقول: و قبره الآن مشيد معروف «بالخلائي» يزار للذكرى و التبرك. قدس الله روحه.

### السفير الثالث:

هو الشيخ الجليل ابو القاسم الحسين بن روح ابن ابي بحر النوبختي.

من بنى نوبخت.

و هو كغيره من السفراء و غيرهم، لم تذكر عام ولادته، و لا تاريخ مبدأ حياته. و انما يلمع نجمه اول لمعانه كوكيل مفضل لابي جعفر محمد بن عثمان العمري، ينظر في املاكه، و يلقي باسراة لرؤساء الشيعة و كان خصيصا به، حتى انه كان يحدثه بما يجري بينه و بين جواريه لقربه منه و انسه. فحصل في انفس الشيعة محصلا جليلا لمعرفتهم باختصاصه بابي جعفر و توثيقه عندهم؛ و نشر فضله و دينه، و ما كان يحتمله من هذا الامر «يعنى الدعوة الامامية المهديية». فمهدت له الحال في طول حياة ابي جعفر، الى ان انتهت الوصية إليه بالنص عليه. فلم يختلف في امره و لم يشك فيه احد<sup>٥٠٤</sup>.

ص: ٤٠٧

و قد قدم بعض الموالين بمال على ابي جعفر العمري مقداره أربعمائة دينار للامام عليه السلام. فامر به باعطاءها الى الحسين بن روح. و حين تردد هذا الشخص في ذلك، باعتبار عدم وصول السفارة إليه يومئذ.

فاكد ابو جعفر عليه ذلك و امره مكررا باعطاء المال لابن روح، و ذكر له أن ذلك بامر الامام المهدي عليه السلام<sup>٥٠٥</sup>.

و كان تحويله على ابي القاسم ابن روح قبل موته بسنتين او ثلاث<sup>٥٠٦</sup> حتى ما اذا اشتدت بابي جعفر العمري حاله، اجتمع لديه جماعة من وجوه الشيعة، منهم: ابو على بن همام و ابو عبد الله بن محمد الكاتب و ابو عبد الله الياقظاني و ابو سهل اسماعيل بن على النوبختي، و ابو عبد الله بن الوجناء، و غيرهم من الوجوه و الاكابر. فقالوا له: ان حدث امر، فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا ابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي، القائم مقامى، و السفير بينكم و بين صاحب الامر عليه السلام، و الوكيل و الثقة الامين، فارجعوا إليه في اموركم و عولوا عليه في مهماتكم، فبذلك امرت. و قد بلغت<sup>٥٠٧</sup>.

<sup>٥٠٤</sup> (١) غيبة للشيخ الطوسي ص ٢٢٧.

<sup>٥٠٥</sup> (١) انظر المصدر السابق ص ٢٢٤.

<sup>٥٠٦</sup> (٢) نفس المصدر ص ٢٢٥.

<sup>٥٠٧</sup> (٣) نفس المصدر ص ٢٢٧.



و يروى عن ابي جعفر بن احمد بن متيل، و هو من متقدمى اصحابه و اجلائهم، انه قال: لما حضرت ابا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة، كنت جالسا عند رأسه أسأله و أحدثه، و أبو القاسم ابن روح عند رجليه. فالتفت الى ثم قال: امرت ان اوصى الى ابي القاسم

ص: ٤٠٨

الحسين بن روح. قال ابن متيل: فقامت من عند رأسه و اخذت بيد ابي القاسم و اجلسته فى مكانى، و تحولت الى عند رجليه<sup>٥٠٨</sup>. الى غير ذلك من تأكيدات ابي جعفر عليه، و اعلان و كالتة. و السبب المهم فى هذا التأكيد، هو كون الحسين بن روح، لم يكن قد عاش تاريخا زاهرا حافلا باطراء و توثيق الأئمة عليهم السلام، كالتاريخ الذى عاشه السفيران السابقان، حتى قبل توليها للسفارة. و من ثم احتاج ابو جعفر العمري، من اجل ترسيخ فكرة نقل السفارة الى الحسين بن روح، و توثيقه فى نظر قواعده الشعبية الموالية لخط الأئمة عليهم السلام ان يكرر الاعراب عن مهمته فى ايكال الأمر إليه، و ان يأمر بدفع اموال الامام (ع) إليه قبل وفاته بعامين او أعوام .. بأمر من الامام المهدي عليه السلام.

على ان أبا القاسم ابن روح، على جلالة قدره و قربه من السفير الثانى و اختصاصه به، لم يكن خيرا أصحابه، و لم يكن الاخص تماما به، فقد كان لابي جعفر من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة انفس و أبو القاسم ابن روح - رضى الله عنه - فيهم. و كلهم كانوا اخص به من ابن روح، حتى انه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب فانه ينجزه على يد غيره، لما لم تكن له تلك الخصوصية. فلما كان وقت مضى أبو جعفر - رضى الله عنه - وقع الاختيار عليه، و كانت الوصية إليه<sup>٥٠٩</sup>.

ص: ٤٠٩

فكان فى ايكال السفارة إليه، مصلحتان مزدوجتان، أولاهما:

وصول هذا المنصب إلى الشخص المخلص اخلاصا بحيث لو كان المهدي تحت ذيله و قرض بالمقاريض، لما كشف الذيل عنه. كما سمعنا فى حقه و قد سبق أن قلنا: أن مهمة السفارة انما تستدعى هذه الدرجة من الاخلاص لاهميتها و خطر شأنها، و لا تستدعى العمق الكبير فى الثقافة الاسلامية، أو سبق التاريخ مع الأئمة عليهم السلام، فانها انما تعنى بشكل مباشر نقل الرسائل من المهدي عليه السلام و إليه، و تطبيق تعاليمه .. و هذا يكفى فيه ما كان عليه أبو القاسم بن روح، من الاخلاص و الثقافة الاسلامية، و يزيد.

المصلحة الثانية: غلق الشبهة التى تصدر من المرجفين، من انه انما أو كل الامر إلى ابن روح، باعتبار كونه اخص أصحاب ابي جعفر العمري، و الصقهم به .. فانه لم يكن باخصهم و لا بألصقهم، و ان كان من بعض اخصائه فى الجملة.

٥٠٨ (١) انظر الغيبة ص ٢٢٦.

٥٠٩ (٢) المصدر ص ٢٢٥.

بل كانت الأذهان بعيدة عنه و كان احتمال الايكال إليه ضعيفا عند الواعين المستبصرين بشئون المجتمع من أصحابه، حتى احتاج أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الايكال إليه و ايضاحها، إلى تكرار الاعلان عن ذلك، و تقديمه على ساعة موته بسنوات. و انما كانت الظنون تحوم حول أشخاص آخرين، أرسخ من ابي القاسم ثقافة و تاريخا كجعفر بن أحمد بن متيل و أبيه، باعتبار خصوصيته و كثرة كينونته في منزله، حتى بلغ انه كان في آخر عمره لا يأكل طعاما إلا ما طبخ في

ص: ٤١٠

منزل جعفر بن أحمد بن متيل و ابيه. و بالرغم من ذلك فقد أوكلت السفارة إلى الحسين بن روح. فسلم به الأصحاب، و كانوا معه و بين يديه، كما كانوا مع ابي جعفر- رضى الله عنه-<sup>٥١٠</sup>. و لم يزل جعفر بن أحمد بن متيل من جملة أصحاب ابي القاسم ابن روح و بين يديه كتصرفه بين ابي جعفر العمري .. إلى ان مات رضى الله عنه فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على ابي جعفر، و طعن على الحجة صلوات الله عليه<sup>٥١١</sup>.

و على اى حال، فقد تولى الحسين بن روح السفارة فعلا، عن الامام المهدي عليه السلام .. بموت ابي جعفر العمري عام ٣٠٥ كما عرفنا الى ان لحق بالرفيق الاعلى في شعبان عام ست و عشرين و ثلاثمائة.

فتكون مدة سفارته حوالى الواحدة و العشرين سنة. فان استطعنا ان نضيف العامين او الثلاث، التى امر فيها ابو جعفر العمري قبل موته بتسليم الاموال إليه، و نص عليه بالوكالة، و تصورنا ان السفارة حينئذ كانت مسندة الى شخصين دفعة واحدة .. فتكون مدة سفارته ثلاث و عشرون عاما، او اكثر.

و كان اول كتاب تلقاه من الامام المهدي عليه السلام، كتاب يشتمل على الثناء عليه، و مشاركة الحملة التى بدأها ابو جعفر العمري فى تعريف الحسين بن روح للرأى العام و الاصحاب، ممن مشى على خط الائمة

ص: ٤١١

عليهم السلام. و قد مثل هذا الكتاب آخر واهم خطوة فى هذا الطريق لكى يبدأ هذا السفير بعدها مهمته بسهولة و يسر. و قد دعا له المهدي (ع) فى الكتاب، و قال: عرفه الله الخير كله و رضوانه، و اسعده بالتوفيق وقفنا على كتابه، و تقننا بما هو عليه. و انه عندنا بالمنزلة و المحل اللذين يسر انه زاد الله فى احسانه إليه. انه ولى قدير. و الحمد لله لا شريك له و صلى الله على رسوله محمد و آله و سلم تسليما كثيرا.

و قد وردت هذه الرقعة يوم الاحد لست خلون من شوال سنة ٣٠٥. بعد حوالى الخمسة اشهر من وفاة ابي جعفر العمري، الذى توفى فى جمادى الاول من نفس العام.

<sup>٥١٠</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٢٥.

<sup>٥١١</sup> (٢) المصدر و الصفحة.

و قد اضطلع ابو القاسم منذ ذلك الحين بمهام السفارة، و قام بها خير قيام، و كان من مسلكه الالتزام بالتقوية المضاعفة، بنحو ملفت للنظر، باظهار الاعتقاد بمذهب اهل السنة من المسلمين. يحفظ بذلك مصالح كبيرة، و يجلب بها قلوب الكثيرين، على ما يأتى التعرض له فيما يلى من البحث. حتى اننا نسمع انه يدخل عليه عشرة اشخاص تسعة يلعنونه و واحد يشكك، فيخرجون منه تسعة منهم يتقربون الى الله بمحبته و واحد واقف. يقول الراوى: لانه كان يجارينا من فضل الصحابة ما روينا و ما لم نروه، فنكتبه نحن عنه - رضى الله عنه -<sup>٥١٢</sup>. و هذا ان دل على شىء فإنما يدل على لياقته وسعة اطلاعه و توجيهه على هذا المسلك من قبل الامام المهدي عليه السلام<sup>٥١٣</sup>. و قد تولى

ص: ٤١٢

- رضى الله عنه - ايام سفارته الحملة الرئيسية ضد ظاهرة الانحراف عن الخط، و ادعاء السفارة زورا، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات المهدي عليه السلام فى ذلك، و شجبه ظاهرة الانحراف عن الخط و ادعاء السفارة زورا، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات المهدي عليه السلام فى ذلك و شجبه لظاهرة الانحراف. كما سيأتى التعرض له فى الفصل الآتى.

و بقى مضطعا بمهامه العظمى، حتى لحق بالرفيق الاعلى عام ٣٢٦ كما عرفنا، و دفن فى النوبختية فى الدار الذى كانت فيه دار على بن أحمد النوبختى النافذ الى التل، او الى درب الآخر و الى قنطرة الشوك - رضى الله عنه -<sup>٥١٤</sup>. اقول: كذا قال التاريخ. و قبره اليوم فى بغداد معروف .. مقصد و مزار.

#### السفير الرابع:

هو الشيخ الجليل ابو الحسن على بن محمد السمرى او السيمرى او الصيمرى. و المشهور جدا هو الاول مضبوطا بفتح السين و الميم معا. و الآخرين مضبوطين بفتح اولهما و سكون الياء و فتح الميم و ربما قيل بالضم أيضا.

لم يذكر عام ميلاده، و لا تاريخ فجر حياته، و انما ذكر اولا كواحد من اصحاب الامام العسكرى عليه السلام<sup>٥١٥</sup>. ثم ذكر قائما بمهام

ص: ٤١٣

السفارة المهدوية ببغداد، بعد الشيخ ابن روح، بايعاز منه عن الامام المهدي عليه السلام<sup>٥١٦</sup>.

<sup>٥١٢</sup> (١) المصدر ص ٢٢٨.

<sup>٥١٣</sup> (٢) الغيبة ص ٢٣٨.

<sup>٥١٤</sup> (١) الغيبة ص ٢٣٨.

<sup>٥١٥</sup> (٢) رجال الشيخ الطوسى ص ٤٣٢. بعنوان الصيمرى. و انظر كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠٧.

<sup>٥١٦</sup> (١) اعلام الورى ص ٤١٧.

و لم يرد في هذا الايعاز خبر معين، و انما يعرف بالتسالم و الاتفاق الذى وجد على سفارة السمرى بين المواليين، الناشئ لا محالة من تبليغ ابن روح عن الامام المهدي (ع). و قد سبق ان قلنا ان مثل هذا التسالم و الاتفاق، كانت القواعد الشعبية الموالية للامام (ع) تعتمد و تتبعه فيتبع في ذلك الجاهل العالم و البادى الحاضر. و وجود هذا التسالم مأخوذ في التاريخ جيلا بعد جيل عن جيل الغيبة الصغرى، مما يعلم بوجوده و يحرز تحققه بالقطع و اليقين.

تولى السفارة من حين وفاة ابو القاسم بن روح عام ٣٢٦، الى ان لحق بالرفيق الاعلى عام ٣٢٩ فى النصف من شعبان ٥١٧ فتكون مدة سفارته عن الامام المهدي عليه السلام ثلاثة اعوام كاملة، غير ايام.

و لم يفتح للسمرى، خلال هذا الزمان القصير، بالنسبة الى اسلافه القيام بفعاليات موسعة، كالتى قاموا بها، و لم يستطع ان يكتسب ذلك العمق و الرسوخ فى القواعد الشعبية كالذى اكتسبوه. و ان كان الاعتقاد بجلالته و وثاقته كالاعتقاد بهم.

فما ذكره بعض المستشرقين، من انه - أى السمرى - ربما أدركته

ص: ٤١٤

الخبية، فشعر بتفاهة منصبه و عدم حقيقته كوكيل معتمد للامام المفترض ٥١٨ .. ناشئ من عقيدة ذلك المستشرق فى انكار الاسلام و انكار وجود المهدي عليه السلام. و الا فأى تفاهة فى مثل هذا المنصب الخطير الذى عرفنا خطوطه و اهميته. و هو يمثل القيادة العامة للملايين، بالنيابة عن إمامهم، فى ظروف معاكسة خطيرة، و دولة مراقبة و مطاردة لهذا الخط و للسائرين عليه.

كما ان الشعور بعدم حقيقة الوكالة، أمر لا معنى له على الاطلاق بالنسبة إلى موقفه المباشر من الامام المهدي عليه السلام، و تلقى التعليمات و التوقيعات منه، و استيثاق قواعده الشعبية و علماء الطائفة يومئذ به، و ركونهم إليه. و انما كلام هذا المستشرق ناشئ من عقائده الخاصة و لله فى خلقه شئون.

نعم، لا يبعد أن يكون لما ذكره ذلك المستشرق من كون تلك السنوات «مليئة بالظلم و الجور و سفك الدماء» ٥١٩ دخل كبير فى كفكفة نشاط هذا السفير، و قلة فعالياته. فان النشاط الاجتماعى يقترب وجوده دائما، بالجو المناسب و الفرصة المواتية. فمع صعوبة الزمان و كثرة الحوادث و تشتت الأذهان، لا يبقى هناك مجال مهم لمثل عمله المبني على الحذر و الكتمان.

و هذا بنفسه، من الأسباب الرئيسية لانقطاع الوكالة بوفاة السمرى

ص: ٤١٥

٥١٧ (٢) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٢. و فى اعلام الورى انه توفى عام ٢٢٨. ص ٤١٧. و المعتمد ما ذكره الشيخ الطوسى. قده.

٥١٨ (١) عقيدة الشيعة لرونلدسن. ص ٢٥٧.

٥١٩ (٢) المصدر و الصفحة.

و عزم الامام المهدي عليه السلام على الانتطاق عن الناس، كما انقطع الناس عنه، و فرقتهم الحوادث عن متابعة وكلائه .. إلى أسباب اخرى نشير إليها في فصل آت من هذا التاريخ.

ولذا نجد السمرى رضى الله عنه، يخرج إلى الناس قبل وفاته بايام، توقيعا من الامام المهدي عليه السلام، يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى و عهد السفارة بموت السمرى، و يمنع عن أن يوصى بعد موته إلى أحد ليكون سفيرا بعده.

و يقول عليه السلام فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

يا على بن محمد السمرى! أعظم الله أجر أخوانك فيك. فانك ميت ما بينك و بين ستة أيام، فاجمع أمرك و لا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره، و ذلك بعد طول الأمد و قسوة القلوب، و امتلاء الأرض جورا.

و سيأتى لشيعتى من يدعى المشاهدة، إلا فمن أدعى المشاهدة قبل خروج السفينانى و الصيحة، فهو كذاب مفتر. و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم.».

فكان هذا آخر خطاب خرج من الامام المهدي عليه السلام، عن طريق السفارة الخاصة، و آخر ارتباط مباشر بينه و بين الناس فى الغيبة الصغرى.

ص: ٤١٤

قال الراوى: فنسخنا هذا التوقيع و خرجنا من عنده. فلما كان اليوم السادس عدنا إليه و هو يوجد بنفسه. فقيل له: من وصيك من بعدك؛ فقال: «لله أمر هو بالغه» و قضى. فهذا آخر كلام سمع منه، رضى الله عنه و ارضاه<sup>٥٢٠</sup>.

و أودع الأرض فى قبره الذى هو فى الشارع المعروف بشارع الخلنجى من ربع المحول، قريب من شاطئ نهر ابى عقاب<sup>٥٢١</sup>.

أقول: و له الآن فى بغداد مزار معروف.

تلخيص و تطبيق:

<sup>٥٢٠</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٣.

<sup>٥٢١</sup> (٢) المصدر و الصفحة.

ظهر مما سبق أن فترة الغيبة الصغرى دامت على التحديد تسعا و ستين عاما و ستة أشهر و خمسة عشر يوما. شغل منها السفير الأول:

عثمان بن سعيد، حوالى الخمس سنوات. أى انه لم يتعد فترة خلافة المعتمد. فكما عاصر هذا الخليفة وفاة الامام العسكرى (ع) عاصر أيضا وفاة السفير الأول رضى الله عنه.

و شغل السفير الثانى: محمد بن عثمان حوالى الاربعين عاما منها عاصر فيها بقية خلافة المعتمد، ثم خلافة المعتضد، ثم خلافة المكتفى ثم عشر سنوات من خلافة المقتدر. حين توفى عام ٣٠٥ من الهجرة.

و شغل السفير الثالث: الحسين بن روح، بعد وفاة سلفه، أحد و عشرين عاما. عاصر فيها بقية خلافة المقتدر، و قسما من خلافة الراضى

ص: ٤١٧

حيث خلفه السفير الرابع على بن محمد السمرى، حيث بقى فى السفارة ثلاث سنين، و توفى عام وفاة الراضى نفسه، و ان عاصر خلفه المتقى مدة خمسة أشهر و خمسة أيام.

فما ينقل عن بعضهم من ان مدة الغيبة الصغرى أربعا و سبعين سنة<sup>٥٢٢</sup>. مبنى على التسامح فى الحساب. أو على ادعاء ان الغيبة الصغرى تبدأ من حين ميلاد الامام المهدي (ع) نفسه عام ٢٥٥. أى قبل خمس سنوات من عام وفاة الامام العسكرى (ع). فاذا اضفناها إلى التسع و ستين سنة، كان المجموع ٧٤ عاما.

إلا ان هذه الدعوى، مبنية على التسامح فى الاعتبار أيضا. فان الامام المهدي (ع) و ان كان غائبا فى حياة ابيه عليهما السلام، كما سبق ان عرفنا، إلا ان هذه الغيبة لا تعد من الغيبة الصغرى البتة. لأن المهدي (ع) كان طوال مدتها معاصرا لأبيه عليه السلام، و الامام فى زمان ابيه غير متحمل للمسؤولية، و لا تربع على منصب الامامة، و انما يتولاها- على أى حال- بعد أبيه لا محالة، اذن فالامام المهدي عليه السلام، انما تولى الامامة بعد وفاة ابيه عليهما السلام.

و نحن انما نتحدث عن غيبته عن قواعده الشعبية بصفته اماما مفترض الطاعة عليهم، حيث يكون المفروض- لو لا الغيبة- ان يكون مرتبطا بهم و قائدا لهم و موجها لمجتمعهم، و هذا مما لم يتحمل

ص: ٤١٨

المهدي (ع) مسؤوليته فى حياة ابيه، اذن فيتعين القول: بان الغيبة الصغرى للامام المهدي (ع)، هى غيبته بصفته اماما، مع اقترانها بفكرة السفارة. و معه تكون مدتها ما قلناه لا ما ادعوه.

## القسم الثاني في نشاط السفراء

بعد هذه الجولة، في تراجم السفراء الاربعة، ينبغي لنا ان نحيط علما باوجه النشاط و الفعاليات التي كان يقوم بها السفراء و اساليبهم في ذلك، و النتائج المتوخاة منها: و نحو ذلك من التفاصيل.

و نحن خلال هذا البحث، لا نحاول استقصاء كل ما ورد في تاريخهم من اخبار، و انما حسبنا ان نعطي لكل عنوان من الامثلة ما يجليه دون اسهاب و تطويل.

و نحن إذ نتحدث عن نشاط السفراء، نتحدث عنهم بنحو عام لأنهم يكادون أن يكونوا متماثلين في الأسلوب متشابهين في الأهداف باعتبار صدورهم من مصدر واحد، هي توجيهات الامام المهدي عليه السلام، بحسب ما يرى من المصالح. ما عدا ما قد يقوم به بعض السفراء من عمل اضافي و اسلوب زائد، ستراه في مستقبل البحث.

و نتكلم في هذا القسم عن حقلين رئيسيين: أولهما: في الخصائص

العامه و المضمون الاجتماعي للسفارة. و ثانيهما: في تفاصيل أعمال السفراء.

الحقل الأول: في الخصائص العامة و المضمون الاجتماعي للسفارة.

و يقع الحديث حول ذلك ضمن عدة أمور:

الأمر الأول: ان ما أشرنا إليه قبل قليل من كون السفراء على العموم متماثلين في الأسلوب و الأهداف، لم يؤثر على بحثنا فحسب، بل أثر فعلا على النقل التاريخي لأعمالهم و للتوقيعات التي تخرج على يدهم. ففي عدد مهم من الموارد يهمل أسم السفير اهمالا، و انما يقال مثلا: كتبت إلى الناحية. و جاء الجواب. و لا يكون هناك أى تعرض للسفير المتوسط في الأمر.

و السر في ذلك غير خفي، فان المدبر الحقيقي للامور، و من يتكفل حل المشكلات، هو الامام المهدي (ع) نفسه من دون دخل لشخص السفير في ذلك، سوى كونه ناقلا للسؤال و واردا بالجواب.

فليس المهم في نظر السائل حين يروى سؤاله أن يذكر الوسطة فيه و انما المهم أن يذكر حل المشكلة الذي صدر عن الامام المهدي (ع) فحسب.

مضافا إلى ما في إهمال ذكر السفير، من الأخذ بالحيطه و الحذر له لاحتمال تسرب اسمه إلى السلطات. و انما يذكر اسم السفير في المحافل الخاصة عند ارتفاع الخطر و اطمئنان النفوس.

و من هنا نكون نحن أمام هذا النقل التاريخي، في إجمال من ناحية

ص: ٤٢١

نسبته إلى أي سفير من السفراء. بل يعتبر هذا النقل نقلا عن الامام (ع) نفسه بواسطة أحد سفرائه في الجملة. و ان كان لا يبعد وجود الظن و الترجيح في نسبة جل هذه التوقيعات إلى السفيرين الثاني و الثالث لاستغراق سفارتهما أكثر فترة الغيبة الصغرى، و انفتاح فرص العمل في عهدهما أكثر نسبيا من الآخرين. و ان كان هذا الترجيح لا يصل - بطبيعة الحال - إلى حد الاثبات التاريخي.

نعم، وجد في عدد آخر مهم من النقول التاريخية تسمية السفير بشخصه، أما تبرعا من الراوى أو لخصوصية في الحادثة تقتضى الإشارة إليه. ففي مثل ذلك تكون نسبته إلى السفير المعين اثباتا تاريخيا كافيا.

الأمر الثاني. ان السفارة صرفت عن العلويين صرفا تاما، و انيطت بغيرهم. مع ان في العلويين يومئذ من يعلو شأنه في العلم و الفقه و العبادة.

و السر في ذلك واضح جدا، يبرزه التاريخ الذي عاشه العلويون من حين ثورة الحسين (ع) الى العصر الذي نؤرخ له. و هو تاريخ الثورات و التمرد على الواقع الفاسد، و الاحتجاج على الظلم و الطغيان فكانت الصورة الرئيسية التي تحملها الدولة على كل علوى، هو كونه مواليا للأئمة عليهم السلام، من ناحية، و تائرا على الظلم الفساد من ناحية اخرى او بتعبير آخر: انه تائر على كيانها القائم بشكل لا تستره تقية و لا يجدى في تغييره حذر.

و اذا كانت النظرة تجاه الفرد هي تلك، فاخلق به ان يكون عاجزا عن النفع العام و العمل الاجتماعي، لدى المراقبة و المطاردة و التنكيل

ص: ٤٢٢

الذي يحيط به .. و من ثم يكون عاجزا عن مهام السفارة المهدوية التي لم تؤسس الا للنفع العام و العمل الاجتماعي.

و هذا بخلاف الحال في غير العلويين، ممن لا تكون هذه النظرة تجاههم متحققة، فانهم مهما كانوا خاصين بالأئمة عليهم السلام و مقربين منهم، الا انه في مستطاعهم على طول المدة ان يغطوا اختصاصهم هذا بالحذر و الكتمان، في القول و العمل، و يكون العمل - في حدود ذلك - ممكنا لهم، على اى حال.

و من هنا يكون الفرد منهم، اذا كان على المستوى الرفيع من الاخلاص و قوة الارادة، اكثر تسلطا على القيام بمهام السفارة و افسح مجالا لها، من اى شخص علوى.

الامر الثالث: ان جميع السفراء الاربعة، مارسوا اعمالهم في بغداد و لم يرد قيامهم باى عمل اجتماعى في خارجها يدل على ذلك عدة امور:



احدها: ما قاله الامام المهدي عليه السلام، لوفد القميين فى اليوم الاول من وفاة ابيه (ع) كما سبق ان سمعنا، من انه ينصب لهم ببغداد رجلا تحمل إليه الاموال و تخرج من عنده التوقعات.

ثانيهما: ما سمعناه أيضا من انه كان لابي جعفر العمري، رضى الله عنه، من يتعرف له فى بغداد عشرة انفس، كلهم اخص به منا ابن روح. مما يدل على ان محل تجارته و محل عمله منحصر فى هذه المدينة.

كما انه يدل على ان العمل التجارى لابن روح كان فى بغداد أيضا فاخلاق بان يكون عمله الاجتماعى هناك أيضا، على ما نشير إليه.

ص: ٤٢٣

ثالثهما: ما عرفناه أيضا من ان قبورهم جميعا فى بغداد. اذن فقد قضا حياتهم جميعا فى بغداد، و ماتوا فيها و دفنوا فى ارضها.

و السر فى ذلك واضح، فان عملهم التجارى حيث كان موجودا فى بغداد، فان عملهم الاجتماعى لا يمكن ان يكون خارجا عن هذا النطاق. لما عرفناه من ان نشاطهم و سفارتهم كانت مبتنية على مضاعفة الكتمان و التخفى. فكان ذلك يمنع عن ان يقوموا بعمل ليس له مبرر من واقع حياتهم او تجاراتهم .. بحيث يكون ملفتا للنظر و جالبا للانتباه. و انما هم يقتصرون، بحسب ظاهر حالهم على تجاراتهم و اعمالهم الاعتيادية، غير الملفتة للنظر كما سبقنا ان اشرنا.

و من هنا نعرف، ان السفير اذا اقتضى عمله التجارى البقاء فى بغداد، لم يتطلب منه الخروج الى محل آخر، لم يكن من المصلحة ان يخرج بقصد تنفيذ اعمال سفارته محضا. لأنه بذلك لا يمكنه ان يعطى التبرير المقنع للسلطات و عيونها و من يدور فى فلكتها تبريرا مستمدا من واقع حياته او تجارته. و ان هو اعطى التبرير الواقعى، خرج عن مسلك الكتمان و الحذر.

الا ان عدم النقل لذلك، لا يعنى بحال ان السفير قد يحتاج الى الخروج من بغداد لغرض حياتى او تجارى مشروع من ناحية الدولة او غرض عبادى كالحج فيستطيع ان يقوم - ضمنا - بعمله المهم بصفته سفيرا للامام المهدي (ع) كما ان انحصار وجود هؤلاء السفراء فى بغداد لا يعنى انحصار

ص: ٤٢٤

توجيهات و توقعات الامام المهدي بهذا البلد. لما سنعرف من اتصال السفراء بالوافدين الى بغداد من الاطراف، و لما سنراه من وجود وكلاء عددين لهؤلاء السفراء فى مختلف البلاد الإسلامية. و كانوا ينشرون تعاليم الامام المهدي (ع) عن طريقهم. و كان الاتصال بينهم و بين السفراء قائما على قدم و ساق، على ما سنسمع.

الامر الثالث: انه لم يرد إلينا فى النقل التاريخى الخاص، قيام السفراء باعمال اجتماعية واسعة و مؤسسات مهمة، حتى على النطاق الخاص .. الا اقل القليل.

و السر فى ذلك يكمن فى احد امور اربعة، تتضح مما قلناه فى غضون البحوث السابقة من هذا القسم من التاريخ.

الامر الاول: احتمال عدم قيامهم اساسا بمثل هذا النشاط باعتباره مخالفا لمسلك الكتمان الذى كانوا يسيرون عليه. و النشاط الواسع، مهما حاولوا اخفائه، فان اثره يظهر لا محالة، و لو بالوسائل للسلطات، مما يوجب تسليط خطرهما عليهم، و من ثم على خط المهدي (ع) كله.

فوجود مثل هذا التحذر فى اذهانهم، كان يحد من نشاطهم بطبيعة الحال.

الامر الثانى: انه يصح ان نفترض انهم قاموا بنشاط اجتماعى كبير و لو على النطاق الخاص، مع امكان عرضه امام السلطات و الآخريين على انه عمل لشخص السفير بصفته تاجرا متدينا لا بصفته سفيرا عن الامام المهدي (ع).

الا ان نفس تلك الظروف الصعبة التى عاشوها كانت تمنع من

ص: ٤٢٥

روايتها و نقلها، لئلا يتسرب سرها الى السلطات. و هذا بنفسه اوجب عدم وصول اخبار نشاطهم إلينا فى النقول التاريخية.

الامر الثالث: احتمال ان خبر النشاط الذى كانوا يقومون به كان مما يتناقله الخاصة فى ذلك العصر. إلا ان المؤرخين و اصحاب المجاميع من اصحابنا، اهلوا التعرض إليها، لا لشيء إلا لانهم يقتضرون فى النقل على موارد فضائل الأئمة و معاجزهم، فيما خرج عن ذلك من الحوادث مهما كان مهما و مؤثرا فانهم لا يعيرونه الاهمية المطلوبة، و يندر ان يكون مرويا فى مجاميعهم.

الامر الرابع: احتمال ان يكون النشاط مرويا فى بعض المجاميع التاريخية، و لكنه تلف فى عشرات الآلاف من الكتب التى تلفت فى حملات اعداء الاسلام على البلاد الاسلامية، كالمغول و الصليبيين و غيرهم.

و على أى حال، فكل واحد من هذه الامور الأربعة، و ان كان لا يزيد على الاحتمال، إلا ان واحدا منها أو أكثر متحقق جزما و لكننا- فى النتيجة- نبقى مفتقرين إلى النقل التاريخى الذى يوصل لنا قيام السفراء بنشاط واسع مهم.

الأمر الرابع:- من هذا الحقل الأول:- اننا يجب ان لا نبالغ فى التوقع من السفير، ان يقوم بعمل اجتماعى فعال. و انما الميزان الأساسى الصحيح لقياس قيمة العمل الذى قام به كل سفير، هو ان يكون متضمنا للقيام بمسئوليته على الوجه الذى كلف به و طلب منه. و هذا ما قام به كل واحد منهم خير قيام.

ص: ٤٢٦

و الغرض الاساسى من السفارة امران:

الغرض الأول: تهيئة الأذهان للغيبة الكبرى، و تعويد الناس تدريجاً على الاحتجاب، و عدم مفاجأتهم بذلك. فانه ينتج نتيجة سيئة لا محالة، إذ قد يؤدي إلى الانكار المطلق لوجود المهدي عليه السلام.

و من ثم رأينا كيف ان الامامين العسكريين عليهما السلام بدءا الاحتجاب عن الناس تدريجاً، و ضاعفه الامام العسكري (ع) على نفسه كما ان الامام نفسه تدرج في عمق الاحتجاب كما سمعنا .. فكانت فترة السفارة أيضاً، احدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان لهذا التدرج.

و من المعلوم ان هذا الفرض من السفارة يتحقق بنفس تحقق فكرة السفارة، و وجود السفير في المجتمع و لو باقل ما يقوم به من عمل فضلا عن اضطلاعاه بالمسؤولية بالنحو المطلوب.

الغرض الثاني: القيام بمصالح المجتمع، و خاصة القواعد الشعبية الموالية للأئمة عليهم السلام .. تلك المصالح التي تفوت بطبيعته الحال بانعزال الامام و اختفائه عن مسرح الحياة .. شأن أي مصلحة للمجموع تفوت بفوات القائد و الموجه.

و من ثم جعلت السفارة، لكي يقود الامام المهدي عليه السلام برأيه ان فاتت قيادته بشخصه، و يكون التطبيق بين السفراء في حدود الامكان، و بحسب المصالح و التصرفات التي يراها و يخططها المهدي عليه السلام نفسه.

و هذا الغرض، قد قام به كل واحد من السفراء خير قيام، حيث

ص: ٢٢٧

اضطلع بحفظ مصالح المجتمع، في حدود الجو المكهرب و المراقبة الشديدة و التحفظ. و هذا الجو مما لا ينتج أكثر من ذلك.

الأمر الخامس: تدل كثير من النقول، على ما سيأتي تفصيله، على كون السفراء عالمين بالغيب، بنحو و آخر. فنرى مثلاً: ان الحسين بن روح يتكلم باللسان الآبي<sup>٥٢٣</sup> من دون سبق تعليم، و انه يفهم ما في خاطر الآخر، فيجيب عنه ابتداء<sup>٥٢٤</sup>. و محمد بن عثمان العمرى يعين عام و شهر و يوم وفاته<sup>٥٢٥</sup>. و على بن محمد السمرى يترحم على الشيخ على بن الحسين بن بابويه القمي. فيكتب المشايخ تأريخ ذلك اليوم فيرد الخبر بعد ذلك انه توفي في ذلك اليوم<sup>٥٢٦</sup>. إلى غير ذلك من الحوادث.

و قد سبق ان اشرنا مجملاً إلى الجواب عن شبهة استحالة ذلك، بغض النظر عن الاسس الفلسفية النظرية لهذه المسألة.

<sup>٥٢٣</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٩٥.

<sup>٥٢٤</sup> (٢) المصدر ص ١٩٩.

<sup>٥٢٥</sup> (٣) المصدر ص ٢٢٢.

<sup>٥٢٦</sup> (٤) المصدر السابق ص ٢٤٢.

و تفصيله: ان ما نؤمن باختصاص الله عز و جل به من علم الغيب هو العلم الابتدائي، الذى يكون ازليا لا بتعليم من أحد فانه سبحانه يكون عالما بما يكون غائبا عنا و مجهولا لنا، من اجزاء الكون، و بما كان و ما يكون من الازل إلى الابد. و هذا العلم يستحيل ثبوته لغير ذاته المقدسة جل و علا.

ص: ٤٢٨

و أما علم الغيب الذى ننسبه إلى الأنبياء و الأئمة عليهم السلام اجمعين فهو تعليم من قبل العالم بالغيب جل و علا. و البشر قابل للتعليم، و لا يكون الأنبياء و الأئمة (ع) أسوأ تعلما من غيرهم، و هم فى مراق كبيرة من الكمال.

إلا ان انحاء هذا التعليم تختلف، فهو فى الأنبياء بالمباشرة و المشافهة- لو صح هذا التعبير- عن طريق الوحي و نحوه. و هو فى الأئمة عليهم السلام بالتلقى عن النبي (ص) جيلا بعد جيل حتى الامام الثانى عشر: المهدي (ع). بل ان الروايات اثبتت للامام شيئا أكثر من ذلك و هو ان الامام حتى ما أراد أن يعلم فانه يعلم، الراجع إلى ان الامام (ع) و هو القائد للامة الاسلامية جميعا، بل لوجه البسيطة باعتبار عالمية الدعوة الاسلامية و الدولة الاسلامية .. قد أعطى القابلية من الله عز و جل على ذلك، اذ جاء لمصلحة تمكينه من القيادة العامة .. انه متى احتاج إلى شيء أخطره الله فى ذهنه و صار ذلك معلوما له بعد أن كان مجهولا.

و من هنا كان علم الغيب- بهذا المعنى- ممكنا من الأئمة عليهم السلام، بل واقعا بتواتر الروايات و النقل عنهم عليهم السلام، بما فيها الامام الثانى عشر المهدي (ع) على ما سيأتى.

و أما بالنسبة إلى غير الائمة من الناس، فيكون بالتعلم من الأئمة (ع). فمثلا يخبر الامام المهدي سفيره الرابع بموعد وفاة ابن بابويه القمى أو يخبر سفيره الثانى بموعد وفاة نفسه. أو يعلم سفيره الثالث

ص: ٤٢٩

اللسان الآبى، و لو بمقدار حاجته فى تلك الواقعة، إلى غير ذلك من الأمثلة.

و هناك امران آخران، يمكن ان ننسبهما إلى السفراء فى علة ما يخبرون به من علم الغيب.

احدهما: الحدس الاجتماعى، الذى يحصل لمن يعيش فى معمة المجتمع، إذا كان ذكيا و بعيد النظر .. فانه يستطيع أن يحدس بوقوع بعض الحوادث قبل وقوعها، بلحاظ ما يعرف من مجموع الملابسات و السفراء ليسوا بأدنى من هذا المستوى فى الذكاء و بعد النظر على أى حال، و كانوا يعيشون الحوادث بكل احساسهم .. ففى الامكان أن يحدسوا بأمر عديده قبل وقوعها.

ثانيهما: الحدس الايمانى: و هو ما يعبر عنه فيقال: المؤمن ينظر بنور الله تعالى. فان الايمان و عمق الاخلاص لله عز و جل يعطى- بمقدار درجته- نحو من الصفاء الذهنى و الكمال النفسى يستطيع الانسان بواسطته استشمام الحوادث قبل وقوعها، و الحديث عنها قبل حدوثها.

و هذا فى واقعه، درجة ضعيفة جدا، من درجات العلم الذى قلنا بامكانه للامام المعصوم (ع). و الفرق بينهما انما هو فى درجة الايمان و الاخلاص بين الامام و غيره. فالامام يبلغ به كماله النفسى الى ان يصيب الواقع بعلمه بوضوح. و اما غيره، فقد يحدث و قد لا يحدث ... كما قد يصيب حدسه الواقع و قد يخطئ.

ص: ٤٣٠

و على اى حال، فبالمقدار الذى تثبته من الحدس لسائر المؤمنين المخلصين بالدرجة العليا، يمكن ان نصدق بثبوته للسفراء أيضا. فانهم فى هذه المرتبة من الايمان و الاخلاص، بطبيعة الحال.

الا ان كلا من الحدس الاجتماعى و الحدس الايماني، لا يمكن ان يصل الى بعض ما اخبر به السفراء، كتحديد وفاة شخص مع بعد المكان او الزمان. فينحصر تفسير مثل هذا المستوى من العلم عند السفراء بالتعلم من الامام المهدي (ع) و معه يكون من الواضح، ان اى شىء قالوه، فى هذا الصدد كما يكون فضيلة من فضائل السفير، كذلك يكون - بالأولى - فضيلة للامام المهدي نفسه باعتباره الموجه و المعلم لذلك.

الامر الخامس: كان الخط الذى يستعمله الامام المهدي عليه السلام فى توقيعاته و بياناته، خطأ موحدًا يعرفه الناس المتتبعون لذلك. فهو لا يختلف باختلاف اشخاص السفراء و اختلاف خطوطهم، مما يحصل القطع بصدوره عنه عليه السلام كما سبق ان اشرنا و قلنا بان استعمال الخط فى معرفة صاحبه أمر عقلاني متسالم عليه بين الامم. و لئن كان يمكن افتراض ان احد السفراء ذو فن فى مضاهاة الخط و تزويره، فهو بالنسبة الى مجموعهم، يكون - عادة - من المحالات.

و قد توخى الامام المهدي عليه السلام، ان تصدر بياناته، بنفس الخط الذى كانت تصدر به بيانات ابيه عليه السلام. فاننا عرفنا ان الامام العسكرى عليه السلام، استعمل مسلك الاحتجاب تعويدًا للناس على فكرة الغيبة، و كان يتصل بقواعده الشعبية عن طريق التوقيعات

ص: ٤٣١

و البيانات المكتوبة. فقد كان خط الامام العسكرى (ع) معروفًا لدى جملة من قواعده الشعبية و خاصة من كان من خاصتهم و ميرزتهم و قد سمعنا كيف طلب ادهم من الامام العسكرى عليه السلام عند مقابلته ان يكتب شيئًا فى ورقه، حتى يطابقه مع التوقيعات الصادرة منه لاجل ان يأمن من التزوير فقد استعمل الامام المهدي عليه السلام نفس الخط طيلة مدة الغيبة الصغرى، فقد كانت الاجوبة تخرج من ناحيته المقدسة بالخط الذى يخرج فى حياة الحسن «ع»<sup>٥٢٧</sup>. لسبق معرفية هذا الخط عند الاصحاب، مع جهالة خط الامام المهدي «ع» لو كان خطأ مستقلاً ذو شكل جديد، فقد يتدخل فيه احتمال التزوير و بذلك تكون شهادة الخط اوسع و اعلى من شهادة السفير، يكون هذا البيان صادرا عن الامام المهدي عليه السلام. فاذا انضمت الشهاداتتان و تصادقتا على ذلك، كان فى ذلك الكفاية لمن كان له قلب او القى السمع و هو شهيد.

و قد يعترض: بانه كيف يمكن ان يكون الوالد و الولد على شكل واحد فى الخط؟ مع ان العادة بين الناس تقضى بخلاف ذلك. و جوابه يكون من وجوه:

أولاً: امكان ذلك فى نفسه .. و ان كان لا يحدث إلا نادراً. إلا ان حدوثه بين الوالد و الوالد، أقرب من الحالات الاخرى كما هو واضح.

فان شكل الخط منوط بعوامل عضلية فى اليد و البدن و نفسية و فكرية

ص: ٤٣٢

وراثية و اجتماعية، متعددة و انحفاظ هذه العوامل و تشابهها فى الوالد و الولد، من الناحيتين الوراثة و الاجتماعية، قريب إلى حد كبير.

ثانياً: ان فرض ان خط الامام المهدي عليه السلام، يختلف فى نفسه عن خط والده، فهو اختلاف ليس بالكثير، فان الخط ينحفظ فيه التسلسل الوراثة، كما ينحفظ فى خلق الوجه و البدن، فكما يحمل الابن بعض الملامح العامة من ابيه فى خلقه، كشكل وجهه و يده و طريقة مشيه و تكلمه .. كذلك تتحفظ المعالم العامة للخط بنفس المقدار.

فإذا اضيف إلى ذلك، ان هناك تعمدًا خاصًا و عناية معينة قام به الوالد و الولد، لتطبيق خط احدهما على الآخر، لمصلحة من المصالح المطلوبة لهما. فبالامكان ان يكون خط الولد قريبًا من خط الاب إلى حد كبير.

فاما ان يكون هذا القرب هو المقصود من النقل التاريخى بتشابه الخطين: أو ان الامام المهدي عليه السلام، لاجل حفظ المصالح العامة كان قادراً أن يمثل خط ابيه عليهما السلام، لمدى القرب بينهما. و ان كان لو خلى و نفسه، و لم تتوفر تلك المصالح لكان الفرق بينهما واضحاً.

ثالثاً: انه مع غض النظر عن هذه الطرق الطبيعية. فان المصالح ما دامت مهمة، يتوقف عليها حفظ المجتمع طيلة زمان الغيبة الصغرى اذ مع اختلاف الخط يقع احتمال التزوير، و مع وقوعه يفتح للشبهات مجال كبير.

ص: ٤٣٣

فما دامت المصلحة مهمة تمس العقيدة و المجتمع المسلم و اقامة الحجة على الحق، و هى مصالح ملحوظة لله عز و جل، فى هدايته لخلق فكان من مقتضى حكمته الازلية، أن يعطى المهدي (ع) قدرة فى تكييف خطه على شكل خط ابيه، متى احتاج الأمر إلى ذلك. و لو كانت هذه القدرة بسبب اعجازى، خارج عن مجرى القوانين الطبيعية.

اذ نعرف باحد هذه الوجوه، امكان مشابهة خط الامام المهدي لخط ابيه عليهما السلام.

فكانت التوقيعات و البيانات تخرج على يد السفير الأول بالخط الذى كانت تخرج على يده أو على يد غيره من الوكلاء فى زمن الامام العسكرى عنه عليه السلام.

و حين مضى السفير الأول الى ربه عز و جل، و اضطلع الثانى بمهامه، كانت الكتب تخرج عنه بنفس الخط الذى كانت تخرج أيام سلفه<sup>٥٢٨</sup>. إلى حد أصبح هذا معروفا واضحا، فيعبر و يقال: ان هذا التوقيع بخط مولانا صاحب الدار<sup>٥٢٩</sup> يعنى الامام المهدي عليه السلام.

و بقى الخط محفوظا فى عهد السفيرين الاخيرين أيضا .. إلى نهاية الغيبة الصغرى. و التاريخ و ان لم ينص على ذلك بوضوح إلا ان السبب فى ذلك هو وضوح هذا المعنى فى اذهان الرواة المعاصرين لتلك الفترة. إذ ان الاربعين عاما التى قضاها السفير الثانى

ص: ٤٣٤

فى سفارته .. و التوقيعات التى خرجت على يده بخط واحد، كافيه فى ترسيخ هذه الفكرة فى اذهان كل من اطلع على ذلك من القريب و البعيد .. إلى حد يكون من القول المستأنف تكرار التأكيد عليه بالنسبة إلى السفيرين الاخيرين. فما سكت عنه فى النقل، إلا لان ذلك متيقن الوجود على أى حال.

الأمر السادس: بقيت فى التوقيعات التى كان يصدرها المهدي (ع) جهات هامة لا بد من بحثها فى هذا الصدد.

الجهة الأولى: فى معنى التوقيع:

يطلق التوقيع فى لسان رواياتنا، مطابقا مع العرف السائد آنذ على الكلمات القصار التى تملئها اقلام الكبراء فى ذيل الرسائل و العرائض و نحوها، لأجل جواب السؤال الذى تتضمنه أو حل المشكلة التى تحتويها أو التعبير عن وجهة نظر معينة فيها.

اذن فتوقيعات الامام المهدي عليه السلام، ما كان يذكره عليه السلام بخطه فى جواب الاسئلة و العرائض بواسطة سفرائه من الكلمات القصار، فى مختلف ميادين المعرفة .. من الناحية العقائدية أو الفقهية أو الاجتماعية أو غيرها.

الجهة الثانية: فى احتياج التوقيع إلى سؤال.

لم تكن التوقيعات الصادرة عنه عليه السلام، مقتصرة على الجواب على الاسئلة فقط، و ان كان الأغلب هو ذلك. بل كانت التوقيعات و البيانات المهدوية، تتخذ احيانا شكل بيان ابتدائى يطول و يقصر

ص: ٤٣٥

<sup>٥٢٨</sup> (١) انظر الغيبة ص ٢٢٦.

<sup>٥٢٩</sup> (٢) المصدر و الصفحة.

حين تقتضى المصلحة ذلك، بدون سؤال يقتضيه و يتطلبه. و من أمثلته التوقيع الذى أصدره عليه السلام مترحماً على سفيره الاول، و البيان الذى أعلن فيه انتهاء السفارة بموت السفير الرابع .. و قد سمعناهما. و الرسالة التى رويت عنه عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله.

و سيأتى التعرض لها فى الفصل الثالث من هذا القسم من التاريخ.

الجهة الثالثة: ان التوقيع كما يعتبر عملاً للامام المهدي عليه السلام باعتبار معناه و خطه، فانه هو الذى كتبه حلاً لمشكلة أو جواباً على سؤال أو بياناً لمصلحة .. كذلك يعتبر عملاً من اعمال السفير، باعتبار ان للسفير يداً فى اظهاره إلى النور و اطلاع أصحابه و قواعده الشعبية عليه. بل ان السفير أيضاً واسطة فى ايجاده بنحو من الأنحاء، اذ لو لا ان المهدي عليه السلام يعلم بوجود السفير الامين لنقله، لما كتبه.

و من هنا فكما يمكن ان تدرج التوقيعات فى هذا الفصل الذى نحن بصدده و هو نشاط السفراء. كذلك يمكن ان تدرج فى فصل آتٍ نعهده لأعمال المهدي (ع) و نشاطه الخاص، و سندرج ذلك فى كلا الفصلين بهذا الاعتبار، بنحو لا يلزم منه التكرار جهد الامكان.

الجهة الرابعة: فى مدة خروج التوقيع.

يحتاج خروج التوقيع: جواباً على سؤال معين إلى حوالى اليومين أو الثلاثة .. كما هو ظاهر عدد من الروايات. كقول الراوى فى إحداها: فلما كان بعد أيام. قال لى صاحبى الا نعود إلى ابى جعفر

ص: ٤٣٦

فنسأله عن حوائجنا التى كنا سألناه<sup>٥٣٠</sup> و قوله فى رواية اخرى: ثم اخبرنى - أى السفير اخبره بالجواب - بعد ذلك بثلاثة أيام<sup>٥٣١</sup>.

كما ان الجواب قد يأتى شفويًا، يبلغه السفير نفسه، كقول ابن روح لبعضهم: انكم أمرتم بالخروج إلى الحائر<sup>٥٣٢</sup>. و قد لا يرد الرد على السؤال أصلاً، لبعض المصالح التى يراها المهدي عليه السلام. و قد تكرر ذلك فى عدة موارد، مثاله: ذلك الراوى الذى سأل الامام (ع) ان يدعو له أن يرزق ولداً ذكراً. فلم يجبنى إليه<sup>٥٣٣</sup>. لأنه يعلم بعدم كونه من الرزق المقسوم. و مثله ذلك الرجل الذى

<sup>٥٣٠</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٤.

<sup>٥٣١</sup> (٢) المصدر ص ١٩٥.

<sup>٥٣٢</sup> (٣) المصدر نفسه ص ١٨٨.

<sup>٥٣٣</sup> (٤) المصدر ص ١٩٥.



كان من الاصحاب فقدم سؤالا، فلم يرد جوابه. قال الراوى: فنظرنا فى العلة، فوجدنا الرجل قد تحول قرمطيا<sup>٥٣٤</sup>. و ما دام قد انحرف و تبع القرامطة.

اذن، فمقتضى الدعوة المهدوية ان لا يجاب، فانها و المنحرفين على طرفى نقيض.

و على أى حال، فمدة الثلاثة ايام او نحوها، مدة معقولة فى رد الجواب، و عليه تحمل سائر الروايات التى تعرضت الى خروج الرد من دون ذكر المدة .. باعتبار وضوح ذلك فى الاذهان، و تكرره الى حد اصبح متسالما عليه، لا يحتاج الى تكرار و تأكيد.

ص: ٤٣٧

و فى خلال هذه المدة يمكن افتراض ان السفير حصل على الجواب حصولا اعتياديا، غير اعجازى. فقد كان السفير عادة يجمع عدة اسئلة فى ورقة واحدة، كما يظهر من عدد من الروايات<sup>٥٣٥</sup> و يرد الجواب عنها دفعة واحدة فى درج واحد.

و من هنا يمكننا ان نتصور - اعتياديا - ان السفير فى هذه المدة يحمل الاسئلة معه الى الامام المهدى (ع) فانه المطلع الوحيد على مكانه فيقابله فيه و يعرض عليه الاسئلة. فيقرؤها الإمام ثم يجيب على واحد واحد منها .. إن شاء كتابة و إن شاء شفويا. و إن شاء لم يجب بحسب ما يرى من المصالح التى يتوخاها.

الا ان بعض الروايات، تدل على خلاف ذلك. فبعضها تنييط و ورود الجواب بعدة ساعات، من الصبح إلى ما بعد صلاة الظهر<sup>٥٣٦</sup> و فى بعضها انه يرد الجواب و المداد رطب لم يجف<sup>٥٣٧</sup>. و هناك رواية تنييط الجواب بنفس الآن. حيث يخطر السؤال على ذهن الشخص، فيرى الجواب مكتوبا على الورقة فى ذلك الحين. و قد وجد الراوى ذلك غريبا على الأذهان. فاقسم عليه قائلا: فو الذى بعث محمدا «ص» بالحق بشيرا<sup>٥٣٨</sup> فلو صحت هذه الرواية، امكنا أن نفترض ان السفير يتلقى

ص: ٤٣٨

الاجوبة بهذا الأسلوب أيضا، من دون ان يذهب الى مقابلة الإمام المهدى عليه السلام.

و يمكن ان يرجح ذلك بمرجح: احدهما: كون هذا الاسلوب طريقة سرية للغاية لا تخطر فى ذهن السلطات على الاطلاق. و من هنا كانت انسب بكثير بمسلك التكتيم و الحذر الذى كان يسير عليه السفراء و هو أولى جدا من أن يرى السفير ذاهبا إلى

<sup>٥٣٤</sup> (٥) الارشاد الشيخ المفيد ص ٢٣٢.

<sup>٥٣٥</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٤. و ص ١٩٠ او غيرها.

<sup>٥٣٦</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٩٢.

<sup>٥٣٧</sup> (٣) المصدر ص ٢٥٢.

<sup>٥٣٨</sup> (٤) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٠.

مكان المهدي عليه السلام و عائدا منه على أنه قد تعرض للامام المهدي عليه السلام مصلحة في تغيير مكانه في بعض الأيام من دون علم السفير، فيترتب على ذلك انقطاع الجواب إلى حين اللقاء.

و المهدي «ع» قد يضطر إلى السفر البعيد، زيادة في الحيطه، أو لاجل الذهاب إلى الحج<sup>٥٣٩</sup>. فينفصل عن السفير- و هو في بغداد- انفصالا تاما. و لا يمكن للسفير متابعته، بالخروج من بغداد و الرجوع إليها، لأن ذلك، مما يثير عليه الاستفهام و الانتباه.

ثانيهما: إنه يظهر من جملة من الروايات، أن المهدي عليه السلام، كان يمضى الوقت في أول الغيبة الصغرى إلى عدة سنوات في سامراء على ما سوف يأتي. و معه كيف يمكن للسفيرين الأول و الثاني مقابله .. و هما لا يستطيعان الخروج من بغداد بشكل ملفت للنظر. على أن الخروج من بغداد إلى سامراء كان يستدعى السفر أياما متعددة، مما يوقف

ص: ٤٣٩

تجاراتهم و يحس الناس بغيابهم و هذا غير وارد في تواريخنا على الاطلاق.

ثالثهما: إن كل من شاهد المهدي (ع) في فترة غيبته الصغرى، لم يجد معه احد سفرائه و لا في مرة واحدة .. لا داخلا إليه و لا خارجا عنه و لا باقيا عنده. بل إن على بن مهزيار بقى عند المهدي (ع) عدة أيام<sup>٥٤٠</sup> فلم يجده إلا منفردا، لم يدخل عليه أى شخص آخر.

رابعها: قول: محمد بن عثمان العمري السفير الثاني، و هو يتحدث عن لقائه مع المهدي «ع»: «آخر عهدي به عند بيت الله الحرام و هو يقول: اللهم انجز لى ما وعدتني<sup>٥٤١</sup>. و هذا يستلزم بكل وضوح عدم وقوع المقابلة ما بين موسم الحج إلى زمان هذا الكلام. فبهذه المرجحات.

قد يستنتج استحصال السفراء على الاجوبة و التوقيعات، بطريق اعجازى، بدون مقابلة، أو بالمقابلة بسبب اعجازى. و هذا يناسب مع كون المهدي عليه السلام فى أى مكان من الارض، و يكون بعيدا عن الفات النظر و قريبا من مسلك الحذر. و نحن نقول بامكان المعجزة عقلا إذا توقفت عليها مصلحة الدعوة الالهية. كما أثبتناه فى محله. إلا أن كل هذه المرجحات لا توجب إلا الظن، و مجرد إمكان الشيء لا يعنى وقوعه فى الخارج .. فإننا نكر توقف الدعوة الإلهية على خروج التوقيع الاعجازى دائما، و إن كان ثبوته أحيانا محتملا، كما فى الرواية التى أشرنا إليها.

و مناقشات جملة من هذه المرجحات واضحة، و بعضها يحتاج إلى عمق فى العرض، نحمل به فكره عن اتجاه المهدي عليه السلام فى اسلوب مقابله لسفرائه.

<sup>٥٣٩</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢١.

<sup>٥٤٠</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٦١.

<sup>٥٤١</sup> (٢) المصدر السابق ص ٢٢٢.

فإننا سبق أن عرفنا أن أسلوب و كيفية استحصال السفير على الجواب مجمل جدا في الروايات، حتى يكاد أن يكون مجهولا مطلقا.

و لم يصرح و لم يلوح به أى سفير من السفراء لشخص من الخاصة فضلا عن سائر الناس. و لم يتصد شخص لسؤال أى سفير عن ذلك بحسب ما وردنا من نقول.

و معنى ذلك، أن المقابلات التي كانت تحدث مع السفراء هي من السريّة و الحذر بمنزلة عظيمة حتى لا يمكن أن يخطر في ذهن بشر مكان ذلك أو زمانه. و الله وحده هو العالم به. و معه تكون سائر مرجحات الطريقة الاعجازية مندفعة و غير صحيحة:

أما المرجح الأول، و هو كون الطريقة الإعجازية أنسب بالكتمان و الحذر، فهو و إن كان صحيحا، إلا أنه يمكن الدقة اتخاذ مكان و زمان خفيين للمقابلة، لا يفتن إليهما أحد. و المهدي بعمق نظره هو الذى كان يدبر ذلك. و من المعلوم أن الدولة فى ذلك الحين لم يكن لها من شبكات الاستخبار و التجسس ما عليه الدول فعلا. بل كانت دون ذلك بكثير، مما يسهل المهمة، و يجعل إخفاءها ايسر.

و لا نريد باتخاذ المكان الخفى للقاء: إنه لا يتم إلا فى سر اديب بعيدة أو أماكن شاذة. و إنما قد يكون ذلك متحققا و إن لم يكن قابلا للبقاء مدة طويلة على غفلة من الناس. و قد يكون- و هو الأرجح و الاشد خفاء إبقاء على السرية- أن تكون العلاقة بين المهدي «ع» و سفيره على صعيد المجتمع الواضح علاقة بائع و مشتري أو دائن و مدين أو عامل و صاحب عمل و هكذا. و يكون المهدي «ع» قد اتخذ اسما آخر و شخصية أخرى تختلف عن واقعه تماما. و يكون له بعض العلاقة مع السفير

بصفته شخصا من التجار. فيدس له السفير الأسئلة و الطلبات بشكل غير ملفت للنظر، فيأخذها المهدي و يجيب عليها بصفته الحقيقية.

و هذه الطريقة محتملة على أى حال، و سيأتى إيضاح تفاصيلها فى التاريخ القادم إن شاء الله.

و أما مسألة اضطرار المهدي (ع) إلى السفر بعيدا عن بغداد أو ذهابه إلى الحج .. فهو أمر قد يتحقق إلا أنه لا يمنع عن خروج التوقيعات فى الوقت المناسب. و لا دليل لنا على تتابع خروج التوقيعات عنه بشكل منظم، فى كل أسبوع أو فى كل شهر، بحيث اعتلا الناس على ذلك بل المظنون أن المسافات الزمنية، ما بين التوقيعات مختلفة بنحو مشوش حتى لا يكون تأخرها احيانا موجبا لإلفات النظر أو إثارة التساؤل.

و من ثم يمكن أن نتصور أن المهدي عليه السلام، يذهب إلى الحج أو إلى أى مكان أراد، ثم يرجع إلى بغداد أو إلى بعض المناطق القريبة منها، لأجل تمكين سفيره من مقابلته.

و أما المرجح الثاني، و هو سكنى المهدي «ع» فى أول الغيبة الصغرى فى دار أبيه فى سامراء .. فان نفس الروايات الدالة على ذلك، تدلنا على عدم حصول المقابلة أحيانا بينه و بين السفير، بل كان السفير فى تلك الفترة يحول من جاء بالاموال إلى بغداد، و يأمره بحملها إلى سامراء، على ما سوف يأتى فى الفصل الرابع من هذا التاريخ.

و هذا هو الذى يفسر أيضا ندرة صدور التوقيعات و البيانات على يد السفير الأول، و كثرتها على يد السفيرين اللذين بعده.

ص: ٤٤٢

و أما المرجح الثالث: و هو أن من شاهد الامام عليه السلام لم يجد عنده أحدا من سفرائه .. فهو واضح بعد الذى عرفناه من توخى إخفاء المقابلة عن كل بشر، حتى عن الخاصة الذين يشاهدون الامام المهدي عليه السلام. فمن الممكن بل لا بد أن نفترض، كون المقابلة تقع فى أوقات غير أزمنة تلك اللقاءات و مقابلة على بن مهزيار له عدة أيام ليست بدعا من ذلك. و قد عرفنا أنه لم تكن ثمة ضرورة الى خروج التوقيع يوميا أو اسبوعيا، بل من الممكن تأخر خروجه خلال هذه الأيام.

و أما المرجح الرابع، و هو عدم مقابلة السفير الثاني له عليه السلام منذ موسم الحج .. فبالامكان أن نفترض، إن لم يكن راجحا فعلا، قرب هذا الحديث من موسم الحج، بمدة معتادة لتأخر التوقيعات إذن فالطريق الإعجازى لخروج التوقيع، و إن كان ممكنا عقلا إلا أنه لم يدل عليه دليل خارجا، و مما لا تتوقف عليه مصلحة الدعوة الالهية المتمثلة بالمهدي (ع) و سفرائه، بعد إمكان ما قلناه فى هذه المناقشات. نعم، نحن لا ننكره بل نقول بضرورته عند وجود هذا التوقف .. و لعل تلك الرواية التى أشرنا إليها من هذا القبيل، على تقدير صدق نقلها و صحة سندها.

إذن فالراجح، إن لم يكن المتيقن، أن اتصال السفير بالإمام و استحصاله التوقيعات و التوجيهات منه، يكون عادة بطريق طبيعى غاية فى الخفاء و الستر و الحذر. و مما يؤيد ذلك، و جهان:

ص: ٤٤٣

الوجه الاول: إن الغالب، كما عرفنا، تأخر التوقيعات لعدة ايام بعد توجيه السؤال. و معنى ذلك حصول مقابلة الامام المهدي «ع» فى الاتناء. و لو كان البناء على حصول الطريق الاعجازى، لا مكن استحصال الجواب بمجرد كتابة السؤال، أو بمجرد اطلاع السفير عليه مما يوفر المصالح و يقلص الجهود. أو على الأقل، كان فى امكان السفير - زيادة فى الحيطة - تأخير الرد عدة ساعات أو يوما واحدا، و لم يكن مضطرا للتأخير لعدة أيام.

الوجه الثانى: ان المهدي (ع) - كما تدل عليه الروايات - كان ينبئ سفراءه المطالب العقائدية و الثقافة الاسلامية، كما كان يحملهم الجواب على عدد من الاسئلة شفويا كما سمعنا فهل كان ذلك عن طريق المعجزة؟! و كيف؟ و نحن نسمع السفير الثالث يؤكد

قائلا: لأن آخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق أحب إلى من أن أقول فى دين الله برأى، و من عند نفسى. بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجّة<sup>٥٤٢</sup>.

فهذه أربع جهات من مهم الحديث عن شئون التوقيع المهدوى و خصائصه. و بها تم الكلام عن الأمر السادس فى هذا الحقل.

الأمر السابع: فى خفاء السفراء على السلطات:

ان مسلك التستر و الحذر الذى سلكه السفراء، انتج تماما ما هو المقصود، و هو الخفاء على القواعد الشعبية السائرة فى ركاب السلطات، و عيون الدولة، و على المنتفعين منها و الضالعين بركابها.

ص: ٤٤٤

و ليس أدل على ذلك، مما سمعناه من موقف السفير الثالث فى تفضيل الخلفاء الثلاثة جميعا على أمير المؤمنين على بن ابي طالب، فى مجلس العامة .. فرفعه العامة على رءوسهم و كثر الدعاء له و الطعن على من يرميه بالرفض<sup>٥٤٣</sup>.

و ان دل هذا على شىء، فانما يدل على جهلهم التام بسفارته و انهم غاية ما يحملون عنه من فكرة .. انه متهم بالرفض .. و هذا القول منه ماح لهذه التهمة و دليل على كذبها فى نظرهم .. و إذا لم يكن رافضيا فكيف يكون سفيرا لامام الرفضة!؟.

و هذا هو الذى كان يتوخاه ابن روح من كلامه ذلك .. إبعاد احتمال السفارة عن اذهانهم إبعادا تاما. و جعلها بشكل لا يمكن ان تخطر فى ذهنهم، فضلا عن أن يصدقوا بها.

و إذا كانوا لا يعلمون به، فهم لا يعلمون باسلافه أيضا، و لا بخلفه بطريق أولى. يندرج فى هذه القائمة، سائر السائرين على هذا الخط من حكام و محكومين، غير شخص الخليفة.

فان حول بعض أشخاص الخلفاء قرائن تاريخية تدلنا على انه كان عارفا بالحق و بموضعه. كما صرح به الشيخ الصدوق فى إكمال الدين<sup>٥٤٤</sup> و قد فصلنا القول فيه فى تاريخ الفترة السابقة.

فكان ان سمعنا موقف المعتمد من الامام العسكرى عليه السلام

ص: ٤٤٥

<sup>٥٤٢</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٩٩.

<sup>٥٤٣</sup> (١) المصدر نفسه ص ٢٣٧.

<sup>٥٤٤</sup> (٢) انظر المصدر المخطوط.

حين طلب منه الدعاء له بالبقاء في الحكم. و رأينا موقفه نفسه من جعفر بن علي حين ادعى الامامة بعد اخيه، حاول التوسط إلى الدولة لنيل ذلك.

و نسمع في هذه الفترة .. بالنسبة إلى المقتدر انه كان للشيخ ابن روح محل عظيم عنده<sup>٥٤٥</sup>. وهذا وان كان يمكن تفسيره باعتبار جهل المقتدر بتشيعه فضلا عن سفارته، لما سمعناه من التزامه بالتقية و الحذر. فكان المقتدر يقربه لأجل علمه وسعة اطلاعه و حضور خاطره، جاهلا بواقعه و حقيقته.

و هذا الاحتمال، و ان كان لا يخلو من قوة في الذهن إلا ان له مضعفات تاريخية و قرائن موهنة له. منها: ان المقتدر نفسه حبسه مدة يسيرة منها و ان الشيخ ابن روح استتر مدة من الزمن<sup>٥٤٦</sup>. و لو كان بالمنزلة التي سمعناها مع غض النظر عن سفارته لما كان هناك موجب لذلك كما هو واضح. و انما يحدث ذلك، لما قد يبلغ السلطات بشكل غامض و غير مباشر، ما قد يقوم به ابن روح من أعمال بصفته سفيرا عن الامام المهدي عليه السلام. و اذ لا يكون لها أى مستمسك ضده فانها تغض النظر عنه و تطلق سراحه و على أى حال، يكون مسبوقا في الجملة بذلك.

و منها: ما إذا ضمنا هذا الموقف من المقتدر، إلى موقف المعتمد قبله و موقف الراضى بعده، فاننا قد نحصل على سلسلة من الخلفاء

ص: ٤٤٦

العارفين بالامر، إلى بعض الحدود، و ان لم يجدوا أى أسلوب معين للوقوف ضده أو لحيلولة دونه، ثم نسمع بالنسبة إلى الراضى، في حادثة يأتى التعرض لها في الفصل الآتى، انه ذكر ابن روح في مجلسه، ذكره احد مؤيدي الشلمغانى المدعى للسفارة زورا .. فقال عن صاحبه الشلمغانى، انه لم يدع الالهية، و انما ادعى انه الباب إلى الامام المنتظر مكان ابن روح<sup>٥٤٧</sup>.

فلم يسأله الراضى عن ابن روح هذا، و لم يستفصله عن خبره، و من أين يعرف انه كان سفيرا؟. و لو كان الراضى جاهلا بذلك و محاولا التنكيل بالفسير لا حفى السؤال عن ذلك، و لكان بيده أول مستمسك يده على الامام المهدي عليه السلام. فيدل ذلك على انه كان عالما به إلى حد ما، بل و عالما بسفارته عن الامام المنتظر (ع) الذى أشار الرجل فى كلامه.

اذن فالمعتمد و الراضى، بل و المقتدر أيضا على احتمال كبير، كانوا يعلمون بالاتجاه الذى يسير فيه خط الأئمة عليهم السلام، و بممثليه إلى حد كبير.

و تفتح امامنا ثلاثة اسئلة لا بد من التصدى للجواب عنها.

<sup>٥٤٥</sup> (١) انظر غيبة الشيخ ص ٢٥٢ و ص ١٨٧.

<sup>٥٤٦</sup> (٢) نفس المصدر ص ١٨٣.

<sup>٥٤٧</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٢٤١.

السؤال الأول: هل كان الخلفاء الآخرون يعلمون بذلك أيضا، أم ان هذا العلم خاص بهؤلاء.

ص: ٤٤٧

السؤال الثاني: ان هؤلاء الخلفاء من أين علموا بذلك، و من أى طريق وصلهم الخبر.

السؤال الثالث: و هم الاهم، انهم إذ عرفوا ذلك، فلما ذا غضوا النظر عن السفراء، و لم يلقوا القبض عليهم، لأجل فصلهم عن قواعدهم الشعبية أولا و استجوابهم عن الامام المهدي ثانيا. تمشيا مع الخط العام للدولة فى محاربة الخط العام للائمة عليهم السلام.

و توخيا لتقسيم الكلام، يقع الجواب ضمن بيانات ثلاثة لكل سؤال بيان:

البيان الاول: اننا حيث عرفنا الجهل التام بحال السفراء، من سائر القواعد الشعبية الموالية للدولة؛ بمختلف طبقاتها فانه لا يبقى أى دليل على اطلاع جميع الخلفاء بذلك.

فان الخلفاء لم يكونوا يتقابلون اثناء انتهاء خلافة أحدهم و بدأ عهد الآخر .. لكى نفترض انه أسر له بهذا الأمر. بل ان الخليفة منهم يتولى منصبه أما بعد موت الآخر، أو بعد أن يشارك فى عزل سلفه و قتله. و فى كلا الحالين لم يكن الطرف يسمح بمثل تلك المقابلة.

كما ان الخليفة الجديد دائما غير مسبوق بتوليته للخلافة قبل أن يتولاها فعلا، تحت ظروف و تأثيرات معينة. فهو لم يكن يستعد لجعل نفسه اهلا للخلافة قبل ذلك، حتى يسأل سلفه عن بعض الأمور التى قد تخفى عليه.

و من ثم يستحيل عادة ان نفترض ان الخبر بحال السفراء تسلسل

ص: ٤٤٨

بين أشخاص الخلفاء و اقتصر عليهم. بل ان افتراض ذلك يعنى ان هذا الخبر موجود بين الطبقات العليا من رجال الدولة يتناقلون فيما بينهم لكى يكون كل خليفة مسبقا بالحال من قبل خلافته.

و شيوع الخبر بهذا النحو غير محتمل اساسا. فاننا إذا افترضناه لم يكن بد من تجديد الحملات الشعواء على السفير و على قواعده الشعبية.

بل لعل المهدي (ع) نفسه يكون فى خطر و لم يكن لابن روح و لا لغيره أى مجال للتقية و المداراة. و لكننا عرفنا انه كان متمكنا من مدارات الطبقات العليا فضلا عن الدنيا، و هذا معناه- بكل وضوح- جهل تلك الطبقات بالأمر. اذن فمن أين يصل خبر السفراء إلى سائر الخلفاء؟.

و معه فيتعين أن يكون هؤلاء الخلفاء العالمين بخبر السفراء، هم وحدهم المطلعون على ذلك .. إلا أن يكون غيرهم قد سلك نفس سبيلهم فى الاطلاع على الخبر، على ما سنذكره فى البيان الثانى .. و هذا لم يرد فى التاريخ ما يدل عليه.

كما يتعين أيضا أن يكون الخليفة العالم بالخبر حريصا على عدم التصريح به امام أى شخص. إذ لو صرح به أمام بطانته و خاصته لانتشر الخبر، و لبدأت الحملات القوية ضد السفراء من حيث ان القواد و الموالى كانوا أشد تطرفا من أشخاص الخلفاء فى ذلك. و لكان هذا القول من الخليفة أحسن مستمسك ضده من قبل مواليه و معارضيه على حد سواء.

ص: ٢٢٩

البيان الثانى: اننا بعد ان عرفنا أن أى خليفة من خلفاء هذه الفترة، لا يمكنه أخذ الخبر، من سلفه و لا من خاصته. كما لا يمكن أن نفترض انه حصل عليه بعد توليه الخلافة من قبل بعض الموالى للسفراء، لأن شخص الخليفة، و هو على قمة الدولة، أولى من يجب الحذر منه، و اخص من ينبغي التكتف امامه. و وصول الخبر إليه بالواسطة غير محتمل أيضا لعدم اطلاع أحد على سفارة السفير ما لم يكن قوى الارادة صلب الايمان قابلا للصمود أمام المطاردة و التعذيب.

اذن فيتعين، ان يكون هؤلاء الخلفاء الاثنيين أو الثلاثة، قد عرفوا حال السفراء قبل توليهم للخلافة، و تصيدوا اخبارهم عن طريق اتصالاتهم ببعض القواعد الشعبية للسفير، من عامتهم أو خاصتهم، ممن يكون مسبقا بالخبر.

و إيضاح ذلك: اننا عرفنا ان الفرد من الخلفاء لم يكن عالما بانه سيتولى الخلافة، و قد لا يخطر فى ذهنه ان ذلك سيحدث له فى يوم من الأيام؛ لكثرة رجال بنى العباس الصالحين لها فى نظره، و عدم ابتناء الخلافة على أساس قانونى مضبوط. و انما ينصب الخليفة عجلة بعد موت سلفه تحت ظروف غير معينة و برأى جماعة غير معينين. فاحتمال تولي الفرد العباسى للخلافة كان ضعيفا، بل قد يكون فى غاية الوهن لدى الكثرة الكاثرة منهم .. إلا بمجرد الصدفة و تجمع الظروف المقتضية لذلك، عند موت أحد الخلفاء .. تلك الظروف المشوشة التى لا يمكن ان يحسب لها حساب قبل أيام فضلا عن أعوام.

ص: ٢٥٠

و إذا كان الفرد بنفسه جاهلا بخلافته، قبل حدوثها. فبالاولى ان يجهلها الناس، بل ان يغفلوا عنها غفلة مطلقة.

إذا عرفنا ذلك، فهمنا بوضوح، كيف يتسنى لجماعة من علماء العامة و أهل السنة، بما فيهم بعض بنى العباس، الاتصال بالخاصة و غير الخاصة من الموالى لخط الأئمة عليهم السلام. و عقد المجالس العلمية المتعددة معهم، بل و عقد أوثق الصلاة القائمة على تبادل حسن النية فى جملة من الأحيان بينهم. فقد كان هذا هو ديدن الأئمة عليهم السلام مع علماء العامة، و لا زال هذا الديدن محفوظا و متبعا بين أصحابهم إلى هذه الفترة التى نؤرخ لها.



و يكفينا أن نسمع حضور السفير ابن روح نفسه لمجالسهم، كما ان ابا سهل النوبختي كان يعرب عن مناظراته و محاججاته<sup>٥٤٨</sup> إلى غير ذلك مما يطول تعداده. و بالجملة .. كان الارتباط بين علماء المذاهب الاسلامية كبيرا في بغداد في تلك الفترة.

و كان الخاصة الموالون، إذا وجدوا من شخص انفتاحا و تقبلا و ذهننا واسعا و صدرا رحبا، ازدادوه ثقافة و معرفة و اطلاعا. و إذا اطمأنوا بشخص و احسوا منه الميل إليهم و القناعة باتجاههم، زرقوا له بعض ما يعرفون مما هو أعلى من المستوى العام المعروف من الاسلام.

و من ثم يكون المظنون، بل المتعين جزما، بعد سد سائر الاحتمالات الاخرى، كما سبق .. ان يكون الراضى و المقتدر قد استقيا معرفتهما

ص: ٤٥١

عن هذا الطريق .. حيث كانا قبل خلافتهما يعيشان العقيدة على البساطة و الصفاء بعيدا عن جو الدولة الصاحب، فامتزجا بعلماء الخاصة فاحسوا منهما الانفتاح و الميل إلى حد ما، فزرقوا إليهما بعض ما يعتبر سرا عن الآخرين كاسم السفير و عمله.

و من ثم لم يندعش الراضى من ايراد اسم الحسين ابن روح و لم يستفسر من المتكلم عن حاله و لم يسأله عن سفارته و مكانه. فان الحسين بن روح كان قد تولى السفارة قبل خلافة الراضى بعدة سنوات عام ٣٠٥ و استخلف الراضى عام ٣٢٢، و توفي ابن روح عام ٣٢٦ كما عرفنا. فيمكن للراضى ان يكون قد عرف بسفارته قبل خلافته بزمن ليس باليسير.

كما أن الراجح أن المقتدر، إنما يبدي الاحترام المترائد لابن روح باعتبار ذلك.

و هذا البيان يشمل أى خليفة يفترض أنه يحمل فكرة عن السفراء من خلفاء تلك الفترة. ما عدا المعتمد الذى بدأت تلك الفترة أثناء خلافته. فانه لا ضرورة إلى افتراض كونه مسبقا بالاتصال بعلماء الخاصة قبل خلافته.

بل يكفى فيه ما علمناه من احترام الامام العسكرى عليه السلام و الايمان بقدسيته و صدق سجيته .. إلى حد طلب منه ان يدعو له. فان مسلك الامام فى العلم و التقوى، كاف لاختذ مثل هذه النتائج المهمة.

و لم يعلم من المعتمد انه كان عالما بالسفراء بقليل و لا بكثير. و خاصة

ص: ٤٥٢

و أن خبر السفارة فى أول وجودها، و هو محاط بالكتمان و الحذر، أقل انتشارا من أزميتها المتأخرة. علما أن شخص الخليفة و خاصته، هم أولى من يكتم عنه و يتقى منه. فلم يكن يصل إليهم الخبر بحال من الأحوال و انما حصل بعض الخلفاء المتأخرين على الخبر، قبل خلافتهم، بصفتهم أفرادا من علماء العامة المنفتحين.

البيان الثالث: اننا نستطيع أن نجيب عن السؤال الثالث بوجهين الوجه الاول: و هو مترتب على البيان الثانى الذى ذكرناه. و ذلك:

ان الخليفة العالم بأمر السفراء، لما لم يصبح عالما بأمرهم الا بعد كونه منفتحا على خطهم و مطمئنا إليه بقليل أو بكثير. فهو لا يستطيع التخلص نفسيا و فكريا من هذا الاطمئنان، بعد توليه للخلافة.

إذن فبالرغم من كونه يجد نفسه عالما بحقيقة السفراء، و مسئولا عن حماية خط الخلافة العباسى. إلا انه يحس بالمسؤولية أيضا تجاه السفراء، فى حفظهم و الستر عليهم، و فاء للخط الذى انفتح عليه قبل خلافته. و فى الحدود التى لا تنافى الامن العام فى الدولة.

و معه فهو لا يصرح برأيه لاحد من خاصته، حفاظا على السفراء و على نفسه أيضا. اما محافظته على السفراء فباعتبار علمه انه لو صرح بذلك لخرج الأمر من يده و لبدأت الحملات على السفراء و قواعدهم الشعبية من دون الرجوع إلى رأيه .. من قبل قواده و وزراءه، فانهم لم يفتحو انفتاحه و لم يروا رأيه. و أما محافظته على نفسه فلعلمه أنهم لو علموا بحاله لما انتخبوه، و انهم على استعداد لا زالتهم بمجرد تهمة

ص: ٤٥٣

بذلك فضلا عن العلم به منه. و على أى حال، نرى الخليفة يلوذ بالصمت تكتما و حذرا.

و من هنا يتضح: ان هذا الشأن خاص بالخليفة وحده، و لا يشمل الآخرين. و من هنا نجا السفراء من المطاردة الفعلية، و استطاعوا التكتم، فى عهد المقتدر و الراضى العارفين بشأنهم. لأن من يعلم بهم و هو شخص الخليفة، غير عازم على مطاردتهم، و من هو عازم على مطاردتهم، و هم الآخرون، غير عالمين بشأنهم.

كما يتضح: ان القواعد الشعبية العامة الموالية للدولة، بمختلف طبقاتها، كانت خالية الذهن عن اتصالات الخليفة قبل خلافته. أو أنهم - على الاقل - علموا بها و لكنهم لم يطلعوا على ميله و انفتاحه و من هنا وقع عليه الاختيار للخلافة. فانه كان يتكتم جزما بذلك قبل خلافته و بعدها، بحيث يخفى حاله على الآخرين و على التاريخ العام المدون أيضا.

كما يتضح من ذلك، انه يمكن القول: بأن قتل المقتدر للحسين بن منصور الحلاج عام ٣٠٩، و قتل الراضى لابن ابى العزاقر الشلمغانى عام ٣٢٢، كما سبق ان عرفنا - و كلاهما ادعى السفارة زورا - قد كان مستندا إلى انفتاحهما أيضا. اى ان ما قلناه سابقا من ان قتلها هذين الرجلين المنحرفين، عمل مشترك فى مصلحة خط السفراء .. هذا المعنى كان ملحوظا للخليفة فعلا، و ان البسه بلباس آخر، تكتما و تحذرا.

يبقى سؤال واحد، و هو أن الخليفة على فرض انفتاحه على خط السفراء و ميله إليه، كيف رضى بأن يتولى الخلافة، و لما ذا لم يسلمها الى من يرى انها حقه بعد أن تولاها.

و مختصر الجواب: اننا ان فرضنا ان الخليفة كان قد اصبح قبل خلافته شيعيا مخلصا تماما .. إذن فقد يصبح معرضا للقتل على تقدير تصريحه برأيه و رفضه للخلافة. على انه- لو كان كذلك- لعلم انه ليس هناك من يدفع الخلافة إليه، فان المهدي (ع) غائب و السفير غير مأمور بتولى الخلافة .. كما انه ليس هناك من يقبل تنازله عنها فانه لو تنازل يعود الحكم إلى شخص عباسي آخر، لا إلى من يعتقد أهلا لذلك. و لعله يكون أسوأ اتجاهها ضد السفراء منه فيما إذا تولاها.

و ان لم نفرض في مثل هذا الخليفة ذلك، و لا حاجة إلى مثل هذا الافتراض بطبيعة الحال، بل يكفي فيه افتراض كونه وفيما للصحبة السابقة مع الخاصة، محترما لعلمهم و تقواهم .. و هذا هو الذي اكدنا عليه في البيان الثاني. فإذا كان الحال كذلك، فانه لا يحتمل في حقه رفض الخلافة حين تعرض عليه، بما فيها من ملك و قوة و إغراء. فانها مما تنال بالسيف و تهرق في سبيلها الدماء، فكيف إذا حصل عليها بطريق سهل بسيط.

الوجه الثاني: ان نغض النظر عن الوجه الاول فنفترض الخليفة عالما بسفارة السفراء، و غير حريص على الوفاء معهم، بل يرى السير

على خط الدولة الزم و المحافظة على أمنها و صيانتها أرجح.

الا اننا نقول: انه كان عاجزا عن تجريد الحملات على السفراء للقبض عليهم و استجوابهم و تعذيبهم. أو على الأقل، لم يكن يرى من مصلحة الدولة حدوث ذلك.

و ذلك: لما يراه الخليفة عيانا و يعيشه من التصدع في اركان الدولة و الحروب في أطرافها عن قرب و عن بعد .. فصاحب الزنج أولا و القرامطة ثانيا و الخوارج ثالثا و قواد الأطراف رابعا، و مشاكل الوزراء و الحرس و تمرداتهم و احتجاجاتهم على كثير من الأوضاع خامسا .. كل ذلك مما يشنت قوى الدولة و يدعها تحارب في عدة جبهات و تضطر لصرف الأموال في مختلف الجهات.

مضافا إلى ان نجم الخلافة كان لا زال مستمرا بالافول، و لم تواجه الامة بعد المعتضد- خلال هذه الفترة- خليفة قويا يؤبه به و يركن إليه.

فالخليفة لم يكن يجد القدرة: أو لم يكن يجد المصلحة، في أن تفتح الدولة جبهة جديدة للحرب، بتجديد الحملات ضد السفراء، و ما يحتمله من استتباع ذلك من تحركات و إراقة دماء في نفس العاصمة بغداد .. مسكن الخلافة و السفراء. و ما قد يستتبعه

من ثورات فى الأطراف من قبل المخلصين الداعين إلى الرضا من آل محمد. و قد عرفنا مقدار حذر الدولة من هذه الثورات و فرقها من حدودها.

و ما قلناه من قلة هذه الثورات خلال هذه الفترة .. انما هو أمر

ص: ٤٥٦

ندركه بعد نجاز الحوادث و تمخض النتائج خلال التاريخ. و لم تكن الدولة يومئذ. بمدركة لذلك، و هى تعيش تلك الاحداث مباشرة و قريبة العهد من كثير من هذه الثورات، و معاصرة لبعضها بالفعل و التى من اهمها دولة طبرستان. فكل ذلك مانع لا محاله للدولة عن ان تجرد الحملات ضد السفراء، حفاظا على البقية الباقية من قوى الدولة، فى جبهاتها المختلفة.

و هذا هو الذى يوضح لنا .. كيف ان الخليفة لا يصرح للآخرين بما يعلمه من امر السفراء. فانه يعلم انه لو صرح بذلك لخرج الامر من يده، و لبدء الآخرون الحملات التى لم يكن مقتنعا بكونها صحيحة و ذات مصلحة بالنسبة الى الدولة.

يضاف إلى ذلك: امكان افتراض ان الخليفة العالم بأمر السفراء كان يعلم أيضا بعدم عزمهم على القيام باى حركة اجتماعية عامة. و من ثم فهو لا يشكل خطرا مباشرا على الدولة. و من هنا كان يرى الخليفة بوضوح ان الوقوف فى وجه الاعداء المحاربين عن قرب فى البلاد او عن بعد، اولى من صرف المال و الجهد ضد امر لا ضرر منه. خاصة و هو يحتمل ان السفراء و قواعدهم الشعبية لو جوبهوا بالتحدى لامكن ان يصبحوا له جبهة قتال اخرى لا تقل ضررا عن اى جبهة اخرى بل قد تزيد.

الامر الثامن: فى مقدار ارتباط السفراء، بقواعدهم الشعبية ذكرنا فيما سبق، انه لم يكن يعرف باسم السفير الا من عرف فيه الاخلاص

ص: ٤٥٧

العظيم و الاستعداد للتضحية و الفداء. و هم الخاصة الاقلون بطبيعة الحال.

الا ان المفهوم من مجموع النقل التاريخى فى رواياتنا، ان القواعد الشعبية الموالية فى بغداد خاصة و فى العراق عامة، كانت تعرف - على العموم - فكرة السفارة و كيفية الاتصال بالسفير و لو بوسائط. و ان عددا مهما من خاصتهم و علمائهم و ميرزيهم، كانوا على اتصال مباشر بهم و علم بمسئولياتهم. و قد يقوم جملة منهم بالوساطة بين السفير و المجتمع لا بلاغ توقيعات المهدي و توجيهاته إلى الناس. قال الشيخ الطوسى:

و قد كان فى زمان السفراء الممدوحين اقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الاصل<sup>٥٤٩</sup>.

و قد يرتبط الفرد العادى من القواعد الشعبية الموالية، بواحد من هؤلاء الخاصة، لقضاء مقصوده عن طريق السفير، من دون معرفته بشخص السفير و لا مكانه و لا عمله الاجتماعى الظاهر. و لا يكون هذا الوسطة على استعداد للتصريح بذلك باعتبار كون الفرد العادى، غير قادر على الكتمان، و لا على مستوى المسئولية و الاخلاص. و سنسمع اسماء جماعة من هؤلاء الوسطاء فى الفصل الاخير من هذا القسم من التاريخ.

و على اى حال فقد سمعنا فيما سبق انه كان لابي جعفر العمرى فى بغداد نحو من عشرة انفس، منهم ابو القاسم ابن روح رضى الله عنه كانوا وكلاء على الاموال و التجارات. الا ان استعمالهم على ذلك انما

ص: ٤٥٨

كان للتغطية على الامر و زيادة الحذر و الكتمان. كما هو الحال فى السفير نفسه. و فى الواقع كانوا وكلاء فى المال و فى قيادة قواعدهم الشعبية ..

و قد سمعنا كيف ان الحسين بن روح يلقى بأسراره الى الرؤساء من الشيعة<sup>٥٥٠</sup>.

كما نسمع ان ابن روح رضى الله عنه، كان له الوكلاء، منهم الشلمغانى قبل انحرافه<sup>٥٥١</sup>. و آخرين. و فى بعض الروايات يعبر بقول الراوى:

كثبت الى الشيخ ابى القاسم الحسين بن روح، و هو ظاهر بوجود واسطة بينه و بين الراوى .. لعدم وجود البريد يومئذ بالنحو المعروف الآن.

فكان الامر فى بغداد و الاطراف يجرى على هذا النسق، فكانت توزع تعاليم الامام المهدي عليه السلام و تجبى الضرائب الاسلامية و الحقوق الشرعية، بشكل هرمى، يكون السفير قمته، و الوكلاء الخاصون وسطه، و القواعد الشعبية الموالية قاعدته، و ذلك مبالغة فى الخفاء و الحذر و التستر.

و اما فى الاطراف البعيدة، فالامر فى مبدأ الغيبة الصغرى و تحقق فكرة السفراء، كان مختلفا عن ذلك الى حد كبير. فقد كان الامر عند الكثيرين غامضا مجملا.

صحيح، ان المهدي (ع) نفسه اسس الاساس الرئيسى لارتفاع

ص: ٤٥٩

<sup>٥٥٠</sup> (١) الغيبة ص ٢٢٧.

<sup>٥٥١</sup> (٢) المصدر ص ١٨٣.

هذا الغموض، منذ اليوم الاول للغيبة الصغرى، حين ذكر لوفد القسبيين انه سيعين لهم رجلا فى بغداد تدفع إليه الاموال و تخرج عنه التوقعات. فكان لهذا الوفد اثره الكبير فى إيضاح الفكرة فى العراق و فى قم و اطرافها الى حد كبير.

الا ان الانتشار المطلوب لهذه الفكرة، يحتاج إلى عدة سنوات خاصة و هو يعيش جو التكتم و الحذر، فى كل أصقاع البلاد الاسلامية و من هنا كان الأمر فى مبدأ الغيبة الصغرى غامضا لدى الكثيرين و مبهما مجملا.

فهذا محمد بن ابراهيم بن مهزيار الأهوازي، يرد العراق شاكا بعد وفاة الامام العسكري عليه السلام، باحثا عن خلفه<sup>٥٥٢</sup>. و فى الدينور حين أراد أهلها بعد وفاة الامام بسنة أو سنتين، أن يسلموا أموالهم إلى أحمد بن محمد الدينورى ليحملها إلى حيث يجب تسليمها .. فاجابهم:

يا قوم هذه حيرة و لا نعرف الباب فى هذا الوقت.

انظر .. انه يعرف السفارة و كونها مطبقة فى ذلك الحين، و يعرف كونها فى بغداد، لكونه قصد بغداد بعد ذلك باحثا عن السفير، كما جاء به النقل<sup>٥٥٣</sup>. و لكنه يعترف بجعله باسم و شخص السفير (الباب) فى ذلك الوقت.

و فى مصر، خرج أبو الرجاء المصرى، و كان من الصالحين، بعد

ص: ٤٦٠

مضى الامام العسكري عليه السلام بثلاث سنين، خرج فى طلب خلفه<sup>٥٥٤</sup> و التعرف على وظيفته و تكليفه فى تلك الفترة.

و من الطبيعى ان يثور مثل هذا الغبار فى أول فترة الغيبة الصغرى فى المناطق النائبة عن المركز. و لكنه ينجلى تدريجا بعد أن يستطيع هؤلاء الباحثون عن الامر ان يحصلوا على المراد، فيعرفوا شخص السفير أو يقابلوا الامام (ع) نفسه أحيانا. فيرتفع شكهم و يرجعون إلى بلدانهم لكى يبلغوا مار أو امن الحق، مضافا إلى تبليغ وفد القميين و ما يقوم به من جهود. فيستتب اليقين و تهدأ النفوس.

و اذ تتضح جلية الأمر يصبح نفس النظام الهرمى مطبقا فى الاطراف أيضا، حيث يرجع الناس هناك إلى الوكلاء الموثقين فى البلدان و يرجع هؤلاء بالمراسلة إلى السفير فى بغداد.

فهذه هى أهم الامور التى تحدد الخصائص العامة و المضمون الاجتماعى للسفارة، الذى عقدنا من أجله هذا الحقل الأول.

<sup>٥٥٢</sup> (١) انظر الغيبة ص ١٥٩ و المنتخب ص ٣٨٣.

<sup>٥٥٣</sup> (٢) انظر البحار ج ١٣ ص ٧٩.

<sup>٥٥٤</sup> (١) انظر اكمال الدين المخطوط و غيره.

الحقل الثاني: فى تفاصيل أعمال السفراء:

سبق ان قلنا اننا خلال هذا البحث لا نحاول استقصاء كل ما ورد فى تاريخهم من اخبار، بل حسبنا أن نعطى لكل عنوان نعقده من الامثلة ما يجليه، من دون تطويل.

كما اننا حين نتحدث عن نشاط السفراء، نتحدث عنهم بنحو عام

ص: ٤٤١

لانهم لا يكادون يتميزون فى الاساليب، باعتبار صدورهم من منبع واحد، هى توجيهات الامام المهدي عليه السلام. و كل ما يستقل به بعض السفراء من خصائص راجع إلى اختلاف المصالح التى يراها المهدي (ع) فى ذلك، بحيث لو كان السفير الآخر فى محله لقام بنفس العمل لا محالة.

و فى هذه الحدود يقع الكلام فى أعمال السفراء، ضمن عدة نقاط:

النقطة الأولى: اقامة الحجّة على اثبات صدقهم باظهار المعجزات على المستوى الذى سبق ان عرفناه و بحثناه، ينقطع لسان الطاعن و يزداد يقين المتيقن.

و وجه الحاجة إلى مثل ذلك على العموم، هو ان منصب السفارة عن الامام المهدي عليه السلام، منصب مهم جليل تصبو إليه الانظار و تشوق إليه النفوس. و من ثم لم يكتف جماعة ممن لا حريجة له فى دينه بمجرد الأمل بالحصول عليها. بل ادعى جماعة السفارة فعلا عن الامام المهدي (ع) كذبا و زورا، استدراارا للأموال و استجلابا للانظار، فلحقته لعنة الله و المهدي و التاريخ .. على ما سنعرف فى الفصل القادم.

و من ثم احتاج السفراء إلى اقامة الحجّة على صدقهم من ناحيتين:

احدهما: كون السفير صادقا فى قوله، و غير طامع بالزعامة المزيفة فى دعواه للسفارة.

و هذه الناحية، و ان كانت تثبت بامور عديدة، منها: وثاقة السفير

ص: ٤٤٢

فى نفسه بحسب التجربة التى يعيشها الناس معه. و منها: مدح الأئمة عليهم السلام للسفيرين الأولين .. و قد كان ذلك مشهورا معروفا بينهم و منها: ايعاز كل سفير إلى خلفه امام جمع من الخاصة إلا أن المعجزة- على أى حال- ذات أثر حسى مباشر أقوى فى ازالة الشك للشاك و انفع فى التأثير على اولئك الوافدين الذين لم يعيشوا تلك الامور و انما نقلت إليهم بعضها بنحو السماع الظنى.

ثانيتها: افحام المدعين للسفارة زورا و إظهار كذبهم و دجلهم و ذلك لانه إذا اتضح للفرد جليا قدرة السفير على اقامة حوارق العادة و عجز الآخر عن ذلك، تعين لديه صدق الأول و كذب الثاني لا محالة.

و قد سبق أن حملنا عن بعض المعجزات فكرة مختصرة، و نعرض له الآن، بشيء من التفصيل مقرونا ببعض الأمثلة:

فمن ذلك: ما قاله الحسين بن روح للراوى الذى ناقشه فى بعض الأمور العقائدية، فغدا عليه من الغد و هو يقول فى نفسه: أ تراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ .. فابتدأه ابن روح، بدون سبق الكلام قائلا: يا محمد بن ابراهيم لئن أخرج من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق، أحب إلى من ان أقول فى دين الله برأى و من عند نفسى. بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجة صلوات الله و سلامه عليه<sup>٥٥٥</sup>.

انظر كيف اقترنت أمور ثلاثة انتجت نتيجة واضحة. احدها:

ص: ٤٤٣

شك المخاطب. و الآخر: التأكيد الذى ذكره ابن روح فى كلامه و الثالث: ان ابن روح ابتداه بالكلام بما فى نفسه قبل أن يعرب عنه و هو خرق للنواميس الطبيعية، و علم للغيب ببعض مراتبه. و بذلك ارتفع شكه، و لم يكن شكه ليرتفع دون ذلك.

و من ذلك: ان ابن روح رضى الله عنه، تكلم مع امرأة من أهل آبه، بلغة قومها. فانها جاءت تحمل معها ثلاثمائة دينار لكى تسلمها إلى السفير، و استصحت معها مترجما، ليكون واسطة فى التفاهم بينهما و لكن أبو القاسم بن روح أقبل عليها و تكلم معها بلسان أبى فصيح بادئا بسؤال أحوالها و حال صبيانها. فاستغنت عن الترجمة، و سلمت المال، و رجعت<sup>٥٥٦</sup>.

انظر لهذه الحجة الساذجة البسيطة، التى تزيل ما قد يكون علق فى قلب هذه المرأة الوافدة من الشك، أو من ثقل المسئولية بدفع المال إليه.

و من ذلك إخبار السمرى بوفاة على بن الحسين بن بابويه القمى فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر انه توفى فى ذلك اليوم<sup>٥٥٧</sup>.

و من ذلك: ان ابا جعفر العمري اخرج إلى محمد بن متيل، توقيعات؟؟؟

معلمة، و صريرات فيها دراهم. و قال له: تحتاج أن تصير نفسك إلى

<sup>٥٥٥</sup> (١) انظر الهبة للشيخ الطوسى ص ١٩٩.

<sup>٥٥٦</sup> (١) الغيبة ص ١٩٥.

<sup>٥٥٧</sup> (٢) انظر الغيبة ص ٢٤٢ و منتخب الأثر ص ٣٩٩.



ص: ٤٤٤

واسط فى هذا الوقت، و تدفع ما دفعته إليك إلى أول رجل يلقاك عند صعودك من المركب فى واسط<sup>٥٥٨</sup>. و بعد أن ينفذ ابن متيل هذا الأمر يرى الشخص المقصود، كما وصفه العمرى، و يظهر له من تضاعيف الحادثة ان صرة الثياب هى كفن لمحمد بن عبيد الله الحائرى، و صرة الدراهم كراء الحمالين و الحفار.

و من ذلك: ان أبا جعفر العمرى رضى الله عنه وصله رسول من قم إلى بغداد يحمل أموالا للامام عليه السلام. و عند ما دفعها إليه و أراد الانصراف، قال له أبو جعفر: قد بقى شىء مما استودعته، فاين هو؟ فقال له الرجل: لم يبق شىء يا سيدى فى يدى إلا و سلمته.

فقال له أبو جعفر: بلى قد بقى شىء فارجع إلى ما معك و فتشه و تذكر ما دفع إليك.

فمضى الرجل و اجهد نفسه أياما فى البحث و التفكير، فلم يفلح فعاد إلى ابى جعفر يائسا. فقال له أبو جعفر: فانه يقال لك - يعنى من قبل المهدي (ع) -: الثوبان السردانيان اللذان دفعهما إليك فلان ابن فلان، ما فعلا. فقال له الرجل: أى و الله يا سيدى لقد نسيتهما حتى ذهبا عن عقلى. و لست ادرى الآن، أين وضعتهما.

و بحث الرجل عنهما طويلا، و سأل كثيرا فلم يقف لهما على خبر فرجع إلى ابى جعفر فاخبره. فقال له أبو جعفر.

يقال لك: امض إلى فلان بن فلان القطان الذى حملت إليه

ص: ٤٤٥

عدلى القطن، فى دار القطن، فافتق أحدهما، و هو الذى مكتوب عليه كذا و كذا، فانهما فى جانبه.

فتحير الرجل مما أخبر به ابو جعفر، و مضى لوجهه الى الموضع ففتق العدل المذكور، فاذا الثوبان فى جانبه، قد اندسا مع القطن فاخذهما و جاء بهما الى ابى جعفر و سلمهما إليه<sup>٥٥٩</sup>.

انظر إلى صراحة ابى جعفر رضى الله عنه، بأن هذه التعليمات ليست منه، و إنما هى أوامر الامام المهدي (ع) و تعاليمه. و هذا معنى ما قلناه من ان ما يخبر به السفراء من الأمور الغائبة، انما هى بتعليم منه عليه السلام. و هى تدل بوضوح - امام هذا الرسول القمى - على صدق سفارة السفير و حقانية دعواه. بل على جلالته شأنه، و عناية الامام المهدي به.

و انظر إلى هذا التزييق التدريجى للاخبار عن الثوبين الضائعين اذ اخبره اولاً عن شىء ضائع، ثم اخبره عن جنسه و هو انهما ثوبان سردانيان. ثم اخبره عن مكانهما، و كان يفصل بين كل أخبار و آخر عدة ايام. و هذا يوفر حشدا نفسيا من التوجه الذى

<sup>٥٥٨</sup> (١) انظر منتخب الاثر ص ٣٩٦. و اكمال الدين للخطوط

<sup>٥٥٩</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٧٩.

يمهد طريق اليقين بالنتيجة و الشعور بضعف النفس و تفاهتها أمام هذا التيار الجارف من الحجج الدامغة .. التي لا تفسير لها الا كونها واقعة فى طريق الله عز و جل رب العالمين العلى العظيم.

و من ذلك: ان السلمغانى بعد انحرافه و تزويره، ارسل الى الشيخ

ص: ٤٦٦

الحسين بن روح يسأله ان يباهله. و قال: انا صاحب الرجل - يعنى الإمام المهدي (ع)-، و قد أمرت باظهار العلم. و قد اظهرته باطنا و ظاهرا. فباهلنى. فانفذ إليه الشيخ رضى الله عنه فى جواب ذلك:

اينا تقدم صاحبه فهو المخصوص. فتقدم العزاقرى، فقتل و صلب.

و أخذ معه ابن ابى عون. و ذلك فى سنة ٥٦٠٣٢٣. و سيأتى تفصيل ذلك ان شاء الله تعالى فى مستقبل هذا البحث.<sup>٥٦١</sup> النقطة الثانية: المساهمة فى إخفاء المهدي «ع». و هو ما كان كل واحد من السفراء، يكافح فى سبيله و يؤكد عليه مليا. و كيف لا، و هو على مستوى المسؤولية التى عبر عنها بعض الخاصة من معاصريهم بأنه لو كان الحجة تحت ذيله و قرض بالمقاريض ليكشف الذيل عنه، لما كشفه كما سبق ان سمعنا.

فمن ذلك: ان عبد الله بن جعفر الحميرى و احمد بن اسحاق الاشعري و هما من اجلاء علماء الاصحاب و خاصة الموالين لخط الائمة عليهم السلام.

كما عرفنا من القسم الاول من هذا التاريخ طلبا من ابى عمرو عثمان بن سعيد السفير الاول ان يخبرهما عن اسم الامام المهدي عليه السلام فقال: نهيتم عن هذا.

و فى رواية اخرى عن نفس الواقعة انه قال: محرم عليكم ان تسألوا عن ذلك. و لا اقول هذا من عندى و ليس لى ان احلل و احرم و لكن عنه عليه السلام. فان الامر عند السلطان ان ابا محمد «ع» مضى

ص: ٤٦٧

و لم يخلف ولدا و قسم ميراثه و اخذه من لا حق له، و صبر على ذلك.

و هو ذا عياله يجولون و ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم او ينيلهم شيئا.

<sup>٥٦٠</sup> (١) الغيبة ص ١٨٧.

<sup>٥٦١</sup> (٢) المصدر ص ٢١٥.

و إذا وقع الاسم وقع الطلب. فاتقوا الله و امسكوا عن ذلك<sup>٥٦٢</sup>.

و قد درسنا فيما سبق بكل تفصيل الظروف المقتضية لهذا النهى المشدد عن ذكر الاسم، حتى أمام مثل هؤلاء الخاصة. خوفا من أن يتسرب ببطء- و لو عن غير قصد- الى اصحاب النيات السيئة و النفوس المريضة من عملاء الدولة أو ممن يلين لها و يخاف من سطوتها، فيصرح بسره و يكشف ما فى نفسه.

و خرج التوقيع من المهدي (ع) الى محمد بن عثمان العمرى السفير الثانى رضى الله عنه، ابتداء من غير مسألة: ليخبر الذين يسألون عن الاسم: أما السكوت و الجنة، و أما الكلام و النار. فانهم ان وقفوا على الاسم اذاعوه. و إن وقفوا على المكان دلوا عليه<sup>٥٦٣</sup>.

انه عليه السلام يأمر سفيره ان يخبر اولئك الفضوليين الذين يسألون عن الاسم .. انهم مأمورون بالسكوت. فانهم ان تقدموا بشيء فى هذا السبيل، فالنار متواهم و بئس المصير.

و انظر إلى العلة التى يذكرها .. انه يشير إلى ضعف الاخلاص و الارادة عند الفرد المسلم. و ان كان سائرا فى خط الائمة عليهم السلام فانه ان أطلع على الاسم افشاه، و صرح به تحت الضغط الحكومى العالى

ص: ٤٦٨

و ان عرف المكان دل عليه الناس و السلطات.

و قد أثبتت هذه التساؤلات فى أغلب أمرها، فى السنوات الأولى من فترة الغيبة، و هذا ملحوظ مما نقلناه من أن التحريم صادر عن السفيرين الأولين، و لم يصدر من السفيرين الاخيرين شيء ملحوظ فى ذلك.

و على أى حال، فقد كان المتسائلون يغفلون أو يتناسون التبليغات القديمة من الائمة الماضين عليهم السلام. كقول الامام الهادى الذى سمعناه فى القسم الأول من هذا التاريخ: انكم لا ترون شخصه و لا يحل ذكره باسمه. قال الراوى: فقلت فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد (ص)<sup>٥٦٤</sup>. و قول الامام الصادق (ع): صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر<sup>٥٦٥</sup>.

و على أى حال، فهذا الكتمان الشديد، منوط بعدم وجود مصلحة كبرى فى الدلالة على مكان الامام عليه السلام و مقابله، أما لو وجدت مثل هذه المصلحة، لم يكن إلى ذلك من بد. و مما يندرج فى ذلك: ان ابا جعفر العمرى رضى الله عنه، حين رأى ان

<sup>٥٦٢</sup> (١) الغيبة ص ٢١٩. و انظر أصول الكافى (المخطوط).

<sup>٥٦٣</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٢٢.

<sup>٥٦٤</sup> (١) انظر أصول الكافى (المخطوط).

<sup>٥٦٥</sup> (٢) المصدر السابق (المخطوط).

ابا طاهر بن بلال، و هو أحد مدعى السفارة زورا، يحتكر الاموال التى للامام (ع) و لا يدفعها إلى سفيره الحق. اصطحبه و ادخله إلى بعض دوره. يقول أبو طاهر:

فاشرف علىّ من علو داره فامرني بحمل ما عندي من المال إليه. فقال

ص: ٤٦٩

له أخوه: و من اين علمت انه صاحب الزمان. قال: قد وقع على من الهيبة له و دخلني من الرعب منه ما علمت انه صاحب الزمان<sup>٥٦٦</sup>.

فكان المهدي عليه السلام- فيما تدل عليه هذه الرواية- يرى المصلحة في أن يقابل المدعى المزور وجها لوجه، و يأمره بدفع الاموال و عدم احتكارها. فكان ان ذهب به السفير إلى بعض دوره، و تمت المقابلة هناك. و كانت المقابلة قصيرة و رهيبه بالنسبة إلى هذا المزور .. و هو يعلم بكذب نفسه، و سوء تصرفه.

و الطريف في أمره انه اضطر إلى الاعتراف بعدم معرفته بصاحب الزمان المهدي (ع) شخصيا، بالرغم من انه يدعى السفارة عنه. و هذا يدل بكل وضوح على كذبه و إفحامه.

و كان المهدي عليه السلام يعلم بان هذا الرجل، بالرغم من سوء تصرفه، فانه لن يدل السلطات عليه، لانه- في واقعه- يعيش باسم السفارة عن المهدي (ع) و يقبض الاموال من الناس و يتكلم معهم على هذا الاساس .. فمن غير المنطقي بالنسبة إليه أن يدل السلطات على تلك الدار التى تمت فيها المقابلة. مضافا إلى أن اتّصاله بالسلطات قد يكون سببا لانزالهم العقاب عليه و تجريده من امواله، بصفته مدعى السفارة. مضافا إلى ما يفكر به هذا الشخص، بشكل اليقين أو الظن على الاقل. من أن الايعاز إلى السلطات بذلك، سوف لن يجدى نفعاً

ص: ٤٧٠

في القبض على المهدي «ع». فانه يستطيع أن يخفى نفسه بمختلف السبل و لن يكون هذا باهم من حوادث الكبس التى وقعت على دوره عليه السلام، فلم يتهياً للسلطات القبض عليه بحال النقطة الثالثة: التزام السفراء بالتكتم و الحذر. و قد سبق أن عرفنا هذا المسلك، و حملنا عن اسبابه و نتائجه فكرة كافية، و غاية غرضنا في هذه النقطة ان نعرض امثلة من ذلك، في حدود ما وردنا من تاريخ.

فمن ذلك: ما سمعناه من ان ابا جعفر العمري رضى الله عنه ..

و قد كان الامر حادا جدا و السيف يقطر دما .. كان يتسلم الاموال الراجعة إلى الامام (ع) من اصحابها بصفته تاجرا من التجار، و لا يدفع بها وصلا لثلا يتسرب الى السلطات.

و كان ما يحمل إلى ابى جعفر من المال، لا يقف من يحمله على خبره و لا حاله. و انما يقال له: امض إلى موضع كذا و كذا، فسلم ما معك، من غير أن يشعر بشيء. و لا يدفع له كتاب لثلا يوقف على ما تحمله منه.

و حين نص ابو جعفر قبل موته بستين أو ثلاث على الحسين بن روح، و أمر بتسليم الاموال إليه. كان يطالب ابن روح بالوصول.

فشكا ذلك الى ابى جعفر. قال الراوى،- و هو احد حملة المال إليه- فامرني أن لا اطالبه بالقبوض- يعنى الوصولات .. و قال: كل ما وصل الى أبى للقاسم فقد وصل الى. فكنت احمل، بعد ذلك، الاموال إليه و لا اطالبه بالقبوض<sup>٥٦٧</sup>.

ص: ٤٧١

و حين آلت السفارة الى الحسين بن روح بعد وفاة العمرى، ازداد تمسكا بالحذر و الكتمان، إلى حد إظهار التدين بمذهب أهل السنة و الجماعة و الدفاع عنه. و قد سمعناه يظهر تأخير أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام فى الأفضلية على جميع الخلفاء الراشدين الثلاثة.

و لم يكتف ابن روح باظهار ذلك، بل شمل لطفه و عطفه معاوية بن أبى سفيان أيضا .. فقد بلغه ان يوابا له قد لعن معاوية و شتمه فأمر بطرده و صرفه عن خدمته. قال الراوى: فبقى مدة طويلة يسأل فى أمره. فلا و الله ما رده الى خدمته<sup>٥٦٩</sup>.

ان ابن روح لم يمدح معاوية .. و لكنه فى نفس الوقت لا يرى من صالح عمله كسفير عن الإمام المهدي (ع)، وجود من يلعن معاوية فى بيته أو عند بابه .. حتى لا يكون هذا مستمسكا ضده عند الدولة فى يوم من الأيام.

و كان رضى الله عنه، يستعمل نفس هذا الأسلوب مع سائر الناس ما عدا من يعلم باخلاصه و قوة إيمانه. حتى انه كان عشرة ذاهبين إلى ابن روح تسعه يلعنونه و واحد يشكك، فيخرجون من عنده، تسعة يتقربون إلى الله بمحبته و واحد واقف.<sup>٥٧٠</sup> و هم انما اصبحوا من محبيه، باعتبار افاضته فى فضائل الصحابة و دعوته إلى مذهب الخلفاء الراشدين. لا باعتبار انه قد اثر على هؤلاء فى

ص: ٤٧٢

<sup>٥٦٧</sup> (١) المصدر ص ١٨٠.

<sup>٥٦٨</sup> (٢) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢٦. و الاكمال المخطوط.

<sup>٥٦٩</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٣٧.

<sup>٥٧٠</sup> (٢) المصدر ص ٢٣٨.

جلبهم إلى خط الائمة عليهم السلام، و جعلهم مخلصين له. و لذا يقول الراوى: لانه كان يجارينا فى فضل الصحابة ما روينا و ما لم نروه فنكتبه لحسنه عنه، رضى الله عنه.

و لهذا المسلك فائدة جمة فى إبعاد النظر عنه، و حسن ظن العامة به و احترام الخليفة المقتدر له. الا انه مع ذلك لم ينج من السجن أياما يسيره فى دار المقتدر عام ٥٧١٣١٢. و بالطبع كان لمسلكه هذا، الأثر الكبير فى تخفيف السجن عليه و قصر مدته.

النقطة الرابعة: إخراج توقيعات الامام المهدي (ع) و حل المشكلات و تذليل العقبات التى قد تصادف بعض قواعدهم الشعبية فى طريقها.

و فى الحقيقة ان المشكلات انما تحل و الحاجات انما تقضى نتيجة لتعاليم الإمام المهدي (ع) الواردة فى توقيعاته، و من هنا يعتبر التوقيع عملا من أعماله، و إن استند الى السفير باعتبار إظهاره و العمل على تطبيقه كما سبق أن قلنا.

و على أى حال، فنحن ذكرون العناوين العامة للتوقيعات مع مثال واحد لكل منها، محيلين التفصيل إلى ما سنسمعه فى الفصل الخاص باعمال المهدي عليه السلام من هذا التاريخ.

و نحن إذا لاحظنا اثر التوقيعات من الناحية الاجتماعية فى حل المشكلات و قضاء الحاجات، نراها تدرج ضمن عدة امور:

الامر الاول: حل المشكلات العائلية، و تحويل الاسرة الى اسرة

ص: ٤٧٣

سعادة و هناء.

فمن ذلك: أن زوجا حمل زوجته الى بيت ابيها، فأقامت فيه سنين، لا يسمحون لها بالرجوع إلى منزل زوجها، و لا تجدى محاولات الزوج فى ذلك، ثم انه اتى بغداد و سأل الدعاء من الإمام عن طريق الحسين بن روح. فخرج التوقيع: و الزوج و الزوجة فاصلح الله ذات بينهما. فسهل الله له نقل زوجته بايسر كلفة، و أقامت معه سنين كثيرة و انجبت منه اولادا.

قال الزوج (و هو الراوى): و أسأت إليها إساءات استعملت معها كل ما لا تصبر النساء عليه، فما وقعت بينى و بينها لفضة شر و لا بين أحد من اهلها الى ان فرق الزمان بيننا ٥٧٢.

٥٧١ (١) المصدر ص ٢٥٢ و ص ١٨٧.

٥٧٢ (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ١٨٦. و انظر ص ١٩٧ أيضا.

الامر الثاني: تيسير الشفاء لامراض قد أزممت و طال علاجها فمن ذلك: ان شخصا خرج به ناسور، فعرضه على الأطباء و انفق في التداوى عليه مالا. فلم يجد فيه شيئا. فكتب رقعة إلى الإمام (ع) يسأل فيها الدعاء. فخرج التوقيع إليه قائلا: بسك الله العافية و جعلك معنا في الدنيا و الآخرة.

يقول: فما أتت على جمعة حتى عوفيت، و صار الموضوع مثل راحتي. فدعوت طبيبا من اصحابنا و أريته إياه. فقال: ما عرفنا لهذا دواء. و ما جاءتك العافية الا من الله بغير احتساب<sup>٥٧٣</sup>.

ص: ٤٧٤

الامر الثالث: طلب الولد.

فمن ذلك: ان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ارسل إلى أبي القاسم بن روح بواسطة أبي جعفر محمد بن علي الأسود، يسأل الإمام المهدي عليه السلام ان يدعو له ان يرزقه ولدا ذكرا. فسأله ابو جعفر الأسود لابن بابويه و لنفسه. فاخبره ابن روح بعد ذلك بثلاثة ايام: أنه عليه السلام قد دعا لابن بابويه و أنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، و بعده أولاد. و لكنه لم يدع له و قال: ليس إلى ذلك من سبيل. فلم يولد له<sup>٥٧٤</sup>.

الامر الرابع: سؤال الدعاء لمهام الأمور:

فمن ذلك: أن القاسم بن العلا، و هو من الوكلاء في اذربيجان على ما سنسمع في مستقبل الأمر، ولد له عدة بنين فكان يكتب الى المهدي (ع) يسأل الدعاء لهم. فلا يجاب بشيء في امرهم. فماتوا كلهم فلما ولد له ولده الحسين، كتب يسأل الدعاء له. فاجيب إلى ذلك.

و بقي ابنه في الحياة<sup>٥٧٥</sup>.

الامر الخامس: الاستئذان بالسفر.

فمن ذلك: ان رجلا يمانيا كان في بغداد، فاراد ان يخرج مع قافلة يمنية متهيئة للخروج. فكتب يستأذن في الخروج. فخرج التوقيع قائلا: لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة. و اقم بالكوفة

ص: ٤٧٥

<sup>٥٧٣</sup> (٢) الارشاد ص ٣٣٢.

<sup>٥٧٤</sup> (١) انظر الغيبة ص ١٩٥ و انظر أيضا ص ١٨٨.

<sup>٥٧٥</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٣١.

فامتثل الامر و اقام بالكوفة. و خرجت القافلة متوجهة إلى اليمن.

فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم و استأصلتهم.

فكتب هذا الرجل يستأذن في ركوب البحر، فلم يؤذن له. فبقى متطلعا سائلا عن اخبار المراكب التي خرجت في تلك السنة. فعرف بعد ذلك انها جميعا قد غرقت و تقطعت من الرياح البوارح، و لم يسلم مركب منها<sup>٥٧٤</sup>.

الأمر السادس: الاستئذان بالخروج إلى الحج.

فمن ذلك: ان رجلا من بنى نوبخت عزم على الحج في احدى السنين و تأهب له. فخرج إليه من المهدي (ع) خطاب يقول نحن لذلك كارهون فاغتم الرجل و ضاق صدره. و كتب إلى الناحية: أنا مقيم على السمع و الطاعة، غير انى مغتم بتخلفى عن الحج. فخرج إليه الجواب: لا يضيغن صدرك، فانك تحج من قابل. فلما كان من قابل - أى السنة الآتية - كتب الرجل يستأذن فورده الاذن. فكتب إلى الناحية:

انى عادلته محمد بن العباس و انا واثق بديانته و صيانتته. فورد الجواب:

الاسدى نعم العديل فان قدم فلا تختبر عليه. قال الراوى: فقدم الاسدى فعادلته<sup>٥٧٧</sup>.

انظر كيف يتوخى الامام المهدي (ع) مصالح أصحابه و مواليه يذلل مشاكلهم و يحل مصاعبهم بسعة صدر و انفتاح على الحوادث. حتى

ص: ٤٧٤

انه يختار لهذا الرجل عديله و رفيق سفره، فينهاه عن شخص و يعين له شخصا آخر. و هو الأسدى. و الظاهر انه ابو الحسين محمد بن جعفر الاسدى، الذى كان وكيلا للسفراء فى تلك الفترة.

الأمر السابع: طلب الناس تزويدهم باكفان و حنوط.

فمن ذلك: انه كتب محمد بن زياد الصيمرى يسأل المهدي (ع) كفنا. يتيمن بما يكون من عنده، فورد الجواب: انك تحتاج إليه سنة احدى و ثمانين. فمات - رحمه الله تعالى - فى الوقت الذى حدده و بعث إليه بالكفن قبل موته بشهر<sup>٥٧٨</sup>.

<sup>٥٧٤</sup> (١) انظر الارشاد ص ٣٣٢.

<sup>٥٧٧</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٥٧.

<sup>٥٧٨</sup> (١) انظر الغيبة ص ١٨١.



و المظنون ان المراد بالسنة المحددة، هو سنة احدى و ثمانين و مأتين. و ان كان يحتمل ان يراد به السنة الحادية و الثمانين من عمره على ما ذكره المجلسي<sup>٥٧٩</sup>.

و هذه طلبات كثيرا ما نجدها فى الروايات، و السر فى ذلك واضح و هو ان المؤمن يهتم بطبيعة الحال بما بعد موته، لتأمين راحته و سعادته هناك، و ان أفضل الطرق لذلك عند الموالين للامام (ع) هو ان يكون لهم كفن مسته يد الامام و بركته انفاسه و اشترى بماله، يدفع بها ضغطة القبر و سوء الحساب.

اضف إلى ذلك ان طلبا من هذا النوع، بعيد كل البعد عن الأمور السياسية، و المهاوى الاجتماعية، و انما هى مسألة شخصية محضة. يعذر الانسان ان رعاها و بذل اهتمامه بها. كما ان الكفن المدفوع من قبل

ص: ٤٧٧

السفير ليس فيه أى دلالة على المهدي (ع) أو علامة على مكانه، و لا يمكن أن يكون ملفتا للنظر، و ان وصل إلى السلطات. بخلاف التوقيع، فان خط المهدي عليه السلام و لحن خطابه واضح فيه.

فيكون مصدرا للخطر ان وقع عند السلطات.

و من ثم انفسحت فرصة حسنة، فى توزيع السفراء للأكفان الصادرة عن الامام (ع) بين مواليه و عار فى فضله.

الأمر الثامن: تحذير الوكلاء من السلطات.

فانه خرج إلى الوكلاء فى بعض الايام أمر بان لا يأخذوا من أحد شيئا و ان يتجاهلوا بالامر. فلم يعلم الوكلاء السبب.

يقول تاريخنا الخاص: و كان السبب ان وصل إلى مسامع عبد الله بن سليمان الوزير، وجود وكلاء للمهدي عليه السلام فى بغداد و غيرها من النواحي. فهم بالقبض عليهم: فنصحوه ان يرسل لكل وكيل شخصا يدعى انه له مال يدفعه للامام. فمن قبض من الوكلاء شيئا قبض عليه.

فقام الوزير بهذه المحاولة، إلا ان تعاليم الامام المهدي (ع) كانت قد سبقته الى الوكلاء. فتنصل الجميع من الوكالة و تجاهلوا أمرها.

فحبطت مؤامرة الوزير، و نجا الوكلاء من برائن السلطات<sup>٥٨٠</sup>.

و هذا، بشكل عام واضح كل الوضوح، فانه يعكس تطرف السلطات، ضد هذا الخط المقدس. كما انه يدل على تعدد الوكلاء فى

<sup>٥٧٩</sup> (٢) انظر البحار ج ١٣ ص ٨٣.

<sup>٥٨٠</sup> (١) انظر اعلام الورى ص ٤٢١.

بغداد وغيرها. وهو معنى الذى قلناه من انهم وكلاء للسفير لا للمهدى مباشرة. و ان كان المهدى (ع) حريضا على سلامتهم اجمعين.

إلا ان الاعتراض الذى يرد على هذه الرواية، هو ان خلفاء هذه الفترة، ابتداء بالمعتمد و المعتضد و انتهاء بالراضى و المتقى، ليس من وزراءهم من يدعى: عبد الله بن سليمان. لكن قد يراد به، بنحو من التجوز فى التعبير: ابا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان الذى استوزره القاهر ابا ن خلفته<sup>٥٨١</sup>. و معه فتصح هذه الرواية.

و على أى حال، فهذه أمور ثمانية، لا على وجه الحصر، مما كان السفراء فيه الوسطة الامينة الرحيمة، بين الامام المهدى و قواعده الشعبية، فى حل مشكلاتهم و قضاء حوائجهم.

النقطة الخامسة: قبض السفراء للأموال و توزيعها و ايصالها إلى حيث يجب دفعها.

و هو من واضحات وظائفهم و مهمات أعمالهم، بصفتهم حلقة الوصل بين الامام و قواعده الشعبية، و تتمثل هذه الاموال بما يملكه الامام من الحقوق الشرعية الاسلامية فى أموال الناس.

و قد عرفنا من تاريخ الفترة السابقة، كيف ان الموالين لخط الائمة عليهم السلام، كانوا يحملون من أطراف البلاد الاسلامية هذه الاموال إلى الائمة (ع)، و كانت الوفود تفد إليهم حاملة الاموال و الاسئلة فتسلم إليهم الاموال و تستقى منهم اجوبة المسائل و حل المشكلات.

و كان الامام عليه السلام فى اول مقابله يصف للوفد المال قبل قبضه و يذكر جنسه و كميته و دافعه و غير ذلك. الزاما للحجة تجاه الوفد فاذا علم الوفد بامامته، و ورد عليه فى السنوات الاخرى حاملا بعض الاموال له يحتج الى ذلك.

حتى ان الامام العسكرى (ع) اثناء حياته كلف ابنه المهدى (ع) ان يصف اموالا حملها احد الوفود من قم، ففصل القول فى اوصافها<sup>٥٨٢</sup> لاجل إقامة الحجة على الناس فى امامة المهدى عليه السلام و قد سمعنا المهدى (ع) و هو يصف المال لوفد القميين الذى ورد الى سامراء يوم وفاة الامام العسكرى (ع).

<sup>٥٨١</sup> (١) انظر المروج ج ٤ ص ٢٢١ و الكامل ج ٦ ص ٢٢٩.

<sup>٥٨٢</sup> (١) انظر إكمال الدين المخطوط.

و استمرت الوفود تصل بالاموال الى السفراء من بعيد، الى جانب اموال اخرى يحملها الافراد من قريب إليهم. و يكون من وضيقة السفراء ازاء ذلك حين يتسلمون المال ان يصفوه أيضا و يذكروا خصائصه. لاجل إقامة الحجة على الآخرين، و اثبات صدق السفير.

و ذلك بتعليم من الامام المهدي (ع).

فمن ذلك: ان محمد بن ابراهيم بن مهزيار سلم مالا جليلا الى رسول الامام (ع) بدلالة الوصف<sup>٥٨٣</sup> و دفع احمد بن محمد الدينوري إلى وكيل المهدي (ع) ستة عشر الف دينار من اهل الدينور، دفعها بدلالة الوصف أيضا<sup>٥٨٤</sup>

ص: ٤٨٠

و طاهر بعض الروايات، ان الاموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى، الى سامراء حيث يكون من يقبضها هناك و يسلمها إلى المهدي. و ذلك بدلالة من السفير نفسه. كما فعل ابو جعفر العمري مع الدينوري المشار إليه<sup>٥٨٥</sup>.

ثم انقطع ذلك، و استمر السفير على قبض المال بنفسه مع اعطاء الوصل به<sup>٥٨٦</sup> و ربما اقترن بالدعاء للمالك أيضا<sup>٥٨٧</sup>. و ربما اقترن بالتذكير بمال يجب دفعه الى الامام، نسيه الحامل<sup>٥٨٨</sup>.

و لم ننس لحد الآن تلك المرأة من اهل آبة التي حملت للحسين بن روح ثلاثمائة دينار فكلمها بلسان آبي فصيح<sup>٥٨٩</sup> كما لم ننس ذلك الرجل الذي ورد قم الى بغداد باموال ليدفعها الى آبي جعفر العمري، فذكره ابو جعفر بالثوبين السردانيين<sup>٥٩٠</sup>.

كما لا ينبغي ان ننسى الرسل الحاملين للاموال ممن كان يحولهم ابو جعفر العمري في اعوامه الاخيرة على الحسين بن روح. و كان احدهم حاملا لأربعمائة دينار<sup>٥٩١</sup>. و طولب ابن روح بدفع الوصولات فشكا ذلك الى آبي جعفر. قال الراوى: فامرني ان لا اطالبه بالقبوض و قال: كل ما وصل الى آبي القاسم فقد وصل الى. فكننت احمل بعد

ص: ٤٨١

<sup>٥٨٣</sup> (٢) انظر غيبة الشيخ الطوسي ص ١٧١.

<sup>٥٨٤</sup> (٣) انظر البحار ج ١٣ ص ٧٩.

<sup>٥٨٥</sup> (١) البحار ج ١٣ ص ٧٩.

<sup>٥٨٦</sup> (٢) الارشاد ص ٣٣٥.

<sup>٥٨٧</sup> (٣) اكمال الدين (المخطوط).

<sup>٥٨٨</sup> (٤) الارشاد ص ٣٣٥.

<sup>٥٨٩</sup> (٥) غيبة الشيخ ص ١٩٥.

<sup>٥٩٠</sup> (٦) المصدر ص ١٧٩.

<sup>٥٩١</sup> (٧) المصدر ص ٢٢٤ و ص ٢٢٥.

ذلك الاموال إليه و لا اطالبه بالقبوض<sup>٥٩٢</sup>.

و انما امتنع السفراء عن دفع الوصولات باعتبار صعوبة الوقت و كان السيف يقطر دما فى زمان المعتضد كما سبق ان سمعنا. و كان ما يحمل إليه من الأموال لا يقف من يحمله على خبر ابى جعفر و لا على حاله بل ينفذه إليه كما ينفذ التجار إلى أصحابهم على يدمن يتقون به. و كان يقال للفرد:

أَمْضِ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا فَسَلِّمْ مَا مَعَكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِشَيْءٍ وَ لَا يَدْفَعُ إِلَيْهِ كِتَابًا، لِنَلَا تَطْلُعَ السُّلْطَاتُ عَلَيْهِ<sup>٥٩٣</sup>.

و من هنا نستطيع أن نعرف ان الوصولات لم تدفع إلا لفترة قليلة نسبيا من عهد الغيبة الصغرى. حيث بدأ المعتضد خلافته عام ٢٧٩ أى بعد تسعة عشر عاما من مبدئها. و المظنون انها لم تدفع بعد ذلك خلال الخمسين عاما التالية إلى نهاية هذه الفترة.

فهذا هو حال قبض الاموال من قبل وكلاء المهدي (ع) و سفرائه ثم لا يهمننا ان نفكر فى ان هذه الاموال هل تبقى لدى السفراء أم تدفع الى المهدي (ع). لانها على اى حال تكون تحت اشرافه و رهن تعليماته فانها ان دفعت إليه مباشرة فهو غاية المطلوب. و ان بقيت فى يد السفارة، فلا مانع منه فان يد الوكيل كيد الاصيل.

و على أى حال، فمن المؤكد- عادة- وصول جملة من الأموال الى الامام المهدي (ع) مباشرة. بل ظاهر بعض الروايات ان وظيفة

ص: ٤٨٢

السفير فى قبضه للأموال هو ايصالها إليه (ع)<sup>٥٩٤</sup>.

و بهذه الاموال كان المهدي (ع) يزجى حاجاته الشخصية، و يوزع منها على عدد من مواليه، عند مقابلته شخصيا أو بدون ذلك. و كان عليه السلام لا يجيز رد المال الذى اعطاه و يعتبره أمرا ينبغى الاستغفار منه<sup>٥٩٥</sup>. و تكون من هذه الاموال قيمة الاكفان التى يدفعا إلى مواليه و الاموال التى يعطيها كاجرة للحمال و الدفان<sup>٥٩٦</sup>، و ما كان يجريه لبعض مواليه جريا على ما كان عودهم عليه أبوه العسكرى<sup>٥٩٧</sup>.

و أما توزيع السفراء للمال، فهو- فى التاريخ الخاص- نادر الوجود. مع العلم انه كان مما يحدث جزما لوجوب اىصال الاموال و الحقوق الشرعية إلى مستحقيها شرعا، أو صرفها فى سبيل الله و المصالح الاسلامية العامة. و قد عرفنا الظروف التى اوجبت

<sup>٥٩٢</sup> (١) غيبة الشيخ ص ٢٢٤.

<sup>٥٩٣</sup> (٢) المصدر السابق أيضا ص ١٨٠.

<sup>٥٩٤</sup> (١) غيبة للشيخ ص ١٧٨.

<sup>٥٩٥</sup> (٢) الارشاد ص ٣٣٣.

<sup>٥٩٦</sup> (٣) انظر الغيبة ص ١٩٣ و منتخب الاثر ص ٣٩٦.

<sup>٥٩٧</sup> (٤) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢١٩.

الكتمان و الحذر. و فهمنا الخطر الذى كان يحيق بالسفراء لو انهم وزعوا الاموال علنا. و لا ينبغي أن ننسى بهذا الصدد الكلام الذى سمعناه عن السفير الاول، عن حال عائلة الامام المهدي عليه السلام: «و ليس أحد يجس أن يتعرف عليهم أو ان ينيلهم شيئا».

فالتوزيع. كان يقع سرىا للغاية بعيدا عن أعين الدولة، و لا يصرح به إلا نادرا، و من هنا لم تصلنا اخباره. و لعل الاغلب هو توزيع

ص: ٤٨٣

الاموال على الاسلوب التجارى، أى يعطى الفرد بصفته دائما مثلا حتى لا يكون ماثرا للشك لا لدى السلطات.

و من هذا النادر ما دفعه الشيخ ابن روح رضى الله عنه، من المائة درهم إلى أحدهم مع حنوط و اكفان<sup>٥٩٨</sup> حتى لا يكون ملفتا للنظر.

و الطريف فى هذا الصدد ان الاموال التى كان يوزعها المهدي عليه السلام، لمن شاهده و غيرهم، بحسب نقلها فى التاريخ أكثر جدا مما وردنا توزيعه عن طريق السفراء. و سيأتى التعرض لذلك فى الفصل الخامس الخاص بالمهدى (ع).

النقطة السادسة: الجهاد العلمى للسفراء.

حول المناقشات العقائدية و حلول المشاكل العلمية التى كان يقوم بها السفراء، سواء من ذلك ما كان لتوجيه أصحابهم و صقل أفكارهم. أو لأجل الاحتجاج ضد الشبهات التى يثيرها الآخرون، و الدفاع عن الحق بلسان مخلص سليم.

و نحن فى هذا الصدد لا بد ان نعرض صفحا عن امرين لهما محلها فى الفصلين الآتيين من هذا التاريخ:

احدهما: المناقشات و التوجيهات الفقهية و العقائدية و الاجتماعية الصادرة على أيدي السفراء من الامام المهدي (ع) فان ذلك يعتبر من اعمال المهدي نفسه و يأتى التعرض له فى الفصل الخامس من هذا التاريخ.

ص: ٤٨٤

ثانيهما: مناقشة السفراء لمدعى السفارة أو الوكالة عن المهدي زورا فان هذا مما نذكره عن قريب فى الفصل الآتى.

تبقى بين يدينا التوجيهات و المناقشات التى يذكرها أحد السفراء الاربعة، من عند انفسهم، باعتبار ما يعرفونه من الحق. فى حدود تعاليم الامام المهدي (ع) و مسلكهم العام.

يندرج فى ذلك، ما سمعناه عن السفير الاول فى النهى عن التصريح باسم المهدي، و الشكوى من جور السلطات و سطوتهم. و قد سبق ان سمعناه أكثر من مرة.

و للشيخ ابن روح مناقشات عديدة، فمن ذلك مناقشته لبعض المتكلمين المعروف بترك الهروى، فى فضل الزهراء على سائر بنات النبى (ص). حتى قال الهروى: فما رأيت أحدا تكلم و اجاب فى هذا الباب باحسن و لا أوجز من جوابه<sup>٥٩٩</sup>.

و من ذلك مناقشته لرجل حول مقتل الامام الحسين عليه السلام بيد اعداء الله عز و جل. و قد اجابه بجواب مطول، أكد فيه ان حكمة الله عز و جل قد جرت فى ان انبيائه و أوليائه يكونون فى حال غالبيين و اخرى مغلوبين و فى حال قاهرين و اخرى مهزومين. و لو جعلهم عز و جل فى جميع أحوالهم غالبين و قاهرين و لم يبتلهم و لم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز و جل، و لما عرف فضل صبرهم على البلاء و الاختبار.

ص: ٤٨٥

و لكن جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة و البلوى صابرين و فى حال العافية و الظهور على الاعداء شاكرين و يكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين و لا متجبرين .. إلى آخر كلامه.

و حين شك الراوى فى ان هذا الكلام، هل قاله من عنده أم هو من تعاليم الامام المهدي (ع). قال له ابن روح: يا محمد بن ابراهيم! لان آخر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق احب إلى من ان أقول فى دين الله برأى و من عند نفسى بل ذلك من الاصل و مسموع من الحجة صلوات الله و سلامه عليه<sup>٦٠٠</sup>.

و من تعاليمه رضى الله عنه، ما قاله لاحمد بن محمد الصفوانى: ان يحيى بن خالد سمم موسى بن جعفر عليه السلام فى احدى و عشرين رطبة و بها مات. و ان النبى (ص) و الأئمة (ع)، ما ماتوا إلا بالسيف أو السم. و قد ذكر عن الرضا (ع) أنه سم. و كذلك ولده و ولد ولده<sup>٦٠١</sup>.

انظر كيف بتّ رضى الله عنه، فى هذه المسألة التى كانت و لا زالت محل الخلاف بين المسلمين عموما و المؤرخين خصوصا، من ان النبى (ص) هل مات مسموما أولا. فقد جزم ابن روح بكونه (ص) مات مسموما، ليس هو فقط، بل عدد من الأئمة (ع) أيضا. و الباقر ماتوا

ص: ٤٨٦

بالسيف على إيدى أعداء الله و رسوله.

<sup>٥٩٩</sup> (١) غيبة الشيخ ص ٢٣٩.

<sup>٦٠٠</sup> (١) انظر غيبة الشيخ ص ١٩٩. و الاحتجاج ص ٢٨٨.

<sup>٦٠١</sup> (٢) غيبة الشيخ ص ٢٣٩.

و لعلك لاحظت معي ان امثال هذه المناقشات مما لا ينافي مع جو التقية و الحذر، الذي كان يسلكه السفراء على العموم و الشيخ ابن روح على الخصوص، اذ ليس في هذه المسائل «فتوى رسمية» للدولة أو وجهة نظر خاصة لعلماء العامة، ينبغي له التحرز من مناقشتها و مجابتهها.

و لكننا لا زلنا نذكر: ان الثقافة المعطاة منه رضى الله عنه ليست هي دائما الثقافة التي تتفق مع خطه و اعتقاده. بل قد يمتزج بها غيرها، لو اقتضى ذلك مصالح عمله كسفير مؤد لواجبه تجاه أمامه (ع) و مجتمعه.

و لعل أهم مثال لذلك، ما سمعناه فيما سبق مختصرا، و نذكره الآن تفصيلا، من انه تناظر في بعض مجالس العامة اثنان. فزعم احدهما ان أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله (ص) ثم عمر ثم علي. و قال الآخر: بل علي أفضل من عمر. فزاد الكلام بينهما. فقال ابن روح رضى الله عنه: الذي اجتمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق ثم الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي. و أصحاب الحديث على ذلك، و هو الصحيح عندنا.

فجعل عليا أمير المؤمنين (ع) دون عثمان في الفضل بحسب ظاهر كلامه. و هو ما لم يكن مقصودا لكلا المتناقشين، و انما اختلفا في تفضيله على عمر، مع اتفاقهم على تفضيله على سائر البشر بعده.

و حيث كان يعلم الراوى، الذي يسمع هذا الكلام أن هذا مخالف

ص: ٤٨٧

لخطه و بعيد عن اعتقاده .. فوقع عليه الضحك، و لم يستطع ان يمنع نفسه، رغم محاولته، حتى خشى أن يفتضح. فقفز خارجا عن المجلس.

و انتبه إليه ابن روح و عرف قصده. فبادر إليه بعد خروجه من المجلس، و قصده في داره، فطرق عليه الباب، و ابنه علي ضحكه و قال له: يا أبا عبد الله - ايدك الله - لم ضحكت؟! فاردت ان تهتف بي كأن الذى قلته عندك ليس بحق. قال الراوى: فقلت له: كذلك هو عندي! فقال لى: اتق الله أيها الشيخ، فاني لا اجعلك في حل.

تستعظم هذا القول منى فقلت: يا سيدى. رجل يرى بانه صاحب الامام و وكيله، يقول ذلك. لا يتعجب منه و يضحك من قوله هذا!! فقال لى: و حياتك لئن عدت لاهجرنك .. و ودعه و انصرف<sup>٦٠٢</sup>.

فانت ترى ان المناقشة بين هذا الرجل و ابن روح، قائمة على تخيل الراوى المناقضة بين مسلك ابن روح و بين كلامه. و الفرد انما يكون وكيلا للامام و سفيرا عنه مع الانسجام مع خطه و اخلاصه له .. دون ما إذا كان مظهرا لغير ما يبطن، و لهذا اظهر الرجل التشكيك - جدلا - بالسفارة، لا باعتبار كونه معتقدا لهذا التشكيك كما هو معلوم.

وكان كلام ابن روح منصبا على التأكيد من طرف خفى على الانسجام بين خطه الاصلى و كلامه، و ان ما قاله انما هو باعتبار

ص: ٤٨٨

الاخلاص له و الالتزام به. باعتبار المصالح التى يستطيع ان ينالها و المشاكل التى يذللها بمثل هذا الكلام .. و توجيهات الامام المهدي (ع) المتعلقة بذلك. و هو معنى قوله: كأن الذى قلته عندك ليس بحق.

و الله العالم.

ثم انه رضى الله عنه أكد على ذلك، و هدد الرجل بهجرانه. لئلا يكون هذا الرجل و امثاله، عائقا أمام مسالك ابن روح و مصالحه و تطبيقات أوامر امامه (ع). فقد يسبب له خرقا كبيرا فى المجتمع قد تترتب عليه من الاضرار و تنتفى من المصالح ما لا سبيل إلى تداركه.

فهذا هو مهم الكلام فى أعمال السفراء و نشاطهم و مسالكهم العامة و به ينتهى القسم الثانى من هذا الفصل الثالث. و به ينتهى هذا الفصل و الحمد لله رب العالمين.

ص: ٤٨٩

### الفصل الرابع السفارات المزورة عن المهدي (ع)

ابتليت السفارة عن الامام المهدي (ع) و السفراء، بعد أعوام قلائل من أول عهدهم، بدعاوى السفارة كذبا و زورا، طمعا فى ابتزاز الأموال و التزعم على الناس.

مناشئ التزوير:

السفارة الكاذبة فى واقعها تشويه منحرف لمفهوم السفارة الصادقة العادلة. و من هنا جاءت متأخرة عنها بسنوات. و ذلك: لان القواعد الشعبية الموالية فى زمان الامامين الهادى و العسكرى عليهما السلام. و ان كانت قد اعتادت على وجود السفراء عن الامام عند احتجابه عن الناس تمهيدا للغيبة الصغرى، كما عرفنا. إلا انه من المحتمل اساسا للفرد العادى - لو التفت إلى ذلك - ان يحتجب الامام المهدي (ع) عن

ص: ٤٩٠

قواعده الشعبية، و لا يوكل عنه شخص على الاطلاق.

و إنما ثبت عزمه عليه السلام على التوكيل خلال هذه الفترة، عن طريق تصريحه هو عليه السلام و تصريح ابيه العسكرى عليه السلام و اعمال السفراء فى إثبات و كالتهم. و قد استعرضنا كل ذلك بالتفصيل.



فاذا ثبت عزمه عليه السلام على ايجاد الوكالة او السفارة عنه.

انفتح باب إمكان دعوى السفارة الكاذبة و تزوير الدعوى بالاتصال بالمهدى (ع). خاصة بعد معلومية ان الاتصال به سر لا يمكن لاحد الاطلاع عليه او السؤال عن مكانه و زمانه. فتكون دعوى الاتصال به سرا بمكان من الامكان. و لن يبنى المزور بصعوبة و إحراج من هذه الجهة.

يعضده فى ذلك عدة امور: إحداها: ضعف الأيمان لديه و سوء الاخلاص و قابليته للانحراف. ثانيهما: الطمع بالأموال التى يحصل عليها عن هذا الطريق. إذ يتخيل المزور ان الحقوق الشرعية التى تدفع الى السفير الصادق ستدفع إليه.

ثالثها: فسح المجال للشهرة الاجتماعية و التقدم بين الناس، و التحكم فى القواعد الشعبية الموالية للامام عليه السلام. و إصدار الأوامر و التواهى فيها بزعم انه صادر عنه عليه السلام.

و لا يهم بعد ذلك، ان نفهم ان مدعى السفارة الكاذبة، هل كان يعتقد ضمنا بكذب السفير الصادق، كما صرح به الشلمغانى بالنسبة إلى السفير الثانى، على ما سنسمع. او كان المزور يعتقد بكذب فكرة

ص: ٤٩١

السفارة أساسا. إذن فلا فرق فى نظره بينه و بين ذاك السفير، فكما ادعى غيره السفارة يمكن له أيضا ذلك.

أو كان المزور يعتقد بصدق السفارة و صدق السفير، و لكنه كان طامعا بالمصالح الشخصية التى أشرنا إليها، فأدعى السفارة تقديمها لمصالحه الشخصية على المصالح الدينية شخصية و اجتماعية.

لا يهمننا إثبات مثل هذه الاتجاهات لمدعى السفارة، بعد ثبوت كذبهم فى الدعوى، على أى أساس كان.

يبقى هناك عدة اتجاهات للمزور قد تخطر فى الذهن، يحسن التعرض لها و مناقشتها.

الاتجاه الاول: أن يرسل الامام المهدى (ع) سفيرا و يأمره بتبليغ بعض التعليمات، ثم يكذبه و ينفى سفارته بلسان سفير آخر. و هذا غير محتمل أساسا، لما نعتده فى الامام المهدى (ع) من العصمة التى هى فى حقيقتها عمق فى العدالة و الاخلاص و الايمان، و معه يكون أجل و أعظم من أن يقوم بمثل هذا التغيرير و الغدر. فان مثل هذا العمل غدر بمثل هذا السفير المفروض. و تغريير بالجهل بالنسبة إلى القواعد الشعبية الموالية .. و كلاهما ظلم يجلب عنه المعصوم و ينتزه.

الاتجاه الثانى: ان يرسل الامام المهدى عليه السلام، سفيرا على أساس الدوام و الاستمرار، و يكون السفير فى مبدأ أمره عادلا صادقا. و لكن هذا السفير لقله إخلاصه و ضعف إيمانه، يتأثر بالأموال و المغريات فيصبح منحرفا و تظهر منه العقائد و الأعمال الباطلة. فيعلن الإمام

ص: ٤٩٢

المهدى (ع) على يد سفير آخر عزله عن السفارة و لعنه.

و هذا مما لم يحدث بالخارج. و إنما الذى حدث ان الشلمغانى كان وكيلا عن السفير ابن روح، فعزله السفير بعد انحرافه، على ما سنسمع و لم يكن سفيرا للمهدى بحال. على ان هذا غير ممكن أساسا، بحسب ما عرفناه من سياسة الامام المهدى (ع) فى تعيين السفراء، من أن السفارة موقف دقيق و خطر، فلا بد ان يكون شخص السفير بمرتبة من الأخلاص بحيث لو كان المهدى عليه السلام تحت ذيله و قرض بالمقاريض ليكشف الذيل عنه لما كشفه، و هذه المرتبة من الاخلاص لا يحتمل توفرها بالنسبة الى من ينحرف بعد ذلك و يفسد حاله عقيدة و سلوكا.

فإن الفسق بعد الايمان، لا يكون الا من نقطة ضعف مركوزة فى نفس الفرد، ناشئة من تقصيراته و سوء اختياره. و من الصعب جدا بل غير الممكن عادة ان تتصور شخصا مؤمنا حقا من دون ان يشوب ايمانه و إخلاصه نقص او تقصير .. ثم ينحرف انحرافا كبيرا بحيث يكون مستحقا للعنة و التشنيع.

اذن، فالشخص القابل للانحراف فى مستقبل امره، لا يكون قابلا للسفارة اساسا. و ضعف الايمان أمر لا يخفى على الفرد الواعى فضلا عن الإمام المهدى «ع». اذن فكيف يرسله سفيرا؟ و خاصة أنه من المحتمل أن يكشف عن المهدى «ع» و يدل السلطات عليه بعد الانحراف. و هذا خطر، كان يخطط الامام دائما للتفصي عنه و التحذر منه.

على أنه لو كان الفرد سفيرا حقا فى مبدأ امره، لأمكن له ان يتلقى

ص: ٢٩٣

من تعاليم الإمام المهدى (ع) و توجيهاته، ما يصون به إيمانه من الانحراف و عقيدته من الاسفاف. و قد عرفنا كيف كان السفراء الصادقون يتلقون العلوم و التوجيهات منه عليه السلام، لأجل تكميلهم و تعميق ثقافتهم الإسلامية بغض النظر عن المصالح العامة.

الاتجاه الثالث ان يرسل الامام المهدى «ع» سفيرا فى قضايا معينة ازمات محددة، لا على اساس الدوام و الاستمرار. و هذا مما يحتمل حدوثه. و هو فى واقعه من السفارة الصادقة، لا من الكاذبة. و هذه السفارة تنتهى عادة باداء العمل الموكل إلى الفرد، و لا تستتبع الانحراف بعدها على اى حال.

الاتجاه الرابع: أن نتصور ان مدعى السفارة كاذبا. لا يعلم بكذب نفسه، بل يتخيل نفسه صادقا. و ذلك: لانه استطاع احد المحتالين الماكرين ان يخيل له انه هو المهدى، فيجتمع به فى الخفاء و يعطيه التعاليم و يقبض منه الأموال بزعم كونه هو المهدى. و يبقى السفير معتقدا بصحة سفارته، و هو كاذب فى الحقيقة، و خاصة و هو لم يشاهد الإمام المهدى عليه السلام قبل ذلك، و لم يحمل من شخصه أى فكرة سابقة الا أن هذا و إن كان محتملا فى حق بعض البسطاء مبدئيا لعدة ايام او لعدة اشهر - مثلا- و لكن مثل هذا التزوير غير قابل للبقاء. لان هذا السفير المغرر به، سينكشف له خلال الزمان ما فى صاحبه الماكر من هفوات و نقص و قصور .. بحيث يثبت لديه انه ليس مهديا بل رجل ماكر محتال.

ص: ٢٩٤

و اذا لم ينتبه انتبه الناس الى ذلك، و خاصة العلماء الموالين لخط الائمة عليهم السلام و مفكرهم و مبرزيهم .. فاننا لا ننسى بهذا الصدد الأجوبة و البراهين و الحجج التي اعتاد الناس صدورها من السفراء الاربعة، و كانوا يتطلبونها من كل مدع للسفارة. فاذا عجز السفير او عجز صاحبه عن اقامة الحجة، ثبت تزويره لا محالة.

على ان مثل هذه السفارة، بل كل سفارة كاذبة، تكون مبتورة الاول عادة، غير منصوص عليها من قبل شخص سابق قام الدليل على صدقه. و انما تكون قائمة فقط على اساس زعم المدعى. على حين عرفنا كيف ان السفارة الصادقة منصوص عليها من قبل الامام المهدي (ع) و ابيه العسكري (ع). مضافا الى نص بعضهم على بعض، و ما ظهر على ايديهم من الحجج و البراهين.

### السلسل التاريخي للتزوير:

بدأ التزوير - على ما يدل عليه تاريخنا الخاص - في عهد السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه. و اما ابوه السفير الاول، فقد كان اقوى و اسمى من ان يعارضه معارض، بعد تاريخه المجيد مع الامامين العسكريين الماضيين عليهما السلام. و ثناؤهما العاطر عليه، و اداؤه لمختلف انواع الجهاد في عهدهما و بموجب توجيهاتهما و تعاليمهما. فلن يكون للظنون ان تحوم و للمطامع ان تطمح لمعارضته او مضايقته. فانها ستجابه بالنقد و الانكار من كل جانب.

ص: ٤٩٥

كما ان الظرف لم تكون لتساعد على دعوى السفارة. فان الغيبة الصغرى لا زالت في اولها، و تتبع السلطات و مطاردتهم للمهدي (ع) و لكل من يمت إليه بصلة، قوية. و عائلته يتسكعون في الطرقات لا يجرأ احد على التعرف عليهم او الاقتراب منهم. و قد كانت سفارة عثمان بن سعيد جهادا كبيرا و تضحية عظيمة فكيف ان يعرض الشخص نفسه للمطاردة و الخطر تلقائيا بانتحال السفارة.

على ان التزوير لا يكاد يحتمل وجوده قبل ان يعتاد الناس على هذا النحو من السفارة عن الامام المهدي عليه السلام. و هذا الاعتياد يحتاج في تحقيقه إلى زمن بطبيعة الحال، تعبشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة. و هو ما لم يتحقق في اول الغيبة الصغرى، و خلال الاعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في السفارة.

و قد توفر المزورون خلال الفترة الطويلة التي قضاها السفير الثاني في سفارته. و تاريخنا الخاص، و ان لم يضع الحروف على النقاط من حيث تواريخ التزوير و عدد من جهاته، على ما سنسمع .. الا انه على اى حال يدل على بدء السفارة الكاذبة في زمان هذا السفير.

فقد ادعى السفارة زورا عن الامام المهدي عليه السلام في زمان ابي جعفر محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه، عدة اشخاص: اولهم: ابو محمد الشريعى. قال الراوى: و أظن اسمه كان الحسن. و هو اول من ادعى مقاما لم يجعله الله فيه<sup>٦٠٣</sup> و محمد بن نصير النميرى. ادعى ذلك

ص: ٤٩٦

الامر بعد الشريعى<sup>٦٠٤</sup>. و احمد بن هلال الكرخى<sup>٦٠٥</sup>. و ابو طاهر محمد بن على بن بلال البلالى<sup>٦٠٦</sup>. و أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن اخى ابي جعفر العمري رضى الله عنه. و اسحاق الاحمر<sup>٦٠٧</sup>. و رجل يعرف بالباقطنى<sup>٦٠٨</sup>.

و قد كان بعضهم صالحين فى مبدأ أمرهم، و من أصحاب الامامين الهادى و العسكرى عليهما السلام. فانحرفوا و سلكوا مسلك التزوير.

فجابههم العمري رضى الله عنه بكل قوة و انتصر عليهم، و خرجت من المهدي (ع) التواقيع و البيانات بلعنهم و البراءة منهم، و التأكيد على كذب سفارتهم و سوء سريرتهم.

و اما الشيخ الحسين بن روح السفير الثالث، فقد ابتلى باشدهم تأثيرا و اوسعهم أصحابا: محمد بن على السلمغانى العزاقرى<sup>٦٠٩</sup>. و كان فى مبدأ امره مؤمنا مستقيما، بل وكيلا لابن روح. ثم ظهر انحرافه و سقم عقيدته على ما سيأتى تفصيله.

و آخرهم فى دعوى السفارة الكاذبة - على ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسى<sup>٦١٠</sup> -: أبو دلف الكاتب، حيث كان على ذلك إلى ما بعد

ص: ٤٩٧

وفاة السمرى السفير الرابع. قال الراوى: فلغناه و برئنا منه، لأن عندنا ان كل من ادعى الامر بعد السمرى فهو كافر منمس ضال مضل.

<sup>٦٠٣</sup> (١) الغيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٤.

<sup>٦٠٤</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٤٤.

<sup>٦٠٥</sup> (٢) المصدر ص ٢٤٥.

<sup>٦٠٦</sup> (٣) المصدر و الصفحة.

<sup>٦٠٧</sup> (٤) البحار ج ١٣ ص ٧٩.

<sup>٦٠٨</sup> (٥) المصدر و الصفحة.

<sup>٦٠٩</sup> (٦) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٨.

<sup>٦١٠</sup> (٧) المصدر ص ٢٥٥.

بقى شخص ممن نسبت إليه دعوى السفارة، هو الحسين بن منصور الحلاج، المعروف بمذهبه الصوفى. و له فى هذه الدعوى مكاتبة مع ابى سهل بن اسماعيل بن على النوبختى .. كشفه فيها أبو سهل و افحمه. و لم يعين تاريخ هذه المكاتبة، إلا انها كانت - على المظنون فى زمن الحسين بن روح.

فهؤلاء هم الذين قامت حركة التزوير على أيديهم، فلا بد من التعرض إليهم، فى حدود ما دل عليه تاريخنا .. معتمدين نفس الترتيب الذى ذكرناه فى تعدادهم، فانه يرجع إلى ناحية تسلسلهم فى تاريخ دعوى السفارة، فى الجملة أولهم: أبو محمد الشريعى.

قال الراوى: اظن اسمه كان الحسن، و كان من أصحاب ابى الحسن على بن محمد الهادى عليه السلام، ثم أصبح من أصحاب الحسن بن على العسكرى عليه السلام.

ثم انه انحرف، و كان أول من أدعى مقاما لم يجعله الله فيه، و لم يكن أهلا له. و كذب على الله تعالى و على حججه عليهم السلام، و نسب إليهم ما لا يليق بهم و ما هم منه براء. فلعننته الشيعة و تبرأت منه.

و خرج توقيع الامام (ع) بلعنه و البراءة منه. ثم ظهر منه القول

ص: ٤٩٨

بالكفر و الالحاد<sup>٦١١</sup>.

هذا ما قاله التاريخ. و لم يزد.

ثانيهم: محمد بن نصير.

النميرى<sup>٦١٢</sup> الفهرى<sup>٦١٣</sup>، كان من أصحاب الامام العسكرى عليه السلام. فانحرف و افتتن. و أصبح يستخدم اسم صحبته للامام العسكرى (ع)، هذا العنوان العظيم الذى يعرف الناس شأنه و جلالته، فى الريح المادى و المنفعة الشخصية.

فكتب الامام العسكرى «ع» كتابا شديد اللهجة ضده و ضد شخص آخر يدعى بابن بابا القمى و يسمى الحسن بن محمد .. يكشف فيه انحرافهما و يظهر البراءة منهما، و يقول مخاطبا أحد أصحابه: أبرأ إلى الله من الفهرى و الحسن بن محمد بن بابا القمى. فأبرأ منهما. فانى محذرك و جميع موالى، و انى العنهما، عليهما لعنة الله. مستأكلين، ياكلان بنا الناس، فتانين مؤذيين، آذاهما الله. ارسلهما فى اللعنة و اركسهما.

<sup>٦١١</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٤.

<sup>٦١٢</sup> (٢) المصدر ص ٢٤٤.

<sup>٦١٣</sup> (٣) الكنى ص ٤٣٨.

فى الفتنة ركسا. إلى آخر بيانه عليه السلام<sup>٦١٤</sup>.

و كان يدعى انه رسول نبى، و ان على بن محمد الهادى «ع» أرسله و كان يقول بالتناسخ، و يغلو فى ابى الحسن - الهادى «ع» و يقول فيه بالربوبية، و يقول باباحة المحارم و تحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى

ص: ٤٩٩

أدبارهم. و يزعم ان ذلك من التواضع و الإخبات و التذلل فى المفعول به و انه من الفاعل احدى الشهوات و الطيبات. و ان الله لا يحرم شيئا من ذلك.

رآه بعض الناس و غلام له على ظهره. قال الراوى: فلقيته فعاتبته على ذلك. فقال: ان هذا من اللذات. و هو من التواضع لله و ترك التجبر<sup>٦١٥</sup>.

و تبعه فى أقواله جماعة، سموا بالنميرية، ذكروا ان منهم: محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات<sup>٦١٦</sup>. و هو لا محالة، والد على بن محمد بن موسى بن الفرات الذى وزر بعد ذلك للمقتدر المعاصر لسفارة ابن روح. استوزره عام ٢٩٩<sup>٦١٧</sup>. و بقى ما يزيد على الثلاث سنين فى الوزارة. فمن هذا يظهر كيف تؤيد السلطات خط الانحراف الداخلى عن الائمة عليهم السلام، بنحو خفى لا يكاد يلتفت إليه.

و على أى حال، فانه حين اعتل محمد بن نصير النميرى العلة التى توفى فيها. قيل له - و هو متقل اللسان - : لمن الأمر من بعدك؟! فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد. فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق. قالت فرقة: انه احمد ابنه. و فرقة قالت: هو

ص: ٥٠٠

احمد بن محمد بن موسى بن الفرات «و هو اخو على بن محمد بن موسى وزير المقتدر» و فرقة قالت: انه أحمد بن ابى الحسين بن بشر بن يزيد فافترقوا فلا يرجعون إلى شىء<sup>٦١٨</sup>.

ثالثهم: احمد بن هلال.

<sup>٦١٤</sup> (٤) المصدر و الصفحة.

<sup>٦١٥</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٤ و ما بعدها. و رجال الكشى ص ٤٣٨ بلفظ مقارب و نحوه فى فرق الشيعة ص ٩٣.

<sup>٦١٦</sup> (٢) فرق الشيعة ص ٩٣.

<sup>٦١٧</sup> (٣) المروج ص ٢١٣ ج ٤.

<sup>٦١٨</sup> (١) انظر غيبة الشيخ ص ٢٤٥ و فرق الشيعة ص ٩٤ و رجال الكشى ص ٤٣٨.

الكرخي<sup>٦١٩</sup> العبرتائي<sup>٦٢٠</sup>. ولد عام ١٨٠ للهجرة و توفي عام ٢١٢٦٧: أى أنه عاصر الامام الرضا عليه السلام و من بعده حتى الامام العسكري عليه السلام الذي توفي عام ٢٦٠، كما عرفنا. و عاصر لغيبة الصغرى لمدة سبع سنوات. أدعى خلالها الوكالة عن المهدي.

له كتاب يوم و ليلة، كتاب نوادر، يرويهِ النجاشي في رجاله عنه بسنده إليه<sup>٦٢٢</sup>. اتخذ مسلك التصوف، و حجج أربعاً و خمسين حجة عشرون منها على قدميه. لقيه أصحابنا بالعراق و كتبوا عنه<sup>٦٢٣</sup> ذمه الامام العسكري «ع»، على ما روى عنه<sup>٦٢٤</sup> و بعده تبني المهدي عليه السلام التحذير منه. فكتب إلى قوامه بالعراق: <sup>٦٢٥</sup> احذروا الصوفى المتصنع. و ورد على القاسم بن العلا، نسخة ما كان خرج من لعن ابن هلال.

ص: ٥٠١

فانكر رواية أصحابنا بالعراق ذلك، لما كانوا قد كتبوا من رواياته فحملوا القاسم بن العلا على ان يراجع في امره، فخرج إليه من الامام المهدي (ع) بيان مفصل، نصه:

«قد كان امرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال - لا رحمه الله - بما قد علمت. و لم يزل - لا غفر الله ذنبه و لا أقال عثرته - يداخلنا في أمرنا بلا اذن منا و لا رضى. يستبد برأيه فيتحامى ديوننا. لا يمضى من أمرنا اياه إلا بما يهواه و يريده. أرداه الله في ذلك في نار جهنم فصرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره. و كنا قد عرفنا خبره قوما من مواليها في ايامه - لا رحمه الله - و امرناهم بالقاء ذلك إلى الخاص من مواليها. و نحن نبرأ إلى الله من ابن هلال. لا رحمه الله و لا ممن لا يبرأ منه.

و اعلم الاسحاقى<sup>٦٢٦</sup> سلمه الله و أهل بيته بما اعلمناك من حال هذا الفاجر، و جميع من كان سألک و يسألک عنه من أهل بلده و الخارجين و من كان يستحق ان يطالع على ذلك. فانه لا عذر لا حد من مواليها في التشكيك فيما روى عنا ثقافتا. قد عرفوا باننا نفاوضهم بسرنا و نحمله اياه إليهم. و عرفنا ما يكون من ذلك ان شاء الله تعالى<sup>٦٢٧</sup>».

و واضح من هذا البيان انه صادر بعد موت ابن هلال، و لعله مات بعد التوقيع السابق و قبل هذا البيان. كما انه يتضح منه ان ابن

<sup>٦١٩</sup> (٢) انظر الغيبة الشيخ الطوسي ص ٢٤٥.

<sup>٦٢٠</sup> (٣) انظر رجال النجاشي ص ٦٥ و رجال الكشي ص ٤٤٩.

<sup>٦٢١</sup> (٤) انظر رجال النجاشي ص ٦٥.

<sup>٦٢٢</sup> (٥) انظر المصدر ص ٦٥.

<sup>٦٢٣</sup> (٦) رجال الكشي ص ٤٤٩.

<sup>٦٢٤</sup> (٧) انظر رجال النجاشي ص ٦٥.

<sup>٦٢٥</sup> (٨) يعني وكلاؤه و القائمون بامرهم اجتماعياً.

<sup>٦٢٦</sup> (١) المظنون انه: احمد بن اسحاق الاشعري القمي.

<sup>٦٢٧</sup> (٢) رجال الكشي ص ٤٥٠.

ص: ٥٠٢

هلال كان يتلقى الاوامر من الامام المهدي (ع) - و لو بالواسطة - إلا انه كان يستبد برأيه فيها، و لا يطبق منها إلا ما يريد و كيف يريد.

فدعا عليه الامام المهدي (ع) فبتر الله عمره.

و على أى حال، فقد ثبت قوم على إنكار ما خرج فيه. و لم يفد فيهم هذا القول البليغ، فعاودوا القاسم بن العلا على أن يراجع فيه.

فخرج إليهم من الامام المهدي (ع):

«لا شكر الله قدره. لم يدع المرزأة بان لا يزيغ قلبه بعد ان هداه، و ان يجعل ما من به عليه مستقرا و لا يجعله مستودعا. و قد علمتم ما كان من امر الدهقان - لعنه الله - و خدمته و طول صحبته فابدله الله بالايمن كفرا حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة و لم يمهل، و الحمد لله لا شريك له و صلى الله على محمد و آله و سلم<sup>٦٢٨</sup>».

و هذا التوقيع فى واقعه، بيان لانحراف هذا الشخص بعد الايمان.

و كيفية ذلك بحسب القواعد العقائدية الاسلامية. انه - فى الحقيقة - راجع إلى سوء عمل الشخص الناشئ من بعض نقاط الضعف فى ايمانه و اخلاصه، فيتربط على عمله ازدياد البعد عن الايمان و الاخلاص أكثر فأكثر .. فيزيغ الله قلبه و يبدله بعد الايمان كفرا.

و الذى يظهر من تاريخنا ان ابن هلال بقى مؤمنا صالحا، خلال سفارة السفير الاول، و لكنه بمجرد ان ذهب السفير الأول إلى ربه بدأ بالتشكيك بسفارة السفير الثانى، بحجة انكار النص عليه من قبل

ص: ٥٠٣

الامام العسكرى عليه السلام. و يقول: لم اسمعه ينص عليه بالوكالة.

و ليس انكر اباه - يعنى عثمان بن سعيد - فأما ان اقطع ان ابا جعفر وكيل صاحب الزمان. فلا اجسر عليه. فقالوا قد سمعه غيرك. فقال:



انتم و ما سمعتم. و وقف على ابى جعفر. فلعنوه و تبرءوا منه<sup>٦٢٩</sup>.

و ترتب على تشكيكه هذا فى ابى جعفر رضى الله عنه، عدم دفعه أموال الامام عليه السلام إليه و عصيانه للاوامر الصادرة منه عن المهدي (ع)، مما أدى به إلى منزلق الكفر و الجحود.

قال الشيخ الطوسى: ثم ظهر التوقيع على يد ابى القاسم بن روح بلعنه و البراءة منه، فى جملة من لعن. و هذا لا يكاد يناسب ما عرفناه من كون وفاته عام ٢٦٧. فان ابن روح انما أصبح سفيرا عام ٣٠٥، أى بعد ثمان و ثلاثين عاما. و هو زمان كفيلا بمحو آثار ابن هلال من الازهان إلى حد كبير. بحيث يكون التصدى لبيان كفره و جحوده أمرا مستأنفا. و ان عرفنا كون البيان الصادر ضده قد خرج بعد وفاته، إلا انه لا يمكن ان يكون بعيدا عن وفاته هذا البعد. و انما المعقول ان يصدر ذلك فى الاشهر أو الاعوام القليلة اللاحقة لوفاته.

و كونه صادرا إلى القاسم بن العلا، لا يعنى كونه من ابن روح لأن ابن العلا كان وكيلا للعمري و لابن روح معا، على ما سيأتى و من هنا يرجح أن يكون البيان صادرا عن طريق العمري ابى جعفر

ص: ٥٠٤

لا عن طريق ابن روح. رضى الله عنهما. و الله العالم.

ثم انه لا يبدو من التاريخ بوضوح انه ادعى السفارة عن الامام المهدي (ع) زورا، غايته ان الشيخ الطوسى ذكره فى قائمه المذمومين الذين ادعوا البايبة- أى السفارة- من الامام المهدي عليه السلام. و لم يظهر مما ذكره الشيخ و لا غيره ذلك. و انما الذى عرفناه هو كونه وكيلا صادقا- بالواسطة- عن الامام المهدي (ع)، و لم يتضح انه بقى على دعواه للوكالة بعد انحرافه و خروج التحذير منه. و الله العالم.

رابعهم: محمد بن على بن بلال.

ابو طاهر، البلالى<sup>٦٣٠</sup>. كان من أصحاب الامام العسكرى عليه السلام<sup>٦٣١</sup>. وعده ابن طاوس<sup>٦٣٢</sup> من السفراء الموجودين فى الغيبة الصغرى و الابواب المعروفين الذين لا يختلف الامامية القائلون بامامة الحسن بن على (ع) فيهم. و ظاهره. كونه بمنزلة القاسم بن

<sup>٦٢٩</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٥.

<sup>٦٣٠</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٤٥.

<sup>٦٣١</sup> (٢) جامع الرواة ج ١ ص ١٥٣ و الخلاصة ص ٦٩.

<sup>٦٣٢</sup> (٣) جامع الرواة. نفس الصفحة.

العلا و الاشعري و الاسدي و نحوهم فى الوثايقة و الجلالة. الا ان الشيخ الطوسى ذكره فى المذمومين الذين ادعو البايبة. فتابعناه هنا على ذلك. و توقف العلامة الحلى فى ما يرويه من أجل ذلك أيضا<sup>٦٣٣</sup>.

قال الشيخ: و قصته معروفة فيما جرى بينه و بين ابى جعفر محمد بن عثمان العمري - نضر الله وجهه - و تمسكه بالأموال التى كانت عنده

ص: ٥٠٥

للامام (ع)، و امتناعه من تسليمها و ادعاؤه انه هو الوكيل. حتى تبرأت الجماعة منه و لعنوه. و خرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف.

و قد كان له جماعة من الاصحاب و المؤيدين، منهم اخوه أبو الطيب و ابن حرز و رجل من أصحابنا. و قد انفصل منه هذا الاخير، لما نذكره فيما يلى.

و قد جاهد أبو جعفر العمري رضى الله عنه، و استعمل الاساليب لردعه و تقويم انحرافه. و اخذ الاموال منه لا يصلها إلى الامام عليه السلام. فلم يفلح و بقى ابن بلال على انحرافه و تمسكه بالأموال و الأصحاب.

فمن ذلك: ان ابا جعفر قصد ابن بلال فى داره، و كان عنده جماعة، فيهم اخوه أبو الطيب و ابن حرز. فدخل الغلام فقال: ابو جعفر العمري على الباب. ففزعت الجماعة لذلك و انكرته للحال التى كانت جرت. و لم يستطع ابن بلال ان يحجبه. فقال: يدخل.

فدخل أبو جعفر رضى الله عنه. فقام له أبو طاهر و الجماعة و جلس فى صدر المجلس، و جلس أبو طاهر كالجالس بين يديه.

فامهلهم إلى ان سكتوا. ثم قال العمري: يا أبا طاهر انشدتك بالله أ لم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إلى فقال ابن بلال:

اللهم نعم. فنهض أبو جعفر رضى الله عنه منصرفا و وقعت على القوم سكتة. فلما تجلت عنهم قال له اخوه أبو الطيب: من أين رأيت

ص: ٥٠٦

صاحب الزمان؟. فقال أبو طاهر: ادخلنى أبو جعفر إلى بعض دوره، فاشرف على - يعنى صاحب الزمان - من علو داره فأمرنى بحمل ما عندى من المال إليه - يعنى إلى العمري -.

فقال له ابو الطيب: و من أين علمت انه صاحب الزمان؟. قال:

قد وقع على من الهيبة له، و دخلنى من الرعب منه، ما علمت انه صاحب الزمان (ع). قال ذلك الرجل من اصحابنا: فكان هذا سبب انقطاعى عنه<sup>٦٣٤</sup>.

فوجد ان ابا جعفر العمري رضى الله عنه، قام تجاه ابن بلال بعملين مهمين:

اولهما: انه وفر له طريق مقابلة الامام المهدي (ع). لياخذ منه الأمر بدفع المال إليه. و هذه حادثة كبرى فى حدود ما عرفناه من السرية و التكتم و الحذر. و مبنى على الاطمئنان من ابن بلال، و لو باعتبار ابتناء مصالحه على عدم الافشاء و الايصال إلى السلطات، كما سبق ان ذكرناه.

ثانيهما: تذكيره بهذه الحادثة، و نشدانه بالله تعالى بصدور الامر من الإمام المهدي (ع) بدفع المال. و ذلك امام جماعة من اصحابه، و إقامة الحجّة عليهم فى ذلك. مما اوجب انفصال أحدهم و رجوعه إلى خط السفراء الصادقين رضى الله عنهم. و قد يوجب انفصال غيره مما لم يروه

ص: ٥٠٧

التاريخ. كما ان الجماعة الحاضر بن فى مجلسه، لاحظوا منه خضوعه لابي جعفر و ارتبائه من حضوره، و اعترافه بعدم المعرفة السابقة بشخص الامام المهدي عليه السلام و تهيبه و رعبه منه، عند مقابلته. و كل ذلك يؤثر عليهم نفسيا، فى الابتعاد عن ابن بلال و الشعور بالنفرة منه بصفته مدعيا للسفارة، اذ لو كان صادقا لما حدث كل ذلك.

خامسهم: محمد بن احمد بن عثمان ابو بكر المعروف بالبغدادى. ابن اخى ابي جعفر العمري السفير الثانى رضى الله عنه. و حفيد عثمان بن سعيد السفير الاول رضى الله عنه.

و امره فى قلة العلم و المروءة اشهر من ان يذكر<sup>٦٣٥</sup>. كان معروفا لدى عمه ابي جعفر العمري بالانحراف. و لم يكن معروفا لدى البعض الآخرين من اصحابه. و من هنا كان جماعة من الاصحاب، و هم خاصة الموالين، فى مجلس العمري رضى الله عنه، و هم يتذكرون شيئا من روايات الائمة عليهم السلام. فاقبل عليهم ابو بكر محمد بن أحمد بن عثمان، ابن اخيه. فلما بصر به ابو جعفر رضى الله عنه، قال للجماعة مشيرا إليه: أمسكوا فان هذا الجانى ليس من اصحابكم<sup>٦٣٦</sup>. فقد أمرهم بقطع الحديث الاسلامى الواعى، الذى لا يناسب معه وجود المنحرفين امثاله.

<sup>٦٣٤</sup> (١) الغيبة ص ٢٤٤.

<sup>٦٣٥</sup> (١) المصدر ص ٢٥٥.

<sup>٦٣٦</sup> (٢) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٥٦.

ادعى السفارة، وكان له اصحاب، منهم ابو دلف محمد بن المظفر

ص: ٥٠٨

الكاتب. وقد كان في ابتداء امره مخمسا<sup>٦٣٧</sup> مشهورا بذلك، لانه كان تربية الكرخيين و تلميذهم و صنيعتهم. و كان الكرخيون مخمسة، لا يشك في ذلك أحد من الشيعة. و قد كان أبو دلف يقول ذلك و يعترف به. و يقول: نقلني سيدنا الشيخ الصالح، قدس الله روحه و نور ضريحه، عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح. يعنى ابا بكر البغدادي<sup>٦٣٨</sup>. و سيأتى الكلام عن ابي ابي دلف مستقلا فيما يلي.

ثم أن ابا بكر البغدادي، حين ارسل عليه وجوه الخاصة و علمائهم و سألوه عن دعواه السفارة، انكر ذلك و حلف عليه. و قال: ليس إلى من هذا الأمر شيء. و عرض عليه مال، لكي يأخذه بالوكالة عن الامام المهدي عليه السلام. و إنما عرض عليه ذلك امتحانا. فأبى و قال محرم على أخذ شيء منه، فانه ليس إلى من هذا الأمر شيء، و لا ادعيت شيئا من هذا.

قال الراوى: فلما دخل بغداد، مال إليه- ابو دلف الكاتب- و عدل عن الطائفة و اوصى إليه. لم تشك أنه على مذهبه، فلعناه و برئنا منه. لأن عندنا ان كل من ادعى الامر بعد السمرى، فهو كافر منمى ضال مضل<sup>٦٣٩</sup>.

و كان ابو دلف هذا، يدافع عن ابي بكر البغدادي و يفضله

ص: ٥٠٩

على ابي القاسم الحسين بن روح و على غيره. فلما قيل له في وجه ذلك قال: لان ابا جعفر محمد بن عثمان قدم اسمه على اسمه في وصيته فقلت له: فالمنصور افضل من مولانا أبي الحسن موسى عليه السلام. قال و كيف؟ قلت: لأن الصادق عليه السلام قدم اسمه على اسمه في الوصية فقال لى: أنت تتعصب على سيدنا و مولانا و تعاديه. فقلت: و الخلق كلهم تعادى ابا بكر البغدادي و تتعصب عليه غيرك وحدك و كدنا نتقاتل و ناخذ بالازياق<sup>٦٤٠</sup>.

و حكى انه توكل لليزيدى بالبصرة، فبقى في خدمته مدة طويلة و جمع مالا عظيما. فسعى به الى اليزيدى، فقبض عليه و صادره، و ضربه على أم رأسه حتى نزل الماء من عينيه، فمات ابو بكر ضريرا<sup>٦٤١</sup>.

---

<sup>٦٣٧</sup> (١) الخمسة من الغلاة يقولون: ان الخمسة سلمان و ابا ذر و المقداد و عمار و عمرو بن أمية الضمري، هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب. كذا في هامش

الغيبية ص ٢٥٦

<sup>٦٣٨</sup> (٢) الغيبية ص ٢٥٦.

<sup>٦٣٩</sup> (٣) المصدر الصفحة ص ٢٥٥.

<sup>٦٤٠</sup> (١) الغيبية ص ٢٥٥.

<sup>٦٤١</sup> (٢) المصدر ص ٢٥٦.

و لم يذكر التاريخ عام وفاته. الا اننا يمكن ان نستنتج من بعض ما سبق، أنه كان موجودا خلال سفارة الحسين بن روح، فانه اوصى إلى ابى دلف الكاتب بعده، فاصبح ابو دلف مدعيا للسفارة بعد السمري فيكون ابو بكر البغدادي قد مات فى زمان مناسب مع هذه الوصية و الله العالم.

سادسهم و سابعهم: اسحاق الاحمر و الباقتانى.

روى فى البحار<sup>٦٤٢</sup> بسنده عن ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى

ص: ٥١٠

باسناده مرفوعا إلى احمد الدينورى. انه حمل من اموال الشعب الموالى فى الدينور ستة عشر الف دينار، الى بغداد. و بحث عمّن اشير إليه بالنيابة- اى السفارة- فقبل له: إن هاهنا رجلا يعرف بالباقتانى يدعى بالنيابة. و آخر: يعرف باسحاق الاحمر يدعى بالنيابة. و آخر يعرف بابى جعفر العمري يدعى بالنيابة.

قال: فبدأت بالباقتانى، و صرت إليه فوجدته شيخا مهيبا له مروة ظاهرة و فرس عربى و غلمان كثير. و يجتمع الناس يتناظرون قال: فدخلت إليه، و سلمت عليه، فرحب و قرب و سر و بر. قال:

فاطلت القعود إلى ان خرج اكثر الناس. قال: فسألنى عن دينى فعرفته انى رجل من اهل الدينور وافيت و معى شىء من المال. احتاج ان اسلمه. فقلت: اريد حجة- يعنى برهانا على صحة سفارته التى يدعيها. فلما اعوزه ذلك- قال: تعود الى فى غد. قال: فعدت إليه من الغد، فلم يأت بحجة. و عدت إليه فى اليوم الثالث، فلم يأت بحجة قال: فصرت إلى اسحاق الأحمر، فوجدته شابا نظيفا، منزله اكثر من منزل الباقتانى، و فرسه و لباسه و مروته اسرى و غلمانه اكثر من غلمانه، و يجتمع عنده من الناس اكثر مما يجتمع عند الباقتانى. قال:

فدخلت و سلمت، فرحب و قرب. قال: فصبرت الى ان خف الناس قال: فسألنى عن حاجتى. فقلت له، كما قلت للباقتانى. و غدت إليه بعد ثلاثة ايام، فلم يأت بحجة.

قال: فصرت الى ابى جعفر العمري، فوجدته شيخا متواضعا

ص: ٥١١

عليه مبطنه بيضاء، قاعد على لبد فى بيت صغير ليس له غلمان و لا له من المروة و الفرس ما وجدت لغيره .. إلى آخر الرواية.

و نستطيع ان نفهم من هذه الرواية عدة امور:

الاول: ان هذين الرجلين ادعيا السفارة فى أول زمان سفارة العمرى رضى الله عنه. يعنى فى أوائل فترة الغيبة الصغرى. قبل ان يصل خبر السفارة المحقة الى الاطراف، حتى أن هذا الرجل الدينورى كان جاهلا بالسفارة و السفير. و هو الذى سمعناه يقول لاهل الدينور حين كلفوه بحمل الأموال: يا قوم هذه حيره و لا نعرف الباب فى هذا الوقت. و نجده يبحث فى بغداد عن السفير عدة ايام.

الثانى: ان هذين المدعيين، لم يكونا يفهمان مسلك التكتيم و الحذر الذى كان يتخذه السفراء الصادقون. و هو ان دل على شىء، فانما يدل على كذبهم و انحرافهم .. الى حد لا يجدون حرجا من انكشاف امرهم تجاه الدولة و اطلاق السلطات عليهم. حيث نجد الناس يجتمعون عندهما يتناظرون، و لا نجد مثل ذلك عند العمرى رضى الله عنه.

الثالث: ان هذين المدعيين، كانا يبذلان على انفسهما المال، من اجل زيادة الابهة و الفخفة، على حين لا نجد العمرى يعمل ذلك. و السر فى ذلك واضح و هو أن العمرى لا يتصرف بالاموال الا بأذن الامام المهدي عليه السلام، و فى حدود تعليمه و توجيهه. و هى تحدد بحدود المصالح العامة لا بالزخارف و البهارج. على انه لو فعل ذلك لالفت الى نفسه النظر و قد تحوم عليه الشكوك و الانظار، و هو ما لا يريده لنفسه و اصحابه.

ص: ٥١٢

على حين لم يكن هذان المدعيان بمتورعين عن صرف المال فى ذلك سواء مما قبضاه من المال بدعوى السفارة و ما كان من اموالهما الخاصة.

و لا مانع لديهما من اطلاق السلطات عليهما فانهما- على اى حال- ليسا باولى و لا اهم من جعفر بن على الذى توسط الى السلطة مباشرة لاجل تنصيبه للامامه.

و ما ذلك، الا لأن خط الانحراف دائما يناسب مع خط الانحراف و لا يخشاه .. و ان كانا على شاكلتين. و خاصة حين يشعران ان لهما عدوا مشتركا هو خط السفراء العادل.

ثامنهم: محمد بن على الشلمغانى.

المعروف بابن أبى العزاقر او العزاقرى. ابو جعفر. نسبته الى شلمغان، و هى قرية بنواحي واسط<sup>٦٤٣</sup>.

كان شيخا مستقيما العقيدة و السلوك صالحا<sup>٦٤٤</sup> متقدما في اصحابنا<sup>٦٤٥</sup> حتى ان الشيخ ابا القاسم الحسين بن روح نصبه وكيلا عنه عند استتاره من المقتدر. و كان الناس يقصدونه و يلقونه في حوائجهم و مهماتهم<sup>٦٤٦</sup>.

و كانت تخرج على يده التوقيعات من الامام المهدي عليه السلام عن طريق ابن روح<sup>٦٤٧</sup>.

ص: ٥١٣

له من الكتب التي عملها في حال الاستقامة: كتاب التكليف. قال الشيخ الطوسي: اخبرنا به جماعة من ابي جعفر ابن بابويه عن ابيه عنه الا حديثا واحدا منه في باب الشهادات انه يجوز للرجل ان يشهد لاخيه إذا كان له شاهد واحد من غير علم<sup>٦٤٨</sup>. كان السلمغاني يكتب بابا بابا من هذا الكتاب، و يعرضه على الشيخ ابي القاسم رضى الله عنه فيحككه، فإذا صح الباب خرج فنقله و امرنا بنسخه. يعنى أمرهم ابن روح<sup>٦٤٩</sup> فكثرت نسخه عند الاصحاب.

و في رواية اخرى: انه لما انتهى من الكتاب طلبه ابن روح لينظر فيه. فجاءوا به فقرأه من أوله إلى آخره، فقال: ما فيه شيء إلا و قد روى الائمة عليهم السلام إلا موضعين أو ثلاثة، فانه كذب عليهم في روايتهما لعنه الله<sup>٦٥٠</sup>.

وله كتاب «التأديب». اخذه الشيخ الحسين بن روح رضى الله عنه منه. و انفذ الكتاب إلى قم، و كتب إلى جماعة الفقهاء بها. و قال لهم: انظروا في هذا الكتاب و انظروا فيه شيء يخالفكم. فكتبوا إليه: انه كله صحيح، و ما فيه شيء يخالف، إلا قوله: الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام. و الطعام عندنا مثل الشعير كل واحد صاع<sup>٦٥١</sup>.

ص: ٥١٤

فمن هنا نجد ان في كل من هذين الكتابين، قد دس السلمغاني فرعا فقهيا مخالفا لما عليه مذهب الاصحاب، و ان كان مستقيما مؤمنا و هذا يدل على ما قلناه من وجود ضعف في ايمان كل شخص ينحرف في حياته، بحيث يكون من الاول قابلا لهذا الانحراف عند اجتماع ظروفه و شرائطه.

<sup>٦٤٤</sup> (٢) انظر الغيبة ص ١٨٣ و رجال النجاشي ص ٢٩٣ و فهرست الشيخ الطوسي ١٧٣.

<sup>٦٤٥</sup> (٣) رجال النجاشي ص ٢٩٣.

<sup>٦٤٦</sup> (٤) الغيبة ص ١٨٣.

<sup>٦٤٧</sup> (٥) الغيبة ص ١٨٤.

<sup>٦٤٨</sup> (١) الفهرست ص ١٧٣.

<sup>٦٤٩</sup> (٢) الغيبة ص ٢٣٩.

<sup>٦٥٠</sup> (٣) المصدر السابق ص ٢٥٢.

<sup>٦٥١</sup> (٤) نفس المصدر ص ٢٤٠.

و يمكن ان نفهم وضوح ذلك لابن روح رضى الله عنه، حين كان يتوجس من كتب الشلمغانى، فيحاول ان يشرف عليها او يعرضها على الموثوقين من أصحابه و علماء مذهبه.

و للشلمغانى أيضا كتاب الغيبة، روى عنه الشيخ الطوسى فى الغيبة<sup>٦٥٢</sup>. و له كتاب الاوصياء، روى عنه الشيخ أيضا فى الغيبة<sup>٦٥٣</sup>.

و له عدة كتب اخرى رواها النجاشى فى رجاله<sup>٦٥٤</sup> و لم يعلم ان هذه الكتب، مما كتبه فى حال استقامته أو بعد انحرافه.

ثم انه حمله الحسد لابی القاسم بن روح، على ترك المذهب، و الدخول فى المذاهب الردية<sup>٦٥٥</sup> و ظهر منه مقالات منكرة<sup>٦٥٦</sup> و اصبح غالبا<sup>٦٥٧</sup> يعتقد بالتناسخ و حلول الالوهية فيه<sup>٦٥٨</sup>.

ص: ٥١٥

و كان من عقائده انه يعتقد القول بحمل الغد. و معناه انه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولى إلا بطعن الضد فيه، لانه يحمل سامعى طعنه على طلب فضيلته، فاذا هو أفضل من الولى، إذ لا يتهيأ إظهار الفضل إلا به. و ساقوا المذهب من وقت آدم الاول إلى آدم السابع. لانهم قالوا: سبع عوالم و سبع أوادم. و نزلوا إلى موسى و فرعون و محمد و على مع ابى بكر و معاوية<sup>٦٥٩</sup>.

قال أبو على بن همام: سمعت محمد بن على العزاقرى الشلمغانى يقول: الحق واحد، و انما تختلف قمصه. فيوم يكون فى أبيض و يوم يكون فى أحمر و يوم يكون فى أزرق. قال ابن همام: فهذا أول ما انكرته من قوله، لانه قول اصحاب الحلول<sup>٦٦٠</sup>.

و كان يقول لاصحابه و تابعيه: ان روح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انتقلت الى ابى جعفر محمد بن عثمان العمرى رضى الله عنه. و روح أمير المؤمنين على عليه السلام انتقلت الى بدن الشيخ ابى القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه. و روح فاطمة الزهراء عليها السلام انتقلت الى أم كلثوم بنت ابى جعفر العمرى رضى الله عنهما. و كان يزعم لهم ان هذا سر عظيم و يأخذ عليهم ان لا يكشفوه لاحد. إلى معتقدات غريبة اخرى<sup>٦٦١</sup> لا حاجة الى الاسهاب فيها.

<sup>٦٥٢</sup> (١) انظر الغيبة ص ٢٤٠.

<sup>٦٥٣</sup> (٢) انظر ص ٢٠٨ و ما بعدها.

<sup>٦٥٤</sup> (٣) انظر ص ٢٩٤.

<sup>٦٥٥</sup> (٤) رجال النجاشى ص ٢٩٣.

<sup>٦٥٦</sup> (٥) فهرست الشيخ ص ١٧٣.

<sup>٦٥٧</sup> (٦) انظر رجال للشيخ ص ٥١٢.

<sup>٦٥٨</sup> (٧) الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ٢٤١.

<sup>٦٥٩</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٥٠.

<sup>٦٦٠</sup> (٢) المصدر ٢٥١.

<sup>٦٦١</sup> (٣) انظر الكامل ج ٦ ص ٢٤١ و ما بعدها.



و كان ابن ابى العزافر وجيها عند بنى بسطام. و ذلك: ان الشيخ أبا القاسم بن روح رضى الله عنه، كان قد جعل له عند الناس منزلة و جاها. فكان عند ارتداده يحكى كل كذب و بلاء و كفر لبنى بسطام، و يسنده عن الشيخ ابى القاسم رضى الله عنه. فانكره و أعظمه، و نهى بن بسطام عن كلامه و امرهم بلعنه و البراءة منه. فلم ينتهوا، و اقاموا على توليه. و ذاك انه كان يقول لهم: اننى اذعت السر، و قد اخذ على الكتمان، فعوقبت بالابعاد بعد الاختصاص. لان الأمر عظيم لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن ممتحن، فيؤكد من نفوسهم عظم الامر و جلالته.

فبلغ ذلك أبا القاسم رضى الله عنه، فكتب الى بنى بسطام بلعنه و البراءة منه و ممن تابعه على قوله و أقام على توليه. فلما وصل إليهم و أظهره عليه، بكى بكاء عظيما. ثم قال ان لهذا القول باطنا عظيما و هو ان اللعنة الابعاد. فمعنى قوله: لعنه الله، اى باعده الله من العذاب و النار. و الآن قد عرفت منزلتي. و مرغ خديه على التراب. و قال: عليكم بالكتمان لهذا الامر<sup>٦٦٢</sup>.

و قد ترتب على بعض هذه العقائد ان الكبيرة أم كلثوم بنت ابى جعفر العمرى رضى الله عنهما، دخلت على أم ابى جعفر بن بسطام، فاعظمتها غاية الإعظام حتى انها انكبت على رجليها تقبلها.

فلما انكرت ذلك منها، اخبرتها بما قاله لهم العزاقرى من العقائد، و ان روح الزهراء عليها السلام قد تجسدت فيها، فكيف لا تعظمها

و تكبر شأنها؟ أ و لم يفد تكذيب الكبيرة أم كلثوم لهذه العقائد، و ردعها لتلك المرأة عنها، لما سبق من العزاقرى بانه سر عظيم و قد أخذ عليهم انه لا يكشفونه لاحد.

و حين رأت الكبيرة أم كلثوم ذلك، بادرت الى ابى القاسم بن روح رضى الله عنه، فاخبرته بالقصة. فقال: يا بني! اياك ان تمضى الى هذه المرأة بعد ما جرى منها و لا تقبلى لها رقعة ان كاتبتك و لا رسولا ان انفذته إليك، و لا تلقيها بعد قولها. فهذا كفر بالله تعالى و إلحاد. قد احكمه هذا الرجل الملعون فى قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقا إلى ان يقول لهم: بان الله تعالى قد اتحد به و حل فيه كما يقول النصارى فى المسيح عليه السلام. و يعدو الى قول الحلاج لعنه الله.

قالت: فهجرت بنى بسطام، و تركت المضى إليهم، و لم أقبل لهم عذرا، و لا لقيت امهم بعدها.

و شاع هذا الحديث فى بنى نوبخت، فلم يبق احد الا و تقدم إليه الشيخ ابو القاسم و كاتبه بلعن ابى جعفر الشلمغانى و البراءة منه، و ممن تولاه و رضى بقوله او كلمه. ثم ظهر توقيع من صاحب الزمان عليه السلام يلعن ابى جعفر محمد بن على و البراءة منه و ممن تابعه و شايعه و رضى بقوله و أقام على توليه، بعد المعرفة بهذا التوقيع<sup>٦٦٣</sup>.

و كان خروج التوقيع ضده عام اثنى عشر و ثلاثمائة، يقول الامام المهدي (ع) فيه: ان محمد بن على المعروف بالشلمغانى، و هو ممن

ص: ٥١٨

عجل الله له النعمة، و لا امهله، قد ارتد عن الاسلام و فارق، و الحد فى دين الله، و ادعى ما كفر معه بالخالق جل و علا و افترى كذبا و زورا و قال بهتاناً و إثماً عظيماً كذب العادلون بالله و ضلوا ضلالاً بعيداً و خسروا خساراً مبيناً.

و اننا قد برئنا إلى الله تعالى و إلى رسوله و آله صلوات الله و سلامه و رحمته و بركاته عليهم منه، و لعناه عليه لعائن الله تترى من الظاهر و الباطن فى السر و العلن و فى كل وقت و على كل حال. و على من شايعه و تابعه أو بلغه هذا القول منا و أقام على توليه بعده.

و أعلمهم اننا من التوقى و المحاذرة منه على ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعى و التميرى و الهلالى و البلالى و غيرهم. و عادة الله عندنا جميلة، و به نثق، و إياه نستعين و هو حسبنا فى كل أمورنا و نعم الوكيل.

و قد صدر هذا التوقيع حين القى القبض على الشيخ الحسين بن روح رضى الله عنه، و أنفذه من السجن فى دار المقتدر إلى أحد أصحابه:

شيخنا أبو على بن همام، فوزعه أبو على توزيعاً عاماً، و لم يدع أحداً من الشيوخ إلا أقرأه إياه و كتب بنسخته إلى سائر الأمصار. فاشتهر ذلك، فى الطائفة، فاجتمعت على لعنه و البراءة منه<sup>٦٦٤</sup>.

قال الراوى: وجدت بخط أحمد بن ابراهيم النوبختى و إملاء أبى القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه، على ظهر كتاب فيه جوابات

ص: ٥١٩

و مسائل أنفذت إلى قم، يسأل عنها: هل هى جوابات الفقيه عليه السلام- يعنى الإمام المهدي «ع»- أو جوابات محمد بن على الشلمغانى لأنه حكى عنه انه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها. فكتب إليهم على ظهر كتابهم:

<sup>٦٦٣</sup> (١) انظر كل ذلك فى الغيبة من ص ٢٤٨ الى ص ٢٥٠.

<sup>٦٦٤</sup> (١) انظر كل ذلك فى الغيبة من ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد وقفنا على هذه الرقعة و ما تضمنته فجميعه جوابنا، و لا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري - لعنه الله - فى حرف منه. و قد كانت أشياء خرجت إليكم على يدى أحمد بن بلال<sup>٦٦٥</sup> و غيره من نظرائه. و كان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله».

و أراد الراوى أن يتأكد، عما إذا كان ما خرج من هؤلاء المنحرفين قبل انحرافهم عن الإمام المهدي «ع»، هل هو صحيح أو مزور أيضا.

قال الراوى: فاستثبت قديما من ذلك، فخرج الجواب: «على من استثبت، فانه لا ضرر من خروج ما خرج على أيديهم. و ان ذلك صحيح»<sup>٦٦٦</sup> فانه لا تنافى بين الانحراف المتأخر و صحة القول و النقل المتقدم حال إيمان الفرد و استقامته.

و مثل هذا التثبت، ما سئل الشيخ ابن روح رضى الله عنه، عن كتب ابن أبى العزاقري بعد ما دم و خرجت فيه اللعنة. فقيل له:

فكيف نعمل بكتبه و بيوتنا منها ملاء. فقال: أقول فيها ما قاله أبو

ص: ٥٢٠

محمد الحسن بن على صلوات الله عليهما و قد سئل عن كتب بنى فضال فقالوا: كيف نعمل بكتبهم و بيوتنا منها ملاء. فقال صلوات الله عليه خذوا بما رووا و ذروا ما رأوا<sup>٦٦٧</sup>.

فترى ابن روح يعقد مقارنة بسين كتب العزاقري و كتب بنى فضال، حيث يفهم من كلام الإمام العسكري «ع» قاعدة عامة، و هى:

إن الانحراف فى العقيدة لا ينافى إمكان صحة الرواية.

فما على الفرد إلا أن يأخذ بما رووا من أخبار و يدع ما رأوا و اعتقدوا من العقائد المنحرفة و الطرق الضالة. لا يفرق فى ذلك بين بنى فضال و ابن أبى العزاقري.

و حين أحس الشلمغانى بالتحدى و المجابهة من قبل الشيخ ابن روح و المجتمع الموالى له، أراد أن يباهل ابن روح حتى يضع المجتمع أمام حد الواقع، و ذلك: انه بعد أن اشتهر أمره و تبرأ منه ابن روح، اجتمع الشلمغانى بجماعة من رؤساء الشيعة فى مجلس الوزير ابن مقله - وزير الراضى عام ٦٤٨٣٢٢ - فوجدان كل فرد منهم يحكى عن الشيخ أبى القاسم لعنه و البراءة منه. فقال: اجمعوا بينى و بينه حتى آخذ بيده و يأخذ بيدي فان لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه، و إلا فجميع ما قاله فى حق.

<sup>٦٦٥</sup> (١) لعل المراد: احمد بن هلال. فان ابن بلال اسمه محمد بن بلال. لا احمد. كما سبق.

<sup>٦٦٦</sup> (٢) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢٨.

<sup>٦٦٧</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٣٩.

<sup>٦٦٨</sup> (٢) الكامل ج ٦ ص ٢٣٨.

فبلغ ذلك إلى الراضى، فأمر بالقبض عليه، و قتله فقتل. و استراحت الشيعة منه<sup>٦٦٩</sup>.

ص: ٥٢١

يدلنا ذلك على ما أشرنا إليه فيما سبق من أن الخليفة الراضى كان عارفا للحق و فيا له، فى حدود قدرته و مصلحته. و قد سبق أن ربطنا ذلك باتصالات شخصية كان يقوم بها الخليفة قبل خلافته مع الخاصة من موالى الإمام و علمائهم.

كما اتنا نفهم من ذلك بكل وضوح، كيف ان هؤلاء الخاصة يجتمعون فى دار الوزير و يتناقشون فيه. و هذا ان دل على شىء فانما يدل على ما سبق منا من وجود الاتصالات الواسعة بينهم و بين سائر بنى الإسلام من علماء و وجهاء. فان الفرد من علمائنا فى تلك الفقرة لم يكن يفرق فى وضعه الاجتماعى عن أى فرد آخر، ليس له طبقية خاصة أو نطاق معين، غير ما يمليه عقيدته و دينه. فهو - فى الأغلب - تاجر يتصل بالبائعين و المشترين، و يتصل بالشرىف و الوضيع و له علاقات مع سائر بنى الإسلام من علماء و وجهاء.

و لكننا يجب أن لا ننسى فى هذا الصدد مسلك الحذر و التقية التى كانوا يسيرون عليه، فنحن نلاحظ: اولاً: ان الحسين بن روح لم يكن معهم فى مجلس الوزير، زيادة فى التكتم و الحذر، و لو كان معهم لما زاد حاله عن ذلك، كما سمعناه منه فى مجالس اخرى عند المقتدر و غيره.

ثانياً: ان المناقشة فى الطعن على الشلمغانى و لعنه، لم يكن ينافى الحذر و التقية، إذ أن مسلك الدولة منذ أعوام على معادات الشلمغانى و مطاردته، كما سنسمع بعد قليل.

ص: ٥٢٢

كما ان هذا النقل التاريخى يدلنا بوضوح على ان مقتل الشلمغانى من قبل الخليفة، كان من اجل انحرافه عن ابن روح. و هذا هو ما احتملناه فيما سبق من ان الدولة المتمثلة فى شخص الخليفة كانت تشعر بالفعل فى قتلها للشلمغانى - و ربما للحلاج أيضاً - بانها تقوم بعمل مشترك تتفق عليه مع خط السفراء رضوان الله عليهم.

و من خير آخر عن مباحلة الشلمغانى، قال الراوى: انفذ محمد بن على الشلمغانى العزاقرى الى الشيخ الحسين بن روح يسأله ان يباهله. و قال: انا صاحب الرجل - يعنى المهدي (ع).

و قد امرت باظهار العلم. و قد اظهرته باطنا و ظاهرا، فباهلنى! فانفذ إليه الشيخ - رضى الله عنه - فى جواب ذلك: أينما تقدم صاحبه فهو المخصوم. فتقدم العزاقرى فقتل و صلب و اخذ معه ابن ابى عدن.

و ذلك فى سنة ثلاث و عشرين و ثلاثمائة<sup>٦٧٠</sup>.

و قد اثبتت هذه المباهلة، ضد مقصود السلمغانى فانه اراد ان يضع المجتمع بازاء الأمر الواقع نتيجة للمباهلة. فحصل ذلك و ثبت ما هو الحق و الواقع، لكن الى جانب الشيخ ابن روح رضى الله عنه، و ظهر كون السلمغانى مخصوما مبطلا.

### خطوط من تاريخ السلمغانى:

هناك بعض التفاصيل التى ينبغى تحديدها قبل التعرض الى حادثة قتل السلمغانى. و هى تتلخص فى عدة امور:

ص: ٥٢٣

الامر الأول: اننا سمعنا من تاريخنا: ان السلمغانى كان وكيلا صالحا لابن روح حال استتاره عن المقتدر<sup>٦٧١</sup>.

و سمعنا أيضا ان التوقيع الذى ارسله الامام المهدي (ع) منذ وصل الى ابن روح و هو فى سجنه فى دار المقتدر. فواصله ابن روح الى ابن همام. فوزعه الأخير بين مشايخ أصحابه.

اذن فاستتار ابن روح متقدم زمانا على سجنه، و انحراف السلمغانى واقع ما بين هاتين الحادثتين. و نحن و ان كنا نعلم تاريخ سجن ابن روح، و هو عام ٣١٢ كما سبق. الا اننا لا نعلم تاريخ استتاره و لا مدته لكى نحدد عام انحراف السلمغانى. و غاية ما يمكن تحديده هو انه انحرف فى زمان خلافة المقتدر و هو تاريخ غير كاف فى نفسه.

و على أى حال فالمهم هو معرفة تاريخ البيان الذى صدر ضده، و لا بد ان يكون بعد انحرافه بقليل، بحيث لا يبقى له مجال للعمل العام بالوكالة عن ابن روح خلال ذلك، و تاريخ صدوره مضبوط بعام ٣١٢ نفسه.

الأمر الثانى: أخرج الشيخ فى الغيبة عن أبى على محمد بن همام، و هو الذى سمعناه انه وزع بيان الإمام المهدي «ع» فى لعن السلمغانى على المشايخ.

انه قال: ان محمد بن على السلمغانى لم يكن قط بابا- وكيلا- إلى أبى القاسم و لا طريقا له. و لا نصبه أبو القاسم لشيء من ذلك على وجه و لا سبب. و من قال بذلك فقد أبطل- يعنى قال بالباطل- و إنما كان

ص: ٥٢٤

<sup>٦٧٠</sup> (١) غيبة الشيخ ص ١٨٤.

<sup>٦٧١</sup> (١) غيبة الشيخ ص ١٨٣.

فقيها من فقهاءنا، و خلط و ظهر عنه ما ظهر، و انتشر الكفر و الإلحاد عنه. فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه و البراءة ممن تابعه و شايعه و قال بقوله<sup>٦٧٢</sup>.

و هذا خلاف ما سمعناه فى الرواية الأخرى<sup>٦٧٣</sup> من أن السلمغانى كان حين استقامته و استشار الشيخ ابن روح، سفيرا بينه و بين الناس فى قضاء حوائجهم و مهماتهم، و كانت التوقيعات تخرج على يديه عن طريق ابن روح.

و قد أشرنا فيما سبق أنه لا تنافى بين الانحراف المتأخر و الوكالة حال الاستقامة. فان الاستقامة ما دامت موجودة تترتب عليها كل الآثار الإسلامية كقبول روايته و إمكان وكالته. و خاصة و ان ابن همام فى الرواية الأولى يعترف باستقامته فى مبدأ أمره. و تنتفى هذه الآثار بانحرافه. و على أى حال فقد عرفنا أن النقل بثبوت الوكالة أكثر و معه يكون الاعتماد عليه أكثر.

الأمر الثالث: نسمع من التاريخ العام<sup>٦٧٤</sup> أن أبا جعفر السلمغانى اتصل بالمحسن بن أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة.

و قد سبق أن عرفنا ان أبا الحسن بن الفرات هذا هو على بن محمد بن موسى بن الفرات، الذى وزر للمقتدر ثلاث مرات، كانت وزارته

ص: ٥٢٥

الثالثة عام ٦٧٥٣١١. و كان ولده محسن بن على هو الغالب على الأمور فى هذه الوزارة<sup>٦٧٦</sup> حتى عزل عام ٣١٢ و اختفى ولده محسن و صودر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها الف الف دينار<sup>٦٧٧</sup>.

و قد عرفنا ابن الفرات هذا، فرعا من أب و أخ منحرفين، اتبعا محمد بن نصير النميرى الذى ادعى السفارة زورا، و خرج فيه من الإمام العسكرى «ع» توقيعات شديدة اللهجة.

و كان ابنه المحسن وقحا سيئ الأدب ظالما ذا قسوة شديدة، و كان الناس يسمونه: الخبيث ابن الطيب<sup>٦٧٨</sup>. و يروى له فى التاريخ أثناء وزارة أبيه الثالثة عدة شنائع فى التعذيب و المصادرات<sup>٦٧٩</sup>.

<sup>٦٧٢</sup> (١) الغيبة للشيخ الطوسى ص ٢٥٠.

<sup>٦٧٣</sup> (٢) المصدر ص ١٨٣ و ما بعدها.

<sup>٦٧٤</sup> (٣) الكامل ج ٦ ص ٢٤١.

<sup>٦٧٥</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ١٧٣.

<sup>٦٧٦</sup> (٢) مروج الذهب ج ٤ ص ٢١٤.

<sup>٦٧٧</sup> (٣) الكامل ج ٦ ص ١٧٧.

<sup>٦٧٨</sup> (٤) المصدر ص ١٧٤.

<sup>٦٧٩</sup> (٥) انظر المصدر و الصفحة.

فهذا هو الذى اتصل به ابن ابي العزاقر، فانظر بمن يستجير و على من يتكل، و كيف يهرب من الحق إلى الباطل، صريحا و بلا مواربة.

و من الراجح انه اتصل به عام ٣١٢، الذى رجحنا فيما سبق أنه عام انحرافه.

و على أى حال، فبعد عزل ابن الفرات استوزر المقتدر عبد الله بن محمد ابن عبيد الله الخاقاني<sup>٦٨٠</sup> و ذلك عام ٦٨١<sup>٣١٢</sup>. فطلب الشلمغاني و طارده

ص: ٥٢٤

و حاول القبض عليه. فاستتر الشلمغاني و هرب إلى الموصل. فبقى سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان فى حياة أبيه عبد الله بن حمدان<sup>٦٨٢</sup>. و يروى النجاشى فى رجاله أنه أخبر بقائمة كتبه عند استتاره بمعلثايا. و هى قرية من أعمال الموصل.

فانظر إلى ضعف الدولة و ضيق سلطانها، إذ نرى حكومة بغداد لا تستطيع القبض على شخص بالموصل، و يكون فى إمكان بعض أمرائها إجارتها منها<sup>٦٨٣</sup> و إبعاده عنها.

و نعرف من هذا السياق أيضا، ان التوقيع الذى صدر ضده من الإمام المهدي عليه السلام، كان قبل اختفائه فى الموصل. فانه أيضا كان عام ٣١٢، كما عرفنا. و من المعلوم صدوره حال وجوده فى بغداد و اختلاطه بالناس. كما أن محاولته للمباهلة مع ابن روح، كانت بعد عوده إلى بغداد، قبل مقتله بعدة شهور.

و ذلك انه انحدر إلى بغداد و استتر، و ظهر عنه ببغداد انه يدعى لنفسه الربوبية. و قيل انه اتبعه على ذلك: الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب، الذى وزر للمقتدر عام ٦٨٤<sup>٣١٩</sup> و أبو جعفر و أبو على ابنا بسطام<sup>٦٨٥</sup> و ابراهيم بن محمد بن أبى عون و ابن شبيب الزيات و أحمد بن عبدوس<sup>٦٨٦</sup>. كانوا يعتقدون الربوبية فيه. و ظهر ذلك

ص: ٥٢٧

---

<sup>٦٨٠</sup> (٦) مروج الذهب ج ٤ ص ٢١٤.

<sup>٦٨١</sup> (٧) الكامل ج ٦ ص ١٧٨.

<sup>٦٨٢</sup> (١) الكامل ص ٢٤١

<sup>٦٨٣</sup> (٢) رجال النجاشى ص ٢٩٤

<sup>٦٨٤</sup> (٣) انظر ص ٢٦٤.

<sup>٦٨٥</sup> (٤) الكامل ج ٦ ص ٢١٥.

<sup>٦٨٦</sup> (٥) انظر الكامل، نفس الصفحة، و الغيبة للشيخ ص ٢٤٨ و غيرها.

عنهم، و طلبوا ايام وزارة ابن مقله حين وزر للمقتدر عام ٣١٦<sup>٦٨٧</sup> فلم يوجدوا<sup>٦٨٨</sup>.

اذن فالشلمغاني هرب الى الموصل عام ٣١٢ و عاد إلى بغداد عام ٣١٦. و سلطات المقتدر بالرغم من انها حاولت القبض على الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب عام ٣١٦ بتهمة اتباع الشلمغاني و اعتقاده الربوبية فيه. فان المقتدر استوزره عام ٣١٩، كما رأينا.

و هو معنى ما قلناه من ان الدولة كانت تؤيد من طرف خفى خط الانحراف الداخلى فى خط المواليين للأئمة عليهم السلام.

#### مقتله

اتفق تاريخنا الخاص و التاريخ العام على ان الراضى قتله عام ٦٨٩<sup>٣٢٢</sup>.

و ذلك انه لما كان فى شوال لهذا العام ظهر الشلمغاني من بعد استتاره ببغداد. فقبض عليه الوزير ابن مقله<sup>٦٩٠</sup>. و كان هذا أول عام من تولى الراضى للخلافة. و كان ابو على محمد بن على مقله هو اول وزرائه<sup>٦٩١</sup>.

فقبض عليه الوزير ابن مقله و سجنه، و كبس داره، فوجد فيها رقاعا و كتباً ممن يدعى عليه انه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً. و فيها خط الحسين بن القاسم. فعرضت الخطوط

ص: ٥٢٨

فعرّفها الناس. و عرضت على الشلمغاني، فأقر انها خطوطهم و انكر مذهبه، و اظهر الاسلام، و تبرأ مما يقال فيه.

و اخذ ابن ابى عون و ابن عبدوس معه و احضرا معه عند الخليفة و امرا بصفه فامتنعا. فلما اكرها مد ابن عبدوس يده. و صفعه. و اما ابن ابى عون فانه مد يده إلى لحيه و رأسه، فارتعدت يده. فقبل لحيه الشلمغاني و رأسه. ثم قال: الهى و سيدى و رازقى.

فقال الراضى: قد زعمت انك لا تدعى الالهية، فما هذا؟!

فقال: و ما على من قوله ابن ابى عون؟ و الله يعلم اننى لا قلت اننى إله قط. فقال ابن عبدوس: انه لم يدع الالهية، و انما ادعى انه الباب الى الامام المنتظر مكان ابن روح، و كنت اظن انه يقول ذلك تقيّة.

<sup>٦٨٧</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ١٩٢.

<sup>٦٨٨</sup> (٢) انظر المصدر ص ٢٤١.

<sup>٦٨٩</sup> (٣) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٧ و ص ٢٥٠. و الكامل ج ٦ ص ٢٤١

<sup>٦٩٠</sup> (٤) الكامل نفس الصفحة.

<sup>٦٩١</sup> (٥) المروج ج ٤ ص ٢٣١.



ثم أحضروا عدة مرات، و معهم الفقهاء و القضاة و الكتاب و القواد و فى آخر الايام افتى الفقهاء باباحة دمه. فصلب الشلمغانى، و ابن ابى عون فى ذى القعدة و أحرقا بالنار<sup>٦٩٢</sup>. و كان الحسين بن القاسم بالرقه فارسى الرضى إليه فقتل آخر ذى القعدة، و حمل رأسه الى بغداد<sup>٦٩٣</sup>.

و بذلك، انتهى حساب الشلمغانى، تجاه الدولة و قواعدها الشعبية و تجاه المؤمنين به، و تجاه السفير الشيخ أبى القاسم بن روح رضى الله

ص: ٥٢٩

عنه، و بالتالى تجاه الامام المهدي عليه السلام نفسه، و قواعد الشعبية.

و انتصر الامام المهدي (ع) و سفيره، من حيث اراد الله تعالى لهما النصر.

تاسعهم: الحسين بن منصور الحلاج الصوفى المشهور. و لا نريد ان ندخل فى هذا الصدد، فى ترجمته و تفاصيل حياته، و لا فيما كان يصدر منه من العجائب التى كانت تستهوى العوام و تستغويهم. و انها هل هى حق او باطل. و ما اختلف الناس فيه من ذلك. فان ذلك كله خارج عن تاريخ الامام المهدي عليه السلام فى غيبته الصغرى. و انما فصلنا القول فى الشلمغانى لارتباطه بهذا التاريخ ارتباطا عضويا. فليرجع فى تفاصيل ترجمة الحلاج الى مصادره.

و إنما تقتصر من ذلك على ما هو مربوط بنا فى هذا التاريخ. من حيث انه ادعى السفارة عن الامام المهدي (ع). و مما نذكره سيوضح ما هو الحق تجاه عقيدة الحلاج و سلوكه.

و ذلك: انه لما قدم بغداد اراد ان يغرى ابا سهل بن اسماعيل بن على النوبختى، و هو من علمائنا الاجلاء فى تلك الفترة. و يمت الى الشيخ ابن روح النوبختى رضى الله عنه برابطة النسب.

و تخيل انه ممن تنطلى عليه حيله و خدعه. فكاتبه و ادعى له انه وكيل الامام المهدي عليه السلام. و قد اخرج الخطيب البغدادي شيئا من ذلك، كما اخرج الشيخ فى غيبته بعض التفاصيل حوله.

ص: ٥٣٠

<sup>٦٩٢</sup> (١) الكامل ج ٦ ص ٢٤١.

<sup>٦٩٣</sup> (٢) المصدر ص ٢٤٢.

قال الخطيب البغدادي<sup>٦٩٤</sup>: اخبرنا علي بن ابي علي عن ابي الحسن احمد بن يوسف الأزرق، ان الحسين بن منصور الحلاج لما قدم بغداد يدعو، استغوى كثيرا من الناس و الرؤساء، و كان طمعه في الرافضة اقوى لدخوله من طريقهم<sup>٦٩٥</sup>. فراسل ابا سهل بن نوبخت يستغويه.

و كان ابو سهل من بينهم متقفا؟؟؟ فطنا. فقال ابو سهل لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل. و لكن انا رجل غزل و لا لذة لي اكبر من النساء و خلوتي بهن. و انا مبتلى بالصلح، حتى اني اطول قحفي و آخذ به الى جيبني و اشدّه بالعمامة، و أحتال فيه بحيل. و مبتلى بالخضاب لستر المشيب. فان يصل لي شعرا ورد لحيتي سوداء بلا خضاب. آمنت بما يدعوني إليه كائنا ما كان. ان شاء قلت: انه باب الامام. و ان شاء قلت: انه الامام. و ان شاء قلت: انه النبي. و إن شاء قلت: انه الله.

قال: فلما سمع الحلاج جوابه، أيس منه و كف عنه.

قال الشيخ<sup>٦٩٦</sup>. بعد نقله نحوا من ذلك، مع زيادة ان الحلاج زعم لابي سهل في مراسلته. انه وكيل صاحب الزمان عليه السلام. و هذا واضح أيضا من كلام الخطيب البغدادي باعتبار قول ابي سهل: ان شاء قلت: انه باب الامام .. اى وكيله. و اضاف الحلاج- برواية الشيخ- و قد امرت بمراسلتك و إظهار ما تريده من النصرة لك لتقوى

ص: ٥٣١

نفسك و لا ترتاب بهذا الامر.

و بعد ان كشفه ابو سهل و افحمه و اظهر عجزه امسك الحلاج عنه و لم يرد إليه جوابا و لم يرسل إليه رسولا. و صيره ابو سهل احدوثة و ضحكة، و يطنز- اى يسخر- به عند كل احد. و شهر امره عند الصغير و الكبير. و كان هذا الفعل سببا لكشف امره و تنفير الجماعة منه.

و حين ذهب الحلاج الى قم كاتب علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، و هو من اجلاء علمائنا، ابو الشيخ الصدوق قدس الله سرهما و ادعى له الحلاج: انه رسول الامام و وكيله.

فلما وصل خطابه الى ابن بابويه، مزقه، و قال لرسول الحلاج:

ما افرغك للجهرات!. فقال له الرجل: فان الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته؟ و ضحكوا منه و هزءوا به.

<sup>٦٩٤</sup> (١) انظر الكنى و الالتاب ج ٢ ص ١٠٨

<sup>٦٩٥</sup> (٢) يقصد كونه بالاصل شيعيا و دعوته في واقعها انحراف عن هذا المذهب

<sup>٦٩٦</sup> (٣) الغيبة ص ٢٤٨.

ثم نهض الى دكانه و معه جماعة من اصحابه و غلمانه، و عند ما وصل نهض لاحترامه كل من كان هناك غير رجل رآه جالسا فى الموضوع فلم ينهض له و لم يعرفه ابن بابويه.

فلما جلس و اخرج حسابه و دواته، كما يكون التجار. اقبل على بعض من كان حاضرا فسأله عنه، فاخبره. فسمعه الرجل يسأل عنه فاقبل عليه، و قال له: تسأل عنى و انا حاضر؟! فقال له ابن بابويه اكبرتك أيها الرجل و اعظمت قدرك ان أسألك. فقال له: تخرق رقعتى، و انا اشاهدك تخرقها. فقال له. فانت الرجل اذن. ثم قال.

خذ يا غلام برجله و بقفاه، و سحبوه من الدار سحباً. ثم قال له. أ تدعى

ص: ٥٣٢

المعجزات، عليك لعنة الله. فاخرج بقفاه. قال الراوى. فما رأيناه بعدها بقم.

يتضح من هذا التاريخ أمور:

الأمر الأول: ان أمر الحلاج كان أهون و أوضح لدى خاصة الموالين من أن يخرج فيه التوقيع عن الإمام المهدي عليه السلام. فقد كان لهم من الموازين و القواعد الإسلامية، ما يكشفون به عن خدعه و أباطيله. من دون حاجة إلى سؤال من المهدي «ع» و جواب. و لم يستفحل به الأمر ليصل الحال إلى حد الحاجة إلى ذلك.

و لا ننسى فى المقام قول ابن روح فى السلمغانى: فهذا كفر بالله تعالى و إلهاد، قد أحكمه هذا الرجل الملعون فى قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به و حل فيه، كما يقول النصارى فى المسيح عليه السلام. و يعود إلى قول الحلاج لعنه الله<sup>٦٩٧</sup>. فقد حكم على عقائد السلمغانى بالبطلان باعتبار رجوعها فى نهاية المطاف إلى قول الحلاج. فكيف يقول فى الحلاج نفسه.

على انه لم يكن الذى التفت إلى فساد قوله، هو الحسين بن روح و أصحابه، فحسب بل التفتت إلى ذلك السلطات، و خافت على شعبها من أن يؤثر الحلاج فى انحرافه عن أصل الإسلام، و هو الدين الحنيف الذى تقوم الخلافة على أساس منه. فقبضوا عليه، و أفتى الفقهاء بإباحة دمه. و لما سمع الحلاج ذلك. قال: ما يحل لكم دمي و اعتقادي الإسلام

ص: ٥٣٣

و مذهبي السنة. و لي فيها كتب موجودة. فالله الله من دمي. و لكن الخليفة المقتدر، اذن في قتله حين رأى الفتاوى. فضرب الف سوط و قطعت يده ثم رجله ثم يده ثم رجله. ثم قتل ثم أحرق بالنار و القى رماده في دجلة، و نصب الرأس ببغداد، و أرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب<sup>٦٩٨</sup>.

فأعجب من الخطيب البغدادي، إذ سمعنا منه أنه يعتبر الحلاج محسوبا على الشيعة، على حين نرى الحلاج بنفسه يعترف أمام السلطات أن مذهبه السنة و له فيها كتب موجودة.

الأمر الثاني: ان الحلاج، كان يخدع كل قوم من حيث جهة قناعتهم و اعتقادهم، ليجلبهم بعد ذلك إلى ما يريد لهم من العقائد الباطلة و الأقوال المنحرفة. و إذ يكون الناس في فراغ عقائدي و ضعف في الدعوة و الإرشاد الإسلامي بينهم، لم يكن بإمكانهم أن يفرقوا بين المعتقد الحق و الباطل و بين ما هو معجزة و ما هو خدعة. و قد استغل الحلاج هذا الواقع المر استغلالا كبيرا و اصطاد في هذا الماء العكر اصطيادا مضاعفا. حتى ضج منه أهل الإسلام بمختلف مذاهبهم.

و قد كان منطلقه إلى خداع القواعد الشعبية الموالية للأئمة عليهم السلام، هو ادعاء الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام. ثم يعلو منه إلى غيره<sup>٦٩٩</sup>. لتخليه ان هذا الأمر مفهوم لهم معتاد بالنسبة إليهم.

ص: ٥٣٤

و لولا وقوف ابي سهل النوبختي في بغداد و ابن بابويه القمي في قم ضده لكان له أثر مؤسف كبير.

الأمر الثالث: أنه يتضح أيضا من هذا التاريخ، ما سبق أن ذكرناه من كون علمائنا في تلك الفترة، لم يكونوا يشكلون طبقة منفصلة لهم حدود معينة و علاقات محدودة. بل كان حالهم حال غيرهم في اتخاذهم عملا يرتزقون منه، و ينطلقون إلى اللقاء مع مختلف الطبقات عن طريقه. كالذي سمعناه عن ابن بابويه الذي كان إلى جانب تجارته من أكابر العلماء العاملين لتلك الفترة. و يكفينا من جهاده هذه الصورة الواضحة من قيامه ضد الحلاج و فضحه في المجتمع المسلم.

عاشرهم: محمد بن المظفر.

أبو دلف، الكاتب. و قد سمعنا عند الحديث عن أبي بكر البغدادي ان أبا دلف هذا كان مخمسا مشهورا. ثم انه آمن بأبي بكر البغدادي و اعتبر مذهبه هو الصحيح<sup>٧٠٠</sup> و كان يدافع عنه بحرارة، و يقدمه على الحسين بن روح رضی الله عنه<sup>٧٠١</sup> حتى أوصى

<sup>٦٩٨</sup> (١) انظر الكامل ج ٦ ص ١٦٨ - ١٦٩.

<sup>٦٩٩</sup> (٢) غيبة الشيخ ص ٢٤٧.

<sup>٧٠٠</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسي ص ٢٥٦.

<sup>٧٠١</sup> (٢) انظر المصدر ص ٢٥٠.

له أبو بكر البغدادي بعد وفاته<sup>٧٠٢</sup>. و أصبح بذلك مدعيا للسفارة بعد السمري، و كان هذا علامة كذبه لدى الأصحاب، على ما سبق.

و كان أبو دلف معروفا بالإلحاد ثم أظهر الغلو ثم جن و سلسل ثم صار مفوضا. قال الراوى: و ما عرفناه قط، إذا حضر فى مشهد ص: ٥٣٥

- يعنى مجتمعا على الناس - إلا استخف به. و لا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة. و الجماعة تتبرأ منه و ممن يومى إليه و ينمس به،<sup>٧٠٣</sup>. و أمره فى الجنون أكثر من أن يحصى<sup>٧٠٤</sup>.

فهؤلاء عشرة، ممن مثلوا خط الانحراف الداخلى الكبير أثناء فترة الغيبة الصغرى، ضد السفراء و قواعدهم الشعبىة، و النتيجة ضد الإمام المهدي (ع) و ضد المصالح الكبرى التى كان يتوخاها فى المجتمع. و قد عرفناهم و جملة من أساليبهم و طرق الوقوف ضد تيارهم. و الحمد لله رب العالمين.

### تحليل مجابهة الانحراف:

كان الاهتمام الكبير للإمام المهدي (ع) و سفرائه فى الوقوف ضد هذا التيار، أكبر من الوقوف ضد أى تيار آخر. و ذلك لعاملين أساسيين:

أحدهما، لاحتضانه مما سبق، من كون هذا العمل مما ينسجم و سياسة السلطات. فلا يكون منافيا لمسلك الحذر و التكتم. و حيث كان فى ردع القواعد الشعبىة الموالية عن هؤلاء المزورين مصلحة كبرى كما هو معلوم، و لا مانع منه من قبل السلطات .. إذن فمن المنطق أن تنتظر ازدياد نشاط السفراء و الوكلاء فى ذلك، و تعدد التوقيعات بخصوصه.

ص: ٥٣٦

ثانيها: و هو الأهم، المبتنى على قاعدة عامة فى منطق الجماعات البشرىة، تقول: إن الهدم الناشئ فى داخل الجماعة يكون أضر بها و أشد عليها من الهدم الوارد عليها من الخارج، فى الأعم الأغلب. بل ان المنحرفين فى كل جماعة، ليمثلون خط المناوى جنبا إلى جنب مع الجماعات الأخرى المعادية.

و من ثم كان المنحرفون عن الإسلام، و المتاجرون باسمه، أشد على الإسلام من الكفار و المشركين، و أكثر تأثيرا فى الإبعاد عنه. و هم - فى واقعهم - يد عاملة فى مصلحة القوى العالمىة المناوئة للإسلام.

<sup>٧٠٢</sup> (٣) المصدر ص ٢٥٥.

<sup>٧٠٣</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٥٤.

<sup>٧٠٤</sup> (٢) المصدر ص ٢٥٥ و ما بعدها.

و لذلك، كان هؤلاء المنحرفون، المدعون للسفارة زورا، أشد على القواعد الشعبية و أضر بها- لو استفحل امرهم- من السلطات المنحرفة لانهم و يتاجرون باسم الامام المهدي عليه السلام، و يدخلون الى عقول السذج عن طريق مهم معتاد بالنسبة إليهم و هو السفارة عنه و قبض الاموال بالوكالة عنه. ثم انهم يزرقون من عقائدهم المنحرفة و سلوكهم الباطل فى نفوس الآخرين، تحت هذا الشعار، ما يحلو لهم و ما يشاءون.

على حين ان السلطات لا تملك الا الحديد و النار و السجن، و لم تكن هذه الامور يوما بصالحة فى القيام ضد العقيدة او التأثير عليها. لا تستطيع السلطات ان تدخل الى اذهان الموالين للأئمة عليهم السلام، عن طريق دينى باى حال من الاحوال. و ليس ادل على ذلك، من رفض المعتمد لعمالة جعفر بن على، حين كان يائسا من تأثيره فى فرض عمالته على موالى اخيه عليه السلام.

ص: ٥٣٧

فكان من الواجب الوقوف ضد هذا التيار الداخلى المنحرف، الذى كاد ان يبلغ مبلغا عظيما، لو لا ما بينه الامام المهدي عليه السلام من بينات و ما قام به السفراء من نشاط مضاعف كبير. الى جانب شعور الدولة بالمعاداة مع هؤلاء المنحرفين و مطاردتها لهم. و لم يخطر لها ان تستفيد منهم فى سبيل هدم الجماعة الموالية و تفريق شملها و تشتيت كلمتها مما اوجب تظافر نشاط السفراء و الدولة على حربهم و مطاردتهم.

و لم تكن الدولة بقيادة على جرهم الى جانبها و الاستفادة منهم فى مصلحتها لعدة عوامل.

الأول: ان دعوتهم- على الأغلب- كانت خارجة عن أصل الإسلام بشكل مكشوف واضح، لدى عموم الناس، بحيث لا يمكنهم التأثير الكبير. و لا ينفعون السلطات حتى لو أرادوا ذلك.

الثانى: ان توقيعات الإمام عليه السلام و موقف سفرائه، كان قويا فعالا فى التأثير على الجماعة الموالية. بحيث لم يبق لهؤلاء المزورين باقية، يمكن أن تصلح سندا للدولة، حتى لو أرادت استخدامها.

الثالث: ان الدولة، كانت تخاف على قواعدها الشعبية من التشتت و الانهدام. فانها على أى حال قائمة على أساس الالتزام بالإسلام، و منتفعة فى أصل وجودها من شعاراته. فإذا دخلتها الدعوات المنحرفة عنه بشكل علنى صريح، كان ذلك مضرا بها لا محالة.

الرابع: ان الدولة كانت تخاف- فى حدود ما تفهم- بأن يؤثر هؤلاء المنحرفون، بشكل أو آخر، فى صرف قواعدها الشعبية

ص: ٥٣٨

عن مذهبهم و تقريبيهم إلى خط الأئمة عليهم السلام .. و لو باعتبار أن هؤلاء المنحرفين مدعين للسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، و هو القائد الفعلى لذلك الخط. و هو الخط الذى تفرق منه السلطات و تخشاه.

و قد سبقت بعض الشواهد على ذلك<sup>٧٠٥</sup>.

الخامس: ان هؤلاء المنحرفين، كانوا فى الأعم الأغلب، مشتركين مع خط الأئمة و السفراء، فى الشعور بظلم السلطات و عدم الاعتراف بشرعيتها. و هذا الشعور بنفسه يجعلهم يرهبون أن يبيعوا ضميرهم للسلطات و يكرسوا نشاطهم من أجلها. و هم يشعرون بكل عمق، إنهم لن يحصلوا من القواعد الشعبية أحدا، لو شعر الناس منهم مثل هذا الاتجاه.

و هذا هو الذى جعلهم طرفا للعداء مع السلطات و مع السفراء على حد سواء. و لم يكن فى استطاعتهم، و هم يمثلون أضييق الاتجاهات و أضعفها، أن يحاربوا فى جبهتين، و يبذلوا نشاطهم فى أكثر من ميدان واحد. مما عجل فى خاتمة أمرهم و إنهاء حسابهم، و توفيق الله للامة الإسلامية عموما و الموالين خصوصا للخلاص منهم.

ص: ٥٣٩

### الفصل الخامس الإمام المهدي (ع) حياته و نشاطه خلال هذه الفترة

و يقع الكلام فى ذلك ضمن عدة حقول، نذكر عناوينها أولا، لتكون على ذكر منها حين ندخل فى التفاصيل. فهى:

أولا: حياته الخاصة خلال غيبته الصغرى.

ثانيا: محاولات القبض عليه من قبل السلطات.

ثالثا: مقابلاته للناس من حيث اسلوب ذلك و اهدافه.

رابعا: تصرفه فى الامور المالية.

خامسا: حله للمشكلات العامة و الخاصة.

سادسا: نصبه لو كلاء غير السفراء الاربعة.

سابعا: اعلانه انتهاء السفارة و بدأ الغيبة الكبرى.

و قد عرفنا الشىء الكثير عن الاتجاهات و الاساليب التى كان يتبناها الامام المهدي عليه السلام، مما يندرج فى عدد من هذه العناوين. و علينا فى هذا الفصل ترتيب ما عرفناه مع الزيادة عليه.

ص: ٥٤٠

و تجنبنا للتكرار، سيكون التعرض الى ما عرفناه مما سبق ضئيلا الى حد كبير، و سيكون الجهد مكروسا على ما يستجد في هذا الفصل من تاريخ و أفكار.

### الحقل الأول حياة المهدي (ع) الخاصة

من حيث صفته و مكانه و مقدار عمره، و عدد من خصائصه الشخصية خلال غيبته الصغرى.

شكله:

كان سلام الله عليه و عجل فرجه، يوم وفاة أبيه، حين رآه الناس يصلى على ابيه .. صبيا بوجهه سمره، بشعره ققطط باسنانه تفله؟؟؟ كما سبق أن سمعنا.

لم يصفه من رآه بعد ذلك خلال غيبته الصغرى، بانه شاب حسن الوجه طيب الرائحة، هيبوب؛ و مع هيئته متقرب الى الناس. قال الراوى: فتكلم، فلم أر احسن من كلامه و لا اعذب من منطقته فى حسن جلوسه<sup>٧٠٦</sup>. و فى رواية اخرى: انه شاب اسمر لم ار قط فى حسن صورته و اعتدال قامته<sup>٧٠٧</sup> و فى رواية ثالثة: فتى حسن الوجه

ص: ٥٤١

طيب الرائحة يتبختر فى مشيئته<sup>٧٠٨</sup>. و فى رواية رابعة: انه ليس بالطويل الشامخ و لا بالقصير اللازق بل مربع القامة مدور الهامة صلت الجبين ازج الحاجبين، اقنى الأنف، سهل الخدين. على خده الايمن خال<sup>٧٠٩</sup>. الى غير ذلك من الروايات<sup>٧١٠</sup>.

و نسمع من سفيره محمد بن عثمان رضى الله عنه، حين سئل عن رؤيته للمهدى (ع) .. يصف عنقه فى حسنه و غلظه، فيشير بيده و يقول: و عنقه هكذا<sup>٧١١</sup> او قال: و رقبتة مثل هذا<sup>٧١٢</sup>. و انما اكد على صفة عنقه ليدل على صفة الرجولة فيه، و انه لم يبق كما عهدته الناس فى حياة ابيه صبيا صغيرا، أو غلاما عشاريا عليه رداء تقنع به<sup>٧١٣</sup>.

<sup>٧٠٦</sup> (١) غيبة الشيخ ص ١٥٢.

<sup>٧٠٧</sup> (٢) المصدر ص ١٥٣.

<sup>٧٠٨</sup> (١) غيبة الشيخ ص ١٥٩.

<sup>٧٠٩</sup> (٢) للمصدر ص ١٦١.

<sup>٧١٠</sup> (٣) انظر المصدر أيضا ص ١٥٦ و ص ١٦٣ و ص ١٨٢ و غيره من المصادر كثيرة.

<sup>٧١١</sup> (٤) المصدر ص ٢١٥.

<sup>٧١٢</sup> (٥) المصدر ص ٢١٩.

<sup>٧١٣</sup> (٦) المصدر ص ١٥٥.



اذن فهو عليه السلام، قد تقدم و تطور من حيث شكله، فأصبح شابا بعد ان كان غلاما و قويا بعد ان كان ضعيفا و كبيرا بعد ان كان صغيرا. و كان سفراؤه يواجهونه فى شبابه هذا.

ففى زمان العمرى السفير الثانى، حاول شخص أن يقابل المهدي (ع) فوفر له العمرى فرصة المقابلة. فرآه شابا من أحسن

ص: ٥٤٢

الناس وجها و اطيهم رائحة. بهيئة التجار، و فى كمة شىء كهيئة التجار<sup>٧١٤</sup>.

و كونه عليه السلام بهيئة التجار، يدلنا على لباسه خلال هذه الفترة بل على عمله أيضا .. و هو التجارة، حيث يستطيع أن يواجه الناس كتاجر من التجار من دون أن يعرف الناس حقيقته. و لعله تاجر مستقل عن تجارة سفيره أو لعله يعمل فى تجارة سفيره أو يعمل سفيره فى تجارته. و قد عرفنا مما سبق أن هيئة الكثير من علماء الخاصة بما فيهم السفراء أنفسهم و وكلائهم، و عملهم الاجتماعى الظاهر، كان على ذلك.

و من هنا اتخذ قائدهم و إمامهم نفس العمل و الملابس، و هو أمر أبعد ما يكون عن إلفات النظر و إثارة الشكوك.

ثم يوصف لباسه حال الاحرام للحج: و هو عليه السلام يحضر الموسم كل سنة، يرى الناس و يعرفهم، و يرونه و لا يعرفونه<sup>٧١٥</sup> و يكون فى أثناء حجه متزرا ببردة و متشحا بأخرى، و قد عطف بردائه على عاتقه<sup>٧١٦</sup>، شأنه فى ذلك شأن كل حاج محرم يلبس ثياب الاحرام. و فى رواية اخرى عليه إزاران<sup>٧١٧</sup>.

مكانه و انتقالاته:

كان حال حياة أبيه عليهما السلام فى سامراء. دلت على ذلك جميع

ص: ٥٤٣

الروايات الناقلة لمشاهدته فى تلك الفترة. و قد سبق أن سمعنا قسطا كبيرا منها. و من الطبيعى أن يبقى فى سامراء يوم وفاة أبيه يصلى على أبيه و يقابل وفد القميين، ليحولهم على بغداد، حيث يعين لهم سفيرا جديدا.

<sup>٧١٤</sup> (١) غيبة الشيخ ص ١٦٤.

<sup>٧١٥</sup> (٢) المصدر ص ٢٢١.

<sup>٧١٦</sup> (٣) اكمال الدين المخطوط.

<sup>٧١٧</sup> (٤) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٥٦.

و يبقى في سامراء ردحا من السنين بعد ذلك، كما تدل عليه حوادث تحويل السفيرين الأولين بأموال الوفود الى سامراء، كما سيأتي في الحقل الخاص بذلك. و يدل عليه أيضا بعض مقابلاته هناك، على ما يأتي.

و يدل عليه أيضا ما قامت به السلطات من المطاردة له و الكبس على داره في سامراء من قبل المعتمد و المعتضد. حيث يكون عليه السلام موجودا هناك و لكنه يستطيع التخلص و الهرب. اذن فهو إلى زمان خلافة المعتضد التي تولاها عام ٢٧٩. كان ساكنا في دار أبيه في سامراء فلو فرض - كما هو المظنون - ان الكبس الذي أمر به المعتضد كان في أول عام من خلافته، فمعنى ذلك أن المهدي عليه السلام بقى هناك تسعة عشر سنة بعد وفاة أبيه عليه السلام.

و قد أبعده المهدي (ع) عن نفسه كل الآثار، و كل ما يلفت النظر و يشير الشك، حتى وكلاؤه أصبحوا بعيدين عنه، لكي لا يوجهوا الأنظار إليه أولا، و لكي يعيشوا في قلب الحوادث الاجتماعية شأن كل من يريد أداء الخدمة الصالحة لمجتمعه و أمته، ثانيا. و لكي يبعدوا هم بدورهم عن أرصاد الدولة و عاصمة الملك حال كونها في سامراء خلال هذه التسعة عشر سنة ثالثا.

ص: ٥٤٤

أما هو فلا ينبغي أن يعيش الحوادث و لا أن يختلط بالناس. بل يبقى بعيدا يكتفى بسماع الأخبار و الاطلاع على الآثار، يعيش هموم الأمة الاسلامية ذهنيا إن لم يستطع أن يعيشها خارجا ... حتى تهدأ النائرة، و يندمل الجرح و تخف المطاردة، و بمضى الردهج الأول من الغيبة الصغرى ليستطيع بعد ذلك أن يقوم بعمل جديد.

و المتتبع لخروج التوقيعات و البيانات عن الامام المهدي عليه السلام خلال الفترة الأولى من غيبته، يرى بوضوح قلتها و ندرتها. إلى حد لا يكاد ينقل عن السفير الأول، بل السفير الثاني في أول سفارته توقيع ذو بال، إلا في حدود قليلة و عند الحاجة الكبيرة. و ما ذلك إلا لأن الحاجة إلى الحذر في هذه الفترة ألزم، و البعد ما بين المهدي (ع) و سفرائه من حيث المكان أكثر.

و حين تنتهي هذه الفترة الحرجة، و لا يزال محمد بن عثمان سفيرا في ذلك الحين، تنفتح له عليه السلام، فرصة جديدة في الخروج و التجول بنحو لا يمكن أن يعرفه الناس و لا أن يشار إليه بحقيقته. فان أكثر الناس لم يروه في حياة أبيه. و من رآه منهم كان قد رآه طفلا أو صبيا و الآن قد أصبح شابا و سيما، فلا تكاد ملامحه أن تكون محفوظة معروفة بعد مرور هذه الفترة. على أن جيلا من الناس قد مات و جيلا واجه الحياة من جديد، و هو لا يعرف من شكل المهدي شيئا.

و كلما طالت المدة ابتعدت صورته عن أذهان الناس و ذابت ذوبانا كليا.

و من هنا انفسحت للمهدي (ع) فرصة جديدة، لأن يدخل بغداد

ص: ٥٤٥

لنراه تارة بزى التجار<sup>٧١٨</sup>. وأخرى أمرا محمد بن علي بن بلال، أن يدفع ما لديه من الأموال إلى سفيره العمري<sup>٧١٩</sup>. وأصبح يحضر موسم الحج في كل عام، كما سمعنا، ماشيا<sup>٧٢٠</sup>. بل أصبح يخالط الحجاج من خواصه و يحدثهم<sup>٧٢١</sup> و يعلمهم الأدعية و يعطيهم التعليمات<sup>٧٢٢</sup>. بل انه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضت المصلحة و لم يكن في ذلك خطر<sup>٧٢٣</sup>. و كان يسكن خلال فترة الحج في تلك الديار المقدسة.

و من هنا سنرى أن جملة من مقابلاته تمت هناك، من قبل الباحثين عنه المرادين التشرف بلقائه.

و كما يذهب إلى الحج، فانه يذهب إلى كربلاء لزيارة جده سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، يوم عرفة، فيوصل إلى أحدهم مالا<sup>٧٢٤</sup> على ما سيأتي.

بل انه يصل إلى مصر، على ما يظهر من بعض الروايات، و ينزل الاسكندرية في خان ينزله الغرباء، يصلى في مسجده بأهل ذلك الخان.

ثم يسافر مع أحدهم، و يأخذ طريق البحر<sup>٧٢٥</sup>.

ص: ٥٤٤

ثم انه يعود من هذه الأسفار إلى بغداد ليباشر الاتصال بسفرائه، و إدارة مصالح المجتمع و الوقوف في وجه المنحرفين، عن طريق التوقيعات و البيانات.

هذا و نسمع قول المهدي «ع»- في رواية على بن ابراهيم بن مهزيار- يا ابن المازيار! أباي أبو محمد عهد إلى أن لا أجاور قوما غضب الله عليهم و لعنهم، و لهم الخزي في الدنيا و الآخرة، و لهم عذاب أليم. و أمرني أن لا أسكن من الجبال إلا و عرها و من البلاد إلا عفرها. و الله مولاكم أظهر التقية، فوكلها بي. فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج<sup>٧٢٦</sup>.

---

<sup>٧١٨</sup> (١) غبة الشيخ الطوسي ص ١٦٤.

<sup>٧١٩</sup> (٢) المصدر ص ٢٤٦.

<sup>٧٢٠</sup> (٣) المصدر ص ٢٥٨.

<sup>٧٢١</sup> (٤) انظر المصدر نفسه ص ١٥٢.

<sup>٧٢٢</sup> (٥) المصدر ص ١٥٦.

<sup>٧٢٣</sup> (٦) المصدر ص ١٥٢.

<sup>٧٢٤</sup> (٧) المصدر ص ١٨١.

<sup>٧٢٥</sup> (٨) المصدر ص ١٨٣.

<sup>٧٢٦</sup> (١) غيبته الشيخ الطوسي ص ١٦١.

و هذا الخبر لو صح لكان معارضا لعدد من الأخبار أهمها طريقة استحصال التوقيعات منه عليه السلام، إلا ببعض الفروض البعيدة أو الاعجازية التي نحن في غنى عن افتراضها، و المهدي «ع» في غنى عن اتخاذها. و معه تكون تلك الأخبار مقدمة على مدلول هذا الخبر. و قد سبق أن عرفنا أن الحذر و التقية يتم مع سكناه المدن أيضا لعدم معرفة الناس بشكله و عدم الالتفات إلى حقيقته. و ليست التقية متوقفة على سكنى الجبال و عفر البلاد. إن لم يكن ذلك ملفتا للنظر و جالبا للشك أحيانا. و الله العالم بحقائق الأمور.

#### عمره الشريف:

ولد عليه السلام في النصف من شعبان عام ٢٥٥، كما عرفنا، فيكون عمره حين وفاة أبيه في شهر ربيع الأول من عام ٢٦٠ كما سبق.

ص: ٥٤٧

اربع سنوات و حوالى ستة اشهر. و قال المسعودى و ثمانية اشهر<sup>٧٢٧</sup>.

و لعله مبنى على رواية اخرى لم تأخذ بها. و فى هذا العمر تولى منصب الإمامة و قيادة الامة و آتاه الله الحكم صبيا.

و قد عرفنا انه لم يكن شكله يوم وفاة ابيه موافقا مع هذا العمر، بل كان صبيا يافعا يقول من يراه انه ابن ثمان او عشر سنين. و قد اعطينا لذلك التبريرات الكافية فيما سبق و يكون عمره الشريف حين شوهده فى الحج عام ٢٩٣، شابا اسمر، قال الراوى: لم ارقط فى حسن صورته و اعتدال قامته<sup>٧٢٨</sup> .. ثمان و ثلاثون عاما.

و يكون عمره عند وفاة سفيره الثانى فى جمادى الاولى عام ٣٠٥ خمسين عاما غير ثلاثة اشهر. و عند وفاة سفيره الثالث الحسين بن روح رضى الله عنه عام ٣٢٦ واحدا و سبعين عاما.

و يكون عمره عند وفاة سفيره الرابع الشيخ السمرى، عام ٣٢٩، و انتهاء فترة الغيبة الصغرى .. اربعا و سبعين عاما. قضى منها اربع سنين و نصف فى حياة ابيه عليهما السلام. و تسعة و ستين عاما و نصف و خمسة عشر يوما فى الغيبة الصغرى. ثم بدأت الغيبة الكبرى حيث لا ظهور الا ان يأذن الله تعالى بالفرج لكى يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

و يكون عمره يوم انتهى المسعودى من كتابه اثبات الوصية، و هو

ص: ٥٤٨

<sup>٧٢٧</sup> (١) اثبات الوصية ص ٢٤٣.

<sup>٧٢٨</sup> (٢) الغيبة ص ١٥٣.

عام اثنتين و ثلاثين و ثلاث مائه .. اى بعد انتهاء الغيبة الصغرى بثلاث سنوات .. يكون عمره الشريف ستا و سبعين سنة واحد عشر شهر و نصف شهر، كما ذكر المسعودى<sup>٢٢٩</sup>.

هذا بحسب عدد السنين. و اما بحسب شكله، فكان عليه السلام لا يزال شابا، يقدره الناظر بحوالى العشرين عاما على ما يستفاد من مجموع اوصافه. و هذا امر ممكن بل ضرورى الثبوت، باعتبارين:

احدهما، و هو الامر الاساسى، الايمان بقدره الله تعالى الذى خلقكم اول مرة، و الذى يحيى العظام و هى رميم، و بيده ملكوت كل شىء، و هو على كل شىء قدير.

فاذا عرفنا المصلحة الكبرى المتوقفة على وجود المهدي (ع) و المسؤولية الكبرى المناطة به. و انها من الاهمية و الرسوخ فى الاسلام الى حد يعمل الله عز و جل ارادته الخاصة فى تنفيذها .. نعرف كيف يمكن ان يحفظ الله تعالى المهدي (ع) لاجل ذلك الهدف الكبير.

ثانيهما: نموه البطيء فى غيبته الكبرى بحيث يقدر له من العمر حين ظهوره اربعين عاما كما ورد فى الروايات<sup>٢٣٠</sup>.

اذن، فهو بالرغم من نموه السريع فى صغره فى حياة ابيه، حتى نما فى الاربع سنوات، ما ينمو به الانسان خلال ثمان او عشر سنين ..

اصبح نموه يتباطأ بعد ذلك. ففى خلال السبعين عاما لغيبته الصغرى نما بمقدار حوالى العشر سنين من العمر الطبيعى، حيث كان فى اولها

ص: ٥٤٩

يقدر بحوالى عشر سنوات، و كان فى آخرها يقدر بحوالى العشرين.

ثم هو فى السنوات المتطاولة المتمادية فى غيبته الكبرى ينمو بمقدار العشرين الباقية من سن الاربعين الطبيعى للانسان، ليظهر فى آخرها و هو كابن الاربعين. و هو السن الذى يكون فيه الرجل فى غاية الرشد و النضج و الحنكة.

ثم ان المظنون ان تموه امام الناس بعد ظهوره سوف يكون طبيعيا كشخص له اربعون سنة، فما فوق.

<sup>٢٢٩</sup> (١) انظر اثبات الوصية ص ٢٤٣.

<sup>٢٣٠</sup> (٢) انظر الغيبة الشيخ الطوسى ص ٢٥٨ و كتاب المهدي ص ٨.

و من طريف ما ورد فى هذا الصدد، ما فى عقد الدرر عن ابى عبد الله الحسين عليه السلام، انه قال: انه لو قام المهدي لا نكره الناس، لانه يرجع إليهم شابا موقفا و ان من اعظم البلية ان يخرج إليهم صاحبهم شابا، و هم يظنونه شيخا كبيرا<sup>٣١</sup>. و المراد من قوله، يرجع إليهم انه يظهر لهم بعد غياب، لا انه يكون شيخا ثم يتحول شابا بطريق اعجازى.

هذا كله، بحسب المصالح الالهية الكبرى، المذخورة ليومه الموعود.

فهذه لمحات من حياته الخاصة، و ستعرف جملة أخرى من تفاصيلها فى الحقول التالية.

### الحقل الثانى محاولة السلطات القبض عليه

كان القبض عليه، احد الاهداف الكبرى للدولة، من حيث انها تعلم

ص: ٥٥٠

ما فى كيانها من ضعف و انحراف و تسيب. و تعلم ان المهدي عليه السلام هو المذخور لرفع الظلم و الجور عن بنى البشر، اذن فهو يناقض باساس وجوده و عمق هدفه، كيان هذه الدولة من الصميم، و يشكل ضدها الخطر الاصيل.

و لم تكن الدولة لتعلم انه سيتأخر ظهوره، ما حصل له من التأخر بعد ذلك. فان من مميزات ظهور الامام المهدي (ع) كونه محتمل الظهور فى كل وقت، لكى يخافه كل ظالم و يخشاه كل منحرف.

و قد سبق ان دللنا على ان الخلفاء كانوا عالمين بوجوده و هدفه و لا اقل من احتمالهم لذلك. و هو يكفى لتصديهم الى تحصين دولتهم ضد خطره و تجريد الحملات للقبض عليه.

و قد جردت السلطات ثلاث حملات للقبض عليه، احداها قام بها المعتمد فى الفترة القليلة المتأخرة عن وفاة الامام العسكرى عليه السلام و الاخرى قام بهما المعتضد الذى تولى الحكم بعده. و اما الخلفاء المتأخرون فلم ينقل عنهم ذلك، و لعلمهم كانوا قد أيسوا من ذلك ياسا تاما.

اما محاولة المعتمد، فقد سبق ان سمعناها فى القسم الاول من هذا التاريخ، عند استعراض ما قام به جعفر بن على من محاولات و اعمال فلا نعيد.

و قد عرفنا ما تلا ذلك من انشغال الدولة بحرب صاحب الزنج و غيره، مما اوجب انحراف السلطات ذهنيا عن ان تجرد حملات اخرى للكبس و التفتيش، اثناء خلافة المعتمد، و هى التسعة عشر عاما

<sup>٣١</sup> (١) كتاب المهدي ص ٢٠٨ و انظر عقد الدرر المخطوط

التي قضاها في الحكم بعد وفاة الامام العسكري (ع).

إلا أن التجسس المستمر و التلفت الدائم من قبل السلطات، كان قائما على قدم و ساق، و مستمرا خلال الزمان، و كان يجابه، كما عرفنا، بأساليب السرية و الكتمان المضاعفة التي كان يقوم السفيران الأولان في هذه الفترة الصعبة من الغيبة الصغرى. بما في ذلك تحريم التصريح باسمه و الدلالة على مكانه، إلا لمن امتحن الله قلبه للايمان.

و في خلال هذه الأعوام التسعة عشر، يكون التجسس قد أنتج شيئا مهما بالنسبة إلى الدولة. و هو ثبوت فكرة السفارة لديها، و أن هناك من يدعى السفارة عن الإمام المهدي (ع) و يقبض المال بالوكالة عنه<sup>٣٣٢</sup> اذن فهو موجود. ليس هذا فقط، بل يحاول قيادة قواعده الشعبية و قبض الأموال منهم. و من ثم كانت من أعظم مهام المعتضد عند توليه للخلافة أن يجدد الحملات لمحاولة القبض على المهدي (ع).

و من ثم يبادر، فيبعث على ثلاث نفر، فيهم أمرهم. رشيق صاحب المادراى. و يأمرهم أن يخرجوا إلى سامراء مخففين لا يكون معهم قليل و لا كثير، إلا أن يركب كل واحد منهم فرسا و يجنب معه آخر. و وصف لهم محلة و دارا. و قال: إذا أتيتموها تجدون على الباب خادما أسود، فاكبسوا الدار و من رأيتم فيها فأتوني برأسه<sup>٣٣٣</sup>.

انظر لمقدار ما أتت به أخبار التجسس .. انه يعلم بدار المهدي (ع)

و هى دار أبيه .. انها دار معروفة فى سامراء، لها تاريخ مجيد. و ليس فى هذا ما يلفت النظر .. و لكنه يعلم بالعبد الجالس على باب الدار. فانه من الأخبار المتأخرة، إذ لم تكن الحالة فى حياة الإمام العسكري (ع) بهذا الشكل بالتعيين.

كما أنه يعلم بوجود شخص آخر غير هذا العبد، فى داخل الدار.

و هو الإمام المهدي (ع) لا محالة. و على الأقل يعلم انها دار سكناه، و إن كان يحتمل عدم وجوده فيها ساعة الكبس. و لكن لا أقل من احتمال وجوده، و الكبس دائما مغامرة و مقامرة.

و هو لا يحاول أن يرى المهدي (ع) أو أن يكلمه، و إنما يأمر بقتله رأسا و حمل رأسه إليه. و بذلك يتحقق الهدف الأعلى لكيان الدولة الزائف.

<sup>٣٣٢</sup> (١) أعلام الورى ص ٤٢١.

<sup>٣٣٣</sup> (٢) انظر تفصيل الرواية فى الغيبة ص ١٤٩ و ما بعدها و الخرائج ص ٦٧ و البحار ج ٢٣ ص ١١٨.

و هو لا يعين لهم شخصا أو اسما معيناً. بل يغمض من هذه الناحية انه يريد أن يبقى هذا الأمر خفياً حتى على هؤلاء القائمين بالجملة، و لا يهمنه بعد ذلك أن يقتلوا شخصا غير المهدي و يأتوه برأسه. فحسبه أنه قام بالمحاولة، على أى حال.

و يتوخى المعتضد من هذا الإغماض أهدافاً:

الأول: عدم إثارة مسألة المهدي (ع) إمام هؤلاء الجلاوزة، و عدم تنبيههم إلى ذلك، مهما أمكن. لكي لا يكون ذلك رأس الخيط بالنسبة إليهم أو إلى أحدهم للبحث عن الحق في خط الإمام المهدي (ع) أو الميل إليه.

الثاني: عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم، محافظة على سمعته

ص: ٥٥٣

و سمعة الدولة. فانهم إن عرفوا ان المعتضد يكلفهم القبض على المهدي (ع). أمكن تسرب الخبر إلى المجتمع، فيترتب على ذلك، ما لا يحمد للمعتضد عقباه.

الثالث: عدم كشف مهمتهم الحقيقية أمامهم للمحافظة على سرية المطلب، حتى عن خاصة الدولة، و جهاز استخباراتها، فإن الأمر أهم و أدق من أن يعرفه الناس. و قد كان أشخاص الخلفاء و حدهم يعرفون ذلك في الغالب، و قد عرفنا وجه مصلحتهم في الحرص على سرية المطلب و إبهامه.

و بدأت الحملة كما أمر المعتضد، و توجه الثلاثة إلى سامراء، و بحثوا عن الدار، فوجدوها، كما وصفها لهم المعتضد، و رأوا في الدهليز خادماً أسود و في يده تكة ينسجها. فسألوه عن الدار و من فيها. فقال:

صاحبها. قال رشيق: فوالله ما التفت إلينا و قل اكراتته بنا.

ثم انهم استمروا على مهمتهم، فكبسوا الدار و جاسوا خلالها فوجدوا غرفة سرية و عليها ستر جميل جديد. قال رشيق: ما نظرت قط إلى أنبل منه، كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت.

و لم يكن في الدار أحد، فرفعوا الستر، فرأوا بيتاً كبيراً كأنه بحر فيه ماء. و في أقصى البيت حصير يبدو كأنه على الماء. و فوقه رجل من أحسن الناس هيئة، قائم يصلى. و بقي مشتغلاً بصلاته متوجهاً إلى ربه لم يلتفت إليهم، كأنه لم يرههم و لم يسمعهم.

فسبق أحد الرجلين اللذين كانا مع رشيق ليتخطى البيت، فغرق

ص: ٥٥٤

في الماء، و ما زال يضطرب، حتى انقذوه و اخرجوه. و غشى عليه و بقي ساعة. ثم هم الرجل الآخران يتخطى البيت فغرق في الماء أيضاً.



فأصابه ما أصاب صاحبه.

فبقى رشيق و هو قائد الحملة، مبهوتا واجما، و أيس من نيل الغرض، و أراد ان يلطف من خاطر هذا المصلى و يزيل ما قد يكون قد علق بذهنه من هذه الحملة. فتوجه إليه قائلا: المعذرة الى الله و إليك فو الله ما علمت كيف الخبر و لا الى من أجيء. و انا تائب الى الله. قال رشيق: فو الله ما التفت الى شيء مما قلنا. و ما انتقل عما كان فيه فهالنا ذلك، و انصرفنا عنه.

انظر كيف انتصر المهدي (ع) على هؤلاء، الجلاوزة المنحرفين و كيف استطاع ان يؤثر على اعصابهم هذا التأثير الرهيب. فقد كان يمكنه ان يدبر امره بحيث يختفى منهم كما لا يراهم و لا يرون .. بأن يكون خارج تلك الدار ساعة الكبس. و لكنه دبر الامر بحيث يتحدى السلطات يقيم عليها الحجة، في اثبات حقه.

فقد ملأ مكانه، بأسلوب طبيعي او اعجازي بالماء. و بقي آمنا لا حاجة له ان يلتفت الى هذه الحملة، او ان يعيرها اي اهمية، حتى خادمه الاسود، كان مطمئنا من تدابير مولاه و إمامه، و حفظ الله تعالى اياه، فلا حاجة له الى الخوف و الاهتمام.

و المهدي عليه السلام، يعلم سلفا ان لن يكون مع هؤلاء الجلاوزة سلاح يقذف به كالسهم، ليصل إليه و هو على مصلاه في نهاية الغرفة.

ص: ٥٥٥

و انما يستصحبون معهم السيف، لقطع راسه، و هو لا يمكن ان يعمل مع هذه التدابير.

و العلم بساعة ورودهم و نوع سلاحهم، و نحو ذلك. ليس بدعا على علم الامامة. و ليس اعجب من هذا التدبير الذي ارهب به السلطات و انتصر عليهم.

و كأن الجلاوزة ظنوا انهم متوهمون في حسابان المكان مملوءا بالماء و انه شيء من خداع النظر. حيث حاول اثنان منهم اقتحام المكان.

و نفس كلام رشيق يوحى بهذا الظن حيث يقول: كأن بحرا فيه ماء.

و في أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء. أي أنهم ظنوا و لم يتأكدوا بحسب ما يدل عليه السياق. إلا أن التجربة الفعلية المكررة، في غرق اثنين منهم جعلتهم يقطعون الشك باليقين. فانه سواء كان حصول الماء طبيعيا أو إعجازيا، فانه يوجب الغرق. و لا يعنى بحال كونه و هميا غير واقعي.

و أما وقوف الإمام عليه السلام على الماء، فان كان حقيقيا، فهو إعجازي لا محالة، لا يكون إلا بقدره الله عز و جل، لإقامة الحجة على المنحرفين و الظالمين. و المعجزة عند إقامة الحجة ممكنة بل ضرورية كما برهنا عليه في بحوث أخرى، و عليها قامت الدعوة الالهية في خط الأنبياء الطويل.

على أننا يمكن أن نتصور أن المهدي (ع) قد أعد لنفسه في آخر هذا الماء قطعة صغيرة من الأرض، بمقدار الحصير لكي يصلى عليها، و كان

ص: ٥٥٤

الماء يغمرها فلم يبد منها شيء، فتوهموا أن الحصير على الماء.

و حين أيس رشيق من بلوغ الغرض، و ذاق صاحبه الغرق و العذاب، اضطر إلى الانصياع للتحدي و الاعتراف بالعجز. انه لم يكن يتوقع شيئاً مما رآه، فضلا عن كل ما رآه. لم يعلم إلا أن المعتضد أرسله على شخص ما ليقبض عليه و يأخذ برأسه. و اما مثل هذا التدبير الحاسم فهو لم يواجه مثله من قبل أى شخص آخر حاول القبض عليه. انه يواجه الهول و التحدي الصريح لأول مرة فى حياته، بشكل لا يجد له حيلة، و لا يعرف إلى تذليله طريقا.

إذن، فلصاحب هذا البيت شأن غير اعتيادى، شأن أعلى من القوى الاعتيادية التى يعرفها رشيق. و المعتضد إنما أغمض له الشك لسبب فى نفسه .. إذن لعله يعرف شأن صاحب هذا البيت على الاجمال. انه هو الذى أوقعه فى هذا الهول و التحدي. بالرغم ان التحدي فى واقعه متوجه إلى المعتضد نفسه أكثر مما هو متوجه إليه.

و على أى حال، فينبغى التملص من المسألة، و القاء المسؤولية كلها على كاهل المعتضد، و الاعتذار من صاحب الدار، ذى الشأن المجهول الرهيب.

و لكن ما ذا يجدى لديه الاعتذار. انه اعتذار المتلبس بالجرم. انه قبل لحظات، بل و حتى بعد الاعتذار، لو استطاع أن يقبض عليه و يقطع رأسه لفعل. إذن فليس لاعتذاره أى قيمة و لا أهمية .. و لا ينبغى الاعتناء به بحال.

ص: ٥٥٧

و صحب هؤلاء الجلاوزة هو لهم فى داخل قلوبهم، و توجهوا؟؟؟ إلى بغداد، ليحملوا هذا الخبر العجيب الرهيب إلى المعتضد. و كان المعتضد ينتظرهم، و قد أمر الحجاب و الحرس على أن يدخل هذا الوفد عليه فى أى وقت كان، ليلا أو نهارا. فان مهمتهم أعمق و أعقد من أن تحتل التأجيل.

و دخل عليه الوفد يحمل هولة بين جنبيه، و صب أمامه الحكاية كما وقعت. فقال: و يحكم لقيكم أحد قبلى و جرى منكم إلى أحد سبب أو قول؟! فقالوا: لا!. فقال: انا نفى من جدى - أى ليس من بنى العباس -، و حلف بأشد إيمان له، انه رجل أن بلغه انهم أخبروا بهذا الخبر ليضربن أعناقهم. قال رشيق: فما جسرنا أن نحدث به إلا بعد موته.

ان المعتضد، لم يجد فيما روه له، هولاً أو أمراً غريباً. فانه يعرف ان من حاول القبض عليه، من العمق و السمو، بحيث لا يكون مثل هذا الأمر غريباً منه. و قد سبقت من آبائه عليهم السلام إلى أسلاف المعتضد أمور كثيرة من هذا القبيل.

انه يعرف ذلك جيدا، ولكنه يخاف منه على قواعده الشعبية و أساس ملكه. ان هؤلاء الثلاثة بالرغم من أنه حاول الاغماض لهم في كلامه، قد اطلعوا على الحقيقة و واجهوا الحق، حتى اضطر رشيق إلى التنازل و التوبة. إلا أنه لا ينبغي أن يكون الناس الآخرون كرشيق عارفين بالحق أو منصاعين له. و من ثم نراه يحلف لهم بأغلظ الأيمان

ص: ٥٥٨

و يهددهم بالقتل، ان بلغه انهم اخبروا احدا بذلك. فلم يجسروا ان يخبروا به إلا بعد موته. فان إيمانه و تهديده إنما يكون رسميا في حال حياته و بطشه لا بعد موته و فوته.

يبقى احتمال واحد، و هو أن لا يكون هذا الذي وجدوه هو المهدي بل شخص آخر غيره. فان اسمه لم يرد في الرواية، بل لعل رشيق قائد الحملة لم يعين في ذهنه، من بعد رجوعه أنه المهدي (ع) بالتعيين.

و لكننا نستطيع الجزم بكونه هو المهدي بعدة قرائن:

الأولى: إقامة الحجة بالمعجزة أمام أعضاء الحملة و السلطات المتمثلة بالخليفة نفسه.

فان الحادثة تحتوى على عنصر غيبى لا محالة، فلأن استطعنا أن نفهم الماء الذى شاهده و غرقوا فيه و الحصار الذى عليه بنحو طبيعى اعتيادى .. فلا يمكن أن نفهم علمه بموعدهم و نوع سلاحهم على الطريق الاعتيادى. مع انصرافه عن المجتمع في تلك الأيام و سرية هذه الحملة سرية تامة، يهتم المعتضد باخفائها اهتماما بالغاً.

و قد التفت المعتضد نفسه إلى هذه الحجة الواضحة، و من هنا زاد اهتمامه بالإخفاء حفاظا على الخط العام للدولة بين قواعدها الشعبية.

و قد علمنا بالبرهان الدال على إمامة المهدي عليه السلام، انه ليس هناك في ذلك العصر، من يقيم المعجزة باعداد من الله عز و جل سواه.

تعين القول بأن هذا الشخص الذى وجدوه هو المهدي (ع) لا سواه.

الثانية: انه مع غض النظر عن الجانب الاعجازى، تستطيع

ص: ٥٥٩

الجزم بأنه لم يكن في العالم في ذلك العصر، فضلا عن سامراء التى كانت مهجورة و غامرة بعد انتقال الخلافة عنها إلى بغداد .. ليس هناك من يستطيع القيام بهذا التدبير الدقيق لتحدى السلطات و التخطيط لإرعابهم غير الامام المهدي (ع). فانه لم يكن التكتيك دقيقا على أى المستويات الاعتيادية في ذلك العصر، حتى لدى السلطات نفسها. ما عدا ما كان من المهدي نفسه من إنقاذ سفرائه و قيادة قواعده الشعبية كما عرفنا مفضلا. فليس عجيبا ان يضع مثل هذا التخطيط، مثل هذا العقل القيادى.

الثالثة: قول المعتضد - برواية الراوندى<sup>٧٣٤</sup> - حين أمرهم بالتوجه إلى سامراء: الحقوا و اكبسوا دار الحسن بن على، فانه توفى، و من رأيتهم فى داره فاتونى برأسه.

و من يكون فى تلك الدار يومئذ إلا ابنه الامام المهدي عليه السلام؟

و من يمكن أن يخطر فى ذهن المعتضد ممن يحتمل أن يسكن فى تلك الدار أو يستجير بها و يكون خطرا على الدولة و الكيان القائم غيره؟

و ظن المعتضد، ان هذه الحملة، إنما فشلت باعتبار قلة العدد و سرية التوجيه و التنفيذ. و لا أقل من احتمال نجاح الحملة لو كثر العدد و انكشف الغرض. و لم يستطع أو لم يرد أن يفهم أن هذا العقل الذى تحداه مرة واحدة، يمكنه أن يتحداه عشرات المرات. و لن تستطيع

ص: ٥٤٠

أى قوة فى البشر أن تسيطر عليه أو تقضى عليه.

و من هنا جرد حملة أكبر، و بعث عددا أكثر، و أتبعه بجيش كبير. فانظر إلى هذا الجبن من الفرد الواحد، و الفرع الذى تتصف به الدولة تجاه هذا الامر العظيم.

و أود فى هذا الصدد أن أذكر الرواية بنصها<sup>٧٣٥</sup> قال الراوى: ثم بعثوا عسكريا أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن فاجتمعوا على بابه و حفظوه حتى لا يصعد و لا يخرج. و أميرهم - يعنى قائد الحملة - قائم حتى يصل<sup>٧٣٦</sup> العسكر كلهم. فخرج السكة التى على باب السرداب، و مر عليهم. فلما غاب، قال الأمير: انزلوا عليه.

فقال: أليس هو مر عليك. فقال: ما رأيت. قال: و لم تركتموه.

قالوا: انا حسبنا أنك تراه.

انظر لهذا التحدى الجديد من قبل المهدي عليه السلام للسلطات انه تحد أبسط، و لكنه أعمق و أعقد فى نفس الوقت. فان ذلك التحدى على تعقيده، لم يكن إلا لدفع ثلاثة أنفار. و أما هذا التحدى على بساطته، فهو لدفع جيش كبير من جلاوزة السلطان، و تسجيل الفشل على مهمتهم.

<sup>٧٣٤</sup> (١) انظر الخرائج و الجرائح ص ٤٧.

<sup>٧٣٥</sup> (١) انظر البحار ص ١١٨ ج ١٣.

<sup>٧٣٦</sup> (٢) فى المصدر: يصل. و هو غلط مطبعى لا محالة.

انه يقرأ القرآن، و هل فى قراءة القرآن أى ضير حتى فى نظر السلطات؟. ان القرآن الكرىم هو حلقة الوصل بين جميع الفئات

ص: ٥٤١

الاسلامية. و العلامة الرئيسية لتمسك الفرد بالاسلام. فالمهدى (ع) يريد أن يفهمهم ضمنا- لو كانوا يفهمون- حرمة الاعتداء عليه و قتله، باعتباره مؤمنا بالقرآن الذى تعترف السلطات بقدسيته.

و هو فى حين الوقت يتحداهم، بقراءته. انه لا يخافهم و لا يخشاهم.

فانه يعلم بوجودهم و يسمع ضوئاهم و لكنه لا يسكت عن القراءة و لا يخفى نفسه. بل انه ليغرق فى التحدى فيخرج أمامهم، بحيث يراهم و يرونه، و لكنهم لا يقبضون عليه، مع أنهم قادمون لأجل ذلك بالذات.

و هو يقرأ القرآن بالسرداب. و السرداب دائما هو المقر الطبيعى للفارين، الذين لا ينسجمون مع الحياة الاجتماعية، اما لانحرافها أو لحصول حرب أو غير ذلك.

و من طريف حال هؤلاء الجلاوزة، انهم لم يبادروا للقبض عليه.

بل وقفوا على باب السرداب يحافظون عليه، و يتجنبون عن اقتحامه.

انهم يخافون مواجهة المهدى (ع) و يحتاجون إلى مدد أكبر و عدد أكثر.

فهم منتظرون لوصول المدد من بغداد إلى سامراء.

و فى هذه الأثناء استغل الإمام المهدى (ع) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار، لحظة اقترنت بالدقة بالتوقيت و الضبط فى التدبير و العناية الالهية. انها لحظة غفلة قائد الحملة عن التردد و الانتباه.

لحظة لم يأت فيها المدد، و لم تصدر الأوامر بعد إلى اقتحام المكان.

و لو كان المهدى (ع) قد تأخر لحظة أخرى لقبضوا عليه لا محالة.

استغل المهدى تلك الفرصة السانحة، و خرج أمامهم من السرداب،

ص: ٥٤٢

و اختفى حيث لا يمكن أن يصل إليه و هم هذا الجيش المهاجم.

و لم يلتفت قائدهم إلى خروجه، كان ذهنه سارحا إلى الخارج حيث يقبل المدد الكبير. كان في حالة انتظار، و هى حالة تحطم الأعصاب و تأخذ بالأفكار، و خاصة فى مثل ذلك الموقف الصعب الدقيق.

ثم كأنه يستبطنى مجيء المدد فيفكر بالاقترحام بما لديه من الرجال لعله يستطيع تحقيق الهدف. فتندرج الكلمات على شفتيه: انزلوا إليه. و دهش الحاضرون أن يأمرهم قائدهم باقتحام السرداب الفارغ! بعد أن شاهدوا المهدي (ع) يخرج أمامهم و يختفى.

ثم فكر قليلا! كان ينبغي أن يقبضوا عليه .. فلئن كان هو غافلا فإنهم انتبهوا له، و كلهم يعلمون أن مهمتهم هى القبض عليه. فلما ذا لم يقبضوا عليه حين رأوه. و من هنا توجه إليهم معاتبا: و لم تركنموه.

و كان جوابهم واضحا صريحا: انا حسينا أنك تراه. فان الجيش ليس له أن يتصرف قبل قائده و من دون أمره. هكذا اعتادت الجيوش على مدى التاريخ. و بالأولى حين يرون القائد ملتفتا إلى الشخص المطلوب. و يأمر بشيء بصدده. انهم حسبوه ملتفتا- و لم يكن لحسن القدر و جمال التوفيق - ملتفتا.

و هكذا تظافت هذه الأمور الصغيرة، لكى تنتج النتيجة الكبيرة لكى ينفذ المخطط الالهى العظيم لانتقاد مستقبل البشرية بالمهدي (ع) من الظلم و الجور إلى القسط و العدل.

ص: ٥٤٣

و اريد، فى هذا الصدد، أن أهمس لك بكلمة قليلة المؤنة كبيرة الأهمية.

و هو ان هذا السرداب الذى عرفنا، بنص هذه الرواية، فى دار الامام العسكرى (ع) التى يسكنها الامام المهدي (ع) فى الفترة الأولى من غيبته الصغرى.

هذا السرداب، هو الذى أصبح سببا للحملات الضخمة المركزة على مذهب الاعتقاد بالغيبية، من قبل عدد ليس بالقليل من علماء الإسلام و مفكرهم. باعتبار تصوير المسألة على أن المهدي عليه السلام غائب فى السرداب. و قد أضافوا على ذلك اضافات غريبة، رواياتنا منها براء. فمن ذلك: انه دخل السرداب و أمه تنتظر إليه، و انه يسكن السرداب طيلة مدة غيبته.

إذن فكيف يأكل و يشرب حتى أصبح اسم المهدي عندهم: صاحب السرداب. و زعم ابن جبير أن هذا السرداب كان فى الحلة و لم يكن فى سامراء. و نظم آخر من ذلك شعرا:

غيبتموه بجهلكم ما أنا

ما أن للسرداب أن يلد الذى

ص: ٥٤٤

حتى ان أمثلهم طريقة، و هو الكنجى فى البيان<sup>٣٨</sup> حاول الاعتذار عن ذلك و تقريب امكان بقاءه فى السرداب هذه المدة الطويلة بدون طعام و شراب بقدره الله تعالى.

و تصبح هذه الحملة المركزة، هواء فى شبك، بعد كل الذى قدمناه و بسطناه و حللناه من رواياتنا و تاريخنا الخاص. و يتضح أن هذه الكلمات إنما قيلت نتيجة للجهل المطلق برواياتنا و البعد الكبير عن مصادرنا و كتبنا. و امسكهم للقلم و القرطاس دون مراجعة و تثبت و تدقيق.

فالمركز الأول، كان هو سامراء بلد الامامين العسكريين عليهما السلام. و ليس هو الحلة، كما زعم ابن جبير. و ليس المهدي محبوسا فى السرداب. و ليس هناك على وجه الأرض من يعتقد ذلك بحق. بل هو يحضر الحج و يكلم الناس و ينصب السفراء و يقبض الأموال و يكتب التوقيعات، و يواكب الأحداث عن كتب، و يقف بوجه الانحراف و التزوير. و لديه فرص كبيرة لان يعيش كما يعيش اى فرد من الناس.

و اما هذه الرواية التى ورد فيها ذكر السرداب فقد عرفنا تفاصيل مدلولها. فالسرداب مكان طبيعى للاختفاء من الهجوم أو الحرب أو الوباء أو نحو ذلك على مدى التاريخ. و ليس أمرا خاصا بالمهدى (ع). و قد كان المهدي (ع) طبقا لذلك، يتخذ سرداب داره مخبأ للطوارئ فى أثناء الفترة الأولى من غيبته الصغرى، التى تمثل أصعب الفترات بالنسبة إليه.

ص: ٥٤٥

و ليس لامة ذكر فى الرواية، على أنها تنص كما سمعنا أنه لم يبق فى السرداب بل خرج أمام أعين المهاجمين، فمن أين عرفوا بقاءه فى السرداب، فحملوا هم طعامه و شرابه؟! و سيأتيك فى البحوث الآتية تفاصيل عديدة، تزيد ذلك إيضاحا و تفصيلا.

كما ان اعتبار هذه الحادثة هى مبدأ غيبة الإمام المهدي عليه السلام. كما يظهر من قولهم: دخل السرداب و أمه تنتظر إليه. فكأنه غاب منذ ذلك الحين. و كما يظهر أيضا من هامش كتاب البحار، حيث أضاف الكاتب عبارة تدل على ذلك<sup>٣٩</sup>.

<sup>٣٧</sup> (١) أنظر بهذا الصدد المصادر التالية: الصواعق المحرقة ص ١٠٠. و وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٢. و الكامل ج ٥ ص ٣٧٣. و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢.

و شذرات الذهب ج ٢ ص ١٤١. و العبر فى خبر من غير ج ٣ ص ٤٠. و تاريخ ابى الفداء ج ١ ص ٤٧.

و مصادر أخرى عقائدية و تاريخية.

<sup>٣٨</sup> (١) أنظر ص ١١٢ و ما بعدها.

<sup>٣٩</sup> (١) قال فى الهامش ما لفظه: فى بيان اول الغيبة ص ١١٨ ج ١٣.

إلا أن هذا في غاية السخف و الافتراء. فقد أوضحنا فيما سبق أن الغيبة ليس لها مبدأ معين، بل كان المهدي (ع) مختفياً من أول ولادته. و قد زاد اختفاؤه شيئاً فشيئاً. و قد مثلت الغيبة الصغرى و تعيين السفراء مرحلة من مراحل غيبته. و حيث بدأت امامته عليه السلام و نصب السفراء بوفاة أبيه عليه السلام كانت الغيبة الصغرى بادئة منذ ذلك الحين و منتهية بوفاة السفير الرابع.

و معنى ذلك: ان الغيبة الصغرى بدأت قبل خلافة المعتضد بتسعة عشر عاماً. إذ توفي الامام العسكري عام ٢٦٠ و استخلف المعتضد عام ٢٧٩. فلو كان قد جرد هذه الحملات في العام الأول من خلافته، كانت هذه الحملات متأخرة عن مبدأ الغيبة بنفس هذا المقدار من الأعوام.

و صاحب البحار قدس الله روحه، لا يرضى بأى حال عن العنوان

ص: ٥٦٦

الذى كتبه كاتب النسخة الحجرية من كتابه. حيث نراه قدس سره يؤكد ان ابتداء الغيبة الصغرى مع وفاة الامام العسكري عليه السلام، و يستنتج انها أقل من سبعين عاماً بقليل. ثم يذكر احتمال ان يكون مبدؤها ولادة الامام المهدي (ع) نفسها<sup>٧٤٠</sup>. و معه تزيد مدتها على السبعين عاماً بقليل. و لم يذكر أى احتمال أو و هم في أنها تبدأ عند حدوث حملة المعتضد في القبض عليه. و ليس في أى شيء من رواياتنا ما يدل على ذلك. و نسبته إلى المذهب زور و بهتان.

على انه على هذا التقدير تكون مدة الغيبة الصغرى، ستون عاماً.

و هو مما لم يحتمله احد، و غير مناسب مع شيء من تواريخ السفراء التى ذكرناها. يكفيننا من ذلك أنه في ذلك العام الذى حدثت فيه حملة المعتضد، كان السفير الأول قد توفي و قد مضت من سفارة السفير الثانى حوالى الأربعة عشر سنة. كما يظهر من التواريخ التى ضبطناها فيما سبق.

### الحقل الثالث مقابلته للآخرين

خلال غيبته الصغرى و اسلوبه و اهدافه من ذلك.

كانت المقابلات مع المهدي عليه السلام. تجرى مع العديدين اللذين يعلم

ص: ٥٦٧

من درجة اخلاصهم و ايمانهم أو من ظروفهم و اسلوب مقابلتهم انهم لن يصلوا إلى ما يضر الامام المهدي عليه السلام، أو يدلوا السلطات عليه.



و كانت المقابلات تجرى فى الغالب بطلب من الآخرين، يكونون مدة من الزمن بصدد البحث عن المهدي (ع) و تمنى مقابلته. فيوفر لهم هذه الفرصة بنحو سرى بالغ فى التكتيم و الحيطه. و يوصيهم فى الغالب أن لا يصرحوا بما شاهدوا و يجعلوا ذلك مكتوما إلا عن الخواص الذين يعلم الفرد بوثاقتهم و اخلاصهم.

و تجرى غالب المقابلات، بعيدا عن السفراء الأربعة، فى الديار المقدسة، أثناء موسم الحج. إما فى المسجد الحرام نفسه، أو فى بعض الأطراف على ما سيأتى. و قلما تتم المقابلات فى مكان آخر إلا نادرا خاصة فى بغداد، حيث وجود السفراء، و حيث العاصمة بسلطانها و عيونها و اضوائها. على حين ان الفرد فى الحج، يحس بالتوجه إلى الله و الانقطاع عن علائق الدنيا، خاصة فى السفر على وسائل النقل القديمة، التى كان الحاج عليها يحسب للموت حسابه و يوصى بوصيته قبل خروجه. هذا .. إلا فى بعض الموارد الاستثنائية التى تقتضى المصلحة وجودها فى بغداد أو سامراء أو فى أى محل آخر.

و من الطريف فى بعض المقابلات، التى يوفرها المهدي (ع)، مع البعض، يقضى حوائجهم و يوجه إليهم تعليماته. إلا انهم يبقون غافلين عن كونه هو المهدي (ع) غير ملتفتين إلى ذلك. حتى ما إذا فارقهم و عملوا بتعاليمه، و انتج عملهم شيئا كبيرا مشيرا للعجب و الاعجاب

ص: ٥٦٨

عرفوا ان ذاك هو الامام المهدي (ع).

و هذا النحو من المقابلات تتم حين يعلم المهدي عليه السلام ان الغاية التى يتوخاها و المصلحة التى يريد تحقيقها، تتم بدون الكشف عن شخصيته و حقيقته. و اما لو كانت المصلحة المتوخاة لا تتحقق إلا بالافصاح عن هذا الواقع، كاقامة الحجة و عرض الاطروحة التامة الحققة عن غيبته و مستقبله، على ما سنسمع تفصيله. فعندئذ لا بد أن تتم المقابلة مع التعارف بين الطرفين. و قد تستمر المقابلة يوما أو عدة أيام.

و نحن فيما يلى لا نتوخى سرد جميع المقابلات مع الامام المهدي «ع» و إلا لطال بنا المقام، فانها عديدة كثيرة فى تاريخنا. و انما نتوخى حصر الأهداف المتعددة من المقابلات بحسب الامكان، و نمثل لكل هدف بمثال واحد على الأقل.

فان المهدي «ع»، كان يتوخى بحسب ما وردنا فى التاريخ الخاص عدة غايات و مصالح من وراء توفير الفرص للآخرين لمقابلته. و هى تكاد تنحصر بالامور التالية:

أولاً: إثبات وجوده بنحو حسى مباشر.

ثانياً: إقامة الحجة على الإمامة و قيادة الحاضر و المستقبل.

ثالثاً: إعطاء و عرض الاطروحة التامة و البيان الكامل الحق لفلسفة غيبته و أهدافه فى مستقبله.

رابعاً: قضاء حوائج المحتاجين من الناحية المالية أو غيرها.

خامساً: مازجة الناس، وإعطاؤهم بعض التعليمات و تعليمهم بعض

ص: ٥٦٩

الأدعية و الأذكار.

سادساً: قبض المال ممن حمله إليه. و ان كان الأغلب فيه جريانه عن طريق غيره، إذا لم يكن عن طريق أحد السفراء الأربعة، على ما سوف يأتي. كما أن ذلك لم يكن هو الهدف الأساسي أو الوحيد من أى مقابلة معروفة، و لكنه قد يقترن بغيره من الأهداف.

و المهم من هذه الأهداف، من الناحية الإسلامية، هى الثلاثة الأولى و تليها الثلاثة الأخيرة. فلا بد من التعرض الى كل واحد من هذه الأهداف، و عرض بعض الأمثلة لكل واحد. معتمدين نفس هذا الترتيب الذى ذكرناه، مع العلم أن المقابلة قد تحقق أكثر من هدف واحد على ما سنرى. و سنحمل فكرة خلال ذلك، عن الأساليب العامة التى كان المهدي «ع» يتخذها للمقابلة، و سلامة أمره خلالها و بعدها.

الهدف الأول: إثبات وجوده بنحو حسى مباشر.

لكى يرجع المشاهد فيروى مشاهدته لمن يثق بإيمانه و إخلاصه.

و هذا الهدف يتوفر فى كل مقابلة، لا يستثنى منها شىء. حتى تلك المقابلات التى يكون الاطلاع على حقيقة المهدي «ع» بعد فراقه؛ فإنه بعد معرفة حقيقته عليه السلام، يفتح مجال كبير للأخبار الحسى برويته و مقابله.

و هذا هو مراده عليه السلام، حين قال لبعض من رآه - عام ٢٦٨-: يا عيسى ما كان لك أن ترانى لو لا المكذبون القائلون بأين هو.

و متى كان. و أين ولد. و من رآه. و ما الذى خرج إليكم منه. و بأى

ص: ٥٧٠

شىء نبأكم. و أى معجزاتكم .. يا عيسى فخير أولياءنا ما رأيت.

و إياك أن تخبر عدونا فتسلبه. قال: فقلت: يا مولاي أَدع لى بالثبات.

فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتنى<sup>٧٤١</sup>.

و واضح جدا من هذا ان الهدف الأساسى الذى أراده المهدي «ع» من هذه المقابلة، هو إقامة الدليل الحسى على وجوده، ضد الشبهات التى كانت ولا زالت تثار من قبل الآخرين من أهل الإسلام بما فيها السلطات و المنتفعين منها.

و المهم أن لا يسرى التشكيك إلى قلوب المؤمنين به الموالين له.

فتكون هذه المقابلة، و الخبر الذى يحمله كل من رآه عليه السلام دليلا حسيا مباشرا على وجوده. خاصة بالنسبة إلى أولئك الذين يعيشون فى أطراف البلاد الإسلامية، و لا يمكنهم ان يصلوا إلى السفراء أو يحصلوا عن طريقهم على التوقيعات.

و يمكننا أن نلاحظ فى هذا النص أمرين:

أحدهما: كيف أن المهدي (ع) يعيش على مستوى معرفة الأحداث الاجتماعية و الاطلاع عليها، و التجاوب مع آمالها و آلامها. انه يحمل هم المستوى العقائدى لمواليه، بكل جد و اهتمام. من حيث التعرف عليه و الاعتراف بوجوده و إمامته.

ثانيهما: إن كل من يفوز ببقائه، لا بد أن يكون من أعلى مستويات الإخلاص و الإيمان. و هو المستفاد من قوله (ع): لو لم يثبتك الله ما

ص: ٥٧١

رأيتنى. و ليس ذلك مما يتوفر للفرد العادى الخائض بالشبهات و الراكض وراء المصالح. فإنه مضافا إلى انه ليس اهلا لذلك، فإنه يشكل نقطة خطر فى الكشف عن الإمام المهدي (ع) و الدلالة عليه.

الهدف الثانى: إقامة الحجة على وجوده.

و انه هو المهدي القائم صاحب الأمر و صاحب الزمان، المنتظر الذى ذكره الله تعالى ليومه الموعود، يوم يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

و هذا المعنى موجود فى أكثر مقابلاته عليه السلام إن لم يكن كلها.

و السر فى ذلك واضح: فإن شكله غير معروف للقاصدين. و مجرد دعوى أنه المهدي غير قابلة للتصديق. و إنما يحتاج كل من يقابله بغير معرفة سابقة، إلى دليل يشهد للمهدي عليه السلام على ثبوت حقيقته و صدق مدعاه. شأنه فى ذلك - إلى حد كبير - شأن النبى (ص) حين كان يستدل على نبوته بالحجج و المعجزات. بل إن حال المهدي عليه السلام لأشد تعقيدا. فان كل نبى

حين يقيم بعض المعجزات، فانه يظهرها للناس و يكشفها أمام المجتمع، فتأتى أمام الملاء صريحة واضحة يؤمن بها كل من يراها، إذا كان له قلب و ألقى السمع و هو شهيد ..

و تكون علنية تنتقل إلى غير المشاهدين بالتواتر. أما الإمام المهدي (ع) فهو مضطر بالنسبة إلى كل فرد يقابله إلى أن يقيم الحجة على اثبات شخصيته و حقيقته .. على انفراد. و لا مجال له بطبيعة الحال الاكتفاء بالمعجزات التي أقامها تجاه فرد، إن يعتبرها سارية المفعول تجاه فرد

ص: ٥٧٢

آخر كما هو واضح.

و الحجج التي يقيمها المهدي عليه السلام لمن يقابله من الناس، على قسمين: إما أن تكون من قبيل علم الغيب، بالمعنى الذي نؤمن بإمكانه بالنسبة إلى الإمام، كما سبق أن بيناه. و إما أن تكون شيئا آخر من قبيل التصرف في بعض الامور التكوينية، كجعل الحصة ذهباً و نحو ذلك. و هذا أيضا نقول بإمكانه للنبي و الإمام عند لزوم إقامة الحجة على اثبات الحق، على بحث و تفصيل موكل الى محله من بحوث العقائد الاسلامية.

و بمثل هذه الحجج، يعرف الفرد ان الذي قد قابله هو الإمام المهدي عليه السلام، لو لم يكن قد عرفه أثناء مقابلته. و من هنا يقع الكلام في نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: إقامة الحجة، عن طريق إظهار علم الغيب لمن يقابله عليه السلام.

فمن ذلك: ما ورد في خبر عيسى بن مهدي الجوهري الذي قصد الفحص عن الإمام المهدي (ع) و أراد مقابلته. و كان هذا الرجل مسبوqa بمرض اشتهدى فيه السمك و التمر. فلما ورد المدينة عام ٢٤٨ فى سفره للحج، دعاه خادم إلى مقابلة الإمام المهدي (ع) و سماه باسمه الكامل.

قال الراوى: فكبرت و هللت و أكثرت من حمد الله عز و جل و الثناء عليه. فلما صرت فى صحن القصر رأيت مائدة منصوبة. فمر بى الخادم إليها فأجلسنى عليها. و قال لى: مولاك يأمرک أن تأكل ما

ص: ٥٧٣

اشتهدت فى علتك و أنت خارج من «فيد».

فقلت: حسبى بهذا برهانا. فكيف آكل و لم أر سيدى و مولائى.

فصاح بى - يعنى الإمام المهدي (ع) -: يا عيسى! كل من طعامك فانك ترانى. فجلست على المائدة فنظرت فإذا عليها سمك حار يفور. و تمر إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا. و بجانب التمر لبن. فقلت فى نفسى:

عليل و سمك و تمر و لبن!؟. فصاح بي: يا عيسى! أ تشك في أمرنا؟

أ فأنت أعلم بما ينفكك و يضرك؟. فبكيت و استغفرت الله تعالى و أكلت من الجميع. و كلما رفعت يدي منه لم يتبين موضعها فيه.

فوجدته أطيب ما ذقته في الدنيا.

فأكلت منه كثيرا، حتى استحييت، فصاح بي: لا تستح يا عيسى فانه من طعام الجنة لم تصنعه يد مخلوق. فأكلت فرأيت نفسي لا ينتهي عنه من أكله. فقلت: يا مولاي حسبي. فصاح بي: أقبل إليّ. فقلت في نفسي: آتى مولاي و لم أغسل يدي! فصاح بي: يا عيسى و هل لما أكلت غمر. فشمت يدي و إذا هي أعطر من المسك و الكافور .. إلى آخر الحديث<sup>٧٤٢</sup>.

و من ذلك: ما روى عن الحسن بن الوجناء النصيبي. قال: كنت ساجدا تحت الميزاب في رابع أربع و خمسين حجة بعد العتمة. و أنا أتضرع في الدعاء. إذ حركني محرك. فقال: قم يا حسن بن الوجناء قال: فقمتم، فإذا جارية صفراء نحيفة البدن. أقول انها من أبناء

ص: ٥٧٤

الأربعين فما فوقها. فمشت بين يدي و أنا لا أسألها عن شيء، حتى أتت بي دار خديجة صلوات الله عليها. و فيها بيت - يعني غرفة - بابه في سط الحائط. و له درجة ساج يرتقى إليه. فصعدت الجارية.

و جاء في النداء: اصعد يا حسن، فصعدت، فوقفت بالباب.

و قال لي صاحب الزمان (ع): يا حسن أتراك خفيت عليّ؟. و الله ما من وقت في حجك إلا و أنا معك فيه. ثم جعل يعد عليّ أوقاتي.

فوقعت علي وجهي. فحسست بيده قد وقعت عليّ فقمتم .. إلى آخر الحديث<sup>٧٤٢</sup>.

و هنا يمكن أن يقال: ان إخبار المهدي (ع) لابن الوجناء، بأوقات حجه، كان عن مشاهدة لا عن غيب، باعتبار انه كان موجودا معه فعلا، و ان لم يعرفه الرجل. إلا ان دلالة الجارية على مكانه و إعلامها باسمه يكفي في اقامة الحجّة لا محالة. إلا أن ابن الوجناء نفسه اقتنع بان كلام الإمام المهدي (ع) معه، لم يكن بالأمر الطبيعي، بل كان علما ميتافيزيقيا غيبيا. و اعترف بكونه حجة كافية عليه، كما يدل عليه وقوعه على وجهه.

<sup>٧٤٢</sup> (١) البحار ج ١٣ ص ١٢٣.

<sup>٧٤٣</sup> (١) البحار ج ١٣ ص ١١٢.

يبقى سؤال جانبي، وهو ان هذا الخبر دال على أن ابن الوجناء رأى الجارية، بحيث استطاع أن يصفها بنحو لا يخلو من دقة. فكيف جاز له بحسب الشرع الإسلامى. و المفروض انه من الأشخاص الأخيار القابلين لمقابلة المهدي (ع).

ص: ٥٧٥

و جواب ذلك يكون من وجوه اهمها اثنان:

أولاً: ان هذا الوصف يكفى فيه رؤية الوجه، و هيئة الجسد العامة. و كشف الوجه جائز فى الإسلام، بمقتضى فتاوى كثير من الفقهاء. و تكون هذه الرواية دليلاً عليه، لو صحت مستنداً للحكم الشرعى.

ثانياً: اننا لو تنزلنا جدلاً عن الوجه الأول، فيمكن افتراض كون هذه الجارية مملوكة للإمام المهدي (ع). و من الواضحات فى الشرع جواز النظر إلى الجارية مع اذن مالكها. و مجرد الاحتمال بهذا المصدر يكفيننا لتبرير العمل من الناحية الشرعية.

النقطة الثانية: إقامة الحجة، عن طريق إظهار المعجزة، بالتصرف ببعض الأمور التكوينية.

فمن ذلك: ان رجلاً يدعى بالأودى أو الأزدي، كان عند ادائه الطواف، و كان قد طاف ستاً و بقى عليه الطواف السابع. رأى عن يمين الكعبة شاباً حسن الوجه طيب الرائحة هيوباً و مع هيئته متقرب إلى الناس. قال الراوى: فتكلم فلم أر أحسن من كلامه و لا أعذب من منطقته، فى جلوسه. فذهبت اكلمه، فزيرنى الناس. فسألت بعضهم: من هذا؟ فقال: ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، يظهر للناس فى كل سنة يوماً لخواص شيعته فيحدثهم و يحدثونه. فقلت: مسترشد أتاك فارشدنى هداك الله.

قال: فناولنى حصة. فحولت وجهى. فقال لى بعض جلسائه:

ص: ٥٧٦

ما الذى دفع إليك ابن رسول الله. فقلت: حصة. فكشفت عن يدي فاذا أنا بسبيكة من ذهب. و إذا أنا به قد لحقنى فقال: ثبتت عليك الحجة و ظهر لك الحق و ذهب عنك العمى. أ تعرفنى! فقلت: اللهم لا.

فقال المهدي (ع): أنا قائم الزمان .. إلى آخر الحديث<sup>٧٢٤</sup>، حيث يعطيه البيان الحق و الأطروحة الصحيحة لغيبته باختصار. كما يأتي فى الهدف الثالث من مقابلته (ع).

يتضح من هذا الخبر بجلاء، انه كان من عادة الامام المهدي (ع) فى غيبته الصغرى قبل عام الثلاثمائة، انه حينما يحج يجتمع بالخاصة من الحجاج و يمازجهم و يتكلم معهم، و يعطيهم ما أراد من التعاليم و التوجيهات.

إلا أنه لا دليل على معرفتهم له على حقيقته. وإنما كانوا يعرفونه باعتباره ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ومع ذلك يعرف بعضهم حقيقته وقد لا يعرفون.

وقد خص عليه السلام، هذا الرجل بكشف حقيقته له. لكي يظهر الحق له و يبلغه إلى اخوانه الآخرين.

النقطة الثالثة: إقامة الحجّة لمن لا يعرفه عند المقابلة. ولا يلتفت إليه الفرد إلا بعد مفارقتة.

فمن ذلك: الرسالة الشفوية التي أرسلها المهدي (ع)، مع أبي سورة بعد ان رافقه في السفر من دون أن يعرفه. ثم قال له: أمض إلى أبي الحسن علي بن يحيى فاقراً عليه السلام، و قل له: يقول لك الرجل ادفع إلى أبي سورة من السبع مائة دينار التي مدفونة في موضع كذا

ص: ٥٧٧

و كذا مائة دينار.

فمضى أبو سورة من توه و ساعته، إلى دار علي بن يحيى. فدق الباب. فقيل له: من هذا؟ فقال: قولي لأبي الحسن. هذا أبو سورة. فسمعه يقول: ما لي ولا بي سورة.

قال الراوي: ثم خرج إلى. فسلمت عليه و قصصت عليه الخبر.

فدخل و أخرج إلى مائة دينار. فقبضتها. فقال لي: صافحتة؟ فقلت:

نعم. فاخذ بيدي، فوضعها على عينه و مسح بها وجهه<sup>٧٤٥</sup>.

انظر لهذه الرسالة الشفوية، التي أقام فيها المهدي (ع) الحجّة بدون أن يعلم أبو سورة، و إنما ينكشف صدقها عند إيصالها. و قد عرف ابن يحيى ذلك. حتى أنه تبرك باليد التي لامست يد الإمام المهدي (ع) و سيندرج هذا الخبر أيضا في توزيع المهدي (ع) للمال و قضائه لحوائج الناس.

فهذه هي النقاط الثلاث التي ينقسم إليها الهدف الثاني.

الهدف الثالث: من مقابلة المهدي (ع) للآخرين:

إعطائهم الاطروحة الصحيحة الكاملة لفلسفة غيبته و البيان الحق لأهداف مستقبله. لكي يحملها الفرد إلى أبناء عقيدته و إخوانه و يتقنهم بما سمعه من الإمام المهدي (ع)، من تعاليم.

و قد سبق أن سمعنا فى القسم الأول من هذا التاريخ، من الإمام العسكرى عليه السلام، حين كان يعرض ولده المهدي (ع) على

ص: ٥٧٨

الآخرين، إنه بين مثل هذا البيان عدة مرات، اهمها بيانه المفصل لأحمد بن إسحاق الأشعري. إلا أن المرة و المرات القليلة، لا تكفى فى توجيه القواعد الشعبية الموسعة، بل لا بد من تكرار ذلك و تأكيده.

و بخاصة حين يقترن الموضوع بامور توجب غرابته فى الأذهان و بعده عنها، فلا بد أن يتصدى المهدي (ع) بنفسه فى اثناء مقابلاته لبيان ذلك. بنحو مختصر حيناً و مفصل احياناً.

و لو تعمقنا قليلاً، لرأينا أن نفس عرض هذا البيان، من قبل الامام المهدي (ع) كاف فى إقامة الحجة على صدقه بأنه هو المهدي. بل انه ليربو فى الأثر على المعجزات التى سبق أن أشرنا إليها، من حيث التأثير المنطقي الدقيق. فان العرض الحقيقى الكامل لمسألة الإمام المهدي، بما تكتنفه من مشكلات و عوائق، و تذليل جميع ذلك بالبينه و البرهان، لهو اقوى دليل على صدقه و اخلاصه. على حين لم يكن مسبقاً ببيانه من أحد إلا من قبل الأئمة الماضين آباءه عليهم السلام.

فالمهدي (ع) حين كان يبين اطروحتة الكاملة، لم يكن ابدأ فى مستوى أقل من مستوى المعجزات التى يقيمها فى الموارد الاخرى.

فمن ذلك ما بينه الامام (ع)، للأودى حين أعطاه حصة فتحولت فى يده إلى ذهب، كما سبق. قال له: انا قائم الزمان، أنا الذى أملىها عدلاً كما ملئت جوراً. إن الأرض لا تخلو من حجة، و لا يبقى الناس فى فترة. فهذه أمانة فى رقبتك فحدث بها أشقائك من أهل الحق<sup>٧٤٦</sup>.

ص: ٥٧٩

و منه ما بينه (ع)، لإبراهيم بن مهزيار حين قابله فى بعض أطراف مكة، و قال له فيما قال: اعلم يا أبا اسحاق! أنه - يعنى الامام العسكرى (ع) - قال صلوات الله عليه: يا بنى، ان الله جل ثناؤه لم يكن ليخلى أطباق أرضه و أهل الجد من طاعته و عبادته، بلا حجة يستعلى بها و إمام يؤتم به و يقتدى بسبيل سنته و منهاج قصده.

و أرجو يا بنى أن تكون أحد من أعدده الله لنشر الحق و طى الباطل و إعلاء الدين و إطفاء الضلال. فعليك يا بنى، بلزوم خوافى الأرض و تتبع أقاصيها. فان لكل ولى من أولياء الله عدواً مقارعاً و ضداً منازعاً، افتراضاً لثواب مجاهدة اهل نفاقه، و خلافة اولى الالحاد و الفساد، فلا يوحشك ذلك<sup>٧٤٧</sup>.

<sup>٧٤٦</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٥٢ و اكمال الدين (المخطوط).

<sup>٧٤٧</sup> (١) انظر اكمال الدين (المخطوط).



و منه: ما بينه (ع) فى الدعاء، و ما أكثر ما فى الدعاء من حكم و فوائد. حيث قال: اللهم صل على وليك المحيى لستتك و القائم بامرک الداعى إليك الدليل عليك، و حجتك على خلقك، و خليفتك فى أرضك و شاهدك على عبادك.

اللهم أعز نصره و مد فى عمره. و زين الأرض بطول بقائه. اللهم اكفه بغى الحاسدين و أعزه من شر الكائدين و ادحر عنه إرادة الظالمين و تخلصه من الجبارين.

اللهم اعطه فى نفسه و ذريته و شيعته و رعيته و خاصته و عامته و عدوه و جميع أهل الدنيا، ما تقر به عينه و تسر به نفسه، و بلغه

ص: ٥٨٠

أفضل أمله فى الدنيا و الآخرة، انك على كل شىء قدير.

اللهم جدد يه ما محى من دينك، و أحي به ما بدل من كتابك.

و أظهر به ما غير من حكمك، حتى يعود دينك به و على يديه، غضا جديدا خالصا مخلصا لا شك فيه و لا شبهة معه، و لا باطل عنده لا بدعة لديه.

اللهم نور بنوره كل ظلمة، و هد بركنه كل بدعة، و اهدم بعزته كل ضلالة، و اقصم به كل جبار و اخمد بسيفه كل نار، و اهلك بعدله كل جبار. و اجر حكمه على كل حكم، و أذل لسلطانه كل سلطان.

اللهم أذل كل من ناواه و أهلك كل من عاداه، و امكر بمن كاده و استأصل من جحد حقه و استهان بامرہ و سعى فى إطفاء نوره و أراد إخماد ذكره<sup>٧٤٨</sup>.

ففرى من هذه البيانات، أن المهدى (ع) يؤكد على عده امور:

الأمر الأول: الاشارة الى الحديث النبوى. الشريف المتواتر، بان المهدى يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

الأمر الثانى: القاعدة الالهية العامة التى تقتضى نصب الامام الذى يكون حجة على عباده فى كل زمان و مكان. و هى أن الارض لا تخلو من حجة، و لا يبقى الفاسد فى فترة، يعنى من دون امام. إذن فلا يمكن أن يمر الزمان من دون أن يكون لله عز و جل حجة على خلقه.

و معه فيتعين أن يكون الامام موجودا فى كل زمان. إذن فيتعين وجود

ص: ٥٨١

الامام المهدي (ع) اثناء غيبته. اذ لو لم يكن موجودا لانقطعت الحجة و حصلت الفترة.

الأمر الثالث: انه (ع) ذخره الله عز و جل لمستقبل الاسلام و أعدده لنشر الحق و طي الباطل و اعلاء الدين و إطفاء الضلال. و هذه هي الاطروحة الحققة لمستقبل المجتمع المسلم عند ظهور المهدي (ع).

و هو المراد من الحديث النبوي (ع): أنه يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

الأمر الرابع الإشارة الى أنه يعيش أمدا طويلا، يقدره الله عز و جل، لأجل تنفيذ الوعد الكبير.

الأمر الخامس: الدعاء له بان ينجيه الله عز و جل من كيد الأعداء، و شر المعتدين. و ذلك لغرضين:

أولهما: استجابة الله تعالى لهذا الدعاء، و تحقق هذا المطلوب الكبير، لاجل اذخاره ليومه الموعود.

ثانيهما: إعطاء التوجيه للقارى، أو الداعى، بان يتسمى سلامة الإمام المهدي (ع)، من الاعداء و بغى الظالمين و شر الكائدين. فيدعو الله تعالى بذلك، و هو لا شك يجيب دعاءه.

الأمر السادس: ان للمهدي (ع) القابلية الكاملة لقيادة المجتمع الاسلامى و دحر الاعداء و إقامة العدل الإلهى الكامل. و هو المستفاد من قوله:

اللهم نور بنوره كل ظلمة و هد بركنه كل بدعة، و اهدم بعزته كل ضلالة.

ص: ٥٨٢

الأمر السابع: انه عليه السلام بعد ظهوره يجدد ما محى من الدين بفعل طول الزمن او تبديل المنحرفين و الظالمين، و ما غير من أحكام القرآن. حتى يعود العدل الإسلامى الصحيح و الدين الإلهى على يديه غضا جديدا خالصا مخلصا، لا شك فيه و لا شبهة معه، و لا باطل عنده و لا بدعة لديه.

الأمر الثامن: إظهار أقصى الحرمة و العقوبة، فى معاداته أو انكار حقه أو مناوئته. سواء فى حال غيبته أو بعد ظهوره. و يشمل ذلك: الخروج على تعاليم دينه و عصيان أوامر شريعته. فان مخالفة الدين مخالفة له، و مناوئته مناوأة له، بطبيعة الحال.

فهذه هي الأمور الأساسية فى دعوته الكبرى اثناء غيبته و بعد ظهوره. عجل الله فرجه.

يبقى أمران آخران واردان فيما ورد من كلماته عليه السلام، لا بد من ذكرهما و معرفة الوجه فيهما:

الأمر الأول: ما ورد فى كلامه عليه السلام مع ابراهيم بن مهزيار و كلامه (ع) مع على بن ابراهيم بن مهزيار، من أن أباه الامام العسكرى (ع) أمره بلزوم خوافى الارض و تتبع أقاصيها، و أن لا يسكن من الجبال إلا وعرها و من البلاد إلا عفرها.

و علل ذلك فى حديثه مع ابراهيم بن مهزيار: بأن لكل ولى من أولياء الله عدوا مقارعا و ضدا منازعا. و فى حديثه مع على بن ابراهيم

ص: ٥٨٣

بقوله: و الله مولاكم أظهر التقية فوكلها بى، فأنا فى التقية الى يوم يؤذن لى بالخروج<sup>٧٤٩</sup>. و كلاهما يعنى الحذر من الاعداء و الاتقاء من شرهم و الابتعاد من كيدهم أثناء غيبته، توصلا لحفظه لأجل تنفيذ اليوم الموعود.

و قد سبق أن قلنا أن للإمام المهدي (ع) غنى عن ذلك؛ بجهل الناس بشكله و نوعية حياته و عمله و مكانه، و قد أصبح هذا الأمر فى الازمنة الاخيرة واضحا. لوضوح استحالة تعرف أى شخص على حقيقته ما لم يشأ هو ذلك.

إن افضل اسلوب للاختفاء هو جعل الحياة بسيطة واضحة عادية ليس فيها أى شىء ملفت للنظر، تسير كما تسير حياة أى فرد آخر.

و إما تعقيد الهارب الحياة على نفسه، و تضيق السبل و الدخول فى المواقف الصعبة و الاماكن الحرجة، فانها لا تزيده إلا خطرا و لا تقربه إلا من الشر فان عيون السلطات و الاعداء تحوم دائما حول الاماكن الشاذة التى قد يسكنها الهاربون، و الحياة المعقدة التى قد يتخذها الفارون. فتخليص النفس من هيئة الهارب و حياته، و إسباغ الحياة الطبيعية عليها، أفضل طريق للنجاة فى أغلب الاحيان.

و لكننا- على أى حال- اذا التفتنا الى العلة المذكورة لذلك و هو الحذر من الاعداء و الاتقاء من كيد المعاندين و المنحرفين. عرفنا ان هذا الحذر متى توقف على ذلك، كان ذلك ضروريا لا محالة.

ص: ٥٨٤

أعنى: أن الحياة الطبيعية، و ان كانت فى الغالب هى السبيل الأفضل لنجاة الهارب، إلا أنها ليست دائما كذلك، لا محالة. فاذا واجه الهارب ظرفا لا تكتب له فيه النجاة إلا بالفرار الى البرارى و الشعاب، كان ذلك ضروريا جزما.

و من هنا يمكن أن يكون أمر الامام العسكرى (ع) لولده باختيار اقصى الارض و وعرها مكانا له، مقيدا بقريئة التعليل، بما اذا كان هناك حاجة الى ذلك. و أما اذا لم يحتج الى ذلك و لم يكن من حضوره المواسم و الحواضر و الاتصال بالسفراء و الاختلاط بالناس خطر، كان ذلك ممكنا له لا محالة، ان لم يكن ضروريا له لممارسة نشاطه الاعتيادى الذى عرفناه.

الأمر الثاني: ما قاله (ع) برواية الشيخ بسنده عن الأودي، الذي عرفناه فيما سبق: أن الأرض لا تخلو من حجة، و لا يبقى الناس في فترة، أكثر من تيهه بنى إسرائيل و قد ظهر أيام خروجي<sup>٧٥٠</sup>.

و نحوه قوله لبعض مواليه: و ان تحبس نفسك على طاعة ربك.

فان الامر قريب إن شاء الله تعالى<sup>٧٥١</sup>.

و هذا المعنى بظاهره مقطوع العدم، بعد أن مضى على ذلك التاريخ ما يزيد على الألف عام، و لم يظهر الإمام المهدي (ع). و معه لا بد من المصير إلى رفض هذه الأخبار أو إلى تأويلها.

ص: ٥٨٥

أما الرفض فله مجال واسع، و ذلك: بان ندعى: ان العبارات التي تدل على قرب الظهور، مدسوسة في هذه الأحاديث سهوا أو عمدا.

و هذا- كما قلنا في مقدمة هذا التاريخ لا يعنى طرح مجموع الخبر-.

و يقرب ذلك: أن خبر الأودي رواه الشيخ الصدوق في اكمال الدين بدون هذه الزيادة<sup>٧٥٢</sup>. على أن هذين الخبرين في أنفسهما ليسا صحيحين، بحسب القواعد، و فيهما رواية مجاهيل.

و اما التأويل، فله أيضا بعض المجال. و ذلك بان يقال: بان المهدي (ع) استعمل المجاز في كلامه، لاجل رفع معنويات أصحابه و مواليه. و إشعارهم بضرورة الانتظار في كل وقت؛ خاصة في مثل قوله (ع): و ان تحبس نفسك على طاعة ربك فان الأمر قريب. و وجه المجاز هو أن يكون الزمان من حين صدور هذا الكلام إلى حين الظهور قيامه (ع) بدولة الحق يعتبر قليلا، تجاه ما قاسته البشرية خلال عمرها المديد من آلام الظلم و الحيف و الاستبداد.

و على أى حال، فهذه هي الخطوط العامة للاطروحة الكاملة التي يذكرها الإمام المهدي (ع) لبعض من يقابله من الناس.

الهدف الرابع: قضاء حاجة المحتاجين من أصحابه.

قد عرفنا مفصلا، أن الإمام المهدي (ع)، كان يقضى حوائج الناس، و يحل مشاكلهم و يدبر أمرهم عن طريق سفرائه الموكلين بهذا الأمر. و من هنا لم تكن هناك حاجة واضحة و كبيرة، لأن يتصدى

<sup>٧٥٠</sup> (١) الغيبة ص ١٥٢.

<sup>٧٥١</sup> (٢) الغيبة ١٥٤.

<sup>٧٥٢</sup> (١) انظر المصدر المخطوط.

لقضاء حوائج الناس و حل مشاكلهم بنفسه عند مقابلته. ما عدا ما قد يراه من المصلحة أحيانا.

و ما يتصور تعلق المصلحة فيه من ذلك ينقسم إلى أقسام ثلاثة:

أحدها: حل المشاكل الفكرية و العقائدية. ثانيهما: حل المشاكل المالية و بذل العطايا لبعض الموالين. ثالثها: حل المشاكل الأخرى، كالعائلية و الاجتماعية و غيرها.

اما القسم الأول فالمهم فيه ما سمعناه قبل قليل من عرض الاطروحة الحققة على الآخرين. و حيث يكون الهدف الأساسى من المقابلة مكرسا حول ذلك، لا يبقى بعده أمر ذى بال.

و أما القسم الثانى: فسيأتى الحديث عنه، فى حقل قادم عند عرض الشؤون المالية للإمام المهدي (ع).

و أما القسم الثالث: فلم نجد له نقلا تاريخيا يطابقه. إذن فحل المهدي (ع) للمشاكل العائلية و الاجتماعية و غيرها، كان مكرسا عن طريق السفراء، بما فيه الكفاية و لا حاجة للقيام به أثناء المقابلة، التى ينبغى أن تكرر لغرض آخر أعمق و أهم.

الهدف الخامس: ممازجة الناس و محادثتهم، و تزريق التعليمات و التوجيهات إليهم، بحسب ما هو المصلحة فى كل وقت. و تعليمهم بعض الأدعية و الأذكار.

فمن ذلك: ما سمعناه من رواية الأودى أنه كان يظهر فى كل سنة يوما لخواصه، فيحدثهم و يحدثونه. و ذلك فى حدود عام الثلاثمائة

كما سبق.

و من ذلك: انه عليه السلام فى عام ٢٩٣ بعد طوافه حول الكعبة خرج إلى جماعة، لم يكن فيهم مخلص غير محمد بن القاسم العلوى على ما سنسمع. فانهم بينما هم جلوس إذ رأوا شابا يخرج إليهم عليه إزاران و فى يده نعلان. فلما رأوه قاموا له هيبته له، و جلس متوسطا فيهم.

ثم التفت يمينا و شمالا ثم قال: أ تدرون ما كان أبو عبد الله عليه السلام يقول فى دعاء الالحاح؟! قال: كان يقول: اللهم انى أسألك باسمك الذى به تقوم السماء و به تقوم الأرض و به تفرق بين الحق و الباطل و به تجمع بين المتفرق و تفرق بين المجتمع. و به أحصيت عدد الرمال و زنة الجبال و كيل البحار. أن تصلى على محمد و آل محمد، و أن تجعل لى من أمرى فرجا.

ثم نهض و دخل الطواف. قال الراوى: فقمنا لقيامه، حتى إذا انصرف و انسينا أن نذكر أمره و أن نقول من هو و أى شىء هو؟. إلى الغد فى ذلك الوقت، فخرج علينا من الطواف، فقمنا له كقيامنا بالأمس، و جلس فى مجلسه متوسطا، فنظر يمينا و شمالا، و قال: أ تدرّون ما كان يقوله أمير المؤمنين عليه السلام بعد صلاة الفريضة، فقلنا: و ما كان يقول؟ قال: كان يقول: إليك رفعت الأصوات و عنت الوجوه و لك وضعت الرقاب و إليك التحاكم فى الاعمال .. إلى آخر الدعاء.

ثم نظر بعد هذا الدعاء يمينا و شمالا، فقال: أ تدرّون ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول فى سجدة الشكر؟ فقلنا: و ما كان يقول؟ ..

ص: ٥٨٨

فذكر لهم نص دعاء آخر. ثم قام و دخل الطواف. فقاموا لقيامه.

و هكذا جاءهم فى اليوم الثالث، و نظر يمينا و شمالا، و علمهم نص دعاء آخر لعلى بن الحسين. قال الراوى: ثم نظر يمينا و شمالا، و نظر إلى محمد بن القاسم من بيننا. فقال: يا محمد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله تعالى - و كان محمد بن القاسم يقول بهذا الامر. ثم قام و دخل الطواف. فما بقى منا أحد إلا و قد ألهم ما ذكره من الدعاء .. إلى آخر الرواية<sup>٧٥٣</sup>.

فترى المهدي عليه السلام، هنا لا يتعرض إلا لتعليم الدعاء و الخشوع لله عز و جل. و هو أمل مطلوب فى الدين و متسالم عليه بين سائر المسلمين مخلصهم و منحرفهم على السواء. و بذلك تجنب شر الجماعة غير المخلصين الموجودين فى ضمن هؤلاء الناس. و لم يحصل منهم إلا على الاحترام و التقدير و التصديق به و الانفعال بأقواله و أدعيته.

و لكن المهدي عليه السلام فى نفس الوقت يحاول أن يحلل ذلك بالدعوة إلى الحق الذى يراه، من حيث لا يشعر الآخرون. فيروى الأدعية عن أئمة الهدى عليهم السلام، و يشير إلى المخلص المؤمن به لموجود ضمن هذه الجماعة و يقول له أمام الجميع أنت على خير إن شاء الله تعالى. ليفسح المجال للآخرين بالتفكير الجدى أنه بما ذا أصبح هذا لرجل على خير دونهم.

و هو فى كل ذلك يتكلم كفرد اعتيادى، ليس له أى ميزة على

ص: ٥٨٩

الآخرين، سوى هذا العلم الذى يحمله و الروايات التى يقولها. و بذلك استطاع أن يدعو إلى الاسلام الحق، من دون أن يقع فى خطر أو أن يتوجه إليه نقد.

<sup>٧٥٣</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٥٦ و ما بعدها.

يبقى أن تعرف أنه عليه السلام حين كان يكثر من النظر إلى اليمين و الشمال، انما كان يريد التأكد من موقفه و عدم وجود ما يدل عليه أو من يعرفه أو من يشكل عليه خطرا بشكل من الاشكال، فى حديثه هذا. لا انه كان خائفا بالفعل، و إلا لكان فى غنى عن مواجهة هؤلاء الجماعة بمثل هذا القول.

و لم يكن ذلك الموقف مقتضيا التصريح بشخصيته، أو عرض شىء من تعاليمه أو فلسفة غيبته أو اطروحة عمله. و ما ذلك إلا لوجود المنحرفين غير المخلصين من هذه الجماعة .. و انما عرفوا انه هو المهدي بعد أيام ببعض القرائن التى كانت لديهم<sup>٧٥٤</sup>.

فهذه هى الاهداف العامة الاساسية التى كان المهدي (ع) يتوخاها فى مقابلاته للآخرين. و أما الهدف السادس و الاخير، و هو قبض المال ممن حمل إليه المال، فقد عرفنا مثاله من تسليم وفد القميين المال إليه من اول يوم من وفاة ابيه. و مورد تفصيل الكلام فيه هو الحقل الخاص بالامور المالية للامام المهدي.

ص: ٥٩٠

تبقى هناك اهداف خاصة كان المهدي يتوخاها من وراء بعض المقابلات. تندرج تحت عنوانين رئيسيين، عرفنا امثلتهما فيما سبق فلا حاجة الى افاضة الكلام فيها.

احدهما: اجابه شخص اصر على السفير الثانى رضى الله عنه ان يوفر له فرصة المقابلة مع الامام المهدي (ع). و هذا هو الذى رأى المهدي (ع). بزى التجار<sup>٧٥٥</sup>، كما سبق ان سمعنا.

ثانيهما: تأنيب شخص منحرف على انحرافه و سوء عمله، و لذلك عدة امثلة، فمنها موقفاه مع عمه جعفر بن على اللذين عرفناهما فى القسم الاول من هذا التاريخ، و موقفه مع محمد بن على بن بلال الذى عرفناه مدعيا للسفارة زورا، اذ اشرف عليه المهدي عليه السلام من علو داره و امره بدفع ما عنده من الاموال الى العمري.

و وراء هذه الاهداف العريضة، امور ضمنية قد يتعرض لها المهدي فى كلامه او يستهدفها فى عمله، عند مقابلاته مع الآخرين. الا انها حيث كانت صغيرة الحجم و كثيرة العدد، فلا حاجة الى اطالة المقام ببيانها.

#### الحقل الرابع تصرفه فى الشؤون المالية

من قبض و توزيع، فى غيبته الصغرى عن طريق غير السفراء

ص: ٥٩١

<sup>٧٥٤</sup> (١) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٥٦ و ما بعدها.

<sup>٧٥٥</sup> (١) انظر تفصيل الحادثة فى كتاب غيبة للشيخ الطوسى ص ١٦٤.

الاربعة .. اما عن طريق المقابلة معه، أو بدون ذلك. أما السفراء الاربعة فقد عرفنا حالهم تفصيلا فيما سبق.

كان أول مال قبضه الامام المهدي عليه السلام، بعد توليه الامامة بعد أبيه عليه السلام، هو المال الذي حمله إليه وفد القميين الذي ورد إلى سامراء، في اليوم الاول لوفاة الامام العسكري عليه السلام.

ثم انه عليه السلام لم يشأ أن يستمر على ذلك، بل أعلن منذ ذلك الحين تنصيبه سفيرا في بغداد لقبض الاموال و اخراج التوقيعات.

و استمر السفراء على القبض لسائر الاموال التي ترد من سائر الاطراف الاسلامية، كما سبق.

و كان السفراء في السنوات الاولى للغيبة الصغرى، يحولون بعض الاموال إلى سامراء، حيث كان يسكن المهدي (ع) في تلك الفترة.

فكان يتم اخراج التعاليم بشأنها من المهدي «ع» عن طريق بعض الوكلاء الخاصين<sup>٧٥٦</sup>. و كان يسوؤه رد المال الذي كان يعطيه لمواليه و يعتبره خطأ موجبا الاستغفار<sup>٧٥٧</sup>.

و اما فيما بعد ذلك من الزمن، فيتم الكلام فيه في عدة نقاط:

النقطة الاولى: ان المهدي «ع» كان يطالب عن طريق سفرائه بتوقيعاته، بدفع الاموال التي في ايدي الناس له. و لا يجوز لهم التخلف او التقصير و لا في درهم واحد.

ص: ٥٩٢

فمن ذلك: التوقيع الذي ورد على الشيخ محمد بن عثمان العمري رضى الله عنه ابتداء لم يتقدمه سؤال منه. نسخه: بسم الله الرحمن الرحيم. لعنة الله و الملائكة و الناس اجمعين على من استحل من اموالنا درهما<sup>٧٥٨</sup>. و قوله- في توقيع آخر-: و اما المتلبسون باموالنا فمن استحل شيئا فاكله فانما يأكل النيران<sup>٧٥٩</sup>.

و من توقيع آخر: و اما ما سألت عنه من امر من يستحل ما في يده من اموالنا و يتصرف فيه تصرفه في ماله من غير امرنا. فمن فعل ذلك فهو ملعون و نحن خصماؤه يوم القيامة. و قد قال النبي (ص) المستحل «من عترتى ما حرم الله ملعون على لسانى و

<sup>٧٥٦</sup> (١) البحار ج ١٣ ص ٧٩.

<sup>٧٥٧</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٣٣ و اعلام الورى ص ٤١٩.

<sup>٧٥٨</sup> (١) الاحتجاج ص ج ٢.

<sup>٧٥٩</sup> (٢) المصدر ص ٢٨٣.



لسان كل نبي مجاب». فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل: الا لعنة الله على الظالمين. الى غير ذلك من النصوص.

نستطيع أن نفهم من ذلك أمرين:

الامر الاول: انه كان للمهدى عليه السلام أموال لدى الناس و في ذمهم، متكونة من تلك الاموال التي هي للإمام الشرعى فى نظر الاسلام. كالانفال و الخمس و الخراج. و حيث يرى المهدى (ع) ثبوت الامامة لنفسه، فهو يرى ملكيته لهذه الاموال، و كونه احق بها من اى شخص آخر من الحكام و المحكومين معا.

ص: ٥٩٣

و مطالبة الامام المهدى (ع) بهذه الاموال فى واقعه، مطالبة بتطبيق هذه الاحكام الاسلامية بوجوب دفع هذه الى الامام (ع). و يكون الخارج على هذا القانون، عاصيا لله عز و جل و للامام و مستحقا للعقاب.

و لعنا نستطيع ان نفهم من مجموع الاخبار الواردة فى هذا الصدد بالنسبة الى الوكلاء و السفراء، ان تجاراتهم كانت على الاغلب باموال الامام نفسه، لا باموالهم الشخصية، و ان كانوا على ذلك من ظاهر الحال. و من هنا كان فى امكانهم ان يستعملوا ما يقبضوه من الموالين من اموال الامام فى التجارة، باذن الامام عليه السلام. و تكون الارباح للامام (ع) او بينهما بنسبة معينة، حسب الاتفاق.

الامر الثانى: ان هذه الحدية الكاملة من قبل المهدى عليه السلام فى المطالبة بالاموال التي ترجع إليه، يمكن فهمها على مستويين رئيسيين:

المستوى الاول: المستوى العام بالنسبة الى سائر الناس الذين تشتغل ذمهم بشيء من اموال الامام.

و نحن اذا نظرنا بهذا المستوى، نجد ان غمط اموال الامام- لو لا الدافع الايمانى القوى- من أسهل الاشياء. فليس على الشخص المنحرف الذى لا يريد أن يدفع الى المهدى عليه السلام، أمواله أى حسيب أو رقيب، بعد ما عرفناه من غيبة المالك الحقيقى، و تخفى نوابه و ستر هذه الصفة فيهم الى أكبر حد مستطاع. و عدم توفر السلطة التنفيذية لديهم لاقتضاء الاموال المغدورة.

إذن، فلا بد من إيجاد دافع إيمانى شرعى لدى الفرد المسلم بدفع ما

ص: ٥٩٤

يملكه الإمام (ع) فى ذمته، و عدم جواز التخلف عنه. و ذلك للحد من التيار العام القاضى بدفع هذه الاموال الى السلطات الحاكمة دون الإمام.

المستوى الثانى: المستوى الخاص، حين تتعلق المصلحة الاجتماعية الإسلامية بالعمو و عدم المطالبة بالاموال. فإنه عليه السلام كان يعطف فى توقعاته موارد العمو و التحليل على موارد التحريم، لكى يفهم الآخرون بأن الغرض من المطالبة هو الوصول الى المصلحة الإسلامية دون الحرص على الاموال. فمتى اقتضت المصلحة العمو و غض النظر كان ذلك نافذا.

فمن ذلك قوله عليه السلام فى أحد توقعاته: و أما المتلبسون بأموالنا، فمن استحل منها شيئاً فأكله فانما يأكل النيران. و أما الخمس فقد ابيح لشيئتنا و جعلوا منه من حل الى وقت ظهور امرنا لتطيب ولادتهم و لا تخبث<sup>٧٦٠</sup>. و نعرف من التعليل بطيب الولادة أن المحلل هو خصوص خمس الجوارى المملوكات المجلوبات عن طريق الفتح الاسلامى، لا كل الخمس. و هو ما يذهب إليه الفقهاء عادة.

و من ذلك قوله فى توقيع آخر: و أما ما سألت عنه من امر الضياع التى لناحيتنا، هل يجوز القيام بعمارتها، و اداء الخراج منها، و صرف ما يفضل من دخلها الى الناحية احتساباً للأجر و تقرباً إليكم. فلا يحل لأحد ان يتصرف من مال غيره بغير إذنه. فكيف يحل ذلك من مالنا.

ص: ٥٩٥

من فعل ذلك بغير امرنا فقد استحل منا ما حرم عليه. و من أكل من أموالنا شيئاً، فإنما يأكل فى بطنه ناراً و سيصلى سعيراً.

و أما ما سألت عنه من أمر الرجل الذى يجعل لناحيتنا، ضيعة و يسلمها من قيم يقوم بها و يعمرها، و يؤدى من دخلها خراجها و مؤنتها و يجعل ما بقى من الدخل لناحيتنا. فإن ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيماً عليها. انما لا يجوز ذلك لغيره.

و أما ما سألت عنه من الثمار من اموالنا يمر به المار فيتناول منه و يأكل، هل يحل له ذلك. فإنه يحل له أكله و يحرم عليه حملة<sup>٧٦١</sup>.

النقطة الثانية: انه كان للمهدى عليه السلام بواسطة أمواله العامة علاقات مالية خاصة، يمثلها نوابه الأربعة و غيرهم. تجاه كل من له علاقة مالية فى تجارتهم أو حق شرعى فى ذمته. و كان عليه السلام يأمر باقتضاء هذه الأموال، و قد يعطى وصلاً بقبضها. و من هنا يفتح الكلام فى أمرين:

الأمر الأول: أمره عليه السلام باقتضاء أمواله و دفعها إليه.

فمن ذلك ما يرويه بعض مواليه عن نفسه قائلاً: كان للناحية على خمسمائة دينار، فضقت بها ذرعاً. ثم قلت: لى حوانيت اشتريتها بخمس مائة و ثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار، و لم أنطق بذلك.

<sup>٧٦٠</sup> (١) الاحتجاج ص ٢٨٣ و ما بعدها

<sup>٧٦١</sup> (١) الاحتجاج ص ٢٩٩، ج ٢. و ما بعدها.

فكتب- يعنى الإمام المهدي (ع)- الى محمد بن جعفر- و هو

ص: ٥٩٦

أحد الوكلاء-: اقبض الحوانيت من محمد بن هارون بالخمسمائة دينار التي لنا عليه<sup>٧٦٢</sup>.

فتراه عليه السلام يأمر وكيله بقبض الحوانيت، دلالة على كفاية دفعها الى الناحية وفاء لما في ذمة محمد بن هارون تجاهها .. الى أمثلة أخرى من هذا القبيل.

الأمر الثاني: إعطاؤه الوصول التي تدل على قبض الأموال.

فمن ذلك: أن محمد بن الحسن الكاتب المروزي، وجه الى حاجز الوشاء، و هو أحد الوكلاء، مائتي دينار. و كتب الى الغريم (يعنى المهدي (ع) بذلك فخرج الوصول<sup>٧٦٣</sup>.

و من ذلك: ما تحدث به أحدهم، فقال: اجتمع عندي خمسمائة درهم ينقص عشرون درهما، فلم أحب أن ينقص هذا المقدار. فوزنت من عندي عشرين درهما و دفعتها الى الأسدى (و هو أحد الوكلاء).

و لم أكتب بخبر نقصانها. و إنى أتممها من مالي. فورد الجواب: قد وصلت الخمسمائة التي لك فيها عشرون.

و تسمية المهدي (ع) بالغريم، دليل واضح على ايمان قواعده الشعبية بأنه دائن لهم بحقوق أموال، و أنهم مرتبطون به ماليا الى جانب ارتباطهم العقائدى.

النقطة الثالثة: ان المهدي عليه السلام قد يستقل أحيانا بالاياعاز

ص: ٥٩٧

بدفع المال الى شخص من دون توسط سفرائه.

كالذى سبق أن سمعناه فى أبى سورة المدعو بمحمد بن الحسن بن عبد الله التميمي، إذ رافقه المهدي عليه السلام فى سفره من كربلاء الى الكوفة، و حوله على على بن يحيى الرازى ليقبض المال الذى عنده.

و أعطاه صفته و الدلالة على حقيقته من طرف خفى<sup>٧٦٤</sup>.

<sup>٧٦٢</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ١٧١.

<sup>٧٦٣</sup> (٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧.

<sup>٧٦٤</sup> (١) انظر تفصيل الحادثة فى الغيبة ص ١٦٣ و انظر ص ١٨١ أيضا.

فهذه بعض التصرفات المالية التي كان يقوم بها المهدي (ع)، فاذا ضمناها الى ما عرفناه من التصرفات المالية للسفراء الاربعة. و عرفنا أنه ليس كل ما حدث في تلك الفترة التي تؤرخ لها قد نقل في التاريخ و وصل إلينا، كما سبق أن بينا أسبابه في مقدمة هذا التاريخ .. عرفنا مدى السعة و الشمول الذي كان عليه النشاط الاقتصادي للامام المهدي عليه السلام. بالرغم من خفائه و عزلته.

### الحقل الخامس حله للمشكلات العامة و الخاصة

كان عليه السلام، و هو في غيبته قائدا فذا، يشعر بالآلام و آمال امته و قواعده الشعبية و يتجاوب معهم فكرا و عملا بما تقتضيه مصلحتهم و مصلحة الاسلام.

ص: ٥٩٨

فكان عليه السلام بيت بالامور الخاصة و العامة، و يذلل مشاكلها عن طريق ما يعرفه من حال المجتمع و الافراد. و يتمثل ذلك في عدة نقاط:

النقطة الاولى: استعراضه للمشكلات العامة و محاولته حل بعضها.

و هنا لا بد ان نفهم أمرين:

الأمر الأول: انه ليس من الصعب على الامام المهدي (ع) بالرغم من غيبته و تخفيه أن يكون على مستوى الأحداث العامة في المجتمع.

فإننا إما أن ننظر إليه كإمام عالم بالغيب بتعليم من الله عز و جل، كما دلت عليه سائر الدلالات السابقة. و إما أن نجرد منه شخصا عاديا من بشريته قائدا في مسؤوليته.

أما على الفرض الأول، و هو كونه إماما عالما بالغيب. فمن الواضح اطلاعه على الأحداث العامة و إن لم يكن يعيش غمارها، فضلا عما إذا كان يعيش فيها على ما سبق ان عرفناه.

و أما على الفرض الثاني، حيث تفرض عليه مسؤوليته أن يكون مواكبا للأحداث شاعرا بالآلام و آمال امته و قواعده الشعبية .. فإن له طريقين رئيسيين يمكن أن يقترنا و يمكن أن يفترقا في الاطلاع على الأحداث.

الطريق الأول: اختلاطه المباشر بالناس، و ممازجته معهم، بشكل لا يشعرون بهويته و حقيقته. فاننا سبق ان عرفنا أنه مجهول العنوان و الاسم من حيث انطباقه على الشخص. و ليس مختفيا جسما عن الناس

ص: ٥٩٩

كما قد تقول به الافكار غير المبرهنة.

و قد رأينا صورا عن ممازجته للناس و محادثته معهم، تارة بعنوانه الصريح و حقيقته، و أخرى بغيره، بحسب ما كان يرى من المصلحة باختلاف الزمان و المكان. و معه يكون بطبيعة الحال مطالعا بشكل تفصيلي و كبير على سائر الأحداث و مشاطرا للامة الإسلامية بالأحاسيس.

بل يكون مشاركا بالعمل على رفع تلك الامة و تحقيق آمالها، فى حدود المصلحة و الامكان.

الطريق الثانى: استقصاؤه للأخبار عن طريق سفرائه الأربعة و غيرهم ممن كانوا يحظون بمقابلته، على ما عرفنا. فانه من المؤكد، ان قسما مهما من الأحاديث التى يقولها المهدي (ع) للآخرين - مما سمعناه و مما لم نسمعه - و خاصة سفراؤه المسئولون عن قيادة قواعده الشعبية بالنيابة عنه، تتضمن التوجيهات الاجتماعية و النقد للاوضاع العامة و تشخيص الوظيفة الإسلامية تجاهها .. على المستوى العالى الذى يراه المهدي (ع) مناسبا مع مخاطبيته.

بل من المستطاع القول: أن المهدي (ع) يعطى توجيهاته و تنقيفه العام للمجتمع و الأفراد، و إن كان مجهول العنوان. فانه إذ يجالس الناس أو يساكنهم أو يرافقهم فى طريق أو سفر، و ان لم يعرفوه يحاول باستمرار أن يعطيهم من هداة توجيهه بالنحو الذى ينفع الفرد و المجتمع معا، و يكون طريقا إلى تذليل المشاكل و رفع الآلام، بالنحو الذى تقتضيه المصلحة.

ص: ٦٠٠

و هذا هو الباب الواسع الذى يفسر لنا الحديث الوارد عنه عليه السلام بأن فائدته حال غيبته كالشمس إذا غيبتها السحاب. و به نستطيع أن نفهم أحد الخطوط الرئيسية فى غيبته الصغرى، و الخط الأكبر لسياسته فى غيبته الكبرى على ما سنعرض له بالتفصيل من هذا التاريخ و التاريخ القادم.

الأمر الثانى: اننا سنرى ان المشكلات العامة التى تصدى المهدي (ع) لحلها ذات مسار معين يمت إلى حل مشكلات قواعده الشعبية بشكل رئيسى. و لا نكاد نجده متعرضا لحل مشكلة من نوع آخر فى المجتمع المسلم أو الدولة.

فان المشكلات العامة التى يتصور وقوعها فى المجتمع المسلم، ذات ثلاث مساوات.

المسار الأول: مشكلات الدعوة الإسلامية، و هو ما يقع فى الحدود الإسلامية و فى الفتح الإسلامى من صعوبات و عقبات تجاه الكافرين.

لسار الثانى: مشكلات الجهاز الحاكم و من يمت له بصله، و هو ما يقع بين القواد و امراء الاطراف و بين الخليفة او بينهم بانفسهم، من مشكلات و حروب و على رأسها مشكلات الخوارج و القرامطة، على ما عرفناه فى الفصل الخاص بالتاريخ العام لهذه الفترة.

المسار الثالث: المشكلات التي تحدث في القواعد الشعبية التي تمت الى الامام المهدي (ع) بصلته الولاء. بسبب الضغط و الارهاب و المطاردة التي يقوم بها الحكام و من إليهم تجاههم.

ص: ٦٠١

اما المسار الاول للمشكلات، فقد كان الاتجاه العام فيه هو غلبة المسلمين و انتصارهم في حروب الفتح. و لم تكن توجد مشكلة اسلامية اساسية تقتضى رفع اليد من المصلحة الكبرى المتوخاة من غيبة المهدي عليه السلام.

على ان التكفل للفتح الاسلامي لم يكن الا الجهاز الحاكم الذي كان يقوم كيانه على انكار وجود المهدي و امامته، و معه لم يكن للمهدي (ع) سبيل معقول لا يصل صوته الى الحكام او حملهم على اطاعته.

و هم من عرفناهم لا يتوخون الا المصالح الشخصية و التجارات المالية حتى في الفتوح الاسلامية نفسها.

و اما المسار الثاني، فمن الواضح ان المهدي (ع) حين يعتبر كلا الطرفين المتنازعين منحرفين من الاسلام بعيدين عن طريق الحق لا يكون له اى داع او مصلحة ان يتعرض - و هو في غيبته و احتجابه - الى هذا النزاع او ذلك سلبا و لا ايجابا.

على اننا ينبغي ان نعرف ان ثمة من المشكلات العامة ما يكون وجودها موافقا للمصلحة الاسلامية على الخط الطويل. من حيث انها تربي الامة و توعبها على واقعها و ادراك مشاكلها و تمسكها بدينها.

فان الامة لا يرببها في عصور الانحراف الا المرور بالمحن و مواجهة المشكلات. و مثل هذه المشكلات لا يمكن الا ان يقف المهدي (ع) تجاهها موقفا سليبا تاركا لها مسارها الخاص حتى تتمخض عن نتائجها و تصل الى نهاياتها. و لا يبعد ان كثيرا من مشكلات المسلمين، بالرغم

ص: ٦٠٢

من سوءها و بشاعة مظهرها، لها من النتائج و الآثار المحسنة العميقة الغور في المدى البعيد. على شرح و توضيح نتعرض له في بحث مقبل في سياسة المهدي في الغيبة الكبرى ان شاء الله تعالى.

و اما غير هذا النحو من المشاكل، اى التي لا تكون مؤثرة في تربية الامة، فانه و ان لم يرد في تاريخنا تدخل المهدي عليه السلام في تذليلها و لكننا لا نستطيع ان ننفيه بل في الامكان ان نؤكد وقوعه عند ما تمت المشكلة الى اساس الاسلام و تكون العقيدة نفسها مهددة بالخطر.

لكن بالنحو الذي لا يلتفت إليه الناس، و لا يعلمون صدوره من الامام المهدي (ع) بصفته الواقعية. و برعم لا يكون قابلا للنقل التاريخي.

على شرح و تفصيل يأتي في الحديث عن الغيبة الكبرى أيضا.

على اننا لا نعدم، بخصوص هذا المسار الثاني، نقلا تاريخيا ضئيلا فيما اذا كانت المشكلة تمت الى قواعده الشعبية بصلة، على ما سنسمع من موقفه عليه السلام تجاه ذلك الرجل الذي تحول قرمطيا و غير ذلك.

واما المسار الثالث، فهو الذى ورد فى تاريخنا تصدى الامام المهدي (ع) لرفعه و تذليله، باعتباره القائد لقواعده الشعبية و المسئول الاعلى عن حفظها و رعايتها.

و قد ورد فى تاريخنا تذليله لعدة مشكلات عامة من هذا القبيل نذكر اثنين منهما على سبيل المثال:

الاولى: حيلولته عليه السلام ضد المؤامرات التى كانت تحاك لقواعده

ص: ٦٠٣

الشعبية فى الظلام على حين غرة و غفلة منهم.

فقد اصدر المهدي عليه السلام توقيعا يتضمن النهى عن زيارة مقابر قريش و الحائر، يعنى حرم الامامين الكاظميين عليهما السلام و حرم الحسين عليه السلام. فامتنعت قواعده الشعبية عن الزيارة اطاعة لامر امامهم و ان لم يعلموا وجه المصلحة. و علموا بعد شهر من ذلك الحين ان الخليفة كان قد امر بالقاء القبض على كل من يزور هؤلاء، الأئمة عليهم السلام<sup>٧٦٥</sup>.

و بذلك نرى المهدي عليه السلام قد حال سلفا دون تنفيذ امر الخليفة، و توصل الى نجاة قواعده الشعبية من سجون السلطات.

الثانية: حيلولته عليه السلام ضد مؤامرات السلطات على وكلاته على حين غرة منهم.

و هو ما عرفناه فيما سبق مختصرا و نعرضه الآن بشيء من التفصيل.

و ذلك: انه تناهى الى سمع عبد الله «عبيد الله» بن سليمان، و هو اول وزراء المعتضد<sup>٧٦٤</sup> بعض نشاط وكلاء المهدي عليه السلام فى الاطراف و انه تجبى إليهم الاموال من النواحي، و ذكروا له اسماءهم، فهمم بالقبض عليهم، فنصحوه ان يتأكد من صحة التهمة، و ذلك بان يدس قوما لا يعرفون، لدفع الاموال الى الوكلاء، فمن قبض شيئا من تلك الاموال قبض عليه.

ص: ٦٠٤

و لو كانت هذه المؤامرة قد تمت لاستؤصل وكلاء المهدي «ع» عن آخرهم، بل لكان من المحتمل انكشاف مكان وجود المهدي «ع» نفسه. الا ان المهدي «ع» حال دون ذلك، فاخرج إليهم توقيعا يتضمن الامر بان لا يأخذوا من احد شيئا و ان يتجاهلوا الامر.

<sup>٧٦٥</sup> (١) انظر اعلام الورى ص ٤٢١ و الغيبة ص ١٧٢.

<sup>٧٦٦</sup> (٢) انظر مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٥.

فامتثل الوكلاء امر امامهم و هم لا يعلمون ما السبب.

قال الراوى: فاندس لمحمد بن احمد- و هو احد الوكلاء- رجل لا يعرفه. و قال: معى مال اريد ان اوصله. فقال له محمد: غلظت.

انا لا اعرف من هذا شيئا، فلم يزل يتلطف به و محمد يتجاهل.

و كذلك كان سائر الوكلاء على مستوى المسؤولية، فامتنعوا كلهم عن الادلاء بشيء، فلم يظفر منهم الحكام باحد، و لم تتم الحيلة لهم بذلك. و بقيت مسألة الوكالة عن المهدي على نفس المستوى من الشمول و من السرية التامة<sup>٧٦٧</sup>.

النقطة الثانية، و قوفه ضد الانحراف موقفا جديا لا هوادة فيه بصفته ممثلا للحق الصريح الذى لا يهادن و لا يجامل.

فمن ذلك: أن رجلا جليلا من فقهاء اصحابنا- بتعبير الراوى- كتب الى المهدي (ع) رسالة عن طريق بعض سفرائه، فلم يرد فيها الجواب، على كثرة ما كان يرد من اجوبة و توقيعات عنه عليه السلام.

قال الراوى: فنظرنا فاذا العلة فى ذلك أن الرجل تحول قرمطيا<sup>٧٦٨</sup>.

ص: ٦٠٥

و هذا الموقف الحدى للإمام المهدي «ع» يرشدنا الى أمرين رئيسيين:

الأمر الأول: كونه على مستوى الأحداث، يعلم بحوادث المجتمع و آماله و آلامه، على النحو الذى قلناه. و كيف يمكن أن نتصور أن حروب القرامطة مما يخفى على الإمام المهدي «ع». و هى التى استطاعت أن تززع الحكام و ترهب المجتمع ردحا طويلا من الزمن. و قد عرفنا أن غيبته لا تحول دون معرفة تفاصيل الحوادث فضلا عن مهماتها و واضحاتها.

الأمر الثانى: إن القرامطة بالرغم من كونهم محسوبين فى منطق الحكام و من إليهم، على الشيعة، باعتبارهم من الفرقة الإسماعيلية على ما عرفنا و هى أحد فرق المذهب الشيعى- بمعناه العام-. و بالرغم من أن القرامطة من الناحية السياسية يشتركون مع الامام المهدي «ع» فى كونهم معارضين للحكام القائمين على الدولة الإسلامية، و عدم الارتياح الى الوضع السائد.

بالرغم من ذلك: فالحق الذى يؤمن به المهدي «ع» يجب أن يبقى صافيا جديا صلبا تجاه أى انحراف او ضلال. و القرامطة لهم نقاط ضعف كثيرة فى نظر الإمام المهدي «ع» أهمها أنهم لا يؤمنون بامامته و أنهم مختلفون فى تفاصيل المذهب فقها و عقيدة. و أنهم قد اتخذوا أسوأ الأساليب فى التنكيل بالمسلمين و خاصة قوافل الحجاج. حتى بلغ اتساعهم فى الظلم و الانحراف أنهم اعتدوا على الكعبة المشرفة و قلعوا الحجر الأسود و نقلوه الى هجر، كما سبق أن سمعنا.

<sup>٧٦٧</sup> (١) انظر اعلام الورى ص ٤٢١.

<sup>٧٦٨</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٣٢ و غيره.



ص: ٦٠٦

و من هنا كان واضحا لدى المجتمع الاسلامى عامة و القواعد الشعبية للامام المهدي «ع» خاصة، أن هؤلاء القرامطة إنما يحاربون الاسلام و المسلمين، و إن موهوا ذلك بمختلف الشعارات و العبارات. و لذا نرى أن اعتناق أى شخص لمذهبهم يعتبر سببا كافيا لمقاطعته و الاعراض عنه على أقل تقدير. مهما كان شأنه قبل ذلك كبيرا مشهورا بالفقه و الصلاح.

النقطة الثالثة: حل الامام المهدي «ع» للمشكلات الخاصة لاصحابه و قواعده الشعبية. بحسب ما كانوا يرفعونه إليه من شكاوى و ما يشرحون له من مشكلات. فكان يرد الجواب تارة بالدعاء الى الله تعالى بتذليل المشكلة، و أخرى بالاخبار بأنها ستحل و ثلاثة باعطاء منهج معين للحل و الأمر بما يراه الأصلاح فى الأمر.

و تكون الحلول عادة عن طريق المراسلة و خروج التوقيعات من المهدي «ع» عن طريق سفرائه الأربعة خاصة و سائر و كلاته عامة.

و قد سبق أن عرفنا عن ذلك قسما كبيرا. و تحاشيا للتكرار نذكر ما سبق بنحو موجز و نضيف إليهما ما هو جديد.

فمن ذلك حلّه عليه السلام لعدة مشكلات زوجية<sup>٧٦٩</sup> و دعاؤه للقاسم ابن العلا إن يبقى ولده الحسين بعد أن ولد له عدة بنين و ماتوا<sup>٧٧٠</sup>.

و من ذلك دعاؤه لمريض بالناصور قد عجز الأطباء عنه فشفى شفاء

ص: ٦٠٧

تاما<sup>٧٧١</sup>. و من ذلك: نهيه لبعض مواليه عن الخروج إلى الحج فى بعض السنين. فخرجت القرامطة على القوافل فاجتاحتها<sup>٧٧٢</sup>. و نهيه لبعض اليمنيين عن الخروج من بغداد الى اليمن، فى قافلة لليمنيين، فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم<sup>٧٧٣</sup> و منها توزيعه الأكتفان على الطالبين لها من مواليه<sup>٧٧٤</sup> و منها دعاؤه بولادة ابن بابويه الشيخ الصدوق قدس الله روحه<sup>٧٧٥</sup>.

و من ذلك: ان شخصا ولد له ولد فكتب الى الناحية يستأذن من تطهيره فى اليوم السابع، فورد: لا تفعل. فمات فى يومه السابع.

<sup>٧٦٩</sup> (١) انظر فى ذلك غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٤-١٨٦-١٩٧.

<sup>٧٧٠</sup> (٢) انظر الارشاد ص ٣٣١.

<sup>٧٧١</sup> (١) انظر الإرشاد ص ٣٣٤.

<sup>٧٧٢</sup> (٢) انظر الغيبة ص ١٩٦.

<sup>٧٧٣</sup> (٣) انظر الارشاد ص ٣٣٢ و اعلام الورى ص ١١٨.

<sup>٧٧٤</sup> (٤) انظر الغيبة ص ١٧٢-١٨٥-١٦٣ و اعلام الورى ص ٤٢١.

<sup>٧٧٥</sup> (٥) انظر الغيبة ص ١٨٨ و ص ١٩٥.

فكتب الى الناحية بموته شاكيا الى المهدي (ع) مصابه. فورد:

ستخلف غيره و غيره، فسم الاول احمد و من بعد احمد جعفر. فجاء كما قال<sup>٧٧٦</sup> و من ذلك: ان شخصا بالاهواز رزق ولدا اخرس سماه مسورا.

فحمله ابوه و عمه، و سنه اذ ذاك ثلاثة عشر او اربعة عشر عاما الى الشيخ الحسين بن روح رضى الله عنه، فسألاه ان يسأل الحضرة - يعنى الامام المهدي (ع) - ان يفتح الله لسانه. فذكر الشيخ ابن روح:

ص: ٦٠٨

انكم امرتم بالخروج الى الحائر.

قال مسرور: فخرجنا انا و ابى و عمى الى الحائر فاغتسلنا و زرنا.

قال: فصاح بى ابى و عمى: يا سرور. فقلت بلسان فصيح: لبيك.

فقال لى: و يحك تكلمت. فقلت: نعم. قال الراوى: و كان مسرور هذا رجلا ليس بجهورى الصوت<sup>٧٧٧</sup>.

و من ذلك أيضا ما حدث لرجل من قم انكى ولدا له، فخرج إليه شفاها عن طريق احد الوكلاء: ان الولد ولده و واقعها فى يوم كذا و كذا من موضع كذا و كذا. و امره بان يسميه محمدا. فاصبح ذلك سببا لوضوح الحال و رجع الاب عن إنكاره. و ولد الولد و سمى محمدا<sup>٧٧٨</sup> فهذه هى النقاط الرئيسية فيما يحله الامام المهدي عليه السلام من مشكلات، و ما يذللّه من صعوبات.

و بذلك نراه سائرا على نفس الخط الذى سار عليه ابواه العسكريان عليهما السلام فى علاقاتهما الخاصة، غير المالية بقواعدهما الشعبية مع حفظ الفرق فى الظروف و مقتضيات المصالح.

ص: ٦٠٩

#### الحقل السادس تعيينه لوكلاء متعددين غير السفراء الأربعة

ثبت النقل التاريخى بوجود سفراء أو وكلاء غير السفراء الأربعة السابقين، مشتتين فى مختلف البلدان الإسلامية التى فيها شىء من القواعد الشعبية المؤمنة بالإمام المهدي عليه السلام.

<sup>٧٧٦</sup> (٦) المصدر ص ١٧١ و انظر الارشاد ص ٣٣٤.

<sup>٧٧٧</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٨.

<sup>٧٧٨</sup> (٢) المصدر ص ١٨٧.

و مما لا شك فيه أن هناك فرقا أساسيا بين هؤلاء الوكلاء و أولئك السفراء، و يتضح هذا الفرق في أمرين رئيسيين:

أولهما: أن السفير يواجه الإمام المهدي (ع) مباشرة و يعرفه شخصيا و يأخذ منه التوقيعات و البيانات. على حين أن الوكلاء ليسوا كذلك بل يكون اتصالهم بالمهدي (ع) عن طريق سفرائه، ليكونوا همزة الوصل بينهم و بين قواعدهم الشعبية.

ثانيهما: إن مسؤولية السفير في الحفاظ على اخوانه في الدين و قواعده الشعبية عامة و شاملة. على حين نرى مسؤولية الوكيل خاصة بمنطقته على ما سنسمع تفصيله.

و المصلحة الأساسية لوجود الوكلاء أمران أساسيان:

الأمر الأول: المساهمة في تسهيل عمل السفير و توسيعه، حيث لا يكون بوسع السفير بطبيعة الحال، و بخاصة في ظرف السرية و التكتم الاتصال بالقواعد الشعبية المنتشرين في العراق و غير العراق من البلاد

ص: ٦١٠

الإسلامية. فيكون لعمل الوكلاء بهذا الصدد أكبر الأثر في إيصال التعاليم و التوجيهات إلى أوسع مقدار ممكن من القواعد الشعبية.

الأمر الثاني: المساهمة في اخفاء السفير نفسه، و كتمان اسمه و شخصه حيث قلنا في ما سبق أن الفرد الاعتيادي العارف بفكرة السفارة، غاية ما يستطيعه هو الاتصال بأحد الوكلاء من دون معرفة باسم السفير أو عمله أو مكانه، و قد لا يكون الوكيل على استعداد للتصريح بذلك أصلا.

و نحن ذكرونا فيما يلي أسماء من وردنا في التاريخ و كالتة في زمن الغيبة الصغرى. و ما نذكره ليس على وجه الحصر إذ لعل عددا من الوكلاء لم يرد اسمه في التاريخ، بعد ملاحظة سعة المناطق التي كانوا فيها من البلاد الإسلامية، و طول المدة التي تناوبوا فيها على احتلال مركز الوكالة، خلال سبعين عاما مدة هذه الفترة، مما يؤدي إلى اختفاء عدد من الاسماء، و خاصة في ظروف التكتم و الحذر.

و لعل أحسن نص جامع لاسماء عدد من الوكلاء، ما ذكره الصدوق في اكمال الدين<sup>٧٧٩</sup> مرويا عن أبي علي الأسدي عن أبيه عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي أنه ذكر عدد من انتهى إليه ممن وقف على معجزات صاحب الزمان صلوات الله عليه و رواه، من الوكلاء: ببغداد العمري و ابنه و حاجز و البلالي و العطار. و من الكوفة العاصمي و من أهل الأهواز محمد بن ابراهيم بن مهزيار. و من أهل قم أحمد بن اسحاق

ص: ٦١١

<sup>٧٧٩</sup> (١) أنظر المخطوط فصل من شاهد القائم.

و من أهل همدان محمد بن صالح و من أهل الرى: الشامى، و الأسدى - يعنى نفسه- . و من أهل أذربيجان القاسم بن العلا. و من نيشابور محمد بن شاذان النعمى. إلى آخر الحديث.

و نحن نذكرهم فيما يلى على نفس هذا الترتيب الذى ذكره الصدوق.

ثم نذكر ما وجدناه من أسماء الأشخاص الآخرين الذين ورد النص بوكالتهم فى بعض النصوص التاريخية:

العمرى: هو الشيخ عثمان بن سعيد السفير الأول، عن الإمام المهدي عليه السلام. و إنما سمي وكيلا من رواية الصدوق، باعتبار المعنى الأعم للوكالة. و قد سبق ان ترجمناه مفصلا.

ابنه: الشيخ محمد بن عثمان العمري السفير الثانى. و قد سبق ان ترجمناه أيضا.

حاجز بن يزيد .. الملقب بالوشا<sup>٧٨٠</sup>. روى فيه الشيخ المفيد باسناده عن الحسن بن عبد الحميد، قال شككت فى أمر حاجز. فجمعت شيئا ثم صرت إلى العسكر - يعنى سامراء- . فخرج إلى: ليس فينا شك و لا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا. ترد ما معك إلى حاجز بن يزيد<sup>٧٨١</sup>.

و روى الكلينى بسنده عن محمد بن الحسن الكاتب المحروزي انه قال:

و جهت إلى حاجز الوشاء مائتى دينار و كتبت إلى الغريم بذلك فخرج الوصول. و ذكر انه كان قبلى ألف دينار و انى و جهت إليه مائتى

ص: ٦١٢

دينار. و قال: ان أردت أن تعامل أحدا فعليك بأبى الحسين الأسدى بالرى. فورد الخبر بوفاة حاجز - رضى الله عنه - بعد يومين أو ثلاثة .. إلخ الحديث<sup>٧٨٢</sup>.

و هذا الحديث يدلنا على عدة أمور:

الأول: أنه كانت العادة أن يوصل الناس جملة من الأموال التى للإمام (ع) إلى حاجز الوشاء. و من هنا وجه إليه المروزي مائتى دينار.

<sup>٧٨٠</sup> (١) منتهى المقال ج ١ ص ٢٤١.

<sup>٧٨١</sup> (٢) الإرشاد ص ٣٣٣

<sup>٧٨٢</sup> (١) الغيبة ص ٢٥٧.

الثانى: أن الوشاء ذو طريق مضبوط مضمون إلى المهدي عليه السلام بحيث يخرج به الوصول.

الثالث: الدلالة على وكالة حاجز بقرينة التحويل على أبي الحسين الأسدي بعد موته. ولا شك أن الأسدي هذا كان من الوكلاء على ما سنذكر بعد قليل.

و لم يعلم من امر حاجز أكثر من ذلك، فقد أهمل التاريخ تاريخ ولادته و وفاته و مقدار ثقافته و علاقاته، و نحو ذلك من خصائصه. و لله في خلقه شئون.

البلائي: هو أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، الذي ترجمناه في من أدعى السفارة زورا. و قد عرفنا أن ابن طاوس عدّه من السفراء المعروفين في الغيبة الصغرى الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم. و عبر عنه المهدي (ع) في بعض

ص: ٦١٣

توقيعاته: بأنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه<sup>٧٨٣</sup>. و ذكره الصدوق في قائمة الوكلاء كما سمعنا.

إلا أن الشيخ في الغيبة ذكره في المذمومين<sup>٧٨٤</sup>، و روى فيه أحاديث عرفناها فيما سبق. مما يدل على أنه كان وكيلا صالحا في مبدأ أمره ثم انحرف و فسد حاله بعد ذلك.

الطار: ذكره الصدوق في النص السابق من الوكلاء، و لكننا لم نستطع أن نميز شخصيته لوجود عدد ممن لقب بهذا اللقب، لم يذكر في التاريخ عن أى منهم كونه موسوما بالسفارة أو الوكالة. سواء كان معاصرا للزمان الذي نبحت عنه أو لم يكن.

و هم: محمد بن يحيى الطار و ابنه أحمد بن محمد بن يحيى. و يحيى بن المثنى الطار. و الحسن بن زياد الطار. و ابراهيم بن خالد الطار و علي بن عبد الله أبو الحسن الطار. و علي بن محمد بن عمر الطار و محمد بن عبد الحميد الطار، و محمد بن أحمد بن جعفر القمي الطار و داود بن يزيد الطار و غيرهم.

فغاية ما يشبت بهذه العبارة: أن شخصا بهذا اللقب كان وكيلا للناحية في الغيبة الصغرى، لعله أحد هؤلاء و لعله شخص آخر.

العاصمي: من الوكلاء أيضا، باعتبار النص الذي ذكرناه عن الصدوق. و هذا اللقب اسم لشخصين:

أحدهما: عيسى بن جعفر بن عاصم. و قد دعا له أبو الحسن

<sup>٧٨٣</sup> (١) رجال الكشي ص ٤٨٥.

<sup>٧٨٤</sup> (٢) انظر ص ٤٢٤٥

ص: ٦١٤

الإمام الهادي عليه السلام<sup>٧٨٥</sup>.

ثانيهما: أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة، أبو عبد الله. يقال له:

العاصمي. كان ثقة في الحديث سالما خيرا. أصله كوفي و سكن بغداد.

روى عن الشيوخ الكوفيين. له كتب منها: كتاب النجوم و كتاب مواليد الأئمة و أعمارهم<sup>٧٨٦</sup>.

و كلاهما لم يوسم بالوكالة أو السفارة. و لم يعلم معاصرته للغيبة الصغرى. فتبقى رواية الصدوق وحدها دالة على ذلك.

محمد بن ابراهيم بن مهزيار: عده ابن طاوس من السفراء و الأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم<sup>٧٨٧</sup>.

أقول: يريد بالسفير هنا معناه الأعم و هو كل من له ارتباط بالمهدى (ع) و لو بالواسطة. و ليس المراد كونه سفيرا مباشرا لضرورة انحصار السفراء بالأربعة.

و روى الشيخ في الغيبة بسنده إلى الشيخ الكليني. مرفوعا إلى محمد بن ابراهيم بن مهزيار. قال: شككت عند مضي أبي محمد - الحسن العسكري (ع) - و كان اجتمع عند أبي مال جليل، فحمله و ركب السفينة و خرجت معه مشيعا له فوعك و عكا شديدا. فقال: يا بني ردى ردى فهو الموت. و اتق الله فى هذا المال. و أوصى إلى و مات. فقلت فى

ص: ٦١٥

نفسى لم يكن أبى ليوصى بشيء غير صحيح. أحمل هذا المال إلى العراق و أكثرى دارا على الشط و لا أخبر أحدا. فإن وضع لى شيء كوضوحه أيام أبى محمد (ع) أنفذته. و إلا تصدقت به.

فقدت العراق و اكتريت دارا على الشط، و بقيت أياما، فاذا أنا برسول معه رقعة فيها: يا محمد معك كذا و كذا فى جوف كذا و كذا حتى قص على جميع ما معى مما لم أخط به علما. فسلمت المال إلى الرسول، و بقيت أياما لا يرفع لى رأس، فاغتممت. فخرج إلى: قد أقمنك مقام أبيك فاحمد لله<sup>٧٨٨</sup>.

<sup>٧٨٥</sup> (١) رجال الكنى ص ٥٠٢.

<sup>٧٨٦</sup> (٢) رجال النجاشى ص ٧٣.

<sup>٧٨٧</sup> (٣) جامع الرواة ج ١ ص ٤٤.

<sup>٧٨٨</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ١٧١.

ففرى أن محمد بن ابراهيم هذا، قد شك بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام، لبعث المزار و غموض الحال، فيمن يكون إماما بعده.

فكان بينه و بين تسليم المال إلى المصدر الوثيق: تلك العلامة التي كان كل إمام يعطيها عند مقابلته الأولى، كما عرفنا في شأن الإمامين العسكريين (ع). و هي ذكر الإمام لاوصاف المال تفصيلا قبل أن يطلع عليه حسا. و قد سمعنا كيف أن الوفود التي تحمل المال تجعل هذه العلامة محكا في إثبات الإمامة، فلا يسلموه إلا لمن أعطى هذه الأوصاف.

و قد قام الإمام المهدي (ع) بذلك أمام وفد القميين الذي عرفناه. و كرر الآن إعطاء هذه العلامة، عن طريق رسوله ليزول الشك عن ابن مهزيار، و يطمئن إلى تسليم المال إلى ركن وثيق.

و قد قدم من الأهواز الى العراق لأجل ذلك، و سلم المال بحقه.

ص: ٦١٤

و خرج إليه من قبل الإمام المهدي (ع): قد أقمنك مقام أبيك فاحمد الله. و هذا النص ظاهر بتعيينه للوكالة، كما كان أبوه وكيلا.

و كان ينوى أنه إن لم يجد العلامة المعينة المتفق عليها، أن يتصدق بالمال. و هذا هو الأنسب بحال هذا الرجل الجليل. دون ما رواه الشيخ المفيد في الإرشاد من قوله: فان وضع لي شيء كوضوحه في أيام أبي محمد (ع) انفذته و إلا أنفقتة في ملاذى و شهواتى<sup>٧٨٩</sup> و لا ما رواه الطبرسى من قوله: و إلا قصفت به<sup>٧٩٠</sup>. فإنه مناف لجلالة قدره و لتنصيبه وكيلا بعد أبيه، كما دل عليه نفس الحديث الذى رواه. فان من له نية القصف و الملذات لا يكون أهلا لهذه الوكالة الكبرى البتة.

أحمد بن إسحاق: بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري. أبو على القمى. و كان وافد القميين. روى عن أبي جعفر الثانى - يعنى الإمام الجواد (ع) - و أبى الحسن - الهادى (ع) - و كان من خاصة أبى محمد - العسكري - عليه السلام<sup>٧٩١</sup>.

له كتب، منها: كتاب علل الصلاة، كبير. و مسائل الرجال لأبى الحسن الثالث (ع)<sup>٧٩٢</sup>. عاش بعد وفاة أبى محمد عليه السلام<sup>٧٩٣</sup>.

قال الشيخ فى الغيبة: و كان فى زمان السفراء المحمودين أقوام

ص: ٦١٧

<sup>٧٨٩</sup> (١) الارشاد ص ٣٣١.

<sup>٧٩٠</sup> (٢) اعلام الورى ص ٤١٨.

<sup>٧٩١</sup> (٣) رجال التجاشى ص ٧١.

<sup>٧٩٢</sup> (٤) الفهرست للشيخ ص ٥٠.

<sup>٧٩٣</sup> (٥) رجال الكشى ص ٤٤٧.

ثقات ترد عليهم التوقيعات، من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل.

قال: منهم: أحمد بن إسحاق وجماعة، خرج التوقيع في مدحهم.

و روى بسنده عن أبي محمد الرازي قال: كنت و أحمد بن أبي عبد الله بالعسكر - يعنى سامراء - فورد علينا من قبل الرجل - يعنى المهدي (ع) - فقال: أحمد بن إسحاق الأشعري و إبراهيم بن محمد الهمداني و أحمد بن حمزة بن اليسع ثقات<sup>٧٩٤</sup>.

و كان أحمد بن إسحاق هذا، من الخاصة الذين عرض الإمام العسكري (ع) عليهم ولده المهدي (ع)، و أعطاه الاطروحة الكاملة لفكرة الغيبة مع البرهنة على إمكانها و التنظير بحال الأنبياء السابقين.

كما سمعنا فيما سبق.

و كان قد بشره الامام العسكري (ع) بولادة المهدي (ع) إذ أرسل إليه توقيعاً بالخط الذي ترد به التوقيعات يقول فيه: ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا و عن جميع الناس مكتوما. فانا لم نظهر عليه إلا الاقرب لقربته و المولى لولايته. أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به و السلام<sup>٧٩٥</sup>.

و كل ذلك يدل على أنه كان من خاصة الخاصة الموثوقين عند الأئمة المعصومين عليهم السلام. و الاخبار في ذلك كثيرة لا حاجة الى استقصائها في هذا المجال.

ص: ٦١٨

و أما تاريخ ميلاده و وفاته، فلا يكاد يكون معروفاً إلا بمقدار معرفة تواريخ الأئمة (ع) الذين كان معاصراً لهم.

و أما وكالته في عهد الغيبة الصغرى، فهي تثبت برواية الصدوق التي أسلفناها.

محمد بن صالح: بن محمد، الهمداني، الدهقان. من أصحاب العسكري (ع). و كيل الناحية<sup>٧٩٦</sup>. يدل على ذلك ما ذكره الامام المهدي (ع) نفسه في توقيع له لإسحاق بن اسماعيل، يقول فيه: فاذا وردت بغداد، فاقرأه على الدهقان و كيلنا و ثقتنا، و الذي يقبض من موالينا<sup>٧٩٧</sup>.

<sup>٧٩٤</sup> (١) الغيبة ص ٢٥٨.

<sup>٧٩٥</sup> (٢) انظر اكمال الدين (المخطوط).

<sup>٧٩٦</sup> (١) جامع الرواة ج ١ ص ١٣٦.

<sup>٧٩٧</sup> (٢) رجال الكشي ص ٤٨٥.



و قد على آخر عمره<sup>٧٩٨</sup> فأصبح منحرفا، و إنما كان ممدوحا موثوقا قبل انحرافه. و لعله هو المقصود من قول المهدي (ع) في بعض بياناته:

و قد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله و خدمته و طول صحبته؛ فأبدله الله بالأيمان كفرا حين فعل ما فعل. فعاجله الله بالنقمة و لم يمهل<sup>٧٩٩</sup>. أقول: و يحتمل أن يكون المراد من ذلك: عروة بن يحيى الدهقان. و الله العالم.

الشامي: غير معروف النسب، كان من اهل الرى و كان من

ص: ٦١٩

وكلاء القائم.

الأسدي: محمد بن جعفر بن محمد بن عون. الأسدي. الرازي.

كان أحد الابواب<sup>٨٠٠</sup>. يكنى أبا الحسين. له كتاب الرد على اهل الاستطاعة<sup>٨٠١</sup> الكوفي ساكن الرى. يقال له: محمد بن أبى عبد الله. كان ثقة صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء، و كان يقول بالجبر و التشبيه. و كان أبوه وجها. روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى.

و مات ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى سنة اثني عشره و ثلاث مائة<sup>٨٠٢</sup>.

قال الشيخ فى الغيبة: و كان فى زمان السفراء المحموديين أقوام ثقاة ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الاصل.

منهم: أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي رحمه الله.

و روى عن صالح بن أبى صالح. قال: سألتى بعض الناس فى سنة تسعين و مائتين قبض شىء فامتنعت من ذلك، و كتبت - يعنى الى المهدي (ع) - استطلع رأى. فأتاني الجواب: بالرى محمد بن جعفر العربى، فليدفع إليه فانه من ثقاتنا<sup>٨٠٣</sup>.

و قد سبق أن سمعنا الامام المهدي عليه السلام، نصب الاسدى هذا

<sup>٧٩٨</sup> (٣) جامع الرواة ج ١ ص ١٣١.

<sup>٧٩٩</sup> (٤) جامع الرواة ج ٢ ص ٤٤٧. عن السيد النفرى فى ربيع الشيعة.

<sup>٨٠٠</sup> (١) المصدر ص ٨٣.

<sup>٨٠١</sup> (٢) الفهرست للشيخ ص ١٧٩.

<sup>٨٠٢</sup> (٣) رجال النجاشى ص ٢٨٩.

<sup>٨٠٣</sup> (٤) أنظر الغيبة ص ٢٥٧.

ص: ٦٢٠

وكيلا بعد موت حاجز الوشاء<sup>٨٠٤</sup>.

و روى أيضا عن أبي جعفر محمد بن على بن نوبخت، قال:

عزمت على الحج و تأهبت فورد على - يعنى من المهدي (ع) -: نحن لذلك كارهون. فضاقي صدرى و اغتممت و كتبت: أنا مقيم بالسمع و الطاعة. غير أنى مغتم بتخلفى عن الحج. فوقع: لا يضييق صدرك فانك تحج من قابل.

فلما كان من قابل استأذنت. فورد الجواب - يعنى بالإذن بالسفر -.

فكتبت: إنى عادلتم محمد بن العباس و أنا واثق بديانته و صيانتته.

فورد الجواب: الاسدى نعم العديل، فان قدم فلا تختبر عليه. قال:

فقدم الاسدى فعادلته<sup>٨٠٥</sup>.

و مات الاسدى على ظاهر العدالة، لم يتغير و لم يطعن فيه .. فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة و ثلاثمائة<sup>٨٠٦</sup>. اقول: و هذا انسب بحاله مما نقلناه عن النجاشى من كونه كان يقول بالجبر و التشبيه.

و الله العالم.

و كان المعتاد دفع أموال الامام (ع) الى الاسدى ليوصلها إليه، و لو بواسطة السفير، و كان يخرج به الوصول. روى عن محمد بن شاذان النيشابورى. قال: اجتمع عندى خمسمائة درهم ينقص عشرون درهما.

ص: ٦٢١

فلم أحب أن ينقص هذا المقدار، فوزنت من عندى عشرين درهما و دفعتها للأسدى. و لم أكتب بخبر نقصانها و أنى أتممتها بمالى. فورد الجواب - أى من الناحية - قد وصلت الخمسمائة التى لك فيها عشرون<sup>٨٠٧</sup>.

<sup>٨٠٤</sup> (١) المصدر نفسه ص ٢٥٧ أيضا.

<sup>٨٠٥</sup> (٢) المصدر ص ٢٥٧.

<sup>٨٠٦</sup> (٣) المصدر ص ٢٥٨.

<sup>٨٠٧</sup> (١) غيبة الشيخ ص ٢٥٨.

القاسم بن العلاء: من أهل آذربيجان. قال ابن طاوس: انه من وكلاء الناحية<sup>٨٠٨</sup>. يكنى بأبي محمد<sup>٨٠٩</sup>.

روى عنه أنه قال: ولد لى عدة بنين فكنيت أكتب- يعنى إلى الناحية- وأسأل الدعاء لهم. فلا يكتب إلى بشيء من أمرهم. فماتوا كلهم. فلما ولد لى الحسين ابنى كتبت أسأل الدعاء، واجبت وبقى والحمد لله<sup>٨١٠</sup>. وقد أشرنا الى هذه الرواية فى مناسبة سابقة. عمّ مائة و سبع عشر سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين.

لقى الإمام الهادى (ع) و الإمام العسكرى (ع). و أصيب بالعمى بعد الثمانين. و كان مقيما بمدينة الران من ارض آذربيجان. و كان لا تنقطع توقعات مولانا صاحب الزمان إليه، على يد أبى جعفر محمد بن عثمان العمرى و بعده على أبى القاسم بن روح، قدس الله روحهما<sup>٨١١</sup>.

و قد روى الشيخ فى الغيبة و الراوندى فى الخرائج حديثا مطولا

ص: ٦٢٢

يدل على جلالة قدره، يحتوى على عدد من التفاصيل. منها: أن الامام المهدي (ع) زوده قبل موته بسبعة ثياب للتكفين، و أخبره أنه يموت بعد أربعين يوما، فمات فى الموعد المعين.

و منها: أن ابنه كان شاربا للخمر، فتاب عنه فى أيام أبيه الاخيرة. و كان فيما أوصاه: يا بنى إن اهلت لهذا الامر،- يعنى الوكالة لمولانا- فيكون قوتك من نصف ضيعتى المعروفة بفرجيذه. و سائرها ملك مولاي. و أن لم تؤهل له فاطلب خيرك من حيث يتقبل الله.

و قبل الحسن وصيته على ذلك.

و منها: أن الامام المهدي (ع) أرسل إلى ابنه كتاب تعزية على أبيه فى آخره دعاء: ألهمك الله طاعته و جنبك معصيته. و هو الدعاء الذى كان دعا به أبوه. و كان آخره: قد جعلنا إياك إماما لك و فعاله لك مثالا<sup>٨١٢</sup>. فنجد أن الامام (ع) قد جعل هذا الشخص الجليل قدوة لولده و مثالا، لمكان تقواه و إخلاصه. و لم تنتقل الوكالة إلى الابن ليأكل من تلك الضيعة بحسب وصية أبيه، فانه كان منوطا بجعله وكيلا، و إلا فعليه أن يطلب المال من حيث يتقبل الله.

<sup>٨٠٨</sup> (٢) جامع الرواة ج ٢ ص ١٩.

<sup>٨٠٩</sup> (٣) المصدر و الصفحة.

<sup>٨١٠</sup> (٤) الارشاد ص ٣٣١.

<sup>٨١١</sup> (٥) انظر غيبة الشيخ الطوسى ص ١٨٨ و ما بعدها و الخرائج ص ٦٩.

<sup>٨١٢</sup> (١) انظر الغيبة ص ١٩٢ و الخرائج ص ٦٨.

و قد خرج إلى القاسم بن العلاء، توقيعان من لعن بعض المنحرفين كأحمد بن هلال<sup>٨١٣</sup>.

محمد بن شاذان: بن نعيم النعيمي النيشابوري. عده ابن طاوس

ص: ٦٢٣

من وكلاء الناحية، و ممن وقف على معجزات صاحب الزمان وراه عليه السلام<sup>٨١٤</sup>.

و قد أخرج الصدوق في اكمال الدين<sup>٨١٥</sup> عنه حديثا مطولا حول الاجتماع بالمهدي (ع). إلا أن الظاهر، على تشويش في عبارة الحديث أن الذي اجتمع به عليه السلام ليس هو محمد بن شاذان بل غانم أبو سعيد الهندي الذي كان جديدا للإسلام و باحثا عن الحق.

و في توقيع صادر عن الامام المهدي (ع): و اما محمد بن شاذان بن نعيم، فانه رجل من شيعتنا أهل البيت<sup>٨١٦</sup>.

فهؤلاء اثني عشر من السفراء و الوكلاء عن الامام المهدي عليه السلام. عدهم الصدوق في روايته. و نضيف إلى ذلك جماعة. هم:

ابراهيم بن مهزيار أبو إسحاق الاهوازي<sup>٨١٧</sup>. والد محمد بن ابراهيم بن مهزيار. و قد سمعنا قول المهدي (ع) في توقيعه لمحمد بن ابراهيم:

قد أقمتك مقام أبيك فاحمد الله. و هو دال على أن اباه كان وكيلا للناحية أيضا.

روى عن ولده محمد بن ابراهيم أنه قال: أن أبي لما حضرته الوفاة دفع إلى مالا و أعطاني علامة. و لم يعلم بتلك العلامة أحد إلا الله عز و جل. و قال: من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال. قال: فخرجت

ص: ٦٢٤

إلى بغداد و نزلت في خان. فلما كان في اليوم الثاني إذ جاء شيخ و دق الباب. فقلت للغلام: أنظر من هذا؟ فقال: شيخ بالباب. فقلت:

<sup>٨١٣</sup> (٢) رجال الكشي ص ٤٤٩.

<sup>٨١٤</sup> (١) جامع الرواة ج ٢ ص ١٣٠.

<sup>٨١٥</sup> (٢) انظر المخطوط.

<sup>٨١٦</sup> (٣) اعلام الوری ص ٤٢٤.

<sup>٨١٧</sup> (٤) رجال التجاشي ص ٤٤٤٣.

أدخل. فدخل و جلس. فقال: أنا العمري. هات المال الذى عندك و هو كذا و كذا و معه العلامة. قال: فدفعت إليه المال<sup>٨١٨</sup>.

فوجود أموال الامام عند ابراهيم بن مهزيار و معرفته بالعلامة السرية التى لا يعلم بها إلا الشيخ العمري السفير عن المهدي (ع) بتعليم منه عليه السلام. يدل على أن ابراهيم هذا كان وكيلا عن الناحية المقدسة.

و قد عده ابن طاوس من سفراء الصاحب و الأبواب المعروفين الذين لا يختلف الاثنا عشرية فيهم<sup>٨١٩</sup>. له كتاب البشارات<sup>٨٢٠</sup>.

محمد بن حفص: بن عمرو، أبو جعفر. أبوه يدعى بالعمري و الجمال، و كان وكيلا لابي محمد العسكري عليه السلام<sup>٨٢١</sup>. و كان وكيلا الناحية، و كان الأمر يدور عليه<sup>٨٢٢</sup>. مما يدل على أنه كان له نشاط متزايد بهذا الأمر.

الحسين بن على بن سفيان: بن خالد بن سفيان. أبو عبد الله البزوفري.

ص: ٦٢٥

شيخ جليل من أصحابنا. له كتب<sup>٨٢٣</sup>. روى الشيخ فى الغيبة عن بعض العلويين سماه. قال: كنت بمدينة قم فجرى بين اخواننا كلام فى أمر رجل أنكر ولده. فأنفذوا إلى الشيخ<sup>٨٢٤</sup> - صانه الله - و كنت حاضرا عنده - أيده الله - فدفعت إليه الكتاب فلم يقرأه، و أمره أن يذهب إلى أبي عبد الله البزوفري - أعزه الله - ليحجبه عن الكتاب.

فصار إليه، و أنا حاضر. فقال أبو عبد الله: الولد ولده و واقعها فى يوم كذا و كذا فى موضع كذا و كذا. فقل له فليجعل اسمه محمدا. فرجع الرسول إلى البلد و عرفهم، و وضح عندهم القول. و ولد الولد و سمي محمدا<sup>٨٢٥</sup>.

و قد نقلنا مضمون هذا الخبر فيما سبق. و هو يدل بوضوح على استقاء هذه المعلومات من الامام المهدي (ع) و لو بالواسطة. فيدل على انه كان وكيلا فى الجملة. و من هنا قال المجلسي فى البحار تعليقا على هذا الخبر: يظهر منه أن البزوفري كان من السفراء. و لم ينقل. و يمكن أن يكون وصل ذلك إليه بتوسط السفراء أو بدون توسطهم فى خصوص الواقعة<sup>٨٢٦</sup>.

<sup>٨١٨</sup> (١) رجال الكشي ص ٤٤٧.

<sup>٨١٩</sup> (٢) جامع الرواة ج ١ ص ٣٥.

<sup>٨٢٠</sup> (٣) رجال النجاشي ص ١٣.

<sup>٨٢١</sup> (٤) جامع الرواة ج ٢ ص ٢٦٢. و انظر الكشي ص ٤٤٧.

<sup>٨٢٢</sup> (٥) انظر رجال الكشي. نفس الصفحة.

<sup>٨٢٣</sup> (١) انظر ما فى رجال النجاشي ص ٥٣ و ما بعدها.

<sup>٨٢٤</sup> (٢) هو احد السفراء: الثانى او الثالث.

<sup>٨٢٥</sup> (٣) انظر ص ١٨٧.

<sup>٨٢٦</sup> (٤) انظر ج ١٣ ص ٨٦.

الحسين بن روح: بن أبي بحر النوبختي. و هو السفير الثالث للامام

ص: ٦٢٤

المهدى عليه السلام. إلا أنه أبان سفارة سلفه الشيخ محمد بن عثمان العمري، كان وكيلا له، ينظر في أملاكه، و يلقي بأسراره لرؤساء الشيعة. و كان خصيصا به، فحصل في أنفس الشيعة محصلا جليلا لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر و توثيقه عندهم، و نشر فضله و دينه و ما كان يحتمله من هذا الأمر. فمهدت له الحال في طول حياة أبي جعفر إلى أن انتهت الوصية بالنص عليه. فلم يختلف في أمره، و لم يشك فيه أحد<sup>٨٢٧</sup>.

و أصبح العمري قبل موته بسنتين أو ثلاث يحول عليه أموال الامام عليه السلام. لكي يعود الرأي العام و يهيء الجو بالرجوع إليه حين تؤول السفارة إليه. كما سبق ان عرفنا.

و من هنا أمكن أن يعد الشيخ ابن روح في السفراء تارة، و في الوكلاء، أخرى، رضى الله عنه و أرضاه.

ابراهيم بن محمد الهمداني: وكيل الناحية. كان حج أربعين حجة<sup>٨٢٨</sup>.

كان معاصرا للإمام الجواد عليه السلام، و قد كتب له نجطة: و عجل الله نصرتك ممن ظلمك و كفاك مؤنته، و أبشرك بنصر الله عاجلا و بالأجر آجلا. و أكثر من حمد الله.

و روى عنه أنه قال: و كتب إلي: و قد وصل الحساب تقبل الله منك و رضى عنهم و جعلهم معنا في الدنيا و الآخرة .. و قد كتبت إلى النضر، أمرته أن ينتهي عنك و عن التعرض لك و لخلافك، و أعلمته

ص: ٦٢٧

موضعك عندي. و كتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضا. و كتبت إلى موالى. بهمدان كتابا أمرتهم بطاعتك و المصير إلى أمرك. و ان لا وكيل لي سواك<sup>٨٢٩</sup>.

و هذا الخطاب إليه من الامام عليه السلام يدل على جلالة قدره و نفوذ حكمه، و وكالته. إلا أن الامام الذى صدر عنه هذا الخطاب غير المذكور؛ و لعل ظاهر السياق من عبارة المصدر كونه الامام الجواد عليه السلام لا الحجة المهدى عليه السلام.

<sup>٨٢٧</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٢٧.

<sup>٨٢٨</sup> (٢) جامع الرواة ج ١ ص ٣٢.

<sup>٨٢٩</sup> (١) رجال الكشي ص ٥٠٨ و ما بعدها

نعم، ورد توثيقه عن الامام المهدي (ع) مبتدئاً بذلك من دون سبق سؤال<sup>٨٣٠</sup>. والمراد بذلك توكيله وارجاع الناس إليه لا محالة، وهو إذ ذاك من شيوخ الطائفة ومبرزيها الذين لهم قدم في مدح الأئمة السابقين لهم.

أحمد بن اليسع: بن عبد الله القمي. روى أبوه عن الرضا عليه السلام. ثقة ثقة. له كتاب نوادر<sup>٨٣١</sup>.

وقد ورد توثيقه عن الامام المهدي عليه السلام<sup>٨٣٢</sup>. وهو يدل في الجملة على توكيله والاذن برجوع الناس إليه، كما أسلفنا.

أيوب بن نوح: بن دراج النخعي، أبو الحسين. كان وكيلاً لابي الحسن - الهادي (ع) - وأبي محمد - العسكري (ع) -، عظيم المنزلة

ص: ٦٢٨

عندهما، مأمونا. وكان شديد الورع كثير العبادة، ثقة في رواياته.

وأبوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة، وكان صحيح الاعتقاد. له كتاب نوادر<sup>٨٣٣</sup>. وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث - الهادي - عليه السلام<sup>٨٣٤</sup>.

روى الشيخ عن عمر بن سعيد المدائني، قال: كنت عند ابي الحسن العسكري عليه السلام بصرياً، إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه، فأمره بشيء ثم انصرف. والتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام.

وقال: يا عمر ان احببت ان تنظر إلى رجل من أهل الجنة، فانظر إلى هذا<sup>٨٣٥</sup>.

إذن فهو جليل المقام مقرب للأئمة عليهم السلام، و وكيل للامام الهادي عليه السلام. واما وكالته عن الامام المهدي، فلا يدل عليه إلا توثيقه الذي ورد في التوقيع الصادر عنه عليه السلام<sup>٨٣٦</sup>. وهو كما قلنا يدل في الجملة على توكيله، والاذن برجوع الناس إليه.

فهؤلاء طائفة ممن اضطلعوا بمهمة الوكالة عن الامام المهدي (ع) في غيبته الصغرى، لتكميل و توسيع عمل السفراء الاربعة في مختلف البلدان الإسلامية.

---

<sup>٨٣٠</sup> (٢) انظر رجال الكشي ص ٤٦٧ و الغيبة ص ٢٥٨.

<sup>٨٣١</sup> (٣) رجال النجاشي ص ٧١.

<sup>٨٣٢</sup> (٤) انظر رجال الكشي ص ٤٦٧ و الغيبة ص ٢٥٨.

<sup>٨٣٣</sup> (١) رجال النجاشي ص ٨٠.

<sup>٨٣٤</sup> (٢) الفهرست للشيخ ص ٤٠.

<sup>٨٣٥</sup> (٣) الغيبة للشيخ ص ٢١٢.

<sup>٨٣٦</sup> (٤) رجال الكشي ص ٤٦٧.

وقد اتضح من ذلك أن الوكيل لا يكون عاملاً بين يدي السفير ولا يحق له قبض الأموال ولا اخراج التوقيعات، إلا باذن الإمام المهدي (ع) نفسه، وليس للسفير أن يستقل عنه في الايكال إلى أى شخص كان.

ويظهر من بعض الأخبار أن فكرة الوكالة، و تعدد الوكلاء، كانت نافذة المفعول منذ السنوات الأولى للغيبة الصغرى، و منذ أوائل وجود السفارة.

فقد سمعنا فيما سبق أنه بلغ خير الوكلاء إلى عبد الله بن سليمان الوزير فحاول القبض عليهم بحيلة معينة، فكان تخطيط الامام المهدي حائلاً له عن بلوغ غرضه و نجاح خطته. فإذا علمنا ان عبد الله بن سليمان هذا- كما تسميه مصادرنا- هو عبيد الله بن سليمان بن وهب، الذى وزر للمعتضد أول خلافته<sup>٨٣٧</sup>، و ليس فى فترة الغيبة الصغرى وزير يكون ابن سليمان غيره. و عرفنا ان المعتضد تولى الخلافة عام ٢٧٩. فيكون هذا الوزير قد تولى وزارته فى نفس العام لا محالة. و هو يصادف الاعوام الأولى لتولى الشيخ محمد بن عثمان العمري السفير الثانى لمهام سفارته.

و ظاهر الخبر الذى سمعناه، و الذى رواه الطبرسى<sup>٨٣٨</sup> كون نظام الوكلاء لم يكن جديداً حادثاً فى ذلك العام. و انما كان التغيرات السلطات إليه جديداً. إذن فهو موجود منذ الاعوام الأولى للغيبة الصغرى، و قد

كان خفياً على السلطات بفعل سرية الشديدة من ناحية، و انشغال الدولة بقتال صاحب الزنج من ناحية أخرى. ذلك القتال الذى لم تنفس منه الدولة الصعداء إلا فى مبدأ خلافة المعتضد.

### الحقل السابع اعلانه انتهاء السفارة و بدء الغيبة الكبرى

و هو آخر جزء من التخطيط العام الذى سار عليه الأئمة عليهم السلام و أصحابهم للوصول الى الغيبة الكبرى، ليكون الامام المهدي (ع) مذخوراً لليوم الموعود.

و قد كانت الغيبة الصغرى كافية لاثبات وجود المهدي (ع) بما يصل الى الناس عن طريق سفرائه و غيرهم على البيئات و البيئات. كما أوجبت بكل وضوح أن يعتاد الناس على غيبة الامام و يسيغون فكرة اختفائه؛ بعد أن كانوا يعاصرون عهد ظهور الأئمة، و امكان الوصول الى مقابلة الامام.

<sup>٨٣٧</sup> (١) انظر مروج الذهب ج ٤ ص ١٤٥ و الكامل ج ٦ ص ٧٣.

<sup>٨٣٨</sup> (٢) اعلام الورى ص ٤٢١.



و قد رأينا كيف أن الامام المهدي (ع) كان متدرجا في الاحتجاب فهو أقل احتجابا في أول هذه الفترة. و كلما مشى بها الزمان زاد احتجاب، حتى لا يكاد ينقل عنه المشاهدة في زمن السفير الرابع لغير السفير نفسه.

و حينما كانت هذه الفترة مشاركة على الانتهاء، كان الجيل المعاصر

ص: ٦٣١

لزمان ظهور الأئمة (ع) قد انتهى. و بدأ أجيال جديدة الى الوجود قد اعتادت غيبة الامام (ع) و فكرة القيادة وراء حجاب، و أصبحت معدة ذهنيا بشكل كامل لتقبل فكرة انقطاع السفارة أساسا و احتجاب الامام عن قواعده الشعبية تماما.

و هذا هو الذي يفسر لنا السبب الرئيسي الاول من أسباب ثلاثة لانتهاء السفارة و الغيبة الصغرى، نلخصها فيما يلي:

السبب الاول: استيفاء الغيبة الصغرى لأغراضها. و هو واضح بعد الذي ذكرناه من كون الغرض الأساسي هو تهيئة الذهنية العامة لغيبة الامام (ع)، و هو مما قد حصل بالفعل خلال هذه الفترة .. فانها فترة كافية لحصول ذلك، و خاصة بعد أن تزايد احتجاب الامام بالتدريج حتى انحصرت رؤيته بشخص واحد هو السفير نفسه، و لم يبق بعد ذلك الا أن يحتجب الامام (ع) عن كل أحد على الاطلاق.

السبب الثاني: ما ذكرناه في ترجمة السفير الرابع، و كنا قد حملنا قبل ذلك فكرة تفصيلية عن مناشئه و أسبابه. و هو صعوبة الزمان و ازدياد المطاردة و المراقبة من قبل الجهاز الحاكم و من إليه، للقواعد الشعبية الموالية للإمام المهدي (ع) بل لكبرائهم و علمائهم؛ و لم ينج من هذا الضيق حتى السفير نفسه، الى حد لم يستطع السفير الرابع أن يقوم بعمل اجتماعي ذي بال، و لم يرو لنا من أعماله إلا ما هو قليل و بسيط.

و لم يكن من المتوقع زوال ذلك الحال في زمان قريب، و في عدد

ص: ٦٣٢

من السنين قليل. لأن كيان الدولة و أساس الخلافة قائم على ذلك.

و خط الأئمة (ع) و أصحابهم يمثل على طول الخط المعارضة الصامدة الواعية ضد الحكام و اتحاد الظلم السارى في المجتمع.

إذن فلو وجد سفير جديد، فاما أن يكون عارفا بموقفه شاعرا بمسئوليته عازما على العمل المخلص في سبيل خطه، و إما أن لا يكون.

فان لم يكن كذلك، فهو غير صالح للسفارة سلفا. و إن كان كذلك لم يستطع العمل، و لم يكن حاله بأحسن من حال السفير الرابع إن لم يكن أسوأ و أردأ. و لو أراد السفير أن يضحى تضحية كبيرة لينجز عملا كبيرا، لكان بذلك خارجا على السرية و التكنم المطلوبة من السفير.

إذن فكل سفير جديد يعين، لا بد أن يفشل في مهمته جزماً بالنظر الى ظروف المجتمع في ذلك الحين. و معه لا داعى الى استمرار السفارة، بل لا بد من رفع اليد عنها، و الوصول الى نهايتها.

السبب الثالث: عدم إمكان المحافظة على السرية الملتزمة في خط السفارة، لو طال بها الزمان أكثر من ذلك، و انكشاف أمرها شيئاً فشيئاً.

و هذا واضح جداً في التسلسل الطبيعي لتطور الحوادث، فانه صار عزم الامام المهدي (ع) أن يديم أحد السفارة و يسلسلها بين لأشخاص على مدى الزمان، فان ذلك سوف ينتج حتماً انكشاف أمر سفارة و السفير، و اشتهاً ذكرهما في المجتمع على لسان المؤمن

ص: ٦٣٣

و المنحرف و الحكام و المحكومين. مهما حاول السفير أن يخفى أمره و يستر عمله. نعم! إذا تسلسلت السفارة بين الاشخاص من دون القيام بأى عمل، أمكن الإخفاء التام إلا أن هذا خلاف الهدف من السفارة و المطلوب من السفير.

و لئن استطاع السفراء أن يخفوا سفارتهم لمدة سبعين عاماً، فانه لن يكون ذلك مستطاعاً الى الأبد. و سوف ينكشف - بحسب طبيعة الأشياء - أمر السفير. و معه يتعذر عليه العمل، إن لم يؤد به الى التنكيل به تحت سياط السلطات، و قد يؤدى الى جعل المهدي (ع) نفسه في مورد الخطر.

إذن فلا بد من قطع السفارة، تلافياً لما قد يحدث من مضاعفات.

فلكل هذه الاسباب، و لأسباب أخرى يضيق المجال عن ذكرها أعلن الامام المهدي عليه السلام، في توقيعه الذي أصدره إلى السفير الرابع قبل موته، انتهاء عهد السفارة و انقطاع الغيبة الصغرى و صلة الناس بامامهم و قائدهم. و بدأ الغيبة الكبرى حتى يأذن الله تعالى في اليوم الموعود الذي يتحقق به الغد الاسلامى الكبير.

و قد سمعنا نص البيان عند التعرض الى ترجمة السفير الرابع الشيخ السمرى؛ و لكن ينبغي أن نستذكره هنا، لنستطيع أن نستلهم منه أموراً جديدة:

قال الامام المهدي (ع) فى توقيعه: بسم الله الرحمن الرحيم. يا على ابن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك. فانك ميت ما بينك

ص: ٦٣٤

و بين ستة أيام؛ فاجمع أمرك و لا توص الى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك. فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره. و ذلك بعد طول الامد و قسوة القلوب و امتلاء الارض جوراً.

و سيأتى لشييعتى من يدعى المشاهدة، إلا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى و الصيحة، فهو كذاب مفتر، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فترى الامام المهدي (ع) قد أكد فى هذا البيان على امور:

الأمر الاول: اخباره بموت الشيخ السمرى فى غضون ستة أيام.

و هو من الاخبار بالغيب الذى نقول بإمكانه للامام، كما سبق أن قلنا.

و لم يشك أحد يومئذ فى صدق هذا الخبر، و قد غدا عليه اصحابه بعد ستة أيام فوجدوه محتضرا بوجود نفسه، كما سمعنا فيما سبق.

الامر الثانى: نهيته عن أن يوصى الى أحد، ليقوم مقامه و يضطلع بمهام السفارة بعد وفاته، و بذلك يكون هو آخر السفراء، و لا سفير بعده، و يكون خط السفارة قد انقطع. و عهد الغيبة الصغرى قد انتهى.

الأمر الثالث: أنه لا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره. و هذا معناه الاغماض فى تاريخ الظهور، و ايكال علمه إلى الله وحده و ارتباطه باذنه عز و جل.

ولهذا الاغماض عدة فوائد، أهمها اثنان:

الأولى: بقاء قواعد الشعبية منتظرة له فى كل حين، متوقعة ظهوره فى أى يوم. و هذا الشعور إذا وجد لدى الفرد فانه يحمله على

ص: ٦٣٥

السلوك الصالح و تقويم النفس و دراسة واقعة المعاش و معرفة تفاصيل دينه جهد الامكان. ليحظى فى لحظة الظهور بالزلفى لدى المهدي (ع) و القرب منه، و لا يكون من المغضوب عليهم لديه، أو المبعدين عن شرف ساحته.

بل ان الفرد ليشعر، و هو فى حالة انتظار امامه فى أى يوم، ان انحرافه و فسقه قد يؤدى به إلى الهلاك، و الإبعاد كلياً عن العدل الإسلامى العظيم الذى يسود العالم تحت قيادة الإمام المهدي عليه السلام.

فإن الإمام المهدي (ع) بعد ظهوره سوف يكون حدياً فى تطبيق العدل الإسلامى، و سيذيق كل منحرف عقائدياً أو سلوكياً أشد الوبال، فانه لا مكان للانحراف فى مجتمع العدل المطلق.

الثانية حماية المهدي (ع) من أعدائه بعد ظهوره. فان الاغماض فى التاريخ يوفر محض المفاجئة و المباغتة للعدو على حين غرة منه، و هو من أقوى عناصر النصر و أسبابه، ان لم يكن أهمها و أقواها على الاطلاق، على حين لو كان الموعد معيناً لكان بإمكان

الأعداء أن يجمعوا أمرهم و يهيئوا أسلحتهم، قبيل الموعد المحدد حتى إذا ما آن أوان ظهوره قاتلوه و استأصلوه قبل أن يفهم به الناس، و يجتمع حوله الأعوان.

لا يفرق في أعداء المهدي (ع) بين من يعتقد بظهوره و بين من لا يعتقد. فان الموعد لو كان محددًا طيلة هذا الزمان لكان أمرا مشهورا و لا وجد في أذهان الأعداء احتمالا على الأقل بظهوره، و هو مساوق مع احتمال استئصال الأعداء و اجتثاثهم، و هذا بنفسه يكفي للتألب عليه

ص: ٦٣٦

و اعلان التعبئة العامة و حالة الطوارئ ضد الامام المهدي.

إذن فاللازم لهذه المصالح و غيرها، بقاء الموعد غامضا مجهولا منوطا باذن الله عز و جل و علمه وحده.

الأمر الرابع: الإشارة إلى ان أمد الغيبة التامة الكبرى سوف يكون طويلا مديدا.

و انما ينص المهدي (ع) على ذلك ليجعل الفرد المؤمن من قواعده الشعبية، مسبقا ذهنيا بطول الغيبة و متوقعا لتماديها، فلا يأخذ اليأس أو يتلبسه الشك مهما طالت أو تمادت، و ان أصبحت آلاف السنين.

فانه ما دام عارفا بأنها ستطول و انها منوطة باذن الله عز و جل عند تحقق المصلحة للظهور و تهيئ البشرية لتلقى الدعوة الإسلامية الكبرى.

فان الفرد يعرف عند تأخر الظهور أن المصلحة بعد لم تتحقق، و ان الاذن الإلهي لم يصدر.

و هذا السبق الذهني، يعنى احتمال طول المدة، و هو لا ينافى حال الانتظار و توقع الظهور في كل يوم و كل شهر و كل عام. فان طول الأمد الموعود به في كلام المهدي عليه السلام، لفظ عام ينطبق على السنين القليلة و على السنين الطويلة. بل لو كان الامام المهدي (ع) قد ظهر بعد الغيبة الصغرى بقليل لكان قد ظهر بعد طول الأمد، لان السبعين عاما مع الشعور بالظلم و حالة الانتظار تكون أمدا طويلا بحسب الجو النفسى للفرد و المجتمع لا محالة.

هذا، فضلا عما إذا تأخر الامام المهدي (ع) في ظهوره. عشرات

ص: ٦٣٧

السنين أو مئاتها- كما حدث بالفعل- أو آلافها. فان طول الامد يكون قد تحقق بأوضح صورة و اصعب انجائه. و معه يكون الفرد متوقعا انتهاء هذا الامد الطويل في كل ساعة و في كل يوم، و صدور الاذن الإلهي بالظهور.

الأمر الخامس: الإشارة إلى قسوة القلوب. و المراد به ضعف الدافع الإيماني، و الشعور بالمسؤولية، و المشاركة على الانحراف، بل سقوط أغلب أفراد المجتمع المسلم به.

و ذلك لان الفرد يواجه امتحانا إلهيا صعبا خلال الغيبة الكبرى من جهات ثلاث، يكون عليه أن يخرج منه ناجحا ظافرا. و الخروج منه بنجاح يحتاج إلى عمق في الإيمان و الإخلاص و الإرادة لا يتوفر إلا في القليل من الأفراد.

الجهة الأولى: موقف الفرد تجاه شهوات نفسه و نوازعه الغريزية التي تتطلب الاشباع بأي شكل و حال. و كما قالوا، ان الغرائز لا عقل لها. فعلى الفرد أن يلاحظ ذلك فيكفكف من غلواء شهواته و يزرعها بعقله و إيمانه عن الحرام إلى الحلال.

الجهة الثانية: موقف الفرد تجاه الضغط الخارجى الذى يعيشه و ما يتطلبه من تضحيات فى سبيل دينه و إيمانه، ضد الفقر و المرض و السلاح و الحرج الاجتماعى، و نحو ذلك من المصاعب التي تصادف الفرد فى طريقه الإيماني الطويل.

فإن كان الفرد شاعرا بالمسؤولية قوى الإرادة استطاع تذليل هذه

ص: ٦٣٨

الصعوبة و التضحية فى سبيل الإيمان. و اما إذا لم يكن قوى الارادة و كان غير شاعر بالمسؤولية، فانه سوف يعطى الدنية من نفسه بقليل أو بكثير، و يتعرض للانحراف فى كثير من مناطق طريقه الطويل.

الجهة الثالثة: موقف الفرد تجاه الاعتقاد بوجود امامه الغائب و قائده المحتجب؛ فانه بعد ان عرفه بالدليل القطعى، لا ينبغي أن تتبسطه الشكوك و لا ان تزغزعه الأوهام، و لا أن يؤثر فى زحزحة اعتقاده طول الأمد.

فإذا كان الفرد ناجحا من سائر الجهات، كان من الأقلين عددا المرتفعين شأنًا، الواعين لدينهم، و سوف لن يبتلى بقسوة القلب التي أشار لها المهدي (ع) فى كلامه. تلك القسوة التي يبتلى بها الأكثرون الذين لا يكونون على المستوى المطلوب من الايمان و الاخلاص.

الأمر السادس: الاشارة إلى امتلاء الأرض جورا.

و فيه تطبيق واضح للكلام النبوى الشريف القائل بأن المهدي يظهر فيملاً الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا. و هو الحديث المستفيض الذى رواه عدد من علماء الإسلام و المحدثين العظام من مختلف المذاهب.

و السر فى امتلاء الأرض بالظلم و الجور، واضح بعد الذى قدمناه فى الأمر السابق، من فشل أكثر البشر فى الامتحان الإلهي خلال الغيبة الكبرى. و سيطرة المادة و اشباع الشهوات عليهم و ضعف الوازع الدينى و الاخلاقى إلى حد كبير. جدا فى المسلمين. اما غير المسلمين

ص: ٦٣٩

فحدث عنهم ولا حرج من حيث إنكارهم لاصل الدين الاسلامى و أساس التوحيد. و من حيث موقفهم المخرب تجاه الاسلام و المسلمين، ذلك الموقف الذى ذاق منه المسلمون خلال التاريخ أشد العذاب و التنكيل.

فإذا لم يكن لدى الدين الحق، قائد عظيم كالامام المهدي عليه السلام، لكونه غائباً غير مواجه للمجتمع بصفته الحقيقية، ليجمع شمل الدين و يلم شعته و يرأب صدعه و يدفع عدوه؛ فان الغلبة تكون لا محالة للسلح الأقوى و العدد الاكبر، و هو جيش الكفر من ناحية و جيش الشهوات و الانحراف من ناحية أخرى. فتمتلئ الأرض جوراً و ظلماً بطبيعة الحال، و سيأتى فى بحوثنا عن الغيبة الكبرى<sup>٨٣٩</sup> مزيد توضيح لذلك.

الأمر السابع: من الأمور التى يشير إليها المهدي عليه السلام فى التوقيع: اثبات حدوث السفينانى و الصيحة، و انه أمر حق لا محيص عنه قبيل خروج المهدي (ع) و ظهوره.

و هذا ما نطقت به كثير من الاخبار، رواها محدثوا كلا الفريقين.

و لا يبعد أن تكون أخبار السفينانى متواترة أو قريبة من التواتر.

و سنعرض إلى ذلك و إلى مغزاها الاجتماعى و أسبابها و نتائجها، فى التاريخ القادم عن الغيبة الكبرى ان شاء الله تعالى.

الامر الثامن: ان من ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى و الصيحة فهو مفتر كذاب.

و هو واضح فى مدلوله. فان المراد بيان احتجاج الامام المهدي (ع)

ص: ٦٤٠

عن الناس حتى زمان تحقق هاتين العلامتين. فمن الواجب تكذيب كل من ادعى رؤية المهدي (ع) قبل تحقق ذلك. و انما يفتح المجال لاحتمال صدقه بعد تحقق العلامتين، بمعنى أن ذلك الحين هو موعد الظهور. فمن ادعى رؤية المهدي (ع) يومئذ فهو صادق أو محتمل الصدق على الاقل. و اما قبل ذلك فلا.

و قد اصطدم ذلك- فى نظر عدد من العلماء- بالاخبار القطعية المتواترة التى وردتنا عن مقابلة الكثيرين للامام المهدي عليه السلام خلال غيبته الكبرى، من بعد صدور هذا البيان الذى سمعناه إلى الآن، بنحو لا يمكن الطعن فيه أو احتمال الخلاف. و مقتضاها لزوم تصديق المخبرين فى الجملة، مع ان هذا التوقيع المهدوى يوجب علينا تكذيبه. فكيف يتم ذلك، و ما هو وجه الجمع بينه و بين تلك الاخبار.

و ما قيل أو يمكن أن يقال من وجوه الجمع- لو حصلت المعارضة- عدة وجوه:

<sup>٨٣٩</sup> (١) فى الكتاب الثانى من هذه الموسوعة.

الوجه الاول: الطعن فى سند التوقيع الشريف و رواته. حيث قالوا: انه خبر واحد مرسل ضعيف، لم يعمل به ناقله و هو الشيخ فى الكتاب المذكور، و اعرض الاصحاب عنه. فلا يعارض تلك الوقائع و القصص التى يحصل القطع عن مجموعها بل من بعضها المتضمن لكرامات و مفاخر لا يمكن صدورها عن غيره عليه السلام<sup>٨٤٠</sup>.

إلا أن هذا الوجه لا يمكن قبوله:

ص: ٦٤١

اما كونه خبر واحد فهو ليس نقصا فيه، لما ثبت فى علم أصول الفقه من حجية خبر الواحد الثقة. و اما القول بعدم حجيته فهو شاذ لا يقول به إلا القليل النادر من العلماء.

و اما كونه خبرا مرسلا، فهو غير صحيح، إذ رواه الشيخ فى الغيبة<sup>٨٤١</sup> فقال: أخبرنا جماعة عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه قال حدثنى أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب. قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمد السمرى قدس سره. إلى آخر الخبر. كما رواه الصدوق ابن بابويه فى اكمال الدين عن أبو محمد المكتب نفسه، فأين الإرسال؟. و الزمن بحسب العادة مناسب مع وجود الوسطة الواحدة.

و اما كونه ضعيفا، فهو على تقدير تسليمه، يكفى للاثبات التاريخى، كما قلنا فى مقدمة هذا التاريخ، و ان لم يكن كافيا لاثبات الحكم الشرعى، كما حقق فى محله.

و اما إعراض الشيخ الطوسى و الاصحاب عن العمل به، فإنما تخيَّلته صاحب الاشكال باعتبار إثبات الشيخ و غيره رؤية الامام المهدي (ع) فى غيبته الكبرى. و هذا مما لا شك فيه، إلا أنه إنما يصلح دليلا على اعراضهم لو كانت هناك معارضة و منافات بين التوقيع و اثبات الرؤية و اما مع عدم المعارضة - على ما سيأتى - فيمكن أن يكون العلماء:

الشيخ الطوسى و غيره قد التزموا بكلا الناحيتين، من دون تكاذب

ص: ٦٤٢

بينهما. و معه لا دليل على هذا الاعراض منهم.

على ان الاعراض لو كان حاصلًا لما أضر بحجية الحديث، لما هو الثابت المحقق فى علم الاصول، بان اعراض العلماء عن الرواية لا يوجب و هنا فى الرواية سندا و لا دلالة.

<sup>٨٤٠</sup> (١) منتخب الأثير ص ٤٠.

<sup>٨٤١</sup> (١) منتخب الأثر ص ٣٩٩ و غيبة الشيخ ص ٢٤٢

الوجه الثاني: الطعن في الاخبار الناقلة لمشاهدة الامام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى سندا، أى من ناحية روايتها، و الشطب عليها جملة و تفصيلا. كما قد يميل إليه المفكرين المحدثين.

إلا أن هذا مما لا سبيل إلى تصديقه. فإنها طائفة ضخمة من الاخبار قد يصل عددها إلى عدة مئات. على ان بعضها روى بطرق معتبرة و قريية الاسناد فلا يمكن رفضها بحال. و هذا كله واضح لمن استقرأ تلك الاخبار و عاش أجواءها. و سيأتى الكلام عنها فى التاريخ القادم عن الغيبة الكبرى إن شاء الله تعالى.

الوجه الثالث: الطعن فى الاخبار الناقلة للمشاهدة، بحسب الدلالة و المضمون. بأحد نحوين:

النحو الأول: ان تحمل هذه الاخبار على الوهم، و ان هؤلاء الذين زعموا أنهم رأوا و سمعوا .. لم يرو و لم يسمعوا. و إنما كان كلامهم كذبا متعمدا أو اضغاث أحلام و لو من قبيل أحلام اليقظة. و هذا هو الوجه الذى قد يميل إليه المفكرون المتأثرون بالمبادئ المادية الحديثة.

إلا أن هذا أيضا مما لا يمكن الاعتراف به. فان كثرتها مانعة عن كلا الأمرين: اما تعمد الكذب فهو مما ينفيه التواتر، فضلا عما زاد عن

ص: ٤٤٣

ذلك بكثير. مضافا إلى وثاقة و تقوى عدد مهم من الناقلين، و عدم احتمال تعمدهم للكذب أساسا.

و اما كونها من قبيل الأوهام و الأحلام، فهو مما ينفيه تكاثر النقل أيضا، بل يجعل الاعتراف به فى عداد المستحيل. و تستطيع أن تجد أثر ذلك فى نفسك. فلو أخبرك واحد لكان احتمال الوهم موجودا و ان كان موهونا، إلا أنه لو أخبرك ثلاثة أو أربعة بحادثة معينة لحصل لك الاطمئنان أو العلم بصدق الخبر و حصول الحادثة، فضلا عما إذا أخبرك بها عشرة، فكيف إذا أخبرك به العشرات بل المئات. و هل تستطيع أن تحملهم كلهم على الوهم أو أحلام اليقظة، إلا إذا كنت تعبش الوهم أو أحلام اليقظة.

النحو الثاني: أن يقول قائل: ان الناقلين للمشاهدة و ان كانوا صادقين و غير واهمين، فانهم قد عاشوا حادثة حسية معينة. إلا أنهم فى الحقيقة، لم يشاهدوا المهدي (ع)، بل شاهدوا غيره و توهموا أنه هو على غير الواقع.

إلا أن هذا غير صحيح أيضا لامرين:

أولا: انه مما ينفيه التواتر، فضلا عما زاد عليه من أعداد الروايات و النقل ان يحصل القطع بان المجموع لم يكونوا مغفلين بهذا الشكل، بل أن بعضهم - إن لم يكن كلهم - قد شاهدوا المهدي (ع) نفسه.

ثانيا: انه مما تنفيه الدلائل الواضحة و البراهين اللاتحة التى يقيمها المهدي عليه السلام أثناء المقابلة، و ينقلها هؤلاء الناقلون مما لا يمكن



ص: ٤٤٤

صدورها من أحد سواه. فيتعين أن يكون هو الامام المهدي (ع) دون غيره. و سيأتي التعرض إلى هذه الدلائل في التاريخ القادم. الوجه الرابع: ان نعترف بصدقها و مطابقتها للواقع، لكن يلتزم بوجود تكذيبها تعبدا، إطاعة للأمر الوارد في التوقيع. و قد احتتمل هذا الوجه بعضهم.

إلا انه مما لا يكاد يصح .. فانه خلاف ظاهر الحديث بل صريحه.

حيث يقول: فهو كذاب مفتر الدال على عدم مطابقة قوله للواقع. و لم يقل فكذبوه، ليكون من قبيل الأمر الصادر من الامام ليطاع تعبدا.

على انه لا يمكن للامام المهدي (ع) أن يأمر بالتكذيب مع علمه بوقوع المشاهدة الثابتة عندنا بالتواتر.

الوجه الخامس: حمل التوقيع الشريف على دعوى المشاهدة مع ادعاء الوكالة أو السفارة عنه عليه السلام، و إيصال الاخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء في الغيبة الصغرى. قالوا: وهذا الوجه قريب جدا، و قد نقل عن البحار و غيره<sup>٨٢٢</sup>.

إلا أنه في الواقع بعيد جدا، بمعنى أنه خلاف الظاهر من عبارة الإمام المهدي (ع) في بيانه. فانه يحتاج إلى ضم قيد أو لفظ إلى عبارته لم تقم قرينة على وجودها .. كما لو كان قد قال: الا فمن ادعى المشاهدة مع الوكالة فهو كذاب مفتر. إلا أن المهدي (ع) لم يقل ذلك كما هو واضح، و مقتضاه عموم التكذيب لمن ادعى السفارة و غيره.

ص: ٤٤٥

نعم، من ادعى السفارة أو الوكالة يجب تكذيبه. إلا أن هذا غير ادعاء المشاهدة. إذ بالإمكان تصديق الفرد على المشاهدة و تكذيبه على الوكالة. إلا أن الدليل على تكذيب الوكالة ليس هو قوله: فهو كذاب مفتر. وإنما هو قوله: و لا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك.

فانه دال على انتفاء السفارة بعد السمرى، فكل من يدعيها على مدى التاريخ فهو كاذب لا محالة، إلى عصر الظهور. و لذا قال الواعون من معاصري الغيبة الصغرى، انه (عندنا ان كل من ادعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منممس ضال مضل)<sup>٨٢٣</sup>. و بذلك كانوا يستدلون على كذب دعاوى السفارات بعد السفير الرابع.

<sup>٨٢٢</sup> (١) انظر منتخب الاثر ص ٤٠٠ و البحار ج ١٣ ص ١٤٢.

<sup>٨٢٣</sup> (١) غيبة الشيخ الطوسى ص ٢٥٥.

و اما إيصال الاخبار من جانبه إلى الشيعة، فان كانت محتفة بقرائن توجب العلم أو الاطمئنان بمطابقتها للواقع، فلا ينبغي تكذيبها. و انما يجب التكذيب - لو ثبت الأمر به - مع احتمال الخطأ و عدم وجود الدلالة على الصواب.

إذن فلا يتم شيء من هذه الوجوه الخمسة للجمع بين التوقيع الشريف و اخبار المشاهدة، على تقدير صحة التعارض بينهما.

إلا أن الصحيح هو عدم وجود التعارض بينهما بالمقدار الذي يثبت الحق و تقتنص منه النتيجة الإسلامية المطلوبة على ما سنرى. من مقابلات الإمام المهدي (ع)، من حيث مطابقتها للواقع و عدمها، و من حيث الاعراب عن المقابلة أو السكوت عنها .. تنقسم إلى عدة أقسام.

ص: ٦٤٤

فيقع الكلام فيها على سبعة مستويات:

المستوى الأول: اننا سبق ان عرفنا ان الإمام المهدي (ع) ليس مختفيا بشخصه عن الناس، و انما يراهم و يرونه، و لكنه يعرفهم و لا يعرفونه. فما هو الواقع خارجا هو الجهل بعنوانه كامام مهدي، لا اختفاء جسمه، كما تقول به بعض الافكار غير المبرهنة.

و قد عرفنا ان جهالة عنوان كافية في نجاته من السلطات الظالمة خاصة بعد أن تنمو أجيال جديدة لا تعرف شكله و سحنته. إذن فالمهدي (ع) يستطيع أن يعيش في المجتمع كأى فرد من أفراده لا يلفت النظر و لا يشير الانتباه، بصفته عاملا أو تاجرا أو رجل دين، أو يتخذ في كل فترة زمنية عملا معيناً، و هكذا. كما سنعرض له مفصلا في التاريخ القادم.

و على ذلك، فرؤية الناس للمهدي (ع) ثابتة في كل يوم و على الدوام كلما مشى في الطريق أو ذهب إلى السوق أو إلى الحج أو إلى زيارة أحد أجداده الأئمة عليهم السلام. غاية الأمر أن الناس يرون فيه شخصا عاديا و يجهلون بالكلية كونه هو المهدي (ع)، بل من المتعذر حتى مجرد الالتفات إلى ذلك أو احتمالها، كما هو واضح.

و مثل هذه الرؤية أو المقابلة للمهدي (ع)، لا ينفىها التوقيع الشريف بحال، فانها لا تقترن أبدا بادعاء المشاهدة. بسبب جهل المشاهد بحقيقة من رآه و كونه هو المهدي. فهو لا يدعى أنه رأى المهدي ليلزم تكذيبه.

و إذا أعرب عن ذلك، فانما يقول: رأيت فلانا .. و يذكر العنوان

ص: ٦٤٧

الظاهر الذي اتخذه المهدي (ع) في ذلك المجتمع، لا العنوان الواقعي للمهدي البتة. و ظاهر بيان انتهاء السفارة ان ما هو كاذب أو ما يجب تكذيبه هو ادعاء مشاهدة المهدي بصفته إماما مهديا أو الالتفات إلى ذلك و لو بالنتيجة، أى بعد انتهاء المقابلة. و هو مما لا يمكن أن يحدث في المقابلات الاعتيادية للمهدي (ع).

إذن فخير التّكذيب بعيد عن تكذيب هذا النوع من المشاهدة. كما ان الاخبار الدالة على مشاهدة المهدي (ع) بعيدة عنه أيضا. لما عرفناه من عدم إمكان الإعراب عن مشاهدة المهدي (ع) على هذا المستوى من المشاهدة. وإنما تضمنت تلك الاخبار الاعراب عن مشاهدة المهدي بصفته مهديا، و لو من حيث النتيجة، بالدلائل التي يقيمها المهدي (ع) على نفسه أثناء المقابلة.

إذن فهذا المستوى من المقابلة، خارج عن نطاق كلا الطرفين المدعى تعارضهما .. لا ينفيه التوقيع و لا تثبته الاخبار الأخرى. و معه فلا معارضة بينهما على هذا المستوى، فان المعارضة إنما تتحقق فيما لو اجتمع النفي و الاثبات على مورد واحد، و ليس في المقام كذلك.

المستوى الثاني: ان الفرد يرى المهدي بصفته مهديا، و لكنه لا يعرب عن ذلك إلى الأبد.

و هذا المستوى مما لا يمكن الاستدلال على بطلانه أو نفيه، ان لم ندع أنه هو الأغلب مقابلات المهدي (ع). و ان المقابلات التي أعرب عنها الناس و وصلنا خبرها - على كثرتها - أقل بكثير من المقابلات التي لم

ص: ٤٤٨

يعرب عنها أصحابها و لم يصلنا خبرها. خاصة بعد أن نعرف أن العلماء و الصالحين من سلفنا الصالح، كانوا يرون عدم جواز الاعراب عن المقابلة لاحد، بدوافع مختلفة. اما لكونهم تخيلوا أن التوقيع الشريف الذي نتحدث عنه دال على عدم الجواز، و اما لكونهم تخيلوا ان الاعراب عن المقابلة بما فيها من ملاسبات قد تؤدي إلى خطر على المهدي نفسه.

و اما لكونهم تخيلوا ان مقتضى الأخلاق و التواضع هو السكوت، و اما لانهم تلقوا أمرا من المهدي (ع) حين المقابلة بالكتمان. أو لغير ذلك من الدوافع. و بذلك ضاعت على التاريخ أكثر مقابلات الإمام المهدي «ع» في غيبته الكبرى.

و هذا المستوى من المقابلات، مما لا يمكن الاستدلال على بطلانه، إلا برفض التصور الإمامي للمهدي «ع» و غيبته. و هو خلاف المفروض من هذا التاريخ، حيث بنيناه على التسليم بصحة هذا التصور، و أوكلنا البرهنة عليه إلى بحث آخر. كما قلنا في المقدمة، و مع الاعتراف بهذا التصور تكون مقابلته على هذا المستوى محتملة على أقل تقدير. و لا يدل التوقيع الشريف على نفيه و بطلانه لفرض عدم افترائها بدعوى المشاهدة. كما لا معنى لتكذيبها، بعد أن سكت عنها أصحابها، كما لا يدل عدم نقلها على عدم تحققها، لكون أصحابها قد تعمدوا إخفاءها و السكوت عنها.

و هذا المستوى أيضا خارج عن اخبار المشاهدة، لكونها جميعا من المشاهدات المنقولة كما هو واضح. و معه يكون هذا المستوى خارجا

ص: ٤٤٩

عن طرفي النفي و الاثبات للطرفين من الاخبار المدعى تعارضهما: إذن فلا تعارض على هذا المستوى أيضا.

المستوى الثالث: ان الفرد يرى الامام المهدي «ع» بصفته مهديا و لو بحسب النتيجة، و لكنه لا يخبر بالصراحة و الوضوح، بكونه قد شاهد المهدي «ع». و انما ينقل ما وقع له من الحادثة و يكون المستنتج له و لغيره، من مجموع ما حدثت من دلائل هو أن ذاك الشخص الذي أقامها هو المهدي عليه السلام. و المخبر من ناحيته يجعل المجال للتفلسف و الاستنتاج للسامع مفتوحا. و ان كان يعتقد بنفسه ان من رآه هو الإمام المهدي «ع» بعينه.

ففى مثل ذلك، إذا استظهرنا من التوقيع الشريف، كما هو غير بعيد من قوله: ادعى المشاهدة، ما إذا ادعى المتكلم رأسا أنه رأى المهدي «ع» و تعهد بذلك للسامع. فهذا هو المنفى بلسان التوقيع و اما إذا لم يخبر بذلك صراحة و انما أوكل الجزم بذلك إلى وجدان السامع ..

فهو مما لا ينفيه التوقيع الشريف.

و من المعلوم لمن استعرض أخبار المشاهدة التي ادعى معارضتها مع التوقيع، ان أكثرها يتضمن نقلا للحادث مع إيكال الجزم بكون المرئي هو الإمام المهدي «ع» إلى وجدان السامع، و عدم تعهد المتكلم بذلك، و ان كان معتقدا به. إذن فمثل هذه الأخبار تكون مداليلها ثابتة بدون أن ينفىها التوقيع بحال.

نعم، لو فرض وجود خير يقول لك: بأنه شاهد المهدي عليه

ص: ٦٥٠

السلام، و تعهد لك بالصراحة بذلك فانه يخرج عن هذا المستوى الثالث.

و اما كونه هل يقع طرفا للمعارضة مع التوقيع أو لا يقع، فهو مما سيتضح على المستويات الآتية.

المستوى الرابع: كون الفرد يرى الإمام المهدي عليه السلام. و يخبر صراحة انه رأى المهدي، متعهدا باثبات ذلك. إلا أنه يذكره مدعما بالبراهين و الأدلة التي تورث القطع للسامع بأن الشخص المرئي هو المهدي نفسه. لاستحالة أن يقوم بذلك شخص سواه عادة.

ففى مثل ذلك، و ان اقتضى الفهم الابتدائي للتوقيع نفى المشاهدة على هذا المستوى، إلا أنه بحسب الدقة، يستحيل دلالة التوقيع على ذلك، لفرض كوننا قاطعين بكون المرئي هو الإمام المهدي «ع» و القاطع يستحيل عقلا أن يحتمل الخلاف أو يكلف بالتكذيب. و معه يكون الحكم بكون مدعى المشاهدة مقتر كذاب، مختصا بصورة الشك بما إذا كان المرئي هو المهدي «ع» أو غيره. و لا يشمل صورة العلم بكونه هو المهدي «ع». فكان المهدي «ع» من توقيعه الشريف يريد أن يقول: انه إذا أخبرك شخص بأنه رأى المهدي و شككت بقوله فاحمله على انه كاذب؛ بمعنى ان القاعدة العامة فى دعوى المشاهدة هو الكذب و عدم المطابقة مع الواقع، إلا مع القطع بالثبوت و المطابقة.

و المفروض على هذا المستوى القطع بذلك. فلا يكون منفيا بالتوقيع كما هو واضح.

و نحن إذا استعرضنا أخبار المشاهدة، نجدها جميعا مدعمة بالشواهد

ص: ٦٥١

القطعية الدالة على كون الشخص المرئى هو الإمام المهدي «ع» فان هذه الشواهد هي السبيل الوحيد إلى معرفة ذلك. إلا أننا الآن حيث لم نعش هذه الشواهد و لم نعاصرها و كان كل خبر مستقلا، ظنيا بالنسبة إلينا، فما عندنا من العلم فعلا، هو العلم الناشئ من التواتر، حيث قلنا بأن هذه الاخبار تفوق التواتر. اذن فنحن نعلم أن أشخاصا اخبروا عن مشاهدة المهدي و عاشوا شواهد قطعية عن ذلك، و معه لا يمكن أن تكون مثل هذه الاخبارات مشمولة للتوقيع الشريف بحال.

فعلى هذه المستويات الأربعة، التي تنتظم فيها سائر الاخبار، و لا يكاد يشذ منها شيء ترتفع المعارضة المتخيلة بين التوقيع الشريف و اخبار المشاهدة. و لا يكاد يكون التوقيع نافيا لها بحال.

المستوى الخامس: ان الفرد يخبر عن مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام، من دون أن يقتصر خبره بدليل يوجب القطع أو الاطمئنان بأن المرئى هو المهدي عليه السلام نفسه.

و هذا المستوى لا يكاد يوجد في أخبار المشاهدة، فانها كلها أو الأعم الأغلب منها على الأقل، تحتوى على الدلائل القطعية على ذلك كما قلنا، و سنرى ذلك حين نعرض لها بالتفصيل في التاريخ القادم.

نعم، لو فرض وجود مثل هذا الخبر أو سمعت شيئا من ذلك من أحد بدون أن يقتصر بدليل واضح، فاعرف انه كذاب مقتر.

فانه يكون مشمولاً للتوقيع الشريف، لو اقتصرنا على قسم من عبارته.

و لا ضير في ذلك، فان المنفى هو أقل القليل. و هو يحملنا على التنزه

ص: ٦٥٢

عن الدعاوى الفارغة و الاستغالات الخرافية المتعمدة.

نعم لو أخذنا بقوله «ع»: و سيأتى لشيعتى من يدعى المشاهدة و فهمنا منه التنبيه على الدعوات المنحرفة بالخصوص، على ما سيأتى على المستوى الآتى .. كان ذلك قرينة على ان دعوى المشاهدة المقترنة بالدعوة المنحرفة، هي الكاذبة دائما. و معه يكون ادعاء المشاهدة المجرد عن الدعوة المنحرفة، غير منصوص على كذبه في التوقيع، و ان تجرد عن الدليل الواضح، بل يبقى محتمل الصدق على أقل تقدير.

المستوى السادس: ان يدعى شخص مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام، بدون برهان واضح، كالمستوى السابق، و لكنه يدعى أن المهدي عليه السلام قد قال له أمورا أو أمره بتبليغ أشياء نعرفها بكونها باطلة و منحرفة. فيحاول هذا الفرد أن يتزعم باسم

المهدى «ع» مسلكا منحرفا أو حركة ضالة في داخل نطاق القواعد الشعبية المؤمنة بالمهدى «ع» .. من أى نوع من أنواع الانحراف كان.

و الادعاء على هذا المستوى كاذب و مزور جزما للعلم بعدم صدور ما هو باطل من الإمام الحق المذخور لدولة الحق.

و المطمئن به هو أن هذا المستوى من الادعاء هو المقصود من التكذيب فى التوقيع الشريف. فان المستظهر من قوله «ع»: و سيأتى لشيئى من يدعى المشاهدة. كون المراد منه الإشارة إلى حدوث دعوات منحرفة و حركات غير محمودة فى داخل القواعد الشعبية الامامية، تقوم على دعوى المشاهدة، خلال الغيبة الكبرى. مع إلفات نظر المؤمنين

ص: ٦٥٣

و تحذيرهم من تلك الدعوات، و تنبيههم على خطرها على الإسلام و المجتمع الإسلامى.

إذن فمدعى المشاهدة كاذب مزور فى خصوص ما إذا كان منحرفا ينقل أمورا باطلة عن الإمام المهدى عليه السلام. و اما فيما سوى ذلك فلا يكون التوقيع الشريف دالا على بطلانه، سواء نقل الفرد عن المهدى «ع» أمورا صحيحة بحسب القواعد الإسلامية، أو محتملة الصحة على أقل تقدير، أو لم ينقل شيئا على الاطلاق.

المستوى السابع: أن يؤمن شخص بانسان أنه هو المهدى المنتظر كما حدث فى التاريخ خلال الدعوات المهديّة المتعددة. فيخبر- إذا رآه- أنه رأى المهدى.

و هذا يكون كاذبا جزما، لانه و إن كان رأى مدعى المهديّة، إلا أنه لم ير المهدى الحقيقى المعين من قبل الله تعالى لانقاذ العالم من الظلم فى اليوم الموعود. فاخباره برؤية المهدى «ع» لا يكون مطابقا للواقع، و ان اعتقد المخبر صدقه. فيكون المراد من التوقيع الشريف هو التحذير من هذه الدعوات المهديّة الباطلة.

و المعارضة- على هذا المستوى- غير موجودة بين التوقيع الشريف و اخبار المشاهدة. فان التوقيع و ان كان مكذبا لهذه المشاهدة، إلا أن أخبار المشاهدة المقصودة لا تثبتها، فانها جميعا تدور حول مشاهدة المهدى الغائب محمد بن الحسن العسكرى عليهما السلام، دون غيره.

و هو المهدى الحقيقى بالفهم الامامى، و عند من يعترف بصحة هذا

ص: ٦٥٤

التوقيع الشريف و نفوذه. و معه لا معنى لهذه المعارضة المدعاة.

إلا أنه يمكن المناقشة على أى حال فى تعرض التوقيع لهذا المستوى السابع. باننا و ان جزمنا بكذب المخبر برؤية المهدى، إذا كان قد رأى مدعى المهديّة. إلا أن هذا الاعتقاد ناشئ عن الدليل الخاص الدال على انحصار المهدى و انطباقه على محمد بن

الحسن عليه السلام دون غيره كما عليه الفهم الامامى المفروض صحته فى هذا التاريخ. و اما استفاده ذلك من التوقيع الشريف، فغير ممكن. لان المستفاد من قوله: و سيأتى لشيئى من يدعى المشاهدة. انه تحذير من الدعوات المنحرفة التى تقوم فى داخل نطاق شيعة المهدي «ع» و قواعده الشعبية. و بذلك تخرج الدعوات المهديوية الخارجة عن هذا النطاق، لانهم ليسوا من شيعة المهدي محمد بن الحسن عليه السلام، كما دل عليهم قوله: و سيأتى لشيئى.

و معه يكون هذا التوقيع ساكتا عن التعرض إلى تكذيب الدعوات المهديوية الأخرى، و ان علمنا كذبها بدليل آخر.

اذن فقد تحصل من كل ذلك، ان الاشكال الذى ذكره غير وارد على التوقيع و لا على أخبار المشاهدة، و انه بالامكان الأخذ به و باخبار المشاهدة، و لا يجب تكذيبها إلا ما كان قائما على الانحراف و الخروج عن الحق.

و بهذا ينتهى الحفل السابع فى اعلان الامام المهدي عليه السلام انتهاء السفارة و بدأ الغيبة الكبرى.

و بانتهائه ينتهى المهم من أعمال المهدي عليه السلام اتجاه سياسته

ص: ٦٥٥

العامة و الخاصة خلال غيبته الصغرى. و بقيت هناك تفاصيل قليلة من الأنسب تحويلها على تاريخ الغيبة الكبرى القادم.

و بهذا ينتهى ما أردنا بيانه من تاريخ الغيبة الصغرى بما فيها من ملابسات و حقائق.

و الحمد لله على حسن التوفيق و صلى الله على سيد رسله و خاتم أنبيائه رسول الإسلام و رائد الحق، و على آله الطيبين الطاهرين. نبتهل إلى الله أن يمن على البشرية المظلومة بقرب الفرج و لقاء اليوم الموعود، يوم العدل المطلق، على يد قائده الكبير المهدي القائم عليه السلام.

وقع الفراغ من تسويد هذه الصفحات بيد المحتاج إلى رحمة ربه الكريم محمد بن محمد صادق الصدر بتاريخ يوم الجمعة النامن من ربيع الثانى عام ١٣٩٠ للهجرة النبوية المباركة. الموافق ١٢ حزيران لعام ١٩٧٠ الميلادى.

و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

محمد الصدر النجف الأشرف - العراق